سلسلة أديان مقارنة

إنجيلُ برنابا

إشكاليَّة الأناجيل المسيحيَّة المخفِيَّة والباطِنيَّة



د. سعود المولى



برنابا وأناجيل أخرى

أناجيل باطنية وأناجيل غريبة

برنابا وأناجيل أخرى

أناجيل باطنية وأناجيل غريبة

سعود المولى

برنابا وأناجيل أخرى

أناجيل باطنية وأناجيل غريبة

Barnaba's Gospel
and other Apocrypha
and Gnostic Gospels

إعداد

الدكتور سعود المولى

الناشر

المركز الأكاديمي للأبحاث

العراق – تورنتو – كندا

The Academic Center for Research
CANADA -TORONTO

موثق بدار الكتب والوثائق الكندية

Library and Archives Canada
ISBN 978-1-927946-99-2

http://www.acadcr.com
Email: info@acadcr.com
nasseralkab@gmail.com

بيروت – الطبعة الأولى 2020

توزيع

شركة المطبوعات للتوزيع والنشر

بيروت – لبنان 2047–7611
الجناح – شارع زاهية سلمان
مبنى مجموعة تحسين الخياط

Fax: + 961-1-830609
Tel: + 961-1-830608
tradebooks@all-prints.co
Website: www.all-prints.com

استهلال

بدأت بالشغل على هذا الكتاب قبل أكثر من خمسة عشر عامًا. ففي أعوام 2001-2006 أتيح لي أن أكون وعلى فترات متقطعة، أستاذًا في إحدى جامعات الولايات المتحدة الأميركية؛ مرة أولى كأستاذ زائر بمنحة لمدة فصل واحد في إطار تبادل بين الجامعات عبر برنامج فولبرايت (كانون الثاني/ يناير 2001 - أيار/ مايو 2001)؛ ثم مرة ثانية لفترة أربع سنوات متقطعة (2002-2006) كأستاذ زائر ومنسق لبرنامج جديد لدراسات السلام والعدالة، مشترك بين ثلاث جامعات في ولاية إنديانا، تابعة للكنائس المسماة كنائس السلام الأميركية التاريخية (وهي الكوايكرز أو الفرندز[1]،

---

(1) جمعية الأصدقاء الدينية أو الصاحبيون Friends أو الكوايكرز Quakers، والتسمية الأكثر شيوعًا هي الكوايكرز،هي مجموعة من المسيحيين البروتستانت نشأت في القرن السابع عشر في إنكلترا على يد جورج فوكس وهاجرت إلى القارة الجديدة بسبب الاضطهاد الديني الذي لاقته في إنكلترا. سموا الكوايكرز أي المهتزون أو المتزلزلون خشوعًا quake لكثرة خشوعهم في كل آن ومكان وخصوصًا خلال محاكماتهم التي كانت تنتهي بإعدامهم بتهمة الهرطقة. يبلغ عددهم اليوم في الولايات المتحدة (150.000 حيث مركز ثقلهم، وشرق أفريقيا (50.000) وبريطانيا العظمى (20.000).

شدد الكوايكرز منذ البداية على التجارب الروحية الداخلية، أكثر مما أكدوا على تعاليم بعينها وعلى تلقي التوجيهات الإلهيه من نور الداخل، من دون مساعدة خارجية ووسطاء أو الشعائر. وقام أحد الكوايكرز ويدعى وليم بن، بتأسيس مستعمرة بنسلفانيا في عام 1682م. لتكون ملاذًا للكوايكرز الإنكليز المضطهدين في بلدهم، وأصدر وليم بن دستورًا للمستعمرة، كان مثلًا أعلى لحماية الحريات الدينية للمواطنين. تعتبر طائفة الكوايكرز جزءً من كنائس السلام التي تتخذ الموعظة على الجبل ليسوع المسيح منبعًا لتعاليمها. وتتميز حياتهم بأنها حياة مشتركة. اشتهر الكوايكرز أيضا بكثرة عدد العلماء، حيث حضور العلماء هو الأكثر لديهم مقارنة مع طوائف وديانات أخرى حيث برز عدد كبير منهم في الجمعية الملكية البريطانية وفي جوائز نوبل =

والمينوناتية[2]، والبرذرن[3]). خلال هذه الفترات كنت مقيمًا في جامعة إرلهام Earlham بمدينة ريتشموند Richmond من ولاية إنديانا، وأستاذًا زائرًا فيها للدراسات الإسلامية عن الحوار والعدالة والسلام. وكان مكتبي يقع في داخل المكتبة العامة للجامعة والتي تحمل اسم «مكتبة ليللي» Lilly.

= وبنسبة تفوق نسبتهم السكانية. في الماضي، عُرف الكوايكرز برفضهم المشاركة في الحروب، وعرفوا في الملبس العادي والمتواضع، وفي رفض قسم اليمين، وفي معارضة الرق، والامتناع عن شرب المسكرات. ووصفتهم هيئة الإذاعة البريطانية بأنهم «رأسماليون طبيعيون»، حيث إن بعض الكوايكرز أسسوا عددًا من البنوك والمؤسسات المالية، بما في ذلك باركليز ولويدز. وأسس الكوايكرز أيضًا بعض أبرز شركات التصنيع في العالم الغربي، بما في ذلك متاجر كلاركس وأكبرثلاثة شركات في صناعة الحلويات البريطانية كادبوري، وراونتري وفراي. وعرف الكوايكرز بمشاركتهم ومبادرتهم في الجهود الخيريَّة، بما في ذلك إلغاء العبودية، وإصلاح السجون، ومشاريع تنمية العدالة الاجتماعية ونصرة القضايا العادلة خصوصًا قضية فلسطين.

(2) المينوناتية (Mennonites أو المينونايت) طائفة مسيحية أو جماعة كنسيّة من جماعات البروتستانت دعاة تجديدية العماد Anabaptist. نشأت مع المصلح مينو سيمونز (1496–1561) في فرايزلاند (هي اليوم من أراضي هولندا). كان المينوناتيون في البداية بروتستانت معترضين على الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وكان أكثرهم قد هاجر من أوروبا إلى الولايات المتحدة بسبب الاضطهاد الذي لقوه هناك جنبًا إلى جنب الآميش. ويعيش أغلبهم حياة محافظة تقية بعيداً عن العالم ويستخدمون الوسائل القديمة في إدارة شؤونهم من دون الاعتماد على الكهرباء والسيارات والاتصالات وحتى على العملات. وتلبس نساؤهم الحجاب على الرأس ويتكلمون اللغة الألمانية بلهجتها البيرنية. يبلغ عددهم في العالم حوالي مليوني نسمة متوزعين على مختلف دول العالم من الهند وإثيوبيا وكينيا والكونغو الديمقراطية والكونغو وكندا والولايات المتحدة. وكنيسة المينونايت هي من كنائس السلام التاريخية التي رفضت العبودية وترفض الحروب وتدعو للسلام العالمي والعدالة الاجتماعية.

(3) البرذرن Brethren أو كنيسة الأخوة هي أيضًا كنيسة من تجديدية العماد تعود بجذورها إلى حركة أخوية تقوية نشأت في العام 1708 في مدينة شوارزيناو الألمانية Schwarzenau. فكانوا من المنشقين عن الكنائس الرسمية وتعرضوا للاضطهاد وأبرز رجالاتهم كان ألكسندر ماك Alexander Mack الذي انتقل بأتباعه إلى فرايزلاند حيث أقاموا بين المينونايت ثم هاجروا بدءًا من العام 1729 إلى أميركا وأقاموا خصوصًا في بنسلفانيا وانتهى وجودهم في أوروبا تقريبًا في العام 1740 وتوزعوا في الولايات الأميركية خصوصًا أوهايو وإنديانا بعد بنسلفانيا

وتسمية ليللي نسبة إلى العائلة الشهيرة في إنديانا من أصحاب صناعة الأدوية والتي مولت المكتبات في الولاية وأشهرها مكتبة جامعة إنديانا في مدينة بلومنغتون، واسمها أيضًا «مكتبة ليللي»؛ وهي الأكبر والأهم إذ تحتوي كتبًا نادرة ومخطوطات مجموعها اليوم هو 8.5 مليون مخطوطة، 450000 كتاب، 60000 كتاب من القصص المصورة comics، 16000 كتاب من الكتب المصغرة، 35000 كتاب أحجية وألغاز، و150000 ورقة نوتة موسيقية. وصاحب الهبة الأولى لهذه المكتبة هو يوشيا كيربي ليللي المعروف باسم «جو» Josiah Kirby «Joe» Lilly Jr (1893–1966) والذي أهدى في العام 1960 مجموعته الكبيرة إلى جامعة إنديانا بلومنغتون. أما مكتبة جامعة إرلهام ريتشموند فهي أيضًا احتوت على مجموعة كبيرة من هبة السيد ليللي، ولكنها كانت تضم حجمًا أقل من المخطوطات والكتب إلا أنه كان حجمًا كبيرًا أيضًا، وفيها أكبر مجموعة من الكتب والمجلات اليهودية والمسيحية القديمة والحديثة. هذا ناهيك عن النظام الرائع الذي يسمح لك باستعارة الكتب بين المكتبات الأميركية حيث تصلك الكتب التي تطلبها من أي مكتبة إلى جامعتك في خلال بضعة أيام، لا بل ويُسمح لك بتصوير المخطوطات والكتب والمجلات، قديمها وجديدها. في داخل مكتبة ليللي في إرلهام أمضيت ساعات وساعات من الليالي الطويلة الباردة في شتاءات إنديانا المرعبة، وأنا أغوص في عالم الكتابات اليهودية والمسيحية المبكرة. وقد اكتشفت أشياء وأمورًا لم أكن قد عرفتها من قبل. صحيح أنني كنت من أوائل من أطلقوا وبادروا في الحوار الإسلامي المسيحي في لبنان والعالم العربي (منذ العام 1985) متبعًا في ذلك خطى السيد موسى الصدر والشيخ محمد مهدي شمس الدين، وأنني كنت أعتبر نفسي من العالمين بالنصوص والكنائس المسيحية والفرق والنصوص اليهودية، إلا أنني فوجئت بعشرات ومئات وآلاف الكتب والدراسات التي تحكي عن كنائس وأناجيل وفرق وشيع وبدع ومعتقدات عرفتها اليهودية والمسيحية قديمًا وحديثًا، ما يجعلك

تعيد النظر بمعارفك إذ هي تلقي ضوءًا جديدًا ومختلفًا على الكثير من الأمور الحوارية والسجالية اللاهوتية بين الأديان. فانكببت على تدوين خلاصات ومقتطفات مما كنت أقرأه، وعلى طلب المزيد من مكتبة ليللي في بلومنغتون ومن مكتبة الكونغرس الأميركي كما من مكتبات أخرى في كل أنحاء الولايات المتحدة. وكنت أنقل إلى بيروت الكتب والمقالات التي قمت بنسخها وتصويرها حتى تجمع عندي كم هائل من النصوص القديمة. في كل سنة كنت أبدأ بكتابة شيء ثم أتوقف... حتى أتيح لي مرة أخرى أن أحظى بالجو الملائم للكتابة حين بدأت العمل في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بدولة قطر حيث اشتغلت لمدة سنة كاملة 2013–2014، ثم انتقلت إلى فرع بيروت، وأخيرًا بدأت منذ العام 2017 بالتدريس في معهد الدوحة للدراسات العليا بقطر، فأتاح لي هذا الأمر التفرغ بجدية للعمل على هذا الكتاب الذي أنا وحدي مسؤول عما فيه ولا أحد غيري. وينبغي هنا إعادة التأكيد على شيء يعرفه عني كل أصدقائي وزملائي وهو أنني لا أكتب بهدف السجال مع أحد، خصوصًا في موضوع الأديان، ولا بهدف التنافس الإسلامي المسيحي في موضوع أشبع كثيرًا، فقد عرفت وشهدت الكثير من استعراض العضلات في قضايا الحوار أو قضية العنف في الأديان أو قضية المرأة في الأديان أو قضية الأناجيل وموثوقيتها وقضية القرآن والوحي...إلخ، وهي كلها لا ولم ولن تضيف أي جديد لأي دين أو مذهب... إنما كتبتُ هذا الكتاب أو بالأحرى أعددته من خلال قراءاتي وأبحاثي بناء على قاعدة واسعة من المعلومات والمعطيات الجديدة والقديمة، وذلك للمعرفة والفهم ليس إلا، ولكي يتسلح المسلمون والعرب بوعي نقدي للكثير من الأمور وأن يقاربوها بمنطق وعلم وتواضع العالِم ومحبة المواطن والشريك في الهم والنظير في الأخلاق.

وقد قمت بتلخيص وعرض وشرح الكثير من الدراسات والمقالات لفهم المسيحية في حالتها الأولى على العموم والأناجيل

والفرق المختلفة التي ظهرت في البدايات بالخصوص، ناهيك عن الفرق والشيع الباطنية الكثيرة. ثم عرضت للكثير من الكتابات المخفية والسرية (الأبوكريفية) وصولًا إلى إنجيل برنابا وأنا أعتبره من الأناجيل الباطنية ضاع ثم اكتشف وقد لعبت به يد النسخ والتحوير ما أضاع قيمته.

وها أنا أغتنم هنا المناسبة للتوجه بالشكر والمحبة لمن كانوا لي خير أصدقاء ورفاق خلال رحلتي الأميركية في إنديانا، في جامعات إرلهام[4] وغوشن[5] ومانشستر[6]، وأخص بالذكر الصديق والزميل المحب الرائع مايكل بركل Michael Birkel الذي قمت بالتدريس المشترك معه لنصوص من الكتاب المقدس والقرآن، وبإطلاق حوارات ممتعة في الأديان، وقد نشر كتابًا عن الإسلام والقرآن من موقعه المسيحي المؤمن، هو خلاصة هذه الحوارات. وللأصدقاء الأحبة الأوفياء سام وروث نف Sam & Ruth Neff، أفضل المدافعين عن فلسطين والشعوب العربية والإسلامية في أميركا، وقد كانا خير حضن عائلي في غربتي. وللصديق الحبيب Tony Bing توني بنغ الذي رحل باكرًا وهو يحمل في قلبه وعقله

(4) جامعة إرلهام Earlham College هي من الجامعات الخاصة التي تسمى في أميركا كليات الفنون الحرة liberal arts وهي غالبًا ليبرالية وفي أحيان كثيرة يسارية والدراسة فيها 4 سنوات تنتهي بالليسانس. أنشأت الجامعة كنيسة الكوايكرز أو الفرندز في العام 1847 Religious Society of Friends (Quakers) ولها تركيز خاص على قيم هذه الكنيسة مثل الاستقامة والاحترام المتبادل والانخراط في النضال من أجل السلام والعدالة الاجتماعية وتتميز بجماعية القرارات. وللفرندز مدرسة قديمة في رام الله وأخرى في برمانا لبنان. وكان الفرندز أول من قام بنصرة الشعب الفلسطيني وإقامة مخيمات للاجئين بعد النكبة الأولى في غزة.

(5) جامعة أو كلية غوشن Goshen College هي من نفس نوع جامعة إرلهام، وتقع في مدينة غوشن بإنديانا. تأسست عام 1894 على يد كنيسة المينونايت الأميركية Mennonite Church التي لها عمل إنساني اجتماعي في لبنان.

(6) جامعة مانشستر (وكانت سابقًا كلية مانشستر Manchester College) هي جامعة خاصة ليبرالية تنتمي إلى كنيسة البرذرن Brethren أي الأخوة وتقع في شمال مدينة مانشستر بولاية إنديانا.

قضية فلسطين. وللزملاء الأصدقاء الصاحبيين من الرفاق اليساريين في الجامعة: المثقف الكبير وعالم الاقتصاد والمناضل الاشتراكي التعاوني هوارد ريتشاردز Howard Richards وزوجته كارولين هيغنز Caroline Higgins أستاذة الدراسات الثقافية المقارنة التي عرفتني مع زميلاتها على كل تراث الدراسات الكولونيالية والمابعد كولونيالية، والنسوية والمابعد نسوية في أميركا والعالم الثالث، وكذلك تراث الدراسات الأفرو أميركية، والأميركية اللاتينية في هذه الجامعات.

إليهم جميعًا، وإلى زوجتي هيام، وأولادي رضا ولمى وجواد، أهدي هذا الكتاب.

الباب الأول

مقدمات عامة

1- تعريفات أساسية عن الأناجيل عمومًا

يخلط الكثيرون بين ما يعرف باسم البايبل Bible أو الكتاب (ويسمونه الكتاب المقدس)، وما يعرف باسم الإنجيل Gospel = Evangile (البشارة) وهو في الحقيقة كتاب يضم عدة أناجيل ورسائل.

والإنجيل كلمة معربة من اليونانية evangelion ,εὐαγγέλιον (إيفانجيليون) وتعني البشارة السارة أو البشرى السارة أو بشرى الخلاص، وتعني لدى المسيحيين بالمفهوم الروحي البشارة بمجيء المسيح. وقد يُقصد بها مجازًا، عند المسيحيين وغيرهم، الكتب الأربعة الأولى في كتاب العهد الجديد. ويؤمن المسيحيون بأن هذه كتبت بإلهام الروح القدس وليست من تأليف بشري. يجمع المسيحيون على صحة ونقاوة وصدق نصوص الإنجيل على لسان المبشرين الأربعة. وتؤمن الكنيسة بأن كاتب إنجيل متى هو التلميذ و«الرسول» متى، وكاتب إنجيل مرقس هو مرقس الذي كان ابن أخت «القديس» برنابا وتلميذًا للقديس بولس، وأما كاتب إنجيل لوقا فهو لوقا الطبيب أحد تلامذة ومساعدي بولس في رحلاته التبشيرية، بينما كتب إنجيل يوحنا التلميذ يوحنا بن زبدي. غير أن التحقيق التاريخي لنسب كل إنجيل لصاحبه لم يحدث أبدًا؛ علمًا أنه لا يوجد أي إشارة من بعيد أو من قريب في المتون الإنجيلية إلى كاتبيها، وهذا ما دعا بعض الدراسات التاريخية الحديثة أن تنسب تلك الأناجيل إلى مجهول.

وفي القرآن ذكر لإنجيل عيسى وهو الكتاب الذي أنزله الله وفقًا للعقيدة الإسلامية على المسيح بعدما أنزل التوراة على موسى ومؤيدًا لها،

وموافقًا لها في أكثر الأمور الشرعية، يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين الحق من الباطل، ويدعو إلى عبادة الله وحده دون من سواه، وفي اعتقاد المسلمين أن هذا الإنجيل قد تعرض للتحريف.

أما الكلمة الإنكليزية والفرنسية Bible فمشتقة من اللاتينية biblia بيبليا التي صارت بالقونية اليونانية τὰ βιβλία أي ta biblia (الكتب)، ومفردها بيبليون أي كتاب βιβλίον, biblion. في لاتينية العصور الوسطى عنت بيبليا الكتاب المقدس اختصارًا لبيبليا ساكرا biblia sacra. أما في اليونانية واللاتينية المتأخرة فكانت محايدة بصيغة الجمع ثم تحولت تدريجًا لتصبح اسمًا مؤنثًا ودخلت بصيغتها هذه إلى أوروبا الغربية[1].

وكلمة بيبليون βιβλίον تعني حرفيا «ورقة» أو «لفافة» وصارت تستخدم كناية عن «الكتاب» وهي تصغير من كلمة بيبلوس byblos βύβλος التي أطلقت على أوراق البردي المصرية وقيل إن أصل هذه التسمية يرجع على الأرجح إلى صدور الورق من مدينة بيبلوس الفينيقية (جبيل الحالية على شاطئ لبنان) حيث كان الورق المصري يصدّر إلى اليونان. ثم استخدم اليهود الإسكندرانيون الهلينيون كلمة ta biblia اليونانية (وتعني حرفيًا عندهم كتب البرديات الصغيرة) لوصف كتبهم المقدسة (الترجمة المسماة السبعينية)[2]. ويرجع استخدام المسيحيين للكلمة إلى حوالى العام 223. وبحسب فريدريك بروس F.F. Bruce[3] يبدو أن يوحنا الذهبي

---

(1) Stephen M. Miller & Robert V. Huber. *The Bible: A History.The Making and Impact of the Bible*. England: Lion Hudson. 2003., p. 20-24.

(2) https://www.etymonline.com/word/bible

(3) فريدريك فايفي بروس Frederick Fyvie Bruce (1910–1990)، عادة يذكر بـإف. إف. بروس، كان عالمًا في الكتاب المقدس وكان يؤكد على الدقة التاريخية للعهد الجديد. كتابه الأول: وثائق العهد الجديد: هل هي موثوقة؟ (1943) يعتبر واحدًا من ضمن 50 كتابًا شكلت تيار الإنجيليين في البروتستانية الأميركية.

Frederick Fyvie Bruce. Are the New Testament Documents Reliable? Downers Grove, IL: InterVarsity Press. 1943

الفم كان أول من استخدم العبارة اليونانية «الكتب» (ta biblia («the books»)) في عظاته على تفسير إنجيل متى (بين العامين 386 و388) وذلك لوصف الكتاب المقدس الذي يضم في الحقيقة كتابين معًا: العهد القديم، وهو كتاب اليهود والمسيحيين، والعهد الجديد وهو كتاب المسيحيين وحدهم أو الأناجيل[4].

أ- الكتاب المقدس Bible

يتكوّن (الكتاب المقدس) من مجموعة كتب تسمى في العربية أسفارًا (عددها 39)، ويعتقد اليهود والمسيحيون أن الأسفار التسعة والثلاثين كتبت بوحي وإلهام من الله لا تتغير. هذه الكتب مشتركة إذن بين اليهود والمسيحيين وهي: التوراة (وبالعبرية تورَه أي تعليم)، وهي في خمسة أسفار تشمل شريعة موسى أو الناموس- من اليونانية نوموس وتعني القانون- (وهي: التكوين، الخروج، اللاويين، العدد، والتثنية)، ثم الأسفار الواحدة والعشرين المسماة أسفار الأنبياء (وبالعبرية نبيئيم أو نڤيئيم)، ثم الأسفار الثلاثة عشر المسماة المدونات أو الكتابات (وبالعبرية كتوبيم أو كيتوڤيم) وفي جملتها مجموعة التسابيح والصلوات والترانيم والتأملات الروحية المسماة المزامير ومعظمها ينسب إلى داوود.

أما المسيحيون فيسمون هذا القسم «اليهودي» من الكتاب: العهد القديم، (أي قبل عيسى، ويؤمنون به كله) ليضيفوا إليه سبعًا وعشرين كتابًا آخر تشكل ما يسمونه: العهد الجديد (أي بعد مجيء عيسى)[5].

---

(4) http://www.documentacatholicaomnia.eu/03d/0345-0407,_Iohannes_Chrysostomus,_Homilies_on_The_Gospel_Of_Matthew,_EN.pdf

(5) Martin Davies. *The Gutenberg Bible*. British Library. 1996

موسوعة المعرفة المسيحية، أسفار الشريعة أو التوراة، مجموعة من المؤلفين بموافقة بولس باسيم النائب البابوي في لبنان، دار المشرق، طبعة أولى، بيروت 1990

التفسير التطبيقي للعهد الجديد، لجنة من اللاهوتيين، دار تايدل للنشر، بريطانيا العظمى، =

التقسيم الأساسي للكتاب المقدس العبري (العهد القديم)

- الشريعة وتسمى تورا הרות (ورمزها ت)
- الأنبياء وتسمى نبيئيم أو نڤيئيم םיאיבנ (ورمزها ن)
- الكتابات وتسمى كتوبيم أو كتوڤيم أو ختوڤيم םיבותכ (ورمزها ك/خ)
- واختصرت جميعها بلفظة تناخ.

هناك بعض الاختلافات بين الطوائف اليهودية في ترتيب الأجزاء أو الاعتراف بقانونية بعض الأجزاء. على سبيل المثال فإن طائفة الصدوقيين اليهودية المنقرضة كانت ترفض الاعتراف بغير أسفار موسى الخمسة، وكذلك حال طائفة السامريين حتى اليوم[6]؛ أما يهود الإسكندرية فقد أضافوا ما يعرف باسم الأسفار القانونية الثانية (إلى العهد القديم) والتي قبلها لاحقًا المسيحيون الكاثوليك والأرثوذكس ورفض يهود فلسطين والمسيحيون البروتستانت الاعتراف بأنها كتبت بوحي. وكذلك الحال بالنسبة إلى العهد الجديد، إذ دارت نقاشات طويلة حول قانونية بعض الأسفار مثل رسالة بطرس الثانية والرسالة إلى العبرانيين، قبل أن يستقر الرأي على التنميط الحالي في مجمع نيقية المسيحي[7].

كتبت أسفار العهد القديم بالعبرانية التوراتية، وأسفار العهد الجديد باليونانية القديمة المسماة القوينة Koine Greek وهي اللغة اليونانية العامية،

= طبعة ثانية 1996. ترجمة ونشر شركة ماستر ميديا لصالح الجمعية الدولية للكتاب المقدس، القاهرة – لندن 1997

مدخل إلى العهد الجديد، العهد الجديد، لجنة من اللاهوتيين، بإذن الخورأسقف بولس باسيم، النائب الرسولي للاتين في لبنان، دار المشرق، الطبعة السادسة عشر، بيروت 1988

(6) التفسير التطبيقي للعهد الجديد، ص 16.

(7) مدخل إلى العهد الجديد، ص 18.

أو اللغة العامة الشائعة أو اللهجة اليونانية الإسكندرانية، وهي التي كانت لغة التخاطب الدراجة بين شعوب العالم الروماني (نحو 300 ق.م حتى 600 م).

يؤمن المسيحيون واليهود، أن هذا الكتاب معصوم، وثابت إلى الأبد، وغير قابل للنقض، وبحسب تحديدات المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965) فهو «ما راق الله أن يظهر بكلام مؤلفيه»، و«اختبار البشرية لخالقها» و«الصيغة البشرية للتعبير عن كلام الله الذي لا يُعبّر عنه». أما أحبار اليهود أمثال إيليا بن سليمان زلمان فقد اعتبر أن دراسة الكتاب هي الطريقة المثلى للتواصل مع الله، «لأن الله والتوراة واحد، فلا يمكن فصل الله عن رسالته»؛ في حين اعتبره الحبر يهوشوع أيونجيل «كل غاية الإنسان»[8].

ب- مخطوطات العهد القديم[9]

أهم المخطوطات ذات الشأن التي كانت معروفة قبل اكتشاف مخطوطات البحر الميت هي ما يلي:

- مخطوطة القاهرة Cairo Codex التي كانت في كنيس أو معبد «موسى الدرعي» لليهود القرائين بالعباسية بالقاهرة وتشمل كتابات الأنبياء وتاريخ كتابتها سنة 895م

- مخطوطة ليننغراد الخاصة بالأنبياء وتشمل نبؤات إشعياء وأرمياء

---

(8) كارين آرمسترونغ، النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، ترجمة محمد الجورا، دار الكلمة، دمشق 2005، ص.121 وصفحة 281

(9) F.F. Bruce, Philip W. Comfort, Carl F.H. Henry, J.I. Packer. «*The Origin of the Bible*». Tyndale House Publishers 1992
Frederic G. Kenyon.*The Story of the Bible. A Popular Account of How it Came to Us*. London: J. Murray, 1936. 2nd edition with supplementary material by F.F. Bruce, 1964. http://www.worldinvisible.com/library/kenyon/storyofbible/2cktc.htm

وحزقيال والأنبياء الصغار الاثني عشر، وتم نسخها عام 916م

– مخطوطة حلب التي تشمل العهد القديم (كاملًا) وتاريخ كتابتها 925 ميلادية.

– مخطوطة المتحف البريطاني وهي تشمل الكتب الخمسة الأولى وتاريخها 950 ميلادية.

– مخطوطة روشلين التي تشمل الأنبياء، وقد تم نسخها عام 1105 ميلادية.

– مخطوطة لينغراد (أقدم مخطوطة كاملة) التي تم نسخها عام 1108 ميلادية، وتشمل العهد القديم كله.

– وهناك أيضًا قطعة بردية باللغة اليونانية لحوالي خمس عشرة آية من سفر التثنية تعود بنا إلى القرن الثاني الميلادي وهي موجودة في مكتبة جون رايلاندز في مانشستر بإنكلترا.

إلا أن مخطوطات البحر الميت (لفائف قمران) التي اكتشفت في منطقة خرائب قمران في الشمال الشرقي لمدينة القدس، وضعت بين أيدينا درجين لسفر إشعياء أحدهما يقارب النص الحالي، ويعود للقرن الثاني قبل الميلاد، والدرج الآخر نسخة مختصرة، ومعه نص سفر حبقوق وتفسير له.

واستمر علماء الحفريات والبدو في البحث والتنقيب في هذه المنطقة ما بين سنة 1952 و1956 واكتشفوا مزيدًا من النصوص في عشرة كهوف أخرى فوجدوا في الكهف الحادي عشر 41 مزمورًا من المزامير التي بين أيدينا اليوم، كما اكتشفوا أجزاء من أكثر من مائة درج أخرى تشمل بعض الآيات من كل أسفار العهد القديم ما عدا سفر إستير

بالإضافة لنصوص أخرى مثل وثيقة دمشق وكتاب إدريس وغيرها. وتعود هذه المخطوطات إلى ما بين القرنين الأول والثاني قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي. ويلاحظ كل من يدرس هذه النصوص أنها تشابه كثيرا النص الموجود بين أيدينا اليوم.

ج- مخطوطات العهد الجديد

أقدم المخطوطات المتعلقة بالعهد الجديد هي قصاصة بردية 52 من إنجيل يوحنا، وهي ترجع إلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي. أما أول نسخة كاملة من أحد أسفار العهد الجديد، فيعود تاريخها إلى حوالى سنة 200 م. أما أقدم النسخ الكاملة للعهد الجديد فهي المخطوطة السينائية (نسبة إلى سيناء) وترجع للقرن الرابع الميلادي[10].

الفجوة الزمنية بين زمن التأليف وأقدم نصوص المخطوطات الموجودة في حالة الأناجيل، هي الأقل بين المخطوطات القديمة المقبولة الأخرى، كالمخطوطات المنسوبة إلى أفلاطون مثلًا، حيث يرجع زمن أقدم النسخ من حوارات أفلاطون إلى حوالى 1.000 سنة بعد كتابة أفلاطون لنصها[11]. تعد أيضًا حالة أقدم المخطوطات أمرًا مهمًا، ولكنه لا يؤثر بالضرورة على موثوقيتها أو عدم موثوقيتها كمصدر[12].

بالمعنى الدقيق للكلمة ليس هناك إنجيل بل أناجيل ورسائل تشكل ما يسمى العهد الجديد، ومؤلف كل إنجيل مجهول. غير أن إنجيل يوحنا

(10) Bart Ehrman. *The History of the Bible: The Making of the New Testament Canon*. The Teaching Company 2004, pp. 479-480

(11) Complete photographic facsimile in Thomas William Allen, *Plato. Codex oxoniensis clarkianus 39 phototypice editus*, 2 vols. Leiden 1898 – 9.

(12) Martha C. Howel, Walter Prevenier. *From Reliable Sources: An Introduction to Historical Methods*. Cornell University Press. 2001., p. 19.

مستثنى نوعًا ما من ذلك، حيث أشار المؤلف ببساطة إلى نفسه بأنه التلميذ الذي أحبه يسوع، وادعى أنه عضو في دائرة يسوع الداخلية[13]. خلال القرون التالية، نُسب كل إنجيل قانوني إلى تلميذ أو أقرب الملازمين إلى تلميذ، [14]ولكن يرفض معظم العلماء تلك النسبة[15].

أما الأناجيل الأبوكريفية (موضوع كتابنا هنا) فهي تنتمي إلى كتابات العهد الجديد المسيحي وقد اعتبرتها الكنائس منحولة ومزعومة وكاذبة ولم تعتبرها مخفية أو سرية باطنية (غنوصية) فقد ترجمت الكنيسة كلمة أبوكريفية إلى منحولة. والمنحول غير الباطني السري. فالكتاب المنحول أو المزعوم هو الذي جعل له عنوان آخر غير عنوانه الأصل، أو نسب إلى غير كاتبه.

في الدراسات البيبلية (المتعلقة بالكتاب المقدس Bible) يشير المصطلح إلى مجموعة من الكتب الدينية اليهودية كتبت ما بين عامي 300 قبل الميلاد و300 بعد الميلاد وهذه كتب يميزها البروتستانت عن الأسفار القانونية الثانية التي هي عبارة عن عدة أسفار تقرها كل من الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية ضمن العهد القديم من الكتاب المقدس وترفضها مجمل الطوائف اليهودية والكنائس البروتستانتية. وتسمى هذه الأسفار بـ«الأسفار القانونية الثانية» تمييزًا لها عن الأسفار القانونية الأولى التي تعترف بها تقريبًا جميع الكنائس، كما أنه يطلق عليها الفريق الأول (الكاثوليك والأرثوذكس) الأسفار المحذوفة لأن البروتستانت قاموا بشطبها من متن الكتاب المقدس، أما

---

(13) Stephen L. Harris, *Understanding the Bible*. Palo Alto: Mayfield. 1985. «John» p. 302-310

(14) Bart Ehrman, *The History of the Bible*. op.cit., Lesson 12.

(15) David M. Carr, Colleen M. Conway. *An Introduction to the Bible: Sacred Texts and Imperial Contexts*. John Wiley & Sons. 2010., p. 233.

الفريق الثاني (البروتستانت) فيطلقون عليها الأسفار المنحولة أو غير القانونية لقولهم بأنها مضافة وليست مقدسة.

وهذه كما لا يخفي لاعلاقة لها بالكتب الأبوكريفية المخفية أو الباطنية موضوع بحثنا هنا. وفي السياق المسيحي الكنسي يستعمل مصطلح أبوكريفا Apocrypha اليوم حصرًا للإشارة إلى نصوص دينية تعتبر غير معترف بها من قبل الكنيسة، وتدريجًا اصطبغ المصطلح بمعانٍ سلبية مرادفة للتحريف، وبالنبذ، لأنه لم يتم إقرارها والموافقة عليها من قبل المجامع الكنسية الرسمية.

2- عن «الرسل» في الأناجيل

تسمي المسيحية تلاميذ المسيح (الاثني عشر) بـ «الرسل» نسبة إلى كونهم أرسلهم يسوع للتبشير بكلمته. والكلمة اليونانية المترجمة «رسول» في العهد الجديد هي «أبوستولوس» Apostolos (ἀπόστολος) وهي مشتقة من الفعل أبوستِّلين (ἀποστέλλειν) بمعنى يرسل فمعناها: «رسول مرسل، مبعوث». وقد استعملت الترجمة السبعينية للعهد القديم نفس الكلمة اليونانية لترجمة كلمة «أرسل»[16]. واستخدمت كلمة «رسول» في العهد الجديد عن عيسى نفسه: «رسول اعترافنا ورئيس كهنته»[17]. فهو مرسل من الله الآب بحسب الاعتقاد المسيحي[18]. وهذا الأمر يُذكر كثيرًا في إنجيل يوحنا تحديدًا حيث نقرأ أن «الآب أرسل المسيح» «ليتكلم بكلام الله» و«ليعمل أعمال الله» و«يتمم مشيئة الله» و«ليعلن الله» و«ليعطى حياة أبدية»[19].

(16) انظر سفر التكوين 45: 4–8، سفر الملوك الأول 14: 6

(17) رسالة بولس إلى العبرانيين 3: 1

(18) رسالة يوحنا الأولى 4: 14

(19) إنجيل يوحنا 7: 28 و29، 8: 42، 3: 34، 5: 36، 5: 37 و47، 6: 29، 6: 38، 17: 2–3

وكلمة رسول في المسيحية تعني بعد ذلك: كل من هو مرسل من يسوع المسيح[20]، كما استخدمت الكلمة كذلك في الإشارة إلى مبعوثين من الكنائس، كما استخدمت أيضًا للدلالة على الذين أرسلهم الله إلى شعبه قديمًا أي إلى بني إسرائيل، إذ «قالت حكمة الله إنى أرسل إليهم أنبياء ورسلًا فيقتلون منهم ويطردون»[21].

وترد كلمة «رسول» أو «رسل» عشر مرات في الأناجيل، وثماني وعشرين مرة في «سفر أعمال الرسل»، وثماني وثلاثين مرة في الرسائل، وثلاث مرات في سفر الرؤيا.

ثم هناك مسألة أسماء الاثني عشر رسولًا وقد أضيف إليهم لاحقًا بولس «الرسول» (سنعود لاحقًا إلى عدد هؤلاء). كما أن التسمية أطلقت أيضًا على غير هؤلاء، فيبدو مثلًا أن يعقوب البار كان يعتبر رسولًا[22] وكذلك برنابا[23]، على الرغم من أن هؤلاء الثلاثة (ثالثهم يوسف) لم يكونوا من الاثني عشر بحسب الاعتقاد الكنسي. وقد وردت لاحقًا أسماء رسل كثيرين من غير الاثني عشر مثل سلوانس وتيموثاوس[24]، وكذلك «أندونكوس ويونياس[25]. ويبدو أن بولس يضم إليه أيضًا «أبلّوس» ضمن الرسل الذين صاروا «منظرًا للعالم، للملائكة والناس»[26]. ويوصي في رسالته الثانية إلى الكنيسة في كورنثوس، بأخوين – لم يذكر

(20) إنجيل يوحنا 7: 18 و28، 20: 21 و23

(21) إنجيل لوقا 10: 49

(22) رسالة بولس إلى أهل غلاطية 1: 19، 2: 9، انظر أيضًا رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 15: 7

(23) أعمال الرسل 14: 4 و14

(24) رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي 1: 1، 2: 6

(25) رسالة بولس إلى أهل رومية 16: 7

(26) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 4: 6 و9

اسميهما – يقول عنهما إنهما «رسولا الكنائس ومجد المسيح»[27]. كما تتحدث رسائل بولس عن ضرورة كشف بعض الأشخاص باعتبار أنهم: رسل كذبة، فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح»[28] وفي هذا دليل على أنه في الكنيسة الأولى، لم تكن فكرة الرسولية قاصرة على الاثني عشر أو الثلاثة عشر، وسنرى أن الرسل أو التلاميذ لم يكونوا 12 أو 13 فقط بل تعددت روايات الأناجيل واختلفت في ذكر أسمائهم وبالتالي عددهم. وهنا نقصد فقط التلاميذ المباشرين للمسيح والمشهور أنهم 12 مضافًا إليهم لاحقًا بولس وحده.

أما في القرآن فتسميتهم هي «الحواريون» و«الأنصار» نسبة إلى ما ورد عن المسيح في سورة آل عمران: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[29].

وفي سورة المائدة: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريّين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنّا واشْهَدْ بأننا مسلمون إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئنّ قلوبُنا ونعلمَ أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم اللهمَّ ربَّنا أنْزِل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال اللهُ إني مُنَزِّلها عليكم فمن يكفر بعدُ منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذّبه أحدًا من العالَمين﴾[30].

(27) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس 8: 23

(28) رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس 11: 13

(29) آل عمران [52–53]

(30) المائدة [111–115].

وفي سورة الصف: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ۖ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾[31].

وقد اعتبر بعض السلفيين أن تسمية النصارى إنما جاءت من «الأنصار إلى الله» وليس من مدينة الناصرة إلا أنها تحولت لاحقًا إلى نصارى واستحقوها جزاء تحريفهم الرسالة. «كان من الحكمة أن يسمى أتباع المسيح بـ (الأنصار) لأنه قال: من أنصاري إلى الله؟ فاستجاب الحواريون لأمره، أما الذين جاؤوا بعد ذلك فقد أزلهم الشيطان من بعد ما جاءتهم البينات فوسوس لهم: ما فعل عيسى كل تلك العجائب إلا لأنه إله أو ابن إله، فتبنى أتباعه هذه الفكرة، وهذه هي العلة التي حولت صفتهم من أنصار إلى نصارى»[32].

يشير جواد علي (1907-1987)، إلى أنّ «لفظ النصرانية والنصارى من الألفاظ المعرَّبة، ولهما أصول سريانية من كلمة (Nasraya)؛ التي كانت تطلق على مسيحيِّي الشرق، ويرى بعض المستشرقين أنّها مستمدة من الكلمة العبرية (Nazerenes)؛ التي أطلقها اليهود على أتباع المسيحية، وقد ظلّ اليهود يطلقون على أتباع المسيحية اسم النصارى، وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم، وصارت النصرانية علماً لديانة المسيحيين عند المسلمين، بحسب تسمية القرآن الكريم[33].

وقال تقي الدين المقريزي: «نزلت السيدة مريم إلى قرية الناصرة،

---

(31) الصف [14]

(32) https://vb.tafsir.net/tafsir1931/#.XaH9NUYzY2w

(33) في كتابه «المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام. جامعة بغداد، الطبعة الثانية 1992. في 8 أجزاء. الجزء السادس، «، فصل «النصرانية بين الجاهلين». ص 582-583

فنشأ فيها عيسى، ثمّ أصبح يسوع الناصري، نسبة إلى تلك القرية، حين بعثه الله إلى بني إسرائيل. وبعد مماته، تفرّق الحواريون يدعون إلى دين يسوع الناصري، وأُطلق عليهم لفظ «الناصرية»، حتى تلاعب العرب بهذه الكلمة، وقالوا: «نصارى. قال ابن سيده: ونصرى وناصرة ونصورية: قرية بالشام، والنصارى منسوبون إليها، هذا قول أهل اللغة، وهو ضعيف. إلّا أن نادر النسب يسيغه، وأما سيبويه فقال: أما النصارى فذهب الخليل إلى أنه جمع نصري ونصران، كما قالوا ندمان وندامى ولكنهم حذفوا إحدى اليائين كما حذفوا إحدى التائين وأبدلوا مكانها ألفًا. قال: وأما الذي نوجهه نحن عليه فإنه جاء على نصران، لأنه قد تكلم به، فكأنك جمعت وقلت نصارى كما قلت ندامى، فهذا أقيس، والأوّل مذهب، وإنما كان أقيس لأنا لم نسمعهم قالوا نصرى، والتنصر الدخول في دين النصرانية، ونصره جعله كذلك، والأنصر الأقلف، وهو من ذلك، لأنّ النصارى قلف، وفي شرح الإنجيل أن معنى قرية ناصرة الجديدة، والنصرانية التجدّد، والنصرانيّ المجدّد، وقيل نسبوا إلى نصران، وهو من أبنية المبالغة، ومعناه أن هذا الدين في غير عصابة صاحبه، فهو دين من ينصره من أتباعه»[34].

3- عن إنجيل برنابا عند المسلمين

إنجيل برنابا أو الإنجيل المسلم كما كان يسميه بعض العلماء المسيحيين، له قصة شيقة وطريفة. ففي البداية لم تعترف الكنيسة (بكل أطرافها) ولم يعترف اللاهوتيون المسيحيون، لا بل ولم يعترف العلماء والمفكرون العلمانيون في الغرب والشرق، بهذا الإنجيل أبدًا واعتبروه

(34) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ). «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار». دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، 1418 هـ عدد الأجزاء: 4؛ الجزء الرابع ص 394

عملًا ملفقًا وكتابًا مزورًا كتب في وقت متأخر. وأكدوا أن كاتبه مسلم حاول مواءمة بعض ما فيه ليتوافق مع الإسلام خصوصًا لجهة ما ينفي ألوهية يسوع/ عيسى؛ فضلًا عن إشارته إلى أن المسيح بشّر برسول من بعده اسمه أحمد. فيما اعتبر المسلمون هذا الإنجيل (الذي يقومون بنشره وتوزيعه وبعشرات اللغات من حول العالم) الإنجيل الأصح أو الأدق وإن لم يقولوا بأنه هو «إنجيل عيسى الحقيقي»، وتعاملوا معه على أنه «كاشف لحقيقة دين المسيح التي زورها المسيحيون كما زوروا الأناجيل» (العبارة مني لتلخيص الموقف الإسلامي عمومًا).

كما لم تعترف الكنيسة (الشرقية والغربية كما البروتستانتية) ولم يعترف المثقفون واللاهوتيون باحتمال أن يكون هذا الإنجيل ينتمي إلى الكتابات الصادرة في القرون الأربعة الأولى من المسيحية والتي اشتهر بعضها بأنه من الأناجيل المخفية أو المكتومة أو السرية أو الباطنية (الأبوكريفا Apocrypha وسيأتي الحديث عنها لاحقًا) والتي كانت الكنائس العربية تسميها الأناجيل المنحولة. ولكن تغير الموقف في آخر القرن العشرين بعد أن انتشرت الاكتشافات والكتابات الغربية عن هذه الأناجيل وغيرها من الكتب والأوراق المفقودة خصوصًا أوراق الأناجيل المبعثرة في صعيد مصر وغيرها. فصدرت ترجمات عربية لهذه الأناجيل وكتابات تحمل نظرات جديدة ومحاولات ومقاربات لفهم هذا الكم من الأناجيل غير القانونية. ولم يحظ إنجيل برنابا بهذا التقدير إذ استمر اللاهوتيون والباحثون على اعتباره تزييفًا أو انتحالًا من مسيحي مرتد أراد تصفية حساباته مع الكنيسة فاخترع هذا الإنجيل الذي حمله المسلمون وطبلوا له.

والحال أن المسلمين القدماء لم يتحدثوا عن هذا الإنجيل قبل اكتشافه وترجمته في مطلع القرن العشرين.

فنقرأ مثلًا في تاريخ الطبري (838-923م): «وكان ممن وجّه من الحواريين والأتباع الذين كانوا في الأرض بعدهم، فطرس الحواريّ ومعه بولس - وكان من الأتباع، ولم يكن من الحواريين - إلى روميّة، وأندراييس ومثى إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس - وهي فيما نرى للأساوِد - وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق، وفيلبس إلى القيْرَوان وقرْطاجنّه، وهي إفريقيّة، ويحنس إلى دفسوس، قرية الفتية أصحاب الكهف، ويعقوبس إلى أورِيَشلِم، وهي إيليا بيت المقدس، وابن تلما إلى العرابية، وهي أرض الحجاز، وسيمن إلى أرض البربر دون إفريقيَّة، ويهوذا - ولم يكن من الحواريين - إلى أريوبس، جُعِل مكان يوذس زكريا يوطا، حين أحدث ما أحدث»[35].

من المهم هنا أن نلاحظ كيفية تسمية الأسماء اليهودية والرومانية بالعربية(عند الطبري). وكمثال فإن «يوذس زكريا يوطا» هو بالتعبير المسيحي يوضاس ويسمى أيضًا يهوذا الإسخريوطي. فمن المثير ملاحظة الشبه بين يوذس ويوضاس وبين إسخريوطي وزكريا يوطا، فهل كان تحريف الاسم من الأصل زكريا يوطا أم العكس أي الإسخريوطي التي تكتب باللغات اليونانية واللاتينية وغيرها: إسكاريوط Iscariot؟ لا نجد أي نقاش إسلامي لاحق للطبري لهذه القضية، ما يقتضي المزيد من البحث في هذا المجال.

واسم الإسخريوطي هو ترجمة يونانية من العبرية لكلمة Îš-Qrîyôt أي ابن قريوت، وقالت المصادر اليهودية والمسيحية إنه ابن القرية أي أنه فلاح من القرى وليس ابن مدينة، ولو أن البعض يجعله ابن بلدة أو مدينة

---

(35) الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري، (839-923م): «تاريخ الرسل والملوك»، سلسلة ذخائر العرب 30، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، إصدار: دار المعارف بمصر، ج 1، ص 603.

تسمى قريوط أو قريوت تقع في جنوب مملكة يهوذا والتي ذُكرت في العهد القديم[36] وقد تكون هي ذاتها خربة القريتين الكائنة على بعد أربعة أميال ونصف جنوب تل ماعين، أو قد يكون من مدينة موآب الحصينة المذكورة أيضًا في العهد القديم[37]، على كل حال المقطع الأول من لقبه (إسخريوطي) باللغة العبرية (יהודה איש־קריות) هو إس أو إش بمعنى رجل فيكون (القريوتي) نسبة إلى قريوت[38]. وهذه النسبة تعززها أقوال وردت في إنجيل يوحنا عن أن يهوذا هذا هو ابن سمعان الإسخريوطي[39]. لكن هذا التفسير للاسم لا يوافق عليه كل العلماء والمختصين. ففي السريانية الأرامية تعني كلمة سكاريوطا Skaryota كما في اللاتينية sicarius الرجل حامل المدية أو الخنجر dagger man أي الرجل الثائر المتمرد بالعنف، فهو عضو في جماعة الإسخريوطيين أو السيكاريين (סיקריים) Sicarii الذين كانوا من الثوار اليهود الإرهابيين إذ كانوا يقومون بأعمال عنف من قتل واغتيال مستخدمين السكاكين الطويلة، وذلك في العقود الأولى من السنوات الميلادية[40]. وهذه التسمية تشبه في الهند تسمية متمردي السيخ باسم «غدار» نسبة إلى السكاكين والسيوف التي كانوا يحملونها للقتال، فصار الاسم (غدار) يعني المتمردين تمامًا كما صار اسم السيكاريين يعني المتمردين.

---

(36) يشوع 15: 25

(37) أرميا 48: 24، عاموس 2: 2

(38) Susan Gubar, *Judas: A Biography*, New York City, New York and London, England: W. W. Norton & Company. 2009., p. 28- 31
Peter Stanford, *Judas: The Most Hated Name in History*, Berkeley, California: Counterpoint. 2015

(39) «قَالَ عَنْ يَهُوذَا ابن سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ، لأَنَّ هذَا كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يُسَلِّمَهُ، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْ عَشَرَ.» (يوحنا 6: 71).

(40) Raymond E. Brown, *The Death of the Messiah: From Gethsemane to the Grave: A Commentary on the Passion Narratives in the Four Gospels*. New York: Doubleday/The Anchor Bible Reference Library.1994., v.1 pp. 688–92.
John P. Meier, *A Marginal Jew: Rethinking the Historical Jesus*.New York: Doubleday/ The Anchor Bible Reference Library. 2001., v. 3, p. 210

وفي تفسير الطبري للقرآن الكريم نقرأ: «حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال، حدثني رجل كان نصرانيًّا فأسلم: أن عيسى حين جاءَه من الله:»إني رافعك إليَّ» قال: يا معشر الحواريين، أيُّكم يحبّ أن يكون رفيقي في الجنة، على أن يشبه للقوم في صورتي فيقتلوه مكاني؟ فقال سرجس: أنا، يا روح الله! قال: فاجلس في مجلسي. فجلس فيه، ورُفع عيسى صلوات الله عليه. فدخلوا عليه فأخذوه فصلبوه، فكان هو الذي صلبوه وشُبِّه لهم به. وكانت عِدّتهم حين دخلوا مع عيسى معلومة، قد رأوهم وأحصوا عدّتهم. (1) فلما دخلوا عليه ليأخذوه، وجدوا عيسى فيما يُرَوْن وأصحابه، وفقدوا رجلا من العدة، فهو الذي اختلفوا فيه، وكانوا لا يعرفون عيسى، حتى جعلوا ليودس زكريا يوطا ثلاثين درهمًا على أن يدلَّهم عليه ويعرِّفهم إياه، فقال لهم: إذا دخلتم عليه، فإني سأقبله، وهو الذي أقبِّل، فخذوه. فلما دخلوا عليه وقد رُفع عيسى، رأى سرجس في صورة عيسى، فلم يشكِّك أنه هو عيسى، (2) فأكبَّ عليه فقبَّله، فأخذوه فصلبوه. ثم إن يودس زكريا يوطا ندم على ما صنع، فاختنق بحبل حتى قتل نفسه. وهو ملعون في النصارى، وقد كان أحد المعدودين من أصحابه. وبعض النصارى يزعم أن يودس زكريا يوطا هو الذي شبه لهم، فصلبوه وهو يقول:»إني لست بصاحبكم! أنا الذي دللتكم عليه»! والله أعلم أيُّ ذلك كان»[41].

---

(41) رواه الطبرى فى تفسيره الآية 157 من سورة النساء.

جامع البيان في تفسير القرآن أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن أو جامع البيان في تأويل القرآن؛ المعروف بـ «تفسير الطبري». تحقيق أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م عدد الأجزاء: 24؛ والصفحات مذيلة بحواشي أحمد ومحمود شاكر. الجزء التاسع، ص 372–373... والنص نفسه نجده عند ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير، الشافعي. «تفسير ابن كثير». مطابع الشعب بالقاهرة، عمل في تحقيقها محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، وعبد العزيز عنيم في (8) أجزاء. ج 1 – الصفحة 589.

أما المسعودي (896-956م) فيقول: «وتلاميذ المسيح اثنان وسبعون تلميذًا، واثنا عشر من غير الاثنين والسبعين. فأما الذين نقلوا الإِنجيل فهم: لوقا، ومارقس، ويوحَنّا، ومتى. ومنهم من الاثنين والسبعين لوقا وَمَتَّى، وقد يعد مَتَى أيضًا في الأثني عشر، ولا أدري ما معناهم في ذلك. والاثنان اللذان من الاثني عشر يوحنا بن زبدي، ومارقس صاحب الإسكندرية، والثالث الذي ورد أنطاكية، وقد تقدمه بطرس وتوما، وهو بولس. وهو الثالث المذكور في القرآن بقوله تعالى «فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ». قال: وليس في سائر رهبان النصرانية من يأكل اللحم غير رهبان مصر؛ لأن مارقس أباح لهم ذلك»[42].

وعند الشهرستاني (1086-1153م): «المقدمة الثالثة: في بيان أول شبهة وقعت في الخليقة، ومن مصدرها في الأول ومن مظهرها في الآخر»: «اعلم أنّ أول شبهة وقعت في الخليقة: شبهة إبليس لعنه اللّه. ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص. واختياره الهوى في معارضة الأمر، واستكباره بالمادة التي خُلِقَ منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين. وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات، وسارت في الخليقة، وسَرَتْ في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلالة، وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأناجيل الأربعة: إنجيل لوقا، ومارقوس (مرقس)، ويوحنا، ومتى، ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرات بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود، والامتناع منه»[43].

(42) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تصنيف الرحَّالة الكبير والمؤرخ الجليل أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، المتوفي سنة 346 هـ.، المجلد الأول، إصدار: الشركة العالمية للكتاب (ش م ل)، مكتبة المدرسة، الدار الأفريقية العربية، دار الكتاب العالمي، 1989، ص 270.

(43) كتاب الملل والنحل، تأليف: أبو الفتح تاج الدين عبد الكريم بن أبي بكر أحمد=

ونجد ابن حزم (994-1064م) يتحدث في الجزء الثاني من كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل»[44] عن أربعة أناجيل، وهو - كما سمّاه ابن حزم - «ذكر مناقضات الأناجيل الأربعة والكذب الظاهر الموضوع فيها»... يقول: «وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤونة كلها، لأنهم لا يدعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح، ولا أن المسيح أتاهم بها، بل كلهم أولهم عن آخرهم، أريسيهم وملكيهم ونسطوريهم ويعقوبيهم ومارونيهم وبولقانيهم، لا يختلفون في أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة: فأولها تاريخ ألفه متى اللاواني تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع المسيح عليه السلام، وكتبه بالعبرانية في بلد يهوذا بالشام يكون نحو ثمان وعشرين ورقة بخط متوسط. والآخر تاريخ ألفه مارقش (مرقس) تلميذ شمعون بن يونا، المسمى باطرة، بعد اثنين وعشرين عامًا من رفع المسيح عليه السلام، وكتبه باليونانية في بلد إنطاكية من بلاد الروم، ويقولون إن شمعون المذكور هو الذي ألفه ثم محا اسمه من أوله ونسبه إلى تلميذه مارقش، يكون أربعًا وعشرين ورقة بخط متوسط. وشمعون المذكور تلميذ المسيح. والثالث تاريخ ألفه لوقا الطبيب الأنطاكي تلميذ شمعون باطرة أيضًا، كتبه باليونانية بعد تأليف مارقش المذكور، يكون من قدر إنجيل متى. والرابع تاريخ ألفه يوحنا ابن سيذاي تلميذ المسيح بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة وكتبه باليونانية يكون أربعًا وعشرين ورقة بخط متوسط».

= المشهور بالشهرستاني (479-548 هـ)، (تمتاز هذه الطبعة بالفهارس العامة)، الجزء الأول، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا - علي حسن قاعود، إصدار: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة 1993 م. - 1414 هـ، ص 23.

(44) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل. مكتبة الخانجي - القاهرة، في خمسة أجزاء، الجزء الثاني، ص 2-3

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (661 هـ/ 1263م - 728هـ/ 1328م) في الجواب الصحيح[45]: «وأما الأناجيل التي بأيدي النصارى فهي أربعة أناجيل: إنجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا، وهم متفقون على أن لوقا ومرقس لم يريا المسيح، وإنما رآه متى ويوحنا وأن هذه المقالات الأربعة التي يسمونها الإنجيل، وقد يسمون كل واحد منها إنجيلًا، إنما كتبها هؤلاء بعد أن رفع المسيح؛ فلم يذكروا فيها أنها كلام الله ولا أن المسيح بلغها عن الله بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح وأشياء من أفعاله ومعجزاته»...

ونستطيع إيراد المزيد من الشواهد من كتب الملل والنحل وكلها لا تذكر غير أربعة أناجيل هي الأناجيل المسماة قانونية عند المسيحيين. والحال أن الأناجيل الأبوكريفية لم تكتشف إلا بدءًا من القرن التاسع عشر ولم يكن لدى المسلمين الأوائل غير معرفة قليلة بتاريخ الفرق المسيحية (المسيحية اليهودية والنصرانية وغيرها) أو بتاريخ كتبها وتفاصيل خلافاتها، على ما يظهر لنا من الكتب التي وصلت إلينا مع استثناءات مهمة ابرزها القاضي عبد الجبار.

أما في العصر الحديث فيكتب السيد محمد رشيد رضا (1865- 1935) ناشر كتاب برنابا[46]: «مرت القرون وتعاقبت الأجيال ولم يسمع أحد ذكرًا لهذا الإنجيل حتى عثروا في أوروبا على نسخة منه منذ مائتيّ سنة فرأى الدكتور سعادة (الدكتور خليل سعادة الذي قام بترجمته) بعد

(45) شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية الحراني، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، دار العاصمة بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية 1999، في خمسة أجزاء؛ الجزء 3، ص 21-22

(46) مقدمة رشيد رضا، إنجيل برنابا، ترجمة خليل سعادة، نشر وتقديم محمد رشيد رضا، المكتبة التوفيقية، الطبعة الأولى القاهرة 1909. انظر طبعة دار البشير القاهرة، لات. ص 28

الاطلاع على تلك الأقوال إن الأقرب إلى التصور أن يكون كاتبه يهوديًا أندلسيًا من أهل القرون الوسطى تنّصر ثم دخل في الإسلام وأتقن اللغة العربية وعرف القرآن والسُنة حق المعرفة بعد الإحاطة بكتب العهد العتيق والجديد».

ويكتب الدكتور خليل سعادة (مترجم الكتاب)[47]: «غير أن القول

(47) مقدمة المترجم خليل سعاده، المرجع السابق نفسه، ص 21
خليل سعادة (1857-1934) طبيب وكاتب وناشط سياسي لبناني. ولد في بلدة الشوير في لبنان، وتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة المرسلين الأميركان ثم تابع دراسته الجامعية في الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأميركية في بيروت حاليًا) حيث تخرج من كلية الطب فيها. مارس مهنة الطب في بلدته الشوير وفي بيروت بعد ان تخرّج طبيبًا سنة 1883. تعاون مع كل من جورج بوست، والشيخ إبراهيم اليازجي، وبشارة زلزل، على اصدار مجلة طبية علمية صناعية هي مجلة الطبيب التي استمر صدورها عدة سنوات إلى ان اضطر اركانها إلى الاغتراب عن بيروت. انتقل سعاده إلى القاهرة وهناك أصدر سنة 1886 عن المكتبة الشرقية أول كتاب لغوي بعنوان «الطوالع السعدية في آداب اللغة الإنكليزية». كما نشر روايته الأولى باللغة الإنكليزية «الأمير السوري أو الأمير مراد» سنة 1893 معتبرها قصة شرقية تحوي على أهم العادات والتقاليد في لبنان وحوران» في القاهرة أسس مع بعض الأشخاص «الجمعية المركزية» وكان هدفها المطالبة بحكم ذاتي للعرب ضمن إطار السلطنة العثمانية. وكانت تربطه علاقات وثيقة مع زعماء الحركة الوطنية المصرية. في العام 1906 نشر كتابه الطبي «الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه». سنة 1908 وبعد عودة العمل بالدستور العثماني عاد إلى الوطن وكان يحمل بشدة على سياسة فرنسا الاستعمارية في سوريا حتى ضايقوه فعاد إلى القاهرة سنة 1909 ونشط مجددًا في الكتابة في صحيفتي «الأهرام» و«التايمز» كانت أبرز أعماله إنجازه «قاموس سعاده الإنكليزي الذي يقع في مجلدين» وفيه ابتكر سعاده لأول مرة مئات من الكلمات الفنية في جميع فروع العلوم والفنون، ولم تكن هذه الكلمات معروفة بالمعاني التي وضعها لها. كما ترجم في العام 1908 إنجيل برنابا من الإنكليزية. وبسبب نشاطه الأدبي والوطني، ابلغ من قبل السلطات بعدم رغبتهم ببقائه في مصر، فاضطر إلى الهجرة نحو أميركا الجنوبية في مطلع العام 1914 حيث أمضى هناك العشرين سنة الأخيرة من حياته (الأرجنتين ثم البرازيل). في مدينة بيونس أيرس أصدر سعاده مجلة «المجلة» من أجل الخدمة الوطنية والعلمية. وكتب أبحاثًا تاريخية وسياسية باللغة الإنكليزية في جريدة «ستاندرد» وذلك في السنوات 1914-1915 كما أسس نقابة الصحافة السورية في الأرجنتين في نهاية 1915 بهدف حماية حقوق الصحافيين السوريين في المغترب. وأسس أيضًا «الجامعة السورية» في تشرين الأول سنة 1916 بهدف =

بأن هذا الإنجيل عربي الأصل لا يترتب عليه أن يكون كاتبه عربي الأصل بل الذي أذهب إليه أن الكاتب يهودي أندلسي اعتنق الدين الإسلامي بعد تنصره وإطلاعه على إنجيل النصارى وعندي أن هذا الحل هو أقرب إلى الصواب من غيره لأنك إذا أعملت النظر في هذا الإنجيل وجدت لكاتبه إلمامًا عجيبًا **بأسفار العهد القديم** لا تكاد تجد له مثيلًا بين طوائف النصارى إلا في أفراد قليلين من الأخصائيين، الذين جعلوا حياتهم وقفًا على الدين كالمفسرين حتى أنه ليندر أن يكون بين هؤلاء أيضًا من له إلمام بالتوراة يقرب من إلمام كاتب **إنجيل برنابا**. والمعروف أن كثيرين من يهود الأندلس كانوا يتضلعون من **العربية**. ولقد نبغ بينهم من كان له

= تقارب أبناء الجالية ومعالجة الأمور الثقافية والاجتماعية والدفاع عن مصالحهم كمواطنين». وكانت قمة أعماله التنظيمية دعوته إلى المؤتمر الديمقراطي الوطني السوري الأول في بيونس أيرس الذي عقد في الخامس عشر من شباط 1919، وقد انتخب هذا المؤتمر لجنة تنفيذية تابعة له، وأرسل البرقيات إلى مؤتمر الصلح المنعقد في فرساي، وإلى الرئيس الاميركي ولسن، ولويد جورج، وإلى وزراء الخارجية في واشنطن وباريس ولندن وروما، مطالبة باستقلال سورية ومحتجة على اعلان فرنسا «حمايتها لسورية». ثم أعلن سعادة عن تأسيس الحزب الديمقراطي الوطني، ونشر برنامجه السياسي في «المجلة» وكان شعار الحزب المذكور «الاستقلال مع البداوة خير من العبودية مع الحضارة». وفي عام 1919 انتقل سعاده إلى سان باولو، البرازيل، حيث أقام فيها واستدعى عائلته من لبنان. وبعد فترة أصدر صحيفته الاسبوعية «الجريدة» واعتبرها صلة وصل بين الوطن والجاليات اللبنانية والسورية والفلسطينية ولسان حال النهضة العصرية«. وتحولت «الجريدة» إلى منبر لكافة الاقلام الوطنية في المهاجر الاميركية الجنوبية حيث ظهرت فيها القصائد الاولى للشاعرين الياس فرحات ورشيد سليم الخوري «الشاعر القروي»، كما ظهرت أيضًا المقالات الاولى لانطون سعاده الذي عمل مساعدًا لوالده في تحرير تلك الصحيفة. في العام 1923، وبعد توقف «الجريدة» عن الصدور اعاد سعاده اصدار مجلة «المجلة» من سان باولو حيث استمرت بالصدور لمدة سنتين. في مطلع 1930 كلفته عمدة «الرابطة الوطنية السورية» في سان باولو ان يتولى رئاسة تحرير جريدتها «الرابطة»، وتولى سعاده هذا المنصب حوالى أربع سنوات متتالية. كما انتخب بعد فترة رئيسًا شرفيًا «للرابطة الوطنية السورية» وبقي في هذا المنصب حتى وفاته في العاشر من نيسان سنة 1934. ترك سعاده أبحاثًا عديدة لم تنشر حتى الآن». وكان يجيد إضافة إلى العربية اللغات الفرنسية والإنكليزية والإسبانية والبرتغالية والتركية.

في الأدب والشعر القدح المعلى فيكون مثلهم في الإطلاع على القرآن والأحاديث النبوية مثل العرب أنفسهم...

... ومما يؤيد هذا المذهب ما ورد في هذا الإنجيل عن وجوب الختان والكلام الجارح الذي جاء فيه من أن **الكلاب** أفضل من الغلف (أي غير المختونين) فإن هذا القول لا يصدر من نصراني الأصل. وأنت إذا تفقدت تاريخ العرب بعد فتح الأندلس وجدت أنهم لم يتعرضوا بادئ ذي بدء لأديان الآخرين في شيء على الإطلاق فكان ذلك من جملة البواعث التي حدت بأهالي الأندلس إلى الرضوخ لسطوة المسلمين وسيطرتهم، وثابروا على هذه الخطة في جميع الأمور الدينية إلا في شيء واحد وهو الختان. إذ جاء زمن أكرهوا فيه الأهالي عليه وأصدروا أمرًا يقضى على النصارى بإتباع سنة الختان على حد ما كان يجرى عليه المسلمون واليهود. فكان هذا من جملة البواعث التي دعت النصارى إلى الانتفاض عليهم. أما يهود الأندلس فإنهم كانوا يدخلون في الإسلام أفواجًا وليس ذلك فقط بل كانت لهم يد كبيرة في إدخال المسلمين إسبانيا ورسوخ قدمهم فيها ذلك العهد الطويل»...

وبعد انتشار ترجمة خليل سعادة تناول العديد من المثقفين والباحثين العرب هذا الإنجيل. فكتب عباس محمود العقاد (على سبيل المثال لا الحصر) صاحب كتاب «عبقرية المسيح» يقول عن إنجيل برنابا: «تتكرر في هذا الإنجيل بعض أخطاء لا يجهلها اليهودي المطلع على كتب قومه، ولا يرددها المسيحي المؤمن بالأناجيل المعتمدة في الكنيسة الغربية، ولا يتورط فيها المسلم الذي يفهم ما في إنجيل برنابا من المناقضة بينه وبين نصوص القرآن، فإن الزيادة قد تكون بقلم يهودي أو مسيحي أسلم فأحب أن يُعَدِّل الكتاب بما يوافق معتقده ولم يشمله كله بالتعديل لصعوبة تعديل كتاب كامل على نسقٍ واحد فبقيت فيه مواضع التناقض والاختلافات»[48].

(48) جريدة الأخبار القاهرية 26/ 10/ 1959

وقد ورد عن هذا الإنجيل في «الموسوعة العربية الميسرة»[49]:

«كتاب مزيف كتبه أوروبي في القرن الـخامس عشر. في وصفه لفلسطين أيام المسيح أخطاء جسيمة. يصرح على لسان عيسى أنه ليس المسيح إنما جاء مبشرًا بمحمد الذي هو المسيح».

وكتب علي عبد الواحد وافي (رئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بجامعة القاهرة)[50]، يقول عن إنجيل برنابا: «فالإسلام ليس في حاجة إلى كتاب كهذا تحوم حوله شكوك كثيرة... ولا ينبغي أن نتخذ سفرًا مشكوكًا في صحة نسبته إلى صاحبه... ولا أن نعتمد عليه لإقناع المسيحيين...».

هذا طبعًا قبل أن تبادر عشرات المراكز الإسلامية في أنحاء العالم إلى إعادة طبعه ونشره والترويج له في سياق سجالها الدفاعي مع الكنائس، وعملها الدعوي في الغرب.

4- عن برنابا «الرسول»

أما برنابا (أو برناباس Barnabas بحسب الكتابة اليونانية لاحقًا) فهو أحد المسيحيين الأوائل، مولود في قبرص لعائلة من اليهود الهلنستيين[51]،

(49) إشراف الأستاذ الدكتور محمد شفيق غربال. صدرت الطبعة الأولى في القاهرة عام 1965 م عن مؤسسة دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بدعم مالي من مؤسسة فورد الأميركية. والطبعة التانية عام 2001، والطبعة الثالثة عام 2009. انظر تحت عنوان «إنجيل برنابا» في صفحة 778.

(50) في كتابه «الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام»، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، 1964؛ ص 88

(51) الهَلْيَنة هي تحويل الناس إلى الحضارة الهلينية أو اليونانية، أي فرض الثقافة واللغة اليونانية ونشرها في كافة الأراضي التي ملكها العنصر الإغريقي المتمثل في الحكام اليونانيين أو المقدونيين أو الهلنستيين. وهو تعريب لمصطلح ألماني لاتيني (Hellenismus) =

توفي حوالى العام 61 م. كان اسمه الأصلي يوسف ولم يكن من «الرسل» الاثني عشر (الحواريين) بحسب الأناجيل القانونية، وقد أعطاه هؤلاء «الرسل» اسمًا جديدًا هو برنابا، وتعني بالعبرية ابن الوعظ[52] وتشير إلى معنى «النبي» في المفهوم اليهودي المسيحي الأول[53]. فهو إذن يهودي من سبط لاوي (الكهنة)، وهو أيضًا أخو مريم أم مرقس (إذن هو خال «القديس» مرقس صاحب إنجيل مرقس). وبحسب النصوص المسيحية فهو ذهب إلى القدس وسمع تعاليم المسيح فآمن وصار من السبعين رسولًا. وبعد «صعود» المسيح باع حقله وأخذ ثمنه ووضعه عند أقدام «الرسل» وسافر مع بولس في رحلته التبشيرية الأولى وفارقه في رحلته الثانية ثم «أخذ مرقس معه» في رحلة أخرى وذهبا إلى قبرص للتبشير ثم إلى ميلانو حيث مكثا سبع سنين هناك قبل أن يعودا مجددًا إلى قبرص حيث قبض عليه الملك هيباتيوس ولم يحكم عليه بشيء فأخذه اليهود وجروه في ملعب الخيل ورجموه وحرقوه. وبعد انصراف القوم تقدم «القديس» مرقس وحمل الجسد، ولفه بلفائف ووضعه في مغارة خارج

= صاغه المؤرخ الألماني يوهان گوستاف دريزن ليُشير إلى انتشار اللغة، والثقافة، والجمهرة اليونانية، في أراضي الإمبراطورية الفارسية خلال وبعد فتوحات الإسكندر الأكبر. وكانت الهلينة في أوج نشاطها آنذاك وعرفت تلك الفترة بالعصر الهلينستي وخلال هذه الفترة خرجت أعداد كبيرة من المستوطنين اليونانيين والمقدونيين إلى الأراضي المفتوحة وصارت اللغة اليونانية (القوينة) هي اللغة الرئيسية، غير أن اللغات المحلية ظلت اللغات المستخدمة والمحكية، خاصة في الأرياف. خلال الفترة الهلنستية وبعد موت الإسكندر الأكبر، تمت هلينة أعداد كبيرة من الآشوريين واليهود والمصريين والفارسيين والفرثيين والآرمن وعدد غير قليل من أعراق الشرق الأوسط ووسط آسيا. وانتشرت خصوصًا في مدينة الإسكندرية وبالأخص بين يهودها المثقفين.

(52) انظر أعمال «الرسل» 11: 23

(53) انظر أعمال «الرسل» 13: 1؛ 15: 32. وقد قُدم ذكره على بولس «الرسول» في أعمال «الرسل» 14: 14

بار בַּר Bar بالعبرية هو الابن، ونبا Naba من نبع أو أنبأ עַבָּנ

قبرص (في سلامينا أو سلاميس)، وكان ذلك في العام 61. ثم اتجه مرقس «الرسول» إلى الإسكندرية للتبشير فيها. وبحسب التقليد الكنسي الرسمي فقد جرت من قبره حوادث شفاء كثيرة حتى دعي (مقر الشفاء).

ويبدو أنه بسبب وطأة الاضطهادات التي توالت على الكنيسة والتي أثارها الأباطرة والحكام الوثنيون ضد المسيحيين، أسدل حجاب كثيف على معرفة الناس بقبر برنابا والمغارة المدفون بها. إلى أن تم الكشف عنهما في عهد الإمبراطور زينون (474-491) حوالى سنة 488 للميلاد. وفي التقليد الكنسي الرسمي رواية تفصيلية عن الأمر بما يمكن تلخيصه في سطور: أنه لما استولى البطريرك «الهرطوقي» (بطرس غنافا) على كرسي أنطاكية أرسل فاستدعى إليه (أنثيموس) أسقف سلاميس بصفته رئيس أساقفة قبرص ليحمله على الاعتراف به ومناصرته في رأيه. فخشي أنثيموس أن يعجز عن مساجلة البطريرك ومجادلته، فشرع يصلي ويتضرع إلى الله أن يلهمه الرشاد، وأن يكون في عونه فظهر له «القديس» برنابا الرسول في رؤيا، ودله على قبره ووعده أن يكون مساعدًا له في جهاده ضد البطريرك الهرطوقي. فاستدل أنثيموس علي قبر برنابا، ووجد جسده كاملًا وعلى صدره كتاب الإنجيل «للقديس» متى الذي كان قد كتبه بيده. فانتشر ذلك الخبر في المملكة كلها ووصل إلى مسامع الإمبراطور زينون. فطلب أن يحظى بذلك الإنجيل النفيس. فبعث به الأسقف أنثيموس إليه. وأصدر المجمع الذي دعي أنثيموس إليه قرارًا بأن يظل كرسي سلاميس مستقلًا عن كرسي أنطاكية، إكرامًا لذكرى «القديس برنابا الرسول». وشيد الإمبراطور زينون كنيسة عظيمة فوق قبر برنابا هناك حيث لايزال موجودًا ومزارًا لكل من يقصد إليه.وقد حملت بعض ذخائر القديس برنابا الرسول إلى مدينة (تولوز) في فرنسا في عهد كيرلس الكبير، والإمبراطور شارلمان (742-814م) CHARLMAGNE. ولم تذكر المصادر الكنسية أي شيء عن نسخة الإنجيل التي وجدت مع برنابا في القبر.

في إنجيل برنابا موضوع حديثنا تعريف بصاحبه أنه من «الرسل» الاثني عشر وهو يوضع في المقام الأول محل بطرس وبولس ويُعهد إليه بكتابة تعاليم عيسى. وهذا الأمر كان جديدًا على قراء الأناجيل الرسمية إذ إن برنابا المذكور في هذه الأناجيل ليس من الحواريين أو «الرسل» الاثني عشر، وهو لا يظهر إلا في أعمال «الرسل» حيث يقال عنه إنه من أعضاء أول جماعة مسيحية في القدس[54]. وهذا الأمر مهم لأن أول جماعة مسيحية مقدسية هي التي ضمت التلاميذ الذين بقوا في المدينة على ناموس موسى وعيسى معًا. كما أن عدم ظهور اسمه في الأناجيل هو شهادة له وليس ضده بل ضد هذه الأناجيل حيث يبدو أن برنابا هو الذي أخذ بولس لتعريفه إلى بعض الكنائس الجديدة... فقد اشتهر برنابا بأنه ألحق بولس به بعد حملة جماعة القدس عليه ورافقه إلى مجمع أورشليم حماية له من غضب كنيسة القدس[55]... وافترق عنه بعد خلاف شديد بينهما. وإلى هذا الخلاف تُنسب الرسائل والأناجيل الباطنية المعادية لبولس ومنها «رسالة برنابا»[56]. أما إنجيل برنابا فهو يبدأ كلامه بالهجوم على بولس الذي خان الأمانة. وقد أشار بعض الباحثين إلى أنه يبدو من رسالة بولس إلى أهل غلاطية ووصفه للنزاع بينه وبين برنابا أن إنجيل برنابا كان موجودًا أو معروفًا في ذلك الزمن. في حين يرد المسيحيون أن كلام بولس عن هذا النزاع هو الذي أوحى لكاتب الإنجيل نسبته إلى برنابا[57].

---

(54) وَيُوسُفُ الَّذِي دُعِيَ مِنَ الرُّسُلِ بَرْنَابَا، الَّذِي يُتَرْجَمُ ابْنَ الْوَعْظِ، وَهُوَ لاَوِيٌّ قُبْرُسِيُّ الْجِنْسِ. «أعمال الرسل» (4: 36)

(55) أعمال «الرسل»: 15

(56) هي رسالة تعود إلى القرن الثاني ميلادي، وهي غير الإنجيل الذي يعود برأيي إلى فرقة غنوصية استمرت تستخدمه حتى أوائل القرن الرابع.

(57) R. Blackhirst, «Barnabas and the Gospels: Was there an Early Gospel of Barnabas?»., in: *Journal of Higher Criticism* 7/1 (Spring 2000), 1-22.

يكتب بولس على سبيل المثال في رسالته إلى أهل غلاطية:

وَلكِنْ لَمَّا أَتَى بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْتُهُ مُواجَهَةً، لأَنَّهُ كَانَ مَلُومًا. لأَنَّهُ قَبْلَمَا أَتَى قَوْمٌ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الأُمَمِ، وَلكِنْ لَمَّا أَتَوْا كَانَ يُؤَخِّرُ وَيُفْرِزُ نَفْسَهُ، خَائِفًا مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْخِتَانِ. وَرَاءَى مَعَهُ بَاقِي الْيَهُودِ أَيْضًا، حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أَيْضًا انْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ! لكِنْ لَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهُمْ لاَ يَسْلُكُونَ بِاسْتِقَامَةٍ حَسَبَ حَقِّ الإِنْجِيلِ، قُلْتُ لِبُطْرُسَ قُدَّامَ الْجَمِيعِ: «إِنْ كُنْتَ وَأَنْتَ يَهُودِيٌّ تَعِيشُ أُمَمِيًّا لاَ يَهُودِيًّا، فَلِمَاذَا تُلْزِمُ الأُمَمَ أَنْ يَتَهَوَّدُوا؟»[58].

ويقدم لنا برنابا هذه المسألة بوضوح حيث إنه يكتب في مقدمة إنجيله[59]:

«برنابا رسول يسوع الناصري المسمى المسيح يتمنى لجميع سكان الأرض سلاما وعزاء... أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر به الله دائمًا مجوزين كل لحم نجس الذين ضل في عدادهم أيضًا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم جديد مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصًا أبديًا وليكن الله العظيم معكم وليحرسكم من الشيطان ومن كل شر آمين».

(58) رسائل بولس، رسالة إلى أهل غلاطية. الإصحاح الثاني: 11-14

(59) إنجيل برنابا، مرجع سابق، ص 93

من هذه المقاطع نستنتج أن بولس وبرنابا كانا زميلين وصديقين في البداية إلا أنهما اختلفا لاحقًا حول الكثير من العقائد خصوصًا بالنسبة إلى الموقف من ألوهية عيسى ومن ضرورة التزام الناموس الموسوي (الختان، محرمات الذبائح كالميتة ولحم الخنزير)... وقد أصبح معروفًا اليوم أن كنيسة القدس (وربما غيرها) رفضت مقولات بولس وحاربته بقيادة بطرس أولًا، ولكن أيضًا وبشكل رئيس بقيادة يعقوب (أخو عيسى بحسب الأناجيل كما كل الكتابات المسيحية اللاحقة)؛ ومعهما وقف برنابا الذي كان رفيق بولس وصديقه.

كما أن عنوان إنجيل برنابا لا يصف عيسى بأنه المسيح الموعود والمنتظر (ويترك تلك الصفة للرسول محمد) ولذلك فقد حسم الغربيون بالأصل الإسلامي للإنجيل وأكدوا على أن المسلمين يعتبرون محمدًا هو المسيح وهذا خطأ فاحش وغريب.

من جهة أخرى رأى بعض الأكاديميين واللاهوتيين الغربيين أن إنجيل برنابا يحتوي على بعض بقايا سابقة من عمل ملفق: ربما غنوصي أو إبيوني (سيرد تعريفها)، أو من الإنجيل المسمى الرباعي (الدياطيشارون)[60].

---

(60) الإنجيل الرباعي أو دياطيشارون Diatessaron (حوالى 150–160 م) أهم جمع توليفي للأناجيل، حيث دمج فيه تاطيانوس أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا في رواية واحدة. اتبع تاطيانوس (السوري أو السرياني) نص الأناجيل بدقة لكنه وضعه في جمل جديدة مختلفة. ومن أجل وضع كل روايات الأناجيل القانونية صنع تاطيانوس رواية خاصة تختلف عن ترتيب الأناجيل الإزائية وعن ترتيب يوحنا. وحذف النصوص المكررة خاصة في الأناجيل الإزائية. ولم يضف تاطيانوس الكثير من النصوص. وينقص فيه 56 آية موجودة في الأناجيل القانونية، وهي في معظمها أنساب وقصة الزانية. وهو حذف بالكامل شجرتي النسب الموجودتين في متى ولوقا. وحجم الإنجيل 72٪ من الحجم الكلي للأناجيل الأربعة. انظر: Leslie McFall. «Tatian›s Diatessaron: Mischievous or Misleading?»., in: *Westminster Theological Journal*, 56 (1994): pp. 87-114

تاطيانوس (ويُكتَب في مراجع: طاطيان وططيانوس، وأيضًا تاتيان السرياني، أو الأشوري =

وقال بعض الباحثين إن هذا الإنجيل من بقايا تراث يهودي - مسيحي كان منتشرًا في سوريا وفلسطين وهو المعروف باسم نحلة أو شيعة الكليمنتيين والكتابات المنسوبة إليها Pseudo Clementine's في بدايات تاريخ المسيحية(61). وهذا الأمر يزيد من قيمة وأهمية كتاب إنجيل برنابا إذ يكشف عن وجود معتقدات مسيحية قديمة حول عيسى تتطابق مع المعتقد الإسلامي (في أنه نبي ورسول وأنه لم يصلب وإنما شبه لهم).

= في روايات أخرى، وكذلك تاتيان السوري. هو أحد المدافعين المسيحيين عن العقيدة في القرن الثاني الميلادي. ولد عام 130 م. في أرض أشور بسوريا، شرق نهر دجلة، حيث كانت تلك المنطقة مرتبطة في عهد تراجان ببلاد ما بين النهرين (الميصة) وأيضًا بأرمينيا كولاية رومانية واحدة. وُلد من عائلة وثنية، شريفة وغنية جدًا، فتعلم البلاغة والفلسفة اليونانية، كان يتجول من بلد إلى آخر ليتتلمذ على يدي شخص معين. رأى تاطيانوس في الرومان العجرفة وحب السلطة وفي اليونان النظريات الفلسفية الجوفاء دون الحياة. استمع إلى «القديس» يوستينوس الشهيد، فصار مسيحيًا في روما ما بين سنة 150، وسنة 165 م.، لكنه كان له فكره المستقل وآراؤه الخاصة. عُرف بالتطرف في آرائه، فقد علَّم بالرفض التام لكل فلسفة يونانية، وأظهر امتعاضه حتى من الحضارة اليونانية من فن وعلم ولغة، لكنه لم يقدر أن يتخلص من الفكر اليوناني تمامًا. أقام جماعة نسكية تسمى الإنكراتيين Encratites تحرّم أكل اللحوم وتنظر إلى الزواج كزنا وتمنع عن شرب الخمر فاستعاضت عنه بالماء في الأفخارستيا. ألّف دفاعه «Oratio ad Graecs» أظهر فيه إنه لا وجه للمقارنة بين المسيحية بتعاليمها الإلهية النقية والثقافة اليونانية. اشتهر بعمله المسمى الدياطيشارون الذي يحوي حياة السيد المسيح مأخوذة عن الأناجيل الأربعة، وقد استخدمه السريان حتى القرن الخامس. قاومه الآباء إيريناوس وترتليانوس وإكلمينضس الإسكندري وأوريجينوس وهيبوليطُس.

(61) الكتابات الكليمنتية المنحولة أو المزيفة هو الاسم الذي أطلق على عمل ديني روائي احتوى على سجل دوّنه كاتب يدعى كليمنت (ولعله البابا كليمنت الأول، أو ابن عم الإمبراطور دوميتيان تيتوس فلافيوس كليمنس) ادعى كليمنت أنها خطب لبطرس دوّنها أثناء مرافقته له في رحلاته. وكليمنت الأول هذا أو قليمس أو إكليمنضس هو بابا الكنيسة الكاثوليكية وقديس بحسب المعتقدات المسيحية، كان رابع من تولى أسقفية روما بحسب قائمة بابوات الكنيسة الكاثوليكية الرسمية، وذلك بين عامي 92 و98 أو 101؛ وهو إلى جانب ذلك أول آباء الكنيسة.« (للتمييز بينه وبين إكليمنضس الإسكندراني).
«Le Roman pseudo-clémentin» (trad. Alain Le Boulluec), dans *Écrits apocryphes chrétiens*, t. II, Paris, Gallimard, coll. «La Pléiade», 2005.

وقبل الدخول في هذا العالم الفسيح من القصص والحكايات علينا التعرف على بعض الأسماء والمصطلحات والتواريخ والموضوعات لغير المختصين في اللاهوت والمسيحيات. والحال أن الغرب شهد خلال العقود الأخيرة انتشار عشرات الأبحاث والدراسات والكتب حول المسيحية الأولى والمسيحية اليهودية وفرقها المختلفة وعقائدها المتنوعة. وساهم نشر المخطوطات والأوراق المكتشفة في مصر والأردن وغيرها في التعريف بالأناجيل الكثيرة التي شاعت ثم بادت خلال القرون الأربعة أو الخمسة الأولى من المسيحية وقبل ظهور الديانة الإسلامية. ومع أن الترجمات الغربية لهذه الكتابات انتشرت منذ مطلع القرن العشرين إلا أنها لم تترجم إلى العربية قبل العام 1999[62].

5- أصحاب الأناجيل القانونية

يشار إلى ثلاثة من الأناجيل (متى ومرقس ولوقا) بالأناجيل الإزائية لتشابه تتابعها وكلماتها. والرابع هو إنجيل يوحنا وله اعتبار مختلف. عند تأليف تلك الأناجيل كُتبت بلغة القوينة اليونانية Koine. ويتطابق معظم مرقس مع نصف متى ولوقا في المحتوى، وفي معظم الترتيب، تقريبًا حرفيًا. وتعد الأناجيل الإزائية المصدر الأوليّ للمعلومات حول عيسى أو يسوع التاريخي وحركته الدينية التي أسسها[63]. وقد قصّت تلك الأناجيل قصة حياة وتبشير وصلب وقيامة عيسى (يسوع) الذي كان يتحدث بالآرامية.

(62) صدرت في العام 1999 عن دير سيدة النصر في نسبَيه–غوسطا– جبل لبنان، ترجمة عربية في ثلاثة أجزاء لهذه الكتب (الأناجيل المنحولة، الأعمال والرسائل المنحولة، الرؤى المنحولة). ترجمها اسكندر شديد وراجعها جوزيف قزي وإلياس خليفة. وهي ترجمة منقولة عن الترجمة الفرنسية التي نشرتها الباحثة البروتستنانتية فرانس جولم–كيري France Jaulmes, épouse Quéré. كما صدرت لاحقًا ترجمات عربية أخرى.

(63) Geza Vermes. *The authentic gospel of Jesus*. London, Penguin Books. 2004.

أ- إنجيل مرقس[64]

يعد إنجيل مرقس المصدر الأساسي للمعلومات حول يسوع[65]. من المحتمل أن يكون هذا الإنجيل قد كُتب في روما[66] أو في أنطاكية[67]. في سنة 1901م، عارض ويليام وْرِد الموثوقية التاريخية لإنجيل مرقس، لاعتباره أن مرقس خان سر يسوع عندما أفصح عن هويته المسيحانية، حيث إن يسوع التاريخي لم يدّع أبدًا أنه المسيح[68]. كشفت التحليلات اللاحقة للنص أنه عبارة عن مقتطفات رتّبها مرقس، أو شخص ما قبله[69]. وعلى الرغم من اعتقاد معظم العلماء أن يسوع كان نبيًا مُبشّرًا بنهاية العالم، كما أظهره مرقس في إنجيله، إلا أن أقلية من العلماء المعاصرين البارزين زعموا أن مملكته القادمة التي بشّر بها ستكون ثورة اجتماعية، وليس عالمًا خارقًا للطبيعة بعد نهاية عالمنا[70].

(64) مار مرقس أو مرقس. يُعتقد بأنه كاتب الإنجيل الذي ينسب إليه إنجيل مرقس ولذلك يلقب بالانجيلي. يعتبر بحسب التقليد الكنسي الإسكندراني البطريرك الأول (55 – 68) أو (43–63). تختلف الروايات عن ولادة مرقس ولكن الأغلب أنه ولد في قورينا بإقليم برقة في ليبيا. وأنه ابن أخت برنابا. وقد أقيم العشاء الأخير في بيته. خرج مع بولس وبرنابا ثم رجع (أعمال «الرسل» 13:13) وفي الرحلة الثانية خرج مع برنابا إلى قبرص. جاء إلى مصر سنة 55 م وبشر فيها، حيث الكنيسة التي صارت تعرف بالقبطية الأرثوذكسية وقد كان أول بطريرك لها. قتل سنة 68م.

(65) «The Gospel According to Mark.» *Encyclopædia Britannica*. 2010

(66) S.S. Raymond Edward Brown, John P. Meier. *Antioch and Rome: New Testament cradles of Catholic Christianity.* Paulist Press. New York. 1st edition 1983., p. 197,

(67) Burton L. Mack. Who Wrote the New Testament: *The Making of the Christian Myth.* Harper Collins.San Fransisco 1995

(68) F. L. Cross and E. A. Livingstone., eds. Messianic secret. *The Oxford dictionary of the Christian church*. New York: Oxford University Press. 2005

(69) Gospel of St. Mark, in: *The Oxford dictionary of the Christian church*. Ibid
Form criticism, in: *The Oxford dictionary of the Christian church*. Ibid

(70) Gerd Theissen and Annette Merz. *The historical Jesus: a comprehensive guide*. Fortress Press. 1998. translated from German (1996 edition). Chapter 1. Quest of the historical Jesus. p. 1-16

وينظر علماء العهد الجديد إلى شخص يسوع عامةً باعتباره رجل جليلي صالح، نظرًا لتعميده على يد يوحنا المعمدان، وسمعته كمعالج وطارد للأرواح الشريرة، وموعظته حول عودة مملكة الرب، ومجموعة تلاميذه الملازمين له، والاضطراب الذي تسبب به في المعبد، وخيانة الآخرين له، وصلبه في عهد بيلاطس البنطي[71].

الشائع أن إنجيل مرقس كتبه مرقس نفسه الذي كان مترجمًا لبطرس[72]. تذكر بعض المصادر القديمة أن ما كتبه مرقس، أملاه عليه بطرس، ثم أصبح معروفًا بعدئذ بإنجيل مرقس[73]. ومع ذلك، يبدو أن هذا الإنجيل قد اعتمد على مصادر عدة، مختلفة في هيئتها ولاهوتيتها، والتي تذكر أن الإنجيل استند على عظات بطرس[74]. ويعتقد معظم العلماء أن إنجيل مرقس كتبه الجيل الثاني من المسيحيين، حوالى أو بعد فترة وجيزة من سقوط القدس بيد الرومان وتدميرهم الهيكل الثاني سنة 70م[75]. لاحظ ريتشارد بوكهام أن جغرافيا إنجيل مرقس دقيقة في

(71) E. P. Sanders. *The Historical Figure of Jesus*. Penguin Books. London 1993
Geza Vermes. *The authentic gospel of Jesus*. London, Penguin Books. 2004

(72) Form criticism, in: The Oxford dictionary of the Christian church. Ibid

(73) Bernd Kollmann and Miranda Henry: *Joseph Barnabas: His Life and Legacy* (Liturgical Press, 2004), page 30.
Paul L. Maier, *The Church History*, Kregel Publications, 2007., p. 114
F. L. Cross & E. A. Livingstone, *The Oxford dictionary of the Christian Church*, Oxford University Press, 1989 pp. 874-875
Thomas Patrick Halton, On illustrious men, Volume 100 of *Fathers of the Church*, CUA Press, 1999 pp. 17-19
Donald P. Senior. «Mark». In: Everett Ferguson. *Encyclopedia of Early Christianity* (2nd bas.), New York and London: Garland Publishing, Inc., 1998., p. 719-720

(74) Theissen and Merz. *The historical Jesus*… op.cit. p. 24-27.

(75) Robert W. Funk and Roy W. Hoover. *The Jesus Seminar.The five Gospels: the search for the authentic words of Jesus: new translation and commentary.* New York, New York: Macmillan. 1993
John Dominic Crossan. *The historical Jesus: the life of a Mediterranean Jewish peasant*. San Francisco, California: Harper San Francisco. 1991
Robert H. Eisenman. *James the Brother of Jesus: The Key to Unlocking the Secrets of Early Christianity and the Dead Sea Scrolls*. Penguin Books. 1998., p. 56

حدود معلومات صياد من كفرناحوم، وهو ما يتسق مع اعتماد مرقس على أقوال بطرس، الذي كان في الواقع أحد الصيادين. استخدم العديد من العلماء الخرائط الحديثة للحكم على صحة إنجيل مرقس، مما أدى لحكمهم الخاطيء على جغرافيته. فالصياد لن يعتمد أبدًا على خريطة، وإنما ستكون خريطته ذهنية من خلال ممارساته[76]. يستدل البعض على عدم دقة جغرافية إنجيل مرقس بأمثلة مثل ما ورد في إنجيل مرقس: الإصحاح 7 - الآية 31 «ثم خرج أيضًا من تخوم صور وصيداء، وجاء إلى بحر الجليل في وسط حدود المدن العشر»، فوفقًا للجغرافيا الحديثة، لا يُعقل أن المتجه من صور إلى بحر الجليل سيمر من صيدا، كما أنه لم يكن هناك طريق من صيدا إلى بحر الجليل في القرن الأول الميلادي، بل هو طريق واحد فقط إلى صور[77]. فسّر العلماء الكاثوليك هذا المقطع أنه لا إشكالية في ذلك، فقد كان يسوع يسافر بطرق غير تقليدية، فيتّجه مثلًا شمالًا أولًا، ثم شرقًا، فجنوبًا[78]. والمشهور مسيحيًا أن مرقس صحب بولس وبرنابا في رحلتهما الأولى، وبشر معهما في نواحي سوريا، وبخاصة في أنطاكية عندما ذهبا إليها حوالى سنة 45م[79]. وانحدر معهما إلى سلوقية[80] وهى ميناء قديمة لأنطاكية وظهر مرقس مرة أخرى في أنطاكية مع برنابا بعد مجمع أورشليم[81].

---

(76) Richard Bauckham. *Jesus and the Eyewitnesses: The Gospels as Eyewitness Testimony*. Grand Rapids, Michigan.: Eerdmans 2008

(77) C. E. B. Cranfield, *The Gospel According to St Mark*. Cambridge University Press, 1959., p. 250
Dennis Nineham. *The Gospel of St Mark*. New York: Seabury, 1968., pp. 40, 203

(78) Mary Healy, *The Gospel of Mark.Catholic Commentary on Sacred Scripture*. Ada, Michigan.: Baker Academic, 2008., p.146

(79) أعمال «الرسل» 11: 27 30 (وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس. أعمال «الرسل» 12: 25).

(80) أعمال «الرسل» 13: 4

(81) أعمال «الرسل» 15: 37

ب- إنجيل متى[82]

هناك اعتقاد بأن إنجيل متى كتب في أنطاكية التي أصبحت بعد ذلك جزءًا من ولاية سوريا الرومانية[83] أو في شمال فلسطين[84]. كما يعتقد معظم العلماء أن إنجيل متى اعتمد بشدة على إنجيل مرقس، كما أضاف تعاليمًا من الوثيقة ق (سيأتي الحديث عنها)[85]. وبرغم إضافة متى لمواد مثل الموعظة على الجبل، إلا أن الكثير من تلك المواد تُنسب إلى يسوع

(82) متى الإنجيلي بالعبرية «יתמ ماتاي» ومعناه عطية الله ويعرف أيضًا باسم لاوي ومتى العشار، يعتقد بأنه كاتب الإنجيل الذي ينسب إليه إنجيل متى لذلك يلقب بالإنجيلي. معظم ما نعرفه عنه جاءنا من الأدبيات المسيحية الأولى خصوصا الأناجيل القانونية الأربعة في كتاب العهد الجديد، والتي تخبرنا بأنه لاوي بن حلفى الذي كان يعمل عشارًا أو جابيًا للضرائب في مدينة كفرناحوم، وكان اليهود يحتقرون مهنة الجباية وكل من كان يعمل بها لأنهم كانوا يجمعون ضرائب باهظة لصالح المحتل الروماني. دُعي باسم لاوي في (لوقا 5: 27) ودُعي باسم متى في إنجيل مرقس في قائمة أسماء «الرسل» ثم دُعي أيضا متى في (مرقس 2: 14)، يشرح بعض علماء العهد الجديد هذه المسألة بأن هذا «الرسول» كان يُدعى في البدء لاوي ثم بعد أن تلقى دعوة يسوع المسيح ليصبح من تلاميذه قام بتغيير اسمه للدلالة على أنه أصبح إنسانًا جديدًا غير ذاك العشار المبغوض، ففي ذات اليوم الذي تلقى فيه الدعوة من يسوع أعد متى عشاء كبيرًا على شرف يسوع وتلاميذه دعا إليه جميع أصدقائه العشارين ومن المحتمل أنه كان عشاء وداع لحياته السابقة، يروي الإنجيل بأن متى كان جالسًا عند مكان الجباية عندما قال له يسوع «اتبعني» فترك متى عندها كل شيء وتبعه. لا يعلم بالضبط كيف وأين قُتل متى الإنجيلي ولكن بعض القصص التراثية تروي بأن متى بشر وقُتل في سبيل إيمانه في إثيوبيا، قصص أخرى تحكي أنه قُتل في مدينة هيرابوليس اليونانية – تقع اليوم في تركيا – يؤيد هذه الرواية «القديس» إيبيفانيوس أسقف قبرص (القرن الرابع) الذي يعتقد بأن متى العشار قُتل في هيرابوليس أما التلميذ الذي استشهد في إثيوبيا هو متياس الذي أخذ مكان يهوذا الإسخريوطي في جماعة الإثني عشر، وهو التلميذ الوحيد بين الإثني عشر الذي ذكر اسمه في إنجيل توما – أحد الأناجيل غير القانونية – دلالة على أهميته الكبيرة في الكنيسة الأولى.

(83) Dale C. Allison. *Matthew: a shorter commentary*. T & T Clark International,2004. Introduction, pXIII

(84) Burton L. Mack., op cit

(85) Gospel according to St. Matthew, *The Oxford dictionary of the Christian church*. Op.cit.

التاريخي[86]. يرى إد باريش ساندرز أن الفقرات المتعلقة بطفولة يسوع مُخترعة[87]. إنجيل متى أظهر أن تبشير يسوع كان فقط لليهود، وقد فسر غزا فرمش[88] ذلك بأن ما جاء به الإنجيل بالدعوة في كل الأمم كان تطويرًا من المسيحيين الأوائل[89].

وفقًا لوجهة نظر الأغلبية، من غير المرجح أن يكون هذا الإنجيل قد كتبه شاهد عيان[90]، وربما كان مؤلفه من المسيحيين اليهود، كتبه لطائفته[91]. ويُرجّح علماء الكتاب المقدس عمومًا أن إنجيل متى تم تأليفه بين سنتي 70–100 م تقريبًا[92].

أما عن لغة إنجيل متى، فقد نقل يوسابيوس القيصراني (نسبة إلى قيصرية فلسطين) عن بابياس أسقف هيرابوليس «أن متى ألف إنجيله بالعبرية، وكل شخص فسّره بحسب قدرته»[93]. بينما زعم دانييل هارينغتون أستاذ العهد الجديد في كلية بوسطن اللاهوتية أنه استنادًا

---

(86) The five gospels. Harper San Francisco. Op.cit. *«Matthew»* p. 129-270

(87) *The historical figure of Jesus*. Op.cit., p. 85

(88) غزا فرمش Géza Vermes 1924–2013 عالم هنغاري وكاتب في تاريخ الدين وخاصة تاريخ اليهودية والمسيحية. وهو مشهور كعالم بارز متخصص في مخطوطات البحر الميت وغيرها من الكتابات القديمة باللغة الآرامية. تركز كتاباته حول المسيح كما يُرى تحت ضوء تاريخ اليهود وعقائدهم. يوصف بأنه أعظم عالم في عصره حول حياة المسيح.

(89) Geza Vermes. Op.cit., Chapter 10: Towards the authentic gospel. p. 376–380.

(90) Daniel J. Harrington. *The Gospel of Matthew*. Liturgical Press 1991

(91) James R. Edwards, *The Hebrew Gospel & the Development of the Synoptic Tradition,* Wm. B. Eerdmans Publishing Co, 2009., pp 121

(92) Ehrman, *The History of the Bible*., p. 110., Brown, Antioch and Rome*:* p. 172 *The Gospel of Matth*., p 1

(93) كتاب الإنجيل: كيف كُتِبَ؟ وكيف وصل إلينا؟ – القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير، شهادة «القديس» بابياس أسقف هيرابوليس لوحي الإنجيل.

حول موثوقية الأناجيل، محمد السعدي، منشورات رسالة الجهاد، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، 1985 م، ص15

إلى أدلة من داخل هذا الإنجيل، فربما كُتبت أجزاء من إنجيل متى أولًا باللغة الآرامية[94]. أما قصص ولادته وصعوده، فكُتبت أولًا بالقوينة اليونانية، مما يرجح أن إبيونيًا هو من كتب النسخة الآرامية من إنجيل متى، لاستبعاده قصص ولادته وصعوده[95].

ج- إنجيل لوقا[96]

كُتب إنجيل لوقا في إحدى المدن الكبرى غرب فلسطين[97] على الرغم من اعتقاد بورتون ماك، استنادًا إلى اللغة اليونانية العامية المستخدمة في كتابة الإنجيل وارتباطه الواضح ببولس وقبول الهراطقة المرقيونيين

(94) Harrington., op.cit.

(95) James R. Edwards, *The Hebrew Gospel & the Development of the Synoptic Tradition*. Wm. B. Eerdmans Publishing Co, 2009., pp. 121

(96) لوقا الإنجيلي (باليونانية Λουκᾶς لوكاس، بالإنكليزية Luke)، بحسب التقليد الكنسي يُعتقد بأن لوقا هو كاتب سفرين من أسفار العهد الجديد «إنجيل لوقا» وسفر «أعمال «الرسل» »، وفي التقليد الكاثوليكي يُعتبر شفيعًا رئيسيًا للأطباء والرسامين، فقد كان يمتهن الطب ويُظن بأنه كان رسامًا وبأنه كان أول من رسم إيقونة للسيدة العذراء مع الطفل يسوع. كان لوقا من مدينة أنطاكية الهلنستية بحسب يوسابيوس القيصراني بينما يرى يعقوب الرهاوي بأنه من الإسكندرية، وبحسب التقليد المسيحي فأنه كان واحدًا من «الرسل» السبعين وبعد ذلك انضم إلى «الرسول» بولس وساعده بالتبشير في معظم رحلاته، يُعتقد بأنه كان أحد التلميذين اللذين التقيا يسوع بعد قيامته على طريق قرية عمواس. عاش حياة البتولية ومات عن عمر يناهز الـ 84 عامًا على ما يُظن. بحسب إبيفانيوس فإن لوقا رافق بولس إلى روما وبعد أن قتل بولس تابع لوقا العمل التبشيري حتى وفاته عام 90 م، ويعتقد بأن نيرون قيصر روما أمر بقطع رأسه بعد أن وشى به كهنة الأوثان وبعد ذلك وضع جسده بكيس وأُلقي في البحر ولكن البحر لفظه إلى الشاطئ ووجده إنسان مسيحي وقام بتكفينه.

لم يكن لوقا من تلاميذ المسيح الإثني عشر حتى أنه في مقدمة إنجيله إنجيل لوقا يذكر بأنه ينقل مايكتبه عمن وصفهم بأنهم كانوا معاينين (شهود عيان) وخدام للكلمة، ولا يوجد ذكر للوقا في الأناجيل الأربعة، ولكنه ذكر في سفر أعمال «الرسل» وفي عدة رسائل لبولس. سماه بولس: الطبيب الحبيب، والرفيق الوحيد، ووصفه بأنه من معاونيه بالتبشير.

(97) Theissen and Merz. *The Historical Jesus.*, op.cit., p. 32.

له، أن المؤلف من اليونان أو غرب آسيا الصغرى[98]. مثل إنجيل متى، اعتمد إنجيل لوقا على إنجيل مرقس، مع بعض الإضافات من الوثيقة ق[99]، إلا أنه تفرّد بقدر كبير من النصوص مثل السامري الصالح، والكثير من القصص التي تبدو حقيقية[100]. كما أكد إنجيل لوقا على عالمية مهمة ورسالة يسوع[101]، ولكن غزا فرمش أصرّ على أن نسبة عالمية رسالة يسوع إلى يسوع التاريخي، أمر غير دقيق. وكما هو الحال مع إنجيل متى، يحيط الكثير من الجدل بقصة ولادة يسوع في إنجيل لوقا[102].

يتمسك بعض العلماء[103] بزعمهم أن لوقا صاحب الإنجيل كان رفيقًا لبولس وأنه على الأرجح لم يكن شاهد عيان على حياة يسوع، وأنه هو من كتب إنجيل لوقا وسفر أعمال «الرسل». ويشير آخرون إلى أن سفر أعمال «الرسل» يتناقض مع رسائل بولس الخاصة، وينفي عنه صفة الرسول، مما قد يُشير إلى أن المؤلف لم يكن رفيقًا لبولس[104]. وكما هو الحال مع جميع الأناجيل، من غير المعروف بالضبط متى كُتب إنجيل لوقا. اقترح العلماء أنه كتب بين سنتي 60-90 م[105]. ومع ذلك، يزعم دونالد غوثري أن سفر الأعمال كان مكتوبًا في بداية ستينيات القرن الأول الميلادي (حيث انتهت كتابته قبل وفاة بولس، الذي مات على

---

(98) Burton L. Mack., op.cit.

(99) Biblical Literature.» *Encyclopædia Britannica*. 2010»

(100) Funk, and Hoover. *The five gospels*., op.cit., «Luke» p. 271-400

(101) Harris., op.cit., «Luke» p. 297-301

(102) Sanders. *The historical figure of Jesus*. Op.cit., p. 85

(103) Gospel of Luke. *The Oxford dictionary of the Christian church*. Op.cit.
Theissen and Merz. *The historical Jesus*., op.cit., p. 32.

(104) Ibid

(105) D. A. Carson and Douglas J. Moo. *Introduction to the New Testament*. Zondervan Books 2005., chapter on Luke
Raymond E. Brown. *Introduction to the New Testament*. New York: Anchor Bible. 1997., p. 226.
John P. Meier. *A Marginal Jew: Rethinking the Historical Jesus*. Doubleday, 1991, v. 1, pp. 43

الأرجح خلال اضطهاد المسيحيين على يد نيرون بين سنتي 64-68 م)، وبالتالي فإن إنجيل لوقا يجب أن يكون قد كتب قبل ذلك، أي حوالى سنة 60 م[106].

هناك توافق عام على أن كاتب إنجيل لوقا وسفر أعمال «الرسل» واحد[107]. معظم الدلائل المباشرة على ذلك تأتي من مقدمة كل منهما، حيث خاطبا في المقدمتين شخصًا يُدعى «ثاوفيلُس»، ففي سفر أعمال «الرسل»، الإصحاح الأول، الآيات 1 و2 هناك إشارة إلى إنجيل لوقا حيث قال[108]: «الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلُس، عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويُعَلِّم به، إلى اليوم الذي ارتفع فيه، بعد ما أوصى بالروح القدس «الرسل» الذين اختارهم». علاوة على ذلك، هناك أوجه تشابه لغوي ولاهوتي بين العملين، مما يوحي بأن مؤلفهما واحد. كما أن كلا الكتابين أهدافهما واحدة.

د- إنجيل يوحنا أو الإنجيل المختلف[109]

على الأرجح، كُتب إنجيل يوحنا في أفسس، ولكن هناك احتمالات أخرى أنه كُتب في أنطاكية أو شمال سوريا أو فلسطين أو

---

(106) Donald Guthrie. *New Testament Introduction*. Downer›s Grove, IL: InterVarsity Press. 1970., pp.340-245

(107) DG Horrell. *An Introduction to the study of Paul*, T&T Clark, 2006, 2nd Ed., p.7

(108) Anthony Kenny. *A stylometric Study of the New Testament*. Clarendon Press. Oxford.1986
Udo Schnelle. *The History and Theology of the New Testament Writings*, Fortress Press. Minneapolis., p. 259

(109) «القديس» يوحنا الإنجيلي بالعبرية والآرامية יוחנן يوحانون ومعناه الله يتحنن، اسمه باليونانية Ἰωάννης يوآنس ويعرف أيضًا بيوحنا الرائي وبيوحنا الحبيب، هو ابن زبدي وصالومي وشقيق يعقوب الكبير وكان الشقيقان من تلاميذ المسيح الاثني عشر، وبحسب التقليد المسيحي فإنه كاتب إنجيل يوحنا - لذلك يلقب بالإنجيلي - وكاتب الرسائل الثلاث التي تنسب إليه وأخيرًا هو كاتب سفر الرؤيا.

الإسكندرية[110]. ويعتقد بعض العلماء أن تعاليم يسوع في هذا الإنجيل لا يمكن التوفيق بينها وبين تلك الموجودة في الأناجيل الإزائية[111] بينما يرى علماء آخرون من بينهم جون روبنسون أن الأناجيل الإزائية يمكن توفيقها في إطار إنجيل يوحنا[112].

في وجهة نظر الأغلبية، فإنه من غير المحتمل أن يكون يوحنا هو من كتب إنجيل يوحنا[113]. وبدلًا من الرواية العادية حول تبشير يسوع، أعطت رواية إنجيل يوحنا عمقًا لشخصية وتعاليم يسوع، مما يجعل كون أن يوحنا «الرسول» هو المؤلف[114]، أمرًا غير محتمل، وهي القضية التي كانت محور انقسام واسع النطاق بين الآراء، ولا توافق حولها[115]. يعتقد عدد كبير من العلماء أن عبارة «التلميذ المحبب ليسوع» هي كناية عن الشخص الذي يسمع ويتّبع يسوع، وأن إنجيل يوحنا استند بشدة على شهادة هذا التلميذ المحبوب[116] ومن جانب آخر، يُؤرّخ معظم العلماء إنجيل يوحنا في الفترة بين سنتي 80-95 م تقريبًا[117].

(110) F. F. Bruce, *The Acts of the Apostles: The Greek Text with Introduction and Commentary*. Wm. B. Eerdmans Publishing Co. 1952., p.2.
David Aune.*The Westminster dictionary of New Testament and early Christian literature and rhetoric*. Louisville, KY; London: Westminster John Knox Press, 2003., p.243

(111) «Jesus Christ.» *Encyclopædia Britannica*. 2010.

(112) John Arthur Thomas Robinson. *Redating the New Testament*. Wipf & Stock. 1976., p. 125.

(113) .Gospel of John. *The Oxford dictionary of the Christian church*. Op.cit
Gospel According to John, *Encyclopædia Britannica*

(114) Gospel of John. *The Oxford dictionary of the Christian church.* Op.cit.

(115) Raymond E. Brown. *Introduction to the New Testament*. New York: Anchor Bible 1997., p. 164.
Peter Kirby.»*Gospel of Mark*». earlychristianwritings.com

(116) «Gospel of John.» In *Dictionary of Jesus and the Gospels*, edited by Joel B. Green, 370. Downers Grove, IL: IVP, 2013.

(117) F.F. Bruce. *The New Testament Documents: Are They Reliable*? InterVarsity Press. 1981., p.7
Harris. *Understanding the Bible*. Op.cit.

6- الوثيقة «ق Q» أو المصدر المزعوم للأناجيل

(Q document من كلمة Quelle الألمانية أي مصدر) هي نص مفقود افترض وجوده كأحد مصادر إنجيلي متى ولوقا. وبينما يؤمن أغلب العلماء بوجوده تاريخيًا، يشكك عدد منهم بذلك.

بسبب اكتشاف العلماء في القرن التاسع عشر وجود كثير من المواد المشتركة في إنجيلي متى ولوقا لا توجد في إنجيل مرقس الذي افترض بشكل عام أنه مصدرهما المشترك، فقد اقترحوا وجود مصدر مشترك ثان هو وثيقة ق. ويبدو أن هذا النص المفقود المفترض كان مجموعة أقوال للسيد المسيح، سميت أيضًا إنجيل ق أو إنجيل الأقوال ق أو مخطوطة ق أو مصدر الأقوال أو لوجيا. والتعرف على وثيقة ق كان أحد عاملين أساسيين لفرضية المصدرين والعامل الآخر هو أسبقية مرقس.

إن فرضية المصدرين هي أكثر الحلول قبولًا للمشكلة الإزائية التي تتعامل مع العلاقة الأدبية بين الأناجيل القانونية الثلاثة الأولى متى ومرقس ولوقا والتي تسمى الأناجيل الإزائية. فالتشابه في اختيار الكلمات وترتيب الأحداث يظهر وجود علاقة بينها. وبحسب فرضية المصدرين استعمل كل من متى ولوقا وبشكل مستقل إنجيل مرقس. وهذا حتم وجود مصدر مفترض لشرح وجود مواد سميت التقليد الثنائي أو المضاعف وهي المواد المشتركة بين متى ولوقا ولكنها غير موجودة في مرقس. وسمي هذا المصدر المفترض وثيقة ق.

إذا كانت فرضية المصدرين صحيحة فالمصدر الثاني لإنجيلي متى ولوقا بالإضافة إلى إنجيل مرقس يجب أن يكون وثيقة مكتوبة. فإذا كانت مثلًا ق روايات شفهية مشتركة لن تفسر التشابهات بكلمات متطابقة بالترتيب نفسه بين متى ولوقا إذا ما اقتطف منها متى ولوقا.

وكذلك يمكن استنتاج أن وثيقة ق التي كانت لدى متى ولوقا كانت مكتوبة باليونانية. فلو استخدما وثيقة بلغة أخرى مثل الآرامية فمن المستبعد جدًا أن تتطابق ترجمتان مستقلتان بالكلمات وترتيبها. لذا يجب أن تكون وثيقة ق مكتوبة قبل تأليف إنجيلي متى ولوقا، ويقترح بعض العلماء أنها كتبت قبل مرقس. ومع افتراض وجود وثيقة ق المفقودة، يعتقد العلماء أنهم يستطيعون إعادة تأليفها بفحص المواد المشتركة بين متى ولوقا والغائبة من مرقس. من الملاحظ أن هذه الوثيقة لا تصف أحداث حياة عيسى، فهي لا تصف ولادته واختياره للتلاميذ الاثني عشر ولا صلبه أو قيامته، بل هي مجموعة من أقوال وتعليمات يسوع.

7- انتقاد النص والزيادات

يتعامل النقد النصي مع تحديد وإزالة أخطاء النسخ في نصوص المخطوطات. أحدث الكتبة القدامى أخطاء أو تعديلات (بما في ذلك إضافات غير أصلية)[118]. لذا، فقد جرت محاولات لتحديد النص الأصلي لكتب العهد الجديد، كما حدّد بعض نقاد النصوص المعاصرون أقسامًا وصفوها بأنها مواد مضافة بعد قرون من كتابة الإنجيل. تسمى هذه الإضافات بالزيادات. في الترجمات الحديثة للكتاب المقدس، أدت نتائج النقد النصي إلى استبعاد أو تحديد بعض الآيات والكلمات والعبارات كونها ليست أصلية. على سبيل المثال، هناك عدد من آيات الكتاب المقدس في العهد الجديد التي كانت موجودة في نسخة الملك جيمس[119]، ولكنها غابت في معظم ترجمات الكتاب المقدس الحديثة.

---

(118) Bart D. Ehrman. *Misquoting Jesus: The Story Behind Who Changed the Bible and Why*. HarperCollins, 2005, p. 46

(119) نسخة الملك جيمس المعروفة أيضا باسم النسخة المرخص بها (AV) أو الكتاب المقدس للملك جيمس (KJB)، هي ترجمة إنكليزية للكتاب المقدس المسيحي من أجل كنيسة إنكلترا بدأت في عام 1604 وانتهت في عام 1611. صدرت أول نسخة في عام 1612.

يعتبر معظم علماء النصوص المعاصرين هذه الآيات زيادات. يشير عالم الكتاب المقدس بارت إيرمان إلى أن العديد من الآيات الحالية لم تكن جزءًا من النص الأصلي للعهد الجديد: «غالبًا ما تتواجد تلك الإضافات في مخطوطات العهد الجديد التي ترجع إلى العصور الوسطى المتأخرة، والتي لم تتواجد في مخطوطات القرون السابقة... ونظرًا لاعتماد نسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس على المخطوطات المتأخرة، فإن هذه الآيات أصبحت جزءًا من نص الكتاب المقدس في الأراضي الناطقة باللغة الإنكليزية»(120). مع ذلك، لاحظ إيرمان أن الترجمات الإنكليزية الحديثة مثل الإصدار الدولي الجديد، كتبت بطريقة نصية أكثر ملاءمة(121).

تضم معظم طبعات الكتاب المقدس الحديثة حواشٍ تشير إلى الفقرات التي انتقدت نصيًا. كما ناقشت تفاسير الكتاب المقدس أيضًا هذا الموضوع، وأحيانًا باستفاضة. وعلى الرغم من اكتشاف العديد من الاختلافات بين النسخ الأولى للنصوص الإنجيلية، إلا أن معظم هذه الاختلافات إملائية أو في علامات الترقيم أو النحو. كما أن الكثير من هذه الاختلافات يرتبط باللغة اليونانية، ولم تظهر في الترجمات إلى اللغات الأخرى(122). من بين أبرز الزيادات الإصحاح الأخير من إنجيل مرقس المتعلق بقيامة يسوع من الموت(123)، وقصة المرأة الزانية في

(120) Ehrman, *Misquoting Jesus*. Op.cit., p.265.

(121) Ehrman, *Misquoting Jesus*. Ch 3

(122) Lee Strobel. *The Case for Christ: A Journalist's Personal Investigation of the Evidence for Jesus*. Zondervan.1983.

(123) Guy D. Nave, *The role and function of repentance in Luke Acts*, Society of Biblical Literature. 2002., p. 194
John Shelby Spong. «The Continuing Christian Need for Judaism», in: *Christian Century*. September 26, 1979, p. 918. See http://www.religion-online.org/showarticle.asp?title=1256
Amy-Jill Levine. *Feminist companion to the New Testament and early Christian writings*, Volume 5, Marianne Blickenstaff,2004., p. 175 =

إنجيل يوحنا[124]. كما يؤمن بعض النقاد أيضًا أن الإشارة الواضحة إلى الثالوث في رسالة يوحنا الأولى وُضعت في وقت لاحق[125].

جُمع العهد الجديد من قصاصات أكثر من 5.800 مخطوطة يونانية، و10.000 مخطوطة لاتينية و9.300 مخطوطة من مختلف اللغات القديمة الأخرى بما في ذلك السريانية والسلافية والجعزية والأرمنية. لم تكن كل المخطوطات الإنجيلية تخص كتابًا مسيحيين أرثوذكس منها مثلًا كتابات فالانتينوس الغنوصي المكتوبة في القرن الثاني الميلادي، وغيره من هؤلاء المسيحيين الذين اتهمتهم الكنيسة السائدة وقتئذ بالهرطقة[126]. ونظرًا لكثرة عدد شهود الأحداث، فقد كان هناك صعوبات فريدة من نوعها، وإن كانت تلك الصعوبات قد أعطت العلماء فكرة أفضل عن مدى قرب الأناجيل الحديثة من النسخ الأصلية. يقول بروس ميتزيغر «كلما كان لديك نسخ تتفق مع بعضها البعض، خاصة إذا كانت قد ظهرت في مناطق جغرافية مختلفة، فإنه ستزيد قدرتك على التحقق منها لمعرفة كيف كانت الوثيقة الأصلية. وهي لن تتوافق إلا إذا كانت تتفرع من ذات المخطوطة الأصلية»[127].

= يقول موريس بوكاي: «وإذا كان إنجيل مرقس معترفًا به كلية كإنجيل كنسي، فإن هذا لا يقلل من أن الكُتّاب المحدثين يعدون خاتمته (الإصحاح 16، العدد 20-9) كمؤلف مضاف، وهذه الخاتمة غير موجودة في أقدم مخطوطتين كاملتين للأناجيل المعروفتين باسمي Codex Sinaiticus وCodex Vaticanus اللتين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع.

محمد السعدي: «حول موثوقية الأناجيل»، منشورات رسالة الجهاد، طرابلس، ليبيا، الطبعة الأولى، 1985 م، ص18

(124) «NETBible: *John*. On: Bible.org. See note 139 on that page.
Chris Keith. «Recent and Previous Research on the Pericope Adulterae (John 7.53-8.11)». *Currents in Biblical Research*. 2008. 6 (3): 377–404.
‹Pericope adulterae›, in *The Oxford Dictionary of the Christian Church*, op.cit.

(125) Bruce Metzger. *A Textual Commentary on the New Testament*, Second Edition. German Bible Society 1994

(126) Bruce, *The New Testament Documents*. op.cit., p.14

(127) Strobel, *The Case for Christ*.Op.cit. Chapter three, when quoting biblical scholar Bruce Metzger

في كتاب «نص العهد الجديد»، قارن كيرت وباربرا آلاند بين عدد الآيات الخالية من الاختلافات، وعدد الاختلافات في كل صفحة (باستثناء الأخطاء الإملائية)، واستنتجا أن هناك توافقًا بنسبة 62.9٪ أو 4999/ 7947، وقالا: «وهكذا فإن ما يقرب من ثلثي نص العهد الجديد في سبع طبعات يونانية درسناها من العهد الجديد تتوافق اتفاقًا تامًا، بلا أي فروقات أخرى أكثر من بعض التفاصيل الإملائية (مثل هجائية الأسماء). وهناك فقرات لا تختلف فيها الطبعات السبع ولو بكلمة واحدة... في الإنجيل وأعمال «الرسل» ورؤيا يوحنا، تقل نسبة التوافق، بينما في الرسائل فالتوافق أكبر بكثير[128]. وفي إحصائهم، يتوافق إنجيل متى في النسخ بنسبة 60٪ (642 آية من أصل 1.071 آية)، وإنجيل مرقس بنسبة 45٪ (306 آية من أصل 678 آية)، وإنجيل لوقا بنسبة 57٪ (658 آية من أصل 1151 آية)، وإنجيل يوحنا بنسبة 52٪ (450 آية من أصل 869 آية)[129]. كل هذه الاختلافات بسيطة، معظمها أخطاء إملائية أو نحوية يمكن تصنيفها كأخطاء مطبعية غير مقصودة بسبب ضعف البصر. عدد قليل جدًا من الاختلافات محل جدال بين العلماء، وعدد قليل منها ليس بينها ما يحمل أي أهمية لاهوتية. تعكس ترجمات الكتاب المقدس الحديثة هذا الإجماع حيث توجد اختلافات، ولكن عليها تعقيبات هامشية في تلك الترجمات[130].

وفي دراسة كمية لاستبيان مدى استقرار العهد الجديد بمقارنة المخطوطات القديمة بالمخطوطات الأحدث وصولًا إلى مخطوطات العصور الوسطى كالمخطوطات البيزنطية، استخلصت الدراسة أن

(128) Kurt Aland and Barbara Aland. *The Text of the New Testament: An Introduction to the Critical Editions & to the Theory & Practice of Modern Textual Criticism*. Eerdmans; 2nd Revised ed. Edition.1995, p. 29-30.

(129) المرجع السابق نفسه

(130) Ehrman, *Misquoting Jesus*, Ch 3, (2005)

النص مستقر بنسبة أكثر من ٪90 خلال تلك الفترة الزمنية[131]. وتشير التقديرات إلى أن 0.1–0.2٪ فقط من اختلافات العهد الجديد أثّرت على معنى النص بأي صورة كانت[132].

8- سفر أعمال «الرسل» ورسائل «الرسل»

يلحق بالأناجيل الأربعة (في العهد الجديد) عدد من الرسائل وهي: (سفر أعمال «الرسل» – رسائل بولس الأربع عشرة – رسالة يعقوب – رسالتا بطرس – رسائل يوحنا الثلاث – رسالة يهوذا – رؤيا يوحنا اللاهوتي).

أ– سفر أعمال «الرسل» يروي قصة الكنيسة المسيحية الناشئة، وسمي بأعمال «الرسل» لأنه يركز على بعض ماقامت به جماعة الاثني عشر رسولًا من نشاطات تبشيرية في الفترة التي تلت «صعود يسوع المسيح إلى السماء» بحسب رواية هذا السفر، وبشكل أوسع ما قام به بولس «الرسول» من رحلات وأعمال تبشيرية وكيف أسس جماعات مسيحية في معظم المدن اليونانية آنذاك.

ومن المتفق عليه بأن كاتب سفر أعمال «الرسل» هو نفسه كاتب إنجيل لوقا والذي قد يكون الطبيب لوقا كما تؤمن معظم الكنائس. ويُعتقد أن هذا السفر كتب في فترة متزامنة مع كتابة إنجيل لوقا أي حوالى العام 60 م، بينما يرى العديد من الباحثين المعاصرين بأن هذا السفر كتب من قبل شخص غير معروف في الفترة ما بين 80 م و150 م.

---

(131) K. Martin Heide. «Assessing the Stability of the Transmitted Texts of the New Testament and the Shepherd of Hermas». In: *The Reliability of the New Testament*: Bart Ehrman and Daniel Wallace in Dialogue, ed. Robert B. Stewart (Minneapolis: Fortress Press, 2011), pp. 125-159

(132) Raymond Edward Brown. *The Birth of the Messiah: A Commentary on the Infancy Narratives in the Gospels of Matthew and Luke*. The Anchor Yale Bible Reference Library. Yale University Press., 1999., p.36

ب- تنسب «رسائل بولس» إذن إلى «القديس» بولس، وتمتلئ بعبارات تدل على أنه كاتبها، وهذه الرسائل أربع عشرة رسالة. وهي تصطبغ بالصبغة الشخصية لبولس، فهي ليست لاهوتية الطابع، بل رسائل شخصية لها ديباجة وخاتمة...

وليس ثمة إجماع على صحة نسبة هذه الرسائل إلى بولس، بل إن بعض المحققين يميل إلى أن أربع رسائل منسوبة إليه كتبت بيد بعض تلاميذه بعد وفاته بعشرين سنة كما ذكرت دائرة المعارف البريطانية.

ويشكك أوريجينوس[133] في شرحه لإنجيل يوحنا بجميع رسائل بولس المرسلة إلى الكنائس فيقول: «إن بولس ما كتب شيئًا إلى جميع الكنائس، والذي كتبه هو سطران أو أربعة سطور «. أما الرسالة إلى العبرانيين فكان النزاع حولها أشد، فحين تنسبها الكنيسة الشرقية إلى بولس فإن لوثر يقول بأنها من وضع أبلوس، بينما يقول ترتليانوس في القرن الميلادي الثاني: «إنها من وضع برنابا»، ويقول راجوس (من علماء البروتستانت): «إن فريقًا من علماء البروتستانت يعتقدون كذب الرسالة العبرانية...»[134]. أما مدخل الرهبانية اليسوعية فيقول: «لا شك

---

(133) أوريجينوس (185–254) Ὠριγένης Ōrigénē كان من أبرز أوائل آباء الكنيسة المسيحية. توفي في قيسارية 254. كتاباته مهمة بوصفها واحدة من أولى المحاولات الفكرية لوصف المسيحية. كان أبواه مسيحيين متدينين، واشتهر بأنه كان ذو عقلية فذة ونابغة في العلم رغم حداثة سنة. واشتهر أيضًا بمساندته وتشجيعه للمؤمنين الذين يتعرضون للاضطهاد. ووصل إلى أن يكون مديرًا لمدرسة الإسكندرية المسيحية وهو في سن الثامنة عشرة بعد أن عينه البابا ديميتريوس الأول البطريك الـ 12 رئيسًا للمدرسة اللاهوتية خلفًا لإكليمنضس الإسكندراني. عمل على تفسير الكتاب المقدس والدراسات الإنجيلية المُقارنة. وفيما بين 249 م – 251 م أثار الأمبراطور دقيوس الاضطهاد ضد المسيحيين فألقوا القبض على أوريجينوس وعذبوه تعذيبا شديدًا واحتمل الآلام في شجاعة منقطعة النظير ثم أطلق سراحه بعد ذلك ولكنه مات بعد فترة قصيرة متأثرًا بآلامه وجراحاته.

(134) انظر، عبد الرحمن البغدادي. «الفارق بين الخالق والمخلوق.» ضبط وتعليق: =

أن الأدلة التي تنقض صحة نسبة الرسالة إلى بولس هي كثيرة... فللمرء أن يعتقد أن الرسالة من إنشاء واحد من أصحاب بولس، أما الاهتداء إلى اسم الكاتب على نحو أفضل فلا سبيل إلى طلبه. فلابد آخر الأمر من التسليم بأننا نجهل اسم الكاتب». ويقول مؤلفو «المدخل إلى الكتاب المقدس»: «نحن ببساطة لا نعرف الكاتب، فبالرغم من أن الرسالة تحمل تحيات حارة في ختامها؛ لكنها لا تحمل عنوانًا في مقدمتها... إلا أن الاتجاه العام هو افتراض أن بولس هو الذي كتبها. قد يكون الكاتب هو برنابا اللاوي[135] الذي لابد كان يعرف كل شيء عن الكهنة وعملهم، واحتمال ثالث أن يكون لوقا هو الكاتب لتشابه الأسلوب بين العبرانيين وإنجيل لوقا وسفر أعمال «الرسل». هناك رابع هو أبولس الذي كان يعرف تيموثاوس معرفة جيدة[136] كما أن سفر أعمال «الرسل» يخبرنا أيضًا أن بولس كان (فصيحًا ومقتدرًا في الكتب)[137]...

وقد قال أوريجينوس: «أما من كتب الرسالة يقينًا فالله يعلم، يقول بعض من سبقونا: إن إكليمنس (إكليمنضس) أسقف روما كتب الرسالة، والآخرون: إن كاتبها هو لوقا». وأما نسبتها إلى بولس فهو – كما تقول الموسوعة البريطانية – أمر لا يكاد يوجد أحد اليوم يدافع عنه[138].

= عصام فارس الحرستاني. ط1. مكتبة دار عمار. عمان، 1409هـ.ص 306،

قاموس الكتاب المقدس، تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: الدكتور بطرس عبد الملك – الدكتور جون ألكساندر طمن – الأستاذ إبراهيم مطر، الطبعة العاشرة، صدر عن دار الثقافة بالقاهرة. 1995. ص 599

الكتاب المقدس. طبعة: الرهبانية اليسوعية (نسخة كاثوليكية أصدرها الآباء اليسوعيون). توزيع جمعيات الكتاب المقدس في المشرق. بيروت.

(135) أعمال 4: 36

(136) أعمال 13: 23

(137) أعمال 18: 24

(138) انظر، جون بالكين وآخرون: «مدخل إلى الكتاب المقدس»، ترجمة: نجيب إلياس، ط1، دار الثقافة.1993، ص (556).

=

ج- بقية الرسائل تسمى الرسائل الجامعة (أو الكاثوليكون) وهي سبع رسائل ثلاث منها ليوحنا، واثنتان لبطرس، وواحدة لكل من يهوذا ويعقوب، ثم يليها سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي.

عرّف المحققون بأصحاب هذه الرسائل وهم من التلاميذ الاثني عشر. فبطرس هو صياد سمك في كفر ناحوم، ويعرف بسمعان، ويرجح محررو قاموس الكتاب المقدس أنه كان من تلاميذ يوحنا المعمدان قبل أن يصحب المسيح، ويتقدم على سائر تلاميذه، وقد دعا في أنطاكية وغيرها، ثم قتل في روما في منتصف القرن الميلادي الأول. ويذكر بطرس قرماج في «مروج الأخبار» أن بطرس ومرقس ينكران ألوهية المسيح.

وأما يعقوب فهو ابن زبدي الصياد - أخو يوحنا الإنجيلي - من المقربين للمسيح، وقد تولى رئاسة مجمع أورشليم سنة 34م، وقد كانت وفاته قتلًا على يد أغريباس الأول عام 44م على الأرجح، وقال آخرون: قتله اليهود حين طرحوه من جناح الهيكل، ورموه بالحجارة سنة 62م. وأما يهوذا فلا تقدم المصادر عنه تعريفًا سوى أن تذكر أنه اختلف فيه هل هو يهوذا أخو يعقوب الصغير أي أنه ابن زبدي، أم أنه الحواري الذي يدعى لباوس الملقب تداوس؟ بل البعض يذكر أنه يهوذا آخر غيرهما[139].

= يوسابيوس القيصراني: تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، ط3، 1998م.ص 276.

(139) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص (174-176، 1075)، واين جردوم: بماذا يفكر الإنجيليون فى أساسيات الإيمان المسيحى: رؤية معاصرة فى ضوء كلمة الله، مطبوعات إيجلز جروب. القاهرة 2002. ص 46

رؤوف شلبي: يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، مكتبة الأزهر، القاهرة، 1973. الجزء الأول، ص 194-199.

نسبة هذه الرسائل كانت محل جدل طويل في قرون النصرانية الأولى، وينطبق على أكثرها ما ذكرناه في رسالة العبرانيين، حيث تأخر الاعتراف إلى أواسط القرن الرابع الميلادي برسالة بطرس الثانية ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة ورسالتي يعقوب ويهوذا، ورؤيا يوحنا اللاهوتي الذي كان موضع جدل كبير قبل إقراره.

إذ يحوي هذا السفر رؤيا منامية غريبة هدفها تقرير ألوهية المسيح، وإثبات سلطانه في السماء، وخضوع الملائكة له، إضافة إلى بعض التنبؤات المستقبلية التي صيغت بشكل رمزي وغامض.

وهذه الرؤيا رآها يوحنا في منامه وهي مسطرة في سبعة وعشرين صفحة!! ومثل هذا يستغرب في المنامات ولا يعهد.

وقد شكك آباء الكنيسة الأوائل كثيرًا في هذا السفر. فقال معظم الأساقفة المسيحيين إن سفر الرؤيا من تصنيف كيرينثوس الملحد[140]. فينقل ديونيسيوس (رئيس مدرسة الاسكندرية عام 250م) في كتابه «المواعيد» عن بعض السابقين له بأنهم درسوا سفر الرؤيا إصحاحًا إصحاحًا، ووجدوه «بلا معنى وعديم البراهين، قائلين بأنه عنوان مزور. ليس من تصنيف يوحنا... لم يكتبه أي واحد من «الرسل» أو «القديسين»، أو أي واحد من رجال الكنيسة... بل إن صاحب الفرقة التي تدعى الكيرنثيين (أو الكيرونثوسيين Cerinthians ويدعون أيضًا

(140) ويسمى كيرينثوس الهرطوقي Cerinthus يبدو أنه كان من أصل مصري (عاش بين سنتي 50 و100م)، تهذب في المدرسة اليهودية الفيلونية بالإسكندرية. كان يهوديًا متنصرًا تمسّك بالختان والسبت، وكان واسع الاطلاع على حكمة المصريين. قدم إلى أورشليم القدس في زمان «الرسل» وأقام فيها بعض الوقت ثم انتقل إلى قيصرية فلسطين فإنطاكية وعلّم فيها، وحط رحاله أخيرًا في أفسس التي كانت حقل خدمة يوحنا الرسول. يُنظر إلى كيرينثوس على أنه السابق للغنوصية اليهودية المسيحية والمهيء لها. يرى البعض أنه لم يقدم هرطقة معينة إنما هو حلقة وصل بين اليهودية والغنوصية.

الميرنثيين Merinthians)[141]، إذ أراد أن يدعم قصته الخيالية، نسبها إلى يوحنا»، وذلك أن كيرينثوس كان يقول بالملك الأرضي للمسيح، وهو ما يتفق مع فكرة السفر عن أحداث آخر الزمان[142].

9- عن بولس «الرسول» أو «القديس» بولس[143]

لعله أشهر شخصيات تاريخ المسيحية الأولى والذي نعرف عنه وعن دوره أكثر ما يكون من المعلومات التاريخية. لا بل أن موقع بولس في الأناجيل لا يضاهيه فيه أحد من حواريي السيد المسيح وهو لم يكن منهم. فيظهر من الأناجيل أن بولس لعب دورًا مركزيًا وتاريخيًا حاسمًا في نشوء المسيحية وانتشارها، بل أنه لم يكن في زمن بولس وقبله أي شخصية تضاهيه أو تماثله. والحال أنه فعلًا هو الذي أعطى المسيحية صورتها ومحتواها.

تخبرنا عنه أولًا «أعمال «الرسل»» (تخصص له 15 إصحاحًا من أصل 28 تشكل سفر أعمال «الرسل»)، ناهيك عن رسائله هو. وقد اعتبر معظم الدارسين العلماء في الأناجيل أن أعمال «الرسل» هي من صياغة الشخص نفسه الذي كتب إنجيل لوقا وقد أرادها سيرة تأريخية لمرحلة «الرسل» أي للجيل الأول من المسيحية. والمتفق عليه أنه كتب الأعمال في حوالى العام 90م. وبالتالي فإن الكاتب ليس شاهد عيان على الحوادث التي يرويها على الرغم من اعتماده على شهادات شفوية ومصادر معاصرة للحدث. وقد عمد إلى تجميل صورة المسيحية الأولى وأمثلتها بحيث لا وجود فيها للخلافات والصراعات... في حين

(141) بحسب ما يذكر إبيفانيوس. نقلًا عن المرجع التالي: George Robert Stowe Mead. *Fragments of a Faith Forgotten*. Theosophical Publishing Society: London. 1900, p.238

(142) تاريخ الكنيسة، يوسابيوس القيصراني، مرجع سابق، ص329-331

(143) François Vouga. «Le corpus paulinien», in Daniel Marguerat (dir.), *Introduction au Nouveau Testament: Son histoire, son écriture, sa théologie*, Labor et Fides, 2008

أن قراءة متمعنة برسائل بولس تفصح لنا عن الكثير من التناقضات التي يصعب تجاوزها.

فقط سبع من الرسائل المنسوبة إلى بولس يعتبرها الباحثون والناقدون أصلية، ويسمونها الرسائل البولسية التمهيدية. وهي: رومية؛ كورنثوس 1؛ كورنثوس 2؛ غلاطية؛ فيلبي؛ تسالونيكي 1؛ فليمون.

بقية الرسائل تقسم إلى قسمين: الرسائل البولسية الثانوية épîtres deutéro-pauliniennes وهي التي كتبها تلامذة بولس ونسبوها إليه. وهي: أفسس؛ كولوسي؛ تسالونيكي 2.

والرسائل الرعوية pastorales المسماة أيضًا الثالثة trito-pauliniennes أي تلك التي كتبها تلاميذ متأخرين من الجيل الثالث. وهي: ثيموثاوس 1؛ ثيموثاوس 2؛ تيطس.

إذن وجد النقاد صعوبة في قبول صحة نسبة الرسائل الأربعة عشر إلى بولس؛ الرسالة الخامسة عشر (الرسالة إلى العبرانيين) لا ذكر لاسم لصاحبها ولكن التراث المسيحي الكهنوتي نسبها إلى بولس بتردد وتبين أنها ليست له على الأغلب. وبعض الشارحين والمفسرين يظن أيضًا أن الرسائل المسماة رعوية[144] (الرسالتين الأولى والثانية إلى تيموثاوس، والرسالة إلى تيطس) هي من روح ونمط بولس ولكنها ليست بقلمه.

سيرته وأعماله

من المرجح أنه ولد في مطلع القرن الأول للميلاد في طرسوس من أعمال قيليقيا (جنوب الأناضول) وسط الدياسبورا اليهودية الناطقة باليونانية وحمل اسم شاول العبراني. ومن حصوله على الرعوية

(144) سميت الرعوية لأنها رسائل موجهة إلى أشخاص محددين وليس إلى كنيسة كاملة أو مجموعة كنائس كما رسائل أخرى.

الرومانية[145] نستنتج أنه كان من عائلة شريفة وعلى الأقل ليست فقيرة، وصاحبة نفوذ فنحن نجده يرسل التحية إلى ثلاثة أنسباء له[146] ويظهر أن الأولين اعتنقا المسيحية قبله. ومن سفر أعمال «الرسل»[147] نعلم أن ابن أخته نقل إليه خبر مؤامرة ضده. ويحتمل أنه كان موظفًا أو ذا نفوذ يجعله يعرف مثل هذه الأسرار. ويدلّ على شرف محتده ما نال من شرف ونفوذ في السنهدرين وبين القادة اليهود[148]. وكان أبوه فريسيًا من سبط بنيامين. هذا وكان شاول يعتز بأنه عبراني[149]، وهو كان فريسيًا مثل والده، أي من أرقى طبقات اليهود، يحيا حياة ناموسية حرفية مدققة للغاية[150]، يحسب نفسه من جهة الناموس بارًا. ويبدو أنه حضر في شبابه دروس الربي غمالائيل في القدس[151]. كما أتقن اليونانية لغة وفلسفة. من هنا

---

(145) أعمال «الرسل» 22: 25-29

(146) رسالة إلى أهل رومية 16: 7 و11

(147) أعمال «الرسل» 23: 16

(148) أعمال «الرسل»: 1 و2؛ و22: 5، وفي 3: 4-7

(149) «مِنْ جِهَةِ الْخِتَانِ مَخْتُونٌ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ، مِنْ جِنْسِ إِسْرَائِيلَ، مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، عِبْرَانِيٌّ مِنَ الْعِبْرَانِيِّينَ. مِنْ جِهَةِ النَّامُوسِ فَرِّيسِيٌّ». (رسالة بولس إلى أهل فليبي3-: 5)

(150) وَلَمَّا عَلِمَ بُولُسُ أَنَّ قِسْمًا مِنْهُمْ صَدُّوقِيُّونَ وَالآخَرَ فَرِّيسِيُّونَ، صَرَخَ فِي الْمَجْمَعِ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، أَنَا فَرِّيسِيٌّ ابْنُ فَرِّيسِيٍّ. عَلَى رَجَاءِ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ أَنَا أُحَاكَمُ». (سفر أعمال «الرسل» 23: 6)

(151) غمالائيل أو جمالائيل (ويعني اسمه في اللغة العربية: جمال الله)،أحد الشخصيات البارزة في المجتمع اليهودي خلال القرن الأول، كان عضوًا في السنهدرين أي المجلس الأعلى لليهود ويتبع جماعة الفريسيين (أعمال «الرسل» 5: 34)، ذكر في العهد الجديد خلال سفر أعمال «الرسل» مرتين، ووصف بأنه شخصية مرموقة يحترمها جميع الشعب؛ برز دوره خلال محاكمة بطرس ويوحنا بن زبدي، حيث على الرغم من تشدده ثنى المجلس عن قتلهما كما كان يريد أغلب الأعضاء من خلال مداخلة طويلة يذكرها سفر الأعمال أعمال «الرسل» (5: 35-40،) وقد استطاع اقناع المجلس بضرورة ذلك وبأهمية إطلاق سراحهما حقنًا للدماء ومنعًا لتدخل الرومان. يذكر بولس أنه تعلم على يديه: «أَنَا رَجُلٌ يَهُودِيٌّ وُلِدْتُ فِي طَرْسُوسَ كِيلِيكِيَّةَ، وَلكِنْ رَبَيْتُ فِي هذِهِ الْمَدِينَةِ مُؤَدَّبًا عِنْدَ رِجْلَيْ غَمَالاَئِيلَ عَلَى تَحْقِيقِ النَّامُوسِ الأَبَوِيِّ» (أعمال «الرسل» 22: 3).

أن تعاليمه جمعت بين الموروث الهلنستي والمفاهيم والطرائق الربينية التلمودية للفريسيين. اتسم شاول بالقلب الملتهب غيرة على تراث آبائه، فكان مستعدًا أن يبذل حياته حتى الموت من أجل أمانته لديانته. لذلك كان عدوًا نشطًا للكنيسة الناشئة اضطهد المسيحيين بقسوة، كما يقول هو عن نفسه[152]. وتقول عنه الكتب المسيحية أن ذروة اضطهاداته كانت عند قتل «القديس» استفانوس[153].

كان أوّل ذكر لبولس في سفر الأعمال[154] حيث جاء أن الشهود في محاكمة استفانوس «خلعوا ثيابهم عند رجليّ شاب يقال إنه شاول» مما يدلّ أنه صاحب نفوذ[155] وأنه كان راضيًا بقتله أي أنه كان، على الأغلب، ضمن الذين ساقوا التهم ضد الشهيد المسيحي الأول استفانوس[156]. فيظهر هنا كشخص متعصّب، ويعتقد أن تابعي المسيح كانوا خطرًا دينيًا وسياسيًا. وبضمير مستريح كان يقوم بنصيب وفير في محاولة إرجاع هؤلاء أو قطع دابرهم[157]. فلم يكتف بمهاجمة أتباع المسيح في أورشليم بل لاحقهم في خارجها.

---

(152) «مِنْ جِهَةِ الْغَيْرَةِ مُضْطَهِدُ الْكَنِيسَةِ» (رسالة بولس إلى أهل فليبي3-: 6) فَإِنَّكُمْ سَمِعْتُمْ بِسِيرَتِي قَبْلًا فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ، أَنِّي كُنْتُ أَضْطَهِدُ كَنِيسَةَ اللهِ بِإِفْرَاطٍ وَأُتْلِفُهَا. وَكُنْتُ أَتَقَدَّمُ فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَتْرَابِي فِي جِنْسِي، إِذْ كُنْتُ أَوْفَرَ غَيْرَةً فِي تَقْلِيدَاتِ آبَائِي. (رسالة بولس «الرسول» إلى أهل غلاطية 1: 14-13)

(153) حوالى العام 34 أو 35 م أي بعد «صلب المسيح» بفترة قليلة بحسب الإصحاح السادس من سفر أعمال «الرسل». وهو أول الشمامسة وأول شهيد في المسيحية. واسمه معناه تاج أو أكليل من الزهور.

(154) سفر أعمال «الرسل» 7: 58

(155) أعمال «الرسل» 8: 1

(156) المذكورين في أعمال «الرسل» 6: 9

(157) أعمال «الرسل» 8: 3؛ و22: 4؛ و26: 10-11؛ وفي رسالته إلى أهل غلاطية 1: 13 و3: 6؛ ورسالته الأولى إلى أهل كورنثوس 15: 9؛ وفي رسالته الأولى إلى تيموثاوس 1: 13 (أَنَا الَّذِي كُنْتُ قَبْلًا مُجَدِّفًا وَمُضْطَهِدًا وَمُفْتَرِيًا. وَلكِنَّنِي رُحِمْتُ، لأَنِّي فَعَلْتُ بِجَهْل فِي عَدَمِ إِيمَانٍ).

ثم حصل اهتداؤه المفاجئ. كان ذلك في الطريق إلى دمشق، في وسط النهار عندما أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض[158]. ويبدو أن شاول لا بد كان يتساءل في نفسه عن سر صمود المسيحيين تحت التعذيب وقوة إيمانهم. ويظهر أنه اعتبر أن غيرة استفانوس وصبره وشجاعة احتماله لم تكن في مقدوره لو لم تجد قوة سرية تعاونه[159].

وقد ذكر الحادثة لوقا[160] وكرّر ذكرها بولس نفسه مرتين[161]. كما أنه ألمح في رسائله إلى هذا الأمر[162]. وبحسب الشروحات والتأويلات المسيحية فإن يسوع المسيح لم يتكلم فقط مع بولس بل أيضًا ظهر له فرآه مرأى العين[163]. وبحسب رواية سفر أعمال «الرسل» فقد جاء الأمر لشاول «قم ادخل المدينة وهناك يقال لك ماذا ينبغي أن تفعل»[164] فأطاع. وجاءه حنانيا بعد أن بقي أعمى مصليًا ثلاثة أيام وأبلغه برنامج حياته[165]. ويبدو من رسائله أنه بعد أن بقي أيامًا في دمشق، اختلى في العربية ثلاث سنين[166] ثم رجع ملتهبًا بنفس الغيرة التي كان يحارب بها يسوع وإنما الآن «شهد بها ليسوع»[167]. ولما حاولوا قتله هرب إلى أورشليم حيث

---

(158) أعمال «الرسل» 9: 3

(159) أعمال «الرسل» 22: 20

(160) أعمال «الرسل» 9: 3-32

(161) أعمال «الرسل» 22: 1-16 و26: 1-26

(162) الرسالة الأولى إلى كورنثوس 9: 1؛ و15: 8-10؛ والرسالة إلى أهل غلاطية 1: 12-16؛ وأفسس 3: 1-8 وفي 3: 5-7؛ والرسالة الأولى إلى تيموثاوس 1: 12-16 والثانية إلى تيموثاوس 1: 9-11

(163) أعمال 9: 17 و27 و22: 14 و26: 16 و26: 19؛ والرسالة الأولى إلى كورنثوس 9: 1

(164) أعمال «الرسل» 9: 6

(165) أعمال «الرسل» 9: 15-19

(166) الرسالة إلى أهل غلاطية 1: 16 و17

(167) أعمال «الرسل» 9: 20-25

رحب به برنابا وقدّمه للرسل، وحيث بشّر بمجاهرة جعلت اليونانيين في أورشليم يحاولون قتله فذهب إلى قيصرية ومنها إلى طرسوس مسقط رأسه[168]. ولا نعرف شيئًا عن الوقت الذي قضاه في طرسوس ولا كيف صرفه وإن كان يرّجح الكثيرون أن الزمن استغرق نحو ست أو سبع سنوات، وأنه فيها أسس الكنائس المسيحية في كيليكية[169].

بقي شاول في طرسوس وما حولها في كيليكية[170] إلى أن نشأت كنيسة إنطاكية وأُرسل إليها برنابا الذي تذكّر الشاب الذي اهتدى «شاول» وتذكّر مقدرته في إقناع الأمميين ففتّش عليه إلى أن وجده ودعاه إلى إنطاكية. ومنها أرسل برنابا وشاول إلى المسيحيين في أورشليم ومعهما عطية مادية لإعانتهم وقت الجوع. ثم جاءت الدعوة للتبشير في الخارج[171] وبدأت رحلات بولس التبشيرية التي كان من نتائجها نشر الإنجيل في آسيا الصغرى والبلقان وإيطاليا وإسبانيا. المهم في سيرة بولس هو علاقته ببرنابا وسنأتي عليها لاحقًا.

ضميمة: «وصف تاريخي لتحريفين مهمين للكتاب المقدس»[172]

وهذا عنوان رسالة كتبها العالم الإنكليزي الشهير إسحق يوتن وطبعت بعد موته بـ 27 سنة. راجع نيوتن في الرسالة كل دلائل النقد النصي من المصادر القديمة حول مقطعين من العهد الجديد متنازع عليهما ما يوحنا1؛ 5: 7 وتيموثاوس 1؛ 3: 16

(168) أعمال «الرسل» 9: 26-30

(169) أعمال «الرسل» 15: 41

(170) أعمال «الرسل» 11: 20-30

(171) أعمال «الرسل» 13: 2-4

(172) Isaac Newton. *An Historical Account of Two Notable Corruptions of Scripture in a letter to a Friend*. John Green's 1841 printing of the 1785 publication by Samuel Horsley. Source: Ms. 361(4), New College Library, Oxford, UK

يقول نيوتن عن الرسالة إنها «وصف لما كانت القراءة عبر كل العصور وللخطوات التي تغيرت بها، كما يمكن تحديده من السجلات» و«نقد لنص الكتاب المقدس». ويلقي اللوم على «الكنيسة الرومية» لعدة إساءات في العالم، ويتهمها بالخداع الديني ويقول إن المتعلمين والعارفين أمثال لوثر وإراسموس وبولينجر وغروتيوس لا يفصحون عما يعرفونه[173].

تلخيص المقطعين

يستنتج نيوتن أنه «إذا كانت الكنائس القديمة في نقاشاتها وتقريرها لأعظم أسرار الدين لم تعرف عن هذين النصين، فإني لا أفهم كيف نحبهما كثيرا الآن مع انتهاء النقاشات»[174]. ولم تصحح طبعات الكتاب المقدس هذين المقطعين إلا في القرن التاسع عشر، حيث تحذف النسخ الحديثة مقطع الفاصلة المنسوبة إلى يوحنا ويوضع أحيانًا في الهامش مع تعليق يشير إلى أنه غير موجود في أقدم المخطوطات[175]. وتحذف النسخ الحديثة كلمة «الله» من تيموثاوس1 في 3: 16[176].

خلفية تاريخية

لم يطبع إسحق نيوتن نتائج أبحاثه خلال حياته لأسباب سياسية على الأغلب. فمن كتب عن مسألة الثالوث تعرض للاضطهاد في إنكلترا. ففي 1698 كان قانون محاربة التجديف يجرم من أنكر ألوهية أحد أقانيم الثالوث ويعاقبه بداية بالعزل وعند التكرار بالسجن. ولهذا

(173) Ibid., p. 1-12

(174) Ibid., p. 88

(175) Ibid

(176) Ibid

فقد صديق نيوتن ويليام ويستون منصبه في جامعة كامبردج سنة 1711. وحرقت منشورة في 1693 تهاجم الثالوث بأمر من مجلس اللوردات وحوكم مؤلفها وطابعها. وهناك طالب عمره 18 أنكر الثالوث فأعدم في إدنبرة اسكوتلندا سنة 1697.

يوحنا 1، 5 : 7

في نسخة الملك جيمس يوجد مثل التالي في يوحنا 1؛ 5: 7

فَإِنَّ هُنَالِكَ ثَلاَثَةَ شُهُودٍ فِي السَّمَاءِ، الآبُ وَالْكَلِمَةُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ، وَهَؤُلاءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ.

حاول نيوتن باستعمال كتابات آباء الكنيسة القدماء والمخطوطات اليونانية واللاتينية وشهادات النسخ الأولى للكتاب المقدس بأن يظهر أن الكلمات «الآبُ وَالْكَلِمَةُ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ، وَهَؤُلاءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ» لم تكن في المخطوطات اليونانية الأصلية. وتتبع كيف دخلت هذه الكلمات المشكوك بها إلى النسخ اللاتينية أولًا كملاحظة هامشية ومن ثم إلى النصوص نفسها. ويلاحظ أن «النسخ الأثيوبية والسريانية والعربية والأرمنية والسلافية التي ما زالت تستعمل في عدة أمم شرقية، أثيوبيا ومصر وسوريا والعراق وأرمينيا وموسكو وغيرها، لا تعرف هذه القراءة»[177] وقدم أدلة على أن الكاردينال غونزالو سيسنيروز أول من وضعها في النص اليوناني سنة 1515 بالاعتماد على مخطوطة يونانية متأخرة صححت من الترجمة اللاتينية[178]. وينظر نيوتن في معنى وسياق النص ملاحظا أن إزالة النص المضاف يجعل «المعنى واضحًا وطبيعيًا،

(177) *Ibid.,* p. 25

(178) Ibid., p. 32

والنقاش كاملًا وقويًا، لكن بوضع شهادة ‹الثلاثة في السماء› ينقطع ويتخرب المعنى»[179].

تيموثاوس 1؛ 3 : 16

يبحث قسم صغير من رسالة نيوتن مقطع تيموثاوس 1؛ 3: 16 الذي يقول بحسب نسخة الملك جيمس للكتاب المقدس:

وَبِاعْتِرَافِ الْجَمِيعِ، أَنَّ سِرَّ التَّقْوَى عَظِيمٌ: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ، شَهِدَ الرُّوحُ لِبِرِّهِ، شَاهَدَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ، بُشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ، أُومِنَ بِهِ فِي الْعَالَمِ، ثُمَّ رُفِعَ فِي الْمَجْدِ.

قدم نيوتن أدلة على أنه بتغيير بسيط للنص اليوناني تغيرت العبارة من «هو ظهر في الجسد» إلى «الله ظهر في الجسد». وأكد أن الكتاب المسيحيين القدماء في إشاراتهم للآية لم يعرفوا عن هذا التغيير.

---

(179) Ibid., p. 55

في عام 1731 اهتم يوهان ياكوب فتشتاين Johann Jakob Wettstein بهذا المقطع (وهو ثيولوجي سويسري 1693-1754 عرف كناقد للعهد الجديد).

الباب الثاني

قضايا وإشكاليات أولية

1- إشكالية بولس بحسب كمال الصليبي[1]

يرى كمال الصليبي أن بولس اليهودي المنشأ الفريسي العقيدة ظهر على الساحة في العام 40 م وأنه كان يعيش في دمشق وأنه بدأ بالتبشير لغير اليهود (الغوييم أو الأمم) واصطدم مع كنيسة القدس وأن أتباعه هم الذين تسموا بالمسيحيين في حين كان أتباع كنيسة القدس يتسمون «ناظوريين». في العام 62 قتل يعقوب (جيمس) أخو المسيح بأمر مباشر من حاخامات القدس والسنهدرين، وبعده بفترة بسيطة قتل بولس في روما وفي العام 70 اجتاح الرومان القدس وخربوها ثم أعادوا الكرة في أعوام 132–135 حيث دمروا المدينة تمامًا وشتتوا كل من فيها من يهود وناظوريين وإسرائيليين وغوييم ولذلك اندثرت هذه الشيع أو ذابت في محيط الشتات في حين انتصرت مسيحية بولس وأتباعه وسادت في بقية أرجاء العالم الروماني حيث كان تبشيره.

لم يعرف بولس المسيح شخصيًا وإلا لكان تحدث مطولًا عن هذه المعرفة بدل التوسع في ذكر تواصله معه بالوحي والرؤية[2] ولكنه يذكر معرفته ببطرس وبيعقوب أخي عيسى: «ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يومًا ولكنني لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب»[3].

---

(1) Kamal Salibi. *Conspiracy in Jerusalem, the Hidden origins of Jesus*. I.B. Tauris & Co. Ltd. London 1988

(2) تفصيل ذلك في الإصحاح الثاني عشر من رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس.

(3) الرسالة إلى أهل غلاطية؛ 1: 18– 19

ويرى الصليبي أن بولس ليس شاول ففي سفر أعمال الرسل يأتي ذكر شاول بداية من دون الإشارة إلى أنه هو نفسه بولس فتسميه في كل السفر شاول ثم فجأة يذكر سفر أعمال الرسل أن شاول هو أيضًا بولس من دون أي شرح لهذا التغيير المفاجئ[4]. وبحسب كمال الصليبي فإن العهد الجديد يخلط بين شخصيتين هما بولس من جهة وشاول تلميذ جمالايل من جهة أخرى. وهذا الأخير عاش في القدس وشارك في اضطهاد المسيحيين وقتل استيفان بينما بولس عاش في دمشق. ويربط الصليبي بين تغيير اسم شاول إلى بولس بوجود ملك في العهد القديم من أسرة بنيامين تمامًا كما أن بولس كان من سبط بنيامين وأن هذا النسب المشترك هو ما جعل كتبة الأناجيل وأعمال الرسل يجعلون بولس وشاول شخصًا واحدًا.

وقد توقف كمال الصليبي كثيرًا عند خبر اختلاء بولس في العربية ثلاث سنين مستغربًا مرور جميع اللاهوتيين والمثقفين والدارسين مرور الكرام عند هذه الحادثة التي تؤرخ لمرحلتين في تاريخ بولس قبل خلوة العربية وبعدها. وبحسب العلماء الدارسين للحقبة الرومانية فإن العربية كانت يومها تعني البلاد جنوب دمشق بما فيها البلاد الأردنية الحالية. في كتابه «مؤامرة في القدس:الأصول المخفية ليسوع»[5]يطرح الصليبي ثلاثة أسئلة مثيرة: لماذا قرر بولس بعد تجربته الدراماتيكية على طريق دمشق أن يذهب «فورًا» إلى العربية وليس إلى القدس على الرغم من معرفته أن الحواريين الذين عرفوا عيسى/يسوع شخصيًا كانوا في القدس؟ لماذا تتجاهل «أعمال الرسل» كل شيء عن رحلة بولس هذه إلى بلاد العرب وإقامته فيها 3 سنوات على الرغم من اعتبار بولس نفسه

---

(4) وَأَمَّا شَاوُلُ، الَّذِي هُوَ بُولُسُ أَيْضًا، فَامْتَلأَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَشَخَصَ إِلَيْهِ. (سفر أعمال الرسل؛ 13: 9)

(5) Kamal Salibi. *Conspiracy in Jerusalem, the Hidden origins of Jesus*.

هذه الزيارة فائقة الأهمية طالما أنه قرر القيام بها فورًا بعد «اهتدائه»؟ لماذا لا يشرح لنا بولس في أي مكان من رسائله أو كتاباته المعروفة سبب الزيارة وماذا جرى معه خلالها؟

وجواب كمال الصليبي أن بولس ذهب إلى العربية للحصول على معرفة أدق وأوثق بعيسى ورسالته من خلال المسيحيين الأوائل المنتشرين في الصحراء العربية الخاضعة للرومان.

2- الحواريون وأخوة عيسى في المصادر المسيحية

في الأناجيل القانونية يصل عدد الحواريين إلى أربعة عشر وليس اثني عشر كما هو شائع (بمعزل عن بولس وغيره ممن أضيفوا لاحقًا)، وهذه هي اللائحة:

في إنجيل متى هم: أندراوس وسمعان/ بطرس، ويوحنا ويعقوب ابنا زبدي[6]، و«فيليبُس، وبرثولماوس Bartholomew، وتوما، ومتى العشّار، ويعقوب بن حلفى، ولبّاوس الملقب تداوس، وسمعان القانوني (الغيور)، ويهوذا الإسخريوطي الذي سلّمه»[7].

وفي إنجيل مرقس هم:» سمعان/ بطرس، ويوحنا ويعقوب ابنا زبدي (وجعل لهما اسم بوانرجس أي ابني الرعد)، وأندراوس، وفيليبس، وبرثولماوس، ومتى[8]، وتوما، ويعقوب ابن حلفى، وتداوس (لا يذكر اسمه الآخر الذي ذكره متى: لباوس)، وسمعان القانوني (أو الغيور Zealot)، ويهوذا الإسخريوطي الذي سلّمه»[9].

(6) إنجيل متى، 14: 25-18

(7) إنجيل متى، 10: 4-2

(8) ويسميه «لاوي» في الإصحاح الثاني: 14

(9) إنجيل مرقس، 3: 19-13.

وفي إنجيل لوقا هم: سمعان/ بطرس، وأندراوس أخوه، ويعقوب ويوحنا (لا يذكر أنهما أبناء زبدي)، وفيليبس، وبرثولماوس، ومتى،وتوما، ويعقوب بن حلفى، وسمعان الذي يدعى الغيور (يسميه الغيور فيما بقية الأناجيل تسميه القانوني والمقصود غيرته على تطبيق القوانين أو ناموس موسى)، ويهوذا أخو يعقوب ويهوذا الإسخريوطي». فنجد هنا عدم ذكر تداوس أو لباوس المذكور عند متى ومرقس، كما نجد اضافة اسم «يهوذا أخي يعقوب» (بحسب النص العربي المترجم، وفي الأصل اللاتيني واليوناني يسمى يهوذا المنسوب إلى يعقوب = Judas de Jacques)[10].

وفي إنجيل يوحنا هم: أندراوس وأخوه سمعان/ بطرس وهما بحسب الإنجيل ابنا يونا، ومعهما نثنائيل (الذي كان من قانا الجليل وهو وأندراوس كانا من تلامذة يوحنا المعمدان، ونثنائيل هذا غير مذكور في الأناجيل الأخرى)[11] ويوحنا ويعقوب ابنا زبدي[12]، وفيليبس (من صيدا الجليل)[13]، وتوما (يقول عنه: الذي يسمى التوأم)[14]، ويهوذا الإسخريوطي (ويسميه يهوذا سمعان الإسخريوطي)[15] ويهوذا «ليس الإسخريوطي» (هكذا يسميه ولعله يهوذا من يعقوب المار ذكره)[16]، فيكون العدد عند يوحنا تسعة حواريين... وهو في حادثة الصلب يتحدث عن تلميذين يسميهما: «التلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبه»، و«يوسف من الرامة وهو تلميذ يسوع ولكن خفية»[17].

(10) إنجيل لوقا: 6: 16-12

(11) إنجيل يوحنا، 1: 51-43

(12) إنجيل يوحنا، 21: 2

(13) إنجيل يوحنا، 12: 21

(14) إنجيل يوحنا، 20: 4

(15) إنجيل يوحنا، 6: 71

(16) يوحنا، 14: 22

(17) إنجيل يوحنا، 19: 26 و38

فالمشترك بين إنجيل يوحنا والأناجيل الأخرى المسماة الإزائية ستة تلاميذ فقط من أصل 12 هم: أندراوس وأخوه سمعان/ بطرس، ويعقوب وأخوه يوحنا ابنا زبدي، وتوما ويهوذا الإسخريوطي. وهناك 2 يرد اسمهما في إنجيل ولا يرد في غيره.

فلنر إلى أولئك الذين لا يحظون بالإجماع أولًا.

فهناك تداوس ويسميه مرقس لباوس أيضًا ولا يذكره يوحنا ولوقا. وهناك يهوذا «أخو يعقوب» الذي يذكره لوقا هكذا، ويذكره يوحنا بأنه ليس الإسخريوطي، ولا يذكره متى ولا مرقس، ولكن يرد اسمه في أعمال «الرسل»[18]. فهل هو نفسه تداوس؟ ولكن لماذا يحمل اسمًا عند مرقس ومتى واسمًا آخر عند لوقا ويوحنا، علمًا أن العلماء يتفقون على كون لوقا يأخذ كل معلوماته من نفس مصدر معلومات متى أساسًا ثم مرقس... وعلمًا أيضًا بأن عبارة «يهوذا الذي من يعقوب» تعني ابن يعقوب بخلاف ما ذهبت اليه الترجمة العربية.

ولا يذكر متى ومرقس اسم يعقوب ابن حلفى... ويوحنا وحده يذكر نثنائيل الذي من قانا الجليل.

ويعقوب ابن حلفى هو أخو لاوي (متى العشار بحسب مرقس)[19] فيكون متى هو أيضًا ابن حلفى. والغريب أن نثنائيل الذي يرد ذكره في إنجيل يوحنا في رواية طويلة تُظهر أهميته وتعاطف عيسى معه، لا يحظى بأدنى ذكر في بقية الأناجيل.

بدءًا من القرن التاسع انتشرت قصة تُماهي بين نثنائيل وبرثولماوس من خلال القول بأن الاسم الأخير هو لقب أصله بار ثولماي وتعني ابن

(18) أعمال «الرسل» 1: 13

(19) إنجيل مرقس، 2: 14

ثولماي. ولا يوجد ما يؤكد هذا الزعم علمًا أنه من غير المفهوم أن يلجأ إنجيل يوحنا لذكره بالاسم وكذلك فعلت أعمال الرسل، في حين تذكره بقية الأناجيل باسم أسرته أو لقبه؛ ما يدل على هشاشة هذا الاستنتاج المتسرع.

أما يهوذا أخو يعقوب، فهو في الحقيقة وبحسب الأناجيل (الأصول اليونانية واللاتينية) ابن يعقوب. أما مصدر القول بأنه أخو يعقوب فيعود إلى رسالة في الأناجيل منسوبة إلى يهوذا «عبد يسوع المسيح وأخو يعقوب»[20]. ولكننا هنا نقع على إشكالية أخرى تتمثل في الكلام عن أخوة للمسيح هم يعقوب وسمعان ويوسي ويهوذا كما يرد حرفيًا في إنجيل متى، وفي إنجيل مرقس. كما يؤكد يوحنا أن كلمة أخوة يجب أن تؤخذ حرفيًا، فهم فعلًا أخوة عيسى أبناء يوسف النجار[21]. وبحسب الإنجيل الباطني الأبوكريفي المسمى بالإنجيل التمهيدي ليعقوب protoevangilium والمسمى أيضًا «إنجيل ولادة مريم»[22] (كما في غيره من الأناجيل والرسائل الأبوكريفية ومنها قصة يوسف النجار)[23]، فإن يوسف كان متعلمًا وعالمًا في فقه الشريعة وكاهنًا في المعبد إضافة إلى ممارسته لمهنة نجار خشب... وكان تزوج وهو في سن الأربعين ثم صار أرملًا وله ستة أولاد: أربعة بنين (يهوذا، يعقوب، يوسف، وسمعان) وبنتان (ليديا وآسيا). أما مريم فقد نذرها أبواها لخدمة الرب في المعبد منذ كانت طفلة في الثالثة من عمرها. وحين بلغت الثانية عشرة اجتمع الكهنة في الهيكل ليدرسوا وضعها «خوفًا من أن تعاني قداسة هيكل

(20) رسالة يهوذا:1، والرسالة هي الأخيرة في الرسائل وتأتي قبل رؤيا يوحنا التي تختم الأناجيل.

(21) إنجيل متى، 13: 55، وإنجيل مرقس، 6: 3.

(22) إنجيل يعقوب الأبوكريفي، 12: 3، و13: 1، و8: 2، و16.

(23) قصة يوسف النجار: الفصول 2 و14.

الرب دنسًا ما»... ونزل عليهم ملاك الرب يخبرهم باستدعاء الأرامل ليختاروا واحدًا منهم بالقرعة ليكون زوجًا لها ليحفظها. فوقع الاختيار الرباني على يوسف الذي اعترض قائلًا: «لي أولاد وأنا شيخ بينما هي فتية جدًا». ومن الأناجيل الأبوكريفية أيضًا أن عمر يوسف حين ترمل كان 89 سنة وحين تزوج مريم كان عمره 90 سنة(24). وفي الأناجيل القانونية تأكيد على وجود أخوة لعيسى من يوسف النجار... ففي إنجيل متى نقرأ على لسان أهل قرى الجليل الفلسطيني: «أليس هذا ابن النجار. أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا. أوليست أخواته جميعهن عندنا»(25). وفي مقطع سابق يقول متى: «وفيما هو يكلم الجموع إذا أمه وأخوته قد وقفوا خارجًا طالبين أن يكلموه»(26). ونجد نفس الإشارة عند مرقس «فجاءت حينئذ إخوته وأمه ووقفوا خارجًا وأرسلوا اليه يدعونه»(27). وقد حاول البعض القول بأن الأخوة هنا تعني التلاميذ ولكن يوحنا بدد هذا الزعم حين ميّز بوضوح بين الأخوة والتلاميذ: «وبعد هذا انحدر إلى كفرناحوم هو وأمه وإخوته وتلاميذه» (28).

3- عن يسوع باراباس المحيِّر

باربا (أو باراباس بحسب الكتابة اليونانية اللاحقة) هو المجرم الذي طلبت الجموع من بيلاطس - في عيد الفصح وبتحريض من الكهنة والشيوخ - أن يطلق سراحه وأن يصلب يسوع الناصري (متى

---

(24) Gerald Messadié: *L'Homme qui devint Dieu: les Sources*; Robert Laffont, Paris 1989., p. 91-92

(25) إنجيل متى، 13: 57-55.

(26) إنجيل متى، 12: 46

(27) إنجيل مرقس، 3: 31

(28) إنجيل يوحنا، 2: 12

27: 20، 21؛ مرقس 15: 15؛ لوقا 23: 18؛ يوحنا 18: 40). يقول مرقس إن «المسمى باراباس»كان «موثقًا مع رفقائه في الفتنة، الذين في الفتنة فعلوا قتلًا» (مرقس 15: 7). ويقول لوقا: «وذاك كان قد طرح في السجن لأجل فتنة حدثت في المدينة وقتل» (لوقا 23: 19) (انظر أيضًا أعمال الرسل 3: 14). ويقول يوحنا: «وكان باراباس لصًا»، أو قاطع طريق (يوحنا 18: 40).

وبارابا تكتب بالآرامية אבא רב עושי ومعناها ابن الآب Bar Abba وفي إنجيل متى نقرأ اسمه الكامل: يسوع بارابا (متى: 27: 17-16) وفي الاسم ما حير آباء الكنيسة الذين لم يفهموا كيف يكون اسمه يسوع وابن الأب كما كان عيسى يسمي نفسه (ابن الآب) بحسب الأناجيل. وقد صدرت كتب كثيرة مؤخرًا تتحدث عن هذا الرجل وبعضها يقترح أن يكون هو الذي صلب محل عيسى وبعضهم يقول بل لعله هو عيسى نفسه إذ إن اسمه يسوع وابن الآب فهل هذه صدفة[29]...

وقد أثار هذا الأمر آباء الكنيسة الكبار فحاولوا نفي ما جاء في إنجيل متى من أن اسم باراباس هو يسوع فكتب أوريجينوس على سبيل المثال» «ليس من اللائق إعطاء هذا الاسم على شخص باغٍ، وعلى كل

---

(29) عن بارابا، انظر الكتب والدراسات التالية:

Gerald Messadié. *Jésus dit Barabbas*. J.-C. Lattès. Paris. 2014
Guy Davenport and Benjamin Urrutia. The Logia of Yeshua. Counterpoint Press. 1995
Benjamin Urrutia. «Pilgrimage», *The Peaceable Table*. October 2008
Hyam Maccoby. *Revolution in Judea: Jesus and the Jewish Resistance*. Ocean Books; First Edition 1973
Peter Cresswell. *Jesus The Terrorist, Christian Alternative*. 2010
Peter Cresswell. *The Invention of Jesus: How the Church Rewrote the New Testament*, Watkins. 2013
Simon Claude Mimouni, *Le Judaïsme ancien du vie siècle avant notre ère au iiie siècle de notre ère: des prêtres aux rabbins*, puf, coll. «Nouvelle clio», 2012.,
R. E. Brown, *The Death of the Messiah*, New York, Doubleday, 1994,

حال لا يوجد أي مجرم أو باغ يسمى يسوع في الكتب المقدسة»[30].
ثورة أوريجينوس هذه مفهومة إذ تعكس الحرج الذي تمثله هذه الإشارة إلى يسوع باراباس وبالتالي كان لا بد من القول إن الهراطقة هم الذين أدخلوا هذا الاسم لاحقًا وزيفوا إنجيل متى[31]. ولكن نسخًا مخطوطة مختلفة عن هذا الإنجيل ورد فيها بالفعل اسم يسوع باراباس وجرى لاحقًا «تصحيحها». والنسخ التي نتحدث عنها ليست كلها قديمة غير أن المتخصصين يعتقدون أنها تمثل الرواية الأصلية لأنه من الصعب التصور أن مسيحيين أضافوا هذا الاسم إلى المخطوطات في حين أن العمل المعاكس، أي شطب الاسم، هو الأكثر احتمالًا[32]. «حين يتحدث عن الله أو إلى الله يستخدم يسوع الأناجيل فقط عبارة أبا الآرامية وتعني الأب. هذه العبارة الآرامية وتفسيرها باليونانية نجدها في إنجيل مرقس (وَقَالَ: «يَا أَبَا الآبُ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجِزْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِيَكُنْ لاَ مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ».14: 36) وفي رسائل بولس (ثُمَّ بِمَا أَنَّكُمْ أَبْنَاءٌ، أَرْسَلَ اللهُ رُوحَ ابْنِهِ إِلَى قُلُوبِكُمْ صَارِخًا: «يَا أَبَا الآبُ».غلاطية 4: 6) (إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ».رومية 8: 15). وبحسب سيمون ميموني فإن هذه كانت لغة الصلاة اليهودية السائدة في ذلك الزمن[33]. فعبارة أبا تعني الأب ولا معنى للترجمة الإنجيلية أبا الأب وكأن أبا شيء آخر غير

---

(30) Jean-Paul Michaud, Article Barabbas [archive], 2003, sur http://www.interbible.org
Origène (185 - 253), *Commentaire sur Matthieu*

(31) William R. Farmer, *The Last Twelve Verses of Mark*, Cambridge University Press, 2005, p. 20, note no 3.

(32) Paul Winter, Géza Vermes, *On the Trial of Jesus*, 1974, Walter de Gruyter, Berlin - New York, p. 138.
Jean-Paul Michaud, Article *Barabbas*, 2003, sur http://www.interbible.org

(33) Simon Claude Mimouni et Pierre Maraval, *Le Christianisme des origines à Constantin*, puf, coll. «Nouvelle clio», 2007, p.p. 149.

الأب؟ وكان اسم باراباس بالتالي يسوع وهذا ما كتبه المؤرخون لتلك الحقبة[34].

من هنا نعرف لماذا شاعت في بدايات المسيحية فكرة أن شبيهًا ليسوع هو الذي صلب وليس هو نفسه. وهذا ما سنراه على كل حال حين نتعمق في دراسة الأناجيل والرسائل الأبوكريفية.

4- عن مسألة الصلب[35]

يبدو أن الصلب كعقاب كان معروفًا منذ أقدم الأزمنة قبل السيد المسيح. ولعله وجد أولًا في بلاد فارس؛ فقد ذكر هيرودوتس في تواريخه (القرن الخامس قبل الميلاد) أن الملك داريوش الكبير صلب في القرن السادس قبل الميلاد ثلاثة آلاف من البابليين. بل ولعل الصلب يعود حتى إلى تاريخ أقدم من ذلك إذ إننا نجده مذكورًا في الكتاب المقدس، في سفر التثنية (xxi: 22-23) وفي سفر يشوع (VIII:29-X:26). وكانت تقنية القتل هذه تقوم بحسب تواريخ هيرودوتس وشهادة أسفار الكتاب المقدس على تعليق المجرم على شجرة. وقد نقلت شعوب أخرى هذا العذاب إلى حضارتها فنجده شائعًا لدى الكلت[36] والبروطون والجرمان واليونان. وتذكر تواريخ هيرودوتس أن الجنرال الأثيني كزانثيبوس صلب خصمه المرزبان الفارسي أرتحششتا قائد قوات كسرى في العام 497 ق.م. ثم إننا نجد الرومان وقد تبنوا هذه

(34) François Bovon, *L'Évangile selon saint Luc: 19,28-24,53*, Labor et Fides, 2009 (lire en ligne [archive]), p. 340.

(35) انظر خصوصًا: Martin Hengel. *Crucifixion*, SCM Press Ltd., London,1977. Messadié, *Les Sources*, op.cit.

(36) أو القلط أو السلت (باللاتينية: Celtae، من اليونانية: Keltai Κέλται) (بالإنكليزية: Celts، تلفظ kelts) (بالفرنسية: Celtes، تلفظ celt)

التقنية ولكنهم تركوها تخصيصًا للعبيد والغرباء وليس للمواطنين برغم أن بعض الجنرالات الرومان استخدموا الصلب لعقاب الجنود الرومان المتمردين... وهذا ما فعله القائد الروماني سيبيون بجنوده المتمردين عقب انتهاء الحرب البونية الثانية التي انتصر فيها على القائد القرطاجي هانيبعل (202 ق.م)[37]. ويبدو أن عشرات الآلاف قد صلبوا في بلدان المتوسط وفي الشرقين الأدنى والأوسط خلال الفترة ما بين القرنين السادس ق.م، والأول ق.م. وقد حدد الرومان منذ القرن الثالث قبل الميلاد انطباق هذا العقاب فقط على الطبقات الدنيا من المجتمع ويبدو أن اليهود تبنوا الصلب كعقاب للمذنبين بجرائم الخيانة العظمى. فقام الكاهن الأكبر الحشموني إسكندر الرابع ينّاي بصلب ثمانمائة فريسي خلال ما عرف باسم الحروب اليهودية (كما وصفها المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس). ثم عاد الفريسيون وانتقموا بعد موته فصلبوا العشرات من مستشاري ذلك الحاخام من «المشعوذين السحرة» الصدوقيين، بحسب ما جاء في الميشنا التلمودية.. ويبدو أنه حتى القرن الثاني قبل الميلاد لم يكن هناك من تقنية محددة للصلب فكان يتم تعليق جثة المذنب على شجرة أو عمود وأحيانًا تسميره وهو حي.

ويخبرنا يوسيفوس (القرن الأول ميلادي) عن رجل جلد بقوة حتى أن عظامه ظهرت، وقد انكشفت أمعاؤه[38]. وفي نص من القرن الثاني

(37) حنبعل بن حملقار برقا (بالبونيقية: «حنبعل برق») أو حنا بعل أو هانيبال أو هاني بعل (247 ق.م – 182 ق.م.، قائد عسكري قرطاجي ينتمي إلى عائلة بونيقية عريقة، ويُنسب إليه اختراع العديد من التكتيكات الحربية في المعارك.

(38) The Wars of the Jews, 6:304; «where he was whipped till his bones were laid bare; yet he did not make any supplication for himself, nor shed any tears, but turning his voice to the most lamentable tone possible, at every stroke of the whip his answer was, «Woe, woe to Jerusalem!»
https://lexundria.com/j_bj/6.304/wst

اسمه «استشهاد بوليكاربوس»، يقال عن السوط الذي استخدمه الرومان بأنه كان يكشف شرايين الإنسان وأوردته[39]. ثم كان يؤخذ بعدها إلى خارج أسوار المدينة حيث يستخدم الجنود مسامير لتبيثته على صليب أو خشبة[40]. وبعدها يترك معلقًا تحت آلام مبرّحة. وفي الحقيقة الكلمة الإنكليزية المترجمة في العربية «مبرحة» «excruciating» تأتي من اللاتينية بما معناه «out of the cross» يعني «خارج الصليب». ويصف الفيلسوف الروماني سينيكا[41] ضحايا الصلب بأن جثثهم كانت ممزقة وضائعة المعالم ومشوهة ومسمّرة و«تسحب روح الحياة من العذاب الطويل الأمد»[42]. ويصرّح يوسيفوس بأنه رأى ثلاثة من أصدقائه يُصلَبون؛ وبادر بسرعة ليترجى الحاكم الروماني تيطس الذي كان صديقه، فأمر بأن يرفع الثلاثة للحال وتؤمّن لهم أفضل عناية طبية يمكن أن تقدمها روما[43]. وتصرّح مصادر قديمة متعددة عن اتباع عملية كسر الأرجل

---

(39) Martyrdom of Polycarp 2:2. «For who could fail to admire their nobleness and patient endurance and loyalty to the Master? seeing that when they were so torn by lashes that the mechanism of their flesh was visible even as far as the inward veins and arteries, they endured patiently, so that the very bystanders had pity and wept; while they themselves reached such a pitch of bravery that none of them uttered a cry or a groan, thus showing to us all that at that hour the martyrs of Christ being tortured were absent from the flesh, or rather that the Lord was standing by and conversing with them.»
http://www.earlychristianwritings.com/text/martyrdompolycarp-lightfoot.html

(40) تشير الغالبية العظمى للمصادر القديمة إلى استخدام المسامير في تعليق المحكومين على صليب أو على شجرة. وإنجيل يوحنا يذكر استخدام المسامير في عملية صلب يسوع (20: 25، 27) ولوقا أيضًا يفترضها (24: 39).

(41) Seneca (4 ق.م- 65 م) وكان معاصرًا للسيد المسيح ومعلمًا للقيصر نيرون

(42) Seneca. Epistles. *Moral letters to Lucilius/Letter 101*
http://philosophy.redzambala.com/seneca/101-moral-letters-to-lucilius-seneca.html

(43) *The Life of Flavius Josephus420*. «and when I was sent by Titus Caesar with Cerealius, and a thousand horsemen, to a certain village called Thecoa, in order to know whether it were a place fit for a camp, as I came back, I saw many captives crucified; and remembered three of them as my former acquaintance. I was very sorry at this in my mind, and went with tears in my eyes to Titus, and told him of them».
https://lexundria.com/j_vit/407-430/wst

لتسريع الموت على الصليب(44). لكن بطرس يذكر أنّ كسر الساقين كان ممنوعًا وذلك لكي يتألم المصلوب مدّة أطول(45). ويصرح إنجيل يوحنا بأن أحد الجنود طعن يسوع ليتثبت من أنه مات حقًا(46)؛ وهو استخدام ذكره أيضًا كوينتيليان وهو مؤرخ روماني من القرن الأول، حيث نقرأ: «ومن جهة الذي يموت على الصليب فإنّ من ينفّذ الحكم لا يمنع دفن الذي يُطعنون»(47).

ويذكر يوسيفوس أنه قبل تدمير أورشليم من قبل الرومان في سنة 70 ميلادية، كانت عادة اليهود أن يرفعوا المصلوبين من على صلبانهم ويدفنوهم قبل غروب الشمس(48).

ويذكر سينيكا أن بعض المصلوبين كانوا يعلقون بالمقلوب وبعضهم على خوازيق وفي أحيان قليلة واستثنائية كان يتم ربط أيدي المذنب بالصليب العادي المسمى الصليب اللاتيني crux immissa... علمًا بأن الصليب كان في أحيان أخرى على شكل حرف T، وهو المعروف بالصليب المصري crux commissa... ولكن المؤكد أن ارتفاع خشبة الصليب العمودية كان يتناسب مع حجم الجرم... فكلما كانت الجريمة كبيرة كان الصليب يرتفع أكثر لكي يرى الناس المجرم المصلوب عن بعد. وكان هذا الصليب يحمل مقعدًا للفخذين sedula.

(44) Cicero, Orations, Speech 1; 12: 27
https://oll.libertyfund.org/titles/cicero-orations-vol-1

(45) إنجيل بطرس الأبوكريفي، 4:14

(46) يوحنا 19: 34-37

(47) Quintillian; Declamationes maiores, 6:9
http://www.thelatinlibrary.com/quintilian/quintilian.decl.mai6.shtml

(48) The Wars of the Jews, 4:317 «Nay, they proceeded to that degree of impiety, as to cast away their dead bodies without burial, although the Jews used to take so much care of the burial of men, that they took down those that were condemned and crucified, and buried them before the going down of the sun.»
https://lexundria.com/j_bj/4.317/wst

وكان الاعتقاد الشائع أن المذنب يحمل صليبه بنفسه ويجره إلى مكان الصلب (كما في شهادة أناجيل لوقا ويوحنا المشهورة). ولكن تبين أن هذه الرواية لا تصمد أمام التحقيق التاريخي والوثائق ولا أمام التحليل المنطقي للأمور. فإذا أخذنا رواية صلب المسيح هذه نرى أن الرواية لا تقول لنا أين ابتدأ حمل الصليب بالضبط ولكننا نستنتج منها أن ذلك جرى في مدينة «القدس» وبالتالي فإن عيسى حمل صليبًا طوله حوالى ثلاثة أمتار وعرض خشبته الرئيسة حوالى المترين وسار به في شوارع القدس الضيقة..وبحسب التقاليد فإن الصليب كان من خشب الأرز أو من أخشاب سنديان آسيا الوسطى (فهي وحدها تستطيع تأمين خشبة بهذا الطول)، ما يعني أن وزنه لم يكن يقل عن المئة كيلوغرام؛ فلا يمكن تصور المسيح يجره بعد أن جرى تعذيبه لساعات بالجلد القاسي وعلى مسافة عدة مئات من الأمتار كما في الرواية. وبحسب هنغل فإن روايات أخرى عن تلك الفترة التاريخية تفيد أن المذنب كان يجر فقط خشبة الصلب العرضية patibulum (وهي المقصودة بكلمة صليب crux اللاتينية) والتي يبلغ وزنها وحدها حوالى 22 كيلوغرامًا. كما يشير هنغل إلى أن عملية دق المسامير في أيدي وأرجل المصلوب كان لا بد أن تتم والصليب على الأرض ثم أن يجري حفر حفرة تصل إلى حدود المتر عمقًا لحمل صليب طوله 3 إلى 4 أمتار، وبالتالي فإنه من المستحيل رفع هذا الصليب لاحقًا والمصلوب عليه ثم إنزاله في الحفرة، ناهيك عن عملية إعادة سحبه من موضعه فيما بعد لاستخدامه مرة أخرى.

أما من حيث كيفية وقوع الوفاة على الصليب فإن جيرارد مساديه يقول إن الظن الشائع بأن دق المسامير في اليدين والرجلين كاف لوحده لإحداث الوفاة هو وهم خاطئ؛ وهو تحدث مع عشرات الأطباء وراجع عشرات المقالات المتعلقة بالعمليات الطبية العسكرية الفرنسية أيام الاستعمار في الهند الصينية أو الجزائر حيث رأى أنه كان هناك إصابات

وجروح وعمليات بتر أعضاء أصعب وأعنف من تلك الناجمة عن المسامير. وينقل أندره سوبيران بأن جرّاح نابليون الحربي كان يقوم بإجراء عمليات جراحية ميدانية قاسية من دون تخدير[49]. ثم ينقل مساديه خبرًا من الصحافة العالمية مرفقًا بالصور (1988) يتعلق برجل مكسيكي كان يقوم بصلب نفسه ويدق المسامير في يديه وكان يبقى معلقًا على الصليب حوالى ساعتين... وكان يكرر هذه العملية في فصح كل عام ولأكثر من 34 سنة[50].

5- عن مريم والنساء في الأناجيل

من المفيد التذكير أولًا بأن المرأة في المجتمع اليهودي القديم كان مكانها المنزل لا تبارحه ولا تختلط بالرجال بل لا تكلمهم ولا يكلمونها إلا من خلف حجاب.

في الشريعة اليهودية توجد أوامر ونواهٍ تتعلق بموضوع اللباس الذي لا يوافق أحكام التوراة. جاء في سفر التثنية 22:5 (يُحْظَرُ عَلَى الْمَرْأَةِ ارْتِدَاءُ ثِيَابِ الرِّجَالِ، كَمَا يُحْظَرُ عَلَى الرَّجُلِ ارْتِدَاءُ ثِيَابِ النِّسَاءِ، لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ يُصْبِحُ مَكْرُوهًا لَدَى الرَّبِّ إِلَهِكُمْ). وفي قصة آدم وحواء بعد أكلهما من الشجرة المحرمة، ورد في سفر التكوين 3:7 (فَانْفَتَحَتْ لِلْحَالِ أَعْيُنُهُمَا، وَأَدْرَكَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ، فَخَاطَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ مِنْ أَوْرَاقِ التِّين).

وفي نفس السفر أيضًا 3:21 (وَكَسَا الرَّبُّ الإله آدَمَ وَزَوْجَتَهُ رِدَاءَيْنِ مِنْ جِلْدٍ صَنَعَهَا لَهُمَ).

(49) نقلًا عن مساديه، المرجع نفسه، ص 83

(50) المرجع السابق نفسه

وقال في سفر الأمثال 7:10 (فَإِذَا بِامْرَأَةٍ تَسْتَقْبِلُهُ فِي زِيِّ زَانِيَةٍ وَقَلْبٍ مُخَادِعٍ). ما يبرز أن الزانية تكون مكشوفة مقارنة بغيرها من المحجبات. وحكاية عن المرأة الفاضلة نقرأ في سفر الأمثال الإصحاح 31: 10مَنْ يَعْثُرُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْفَاضِلَةِ؟ إِنَّ قِيمَتَهَا تَفُوقُ اللآلئ. 11بِهَا يَثِقُ قَلْبُ زَوْجِهَا فَلاَ يَحْتَاجُ إلى مَا هُوَ نَفِيسٌ. 12تُسْبِغُ عَلَيْهِ الْخَيْرَ دُونَ الشَّرِّ كُلَّ أَيَّام حَيَاتِهَا. 13تَلْتَمِسُ صُوفًا وَكَتَّانًا وَتَشْتَغِلُ بِيَدَيْنِ رَاضِيَتَيْنِ، 14فتَكُونُ كَسُفُنِ التَّاجِرِ الَّتِي تَجْلِبُ طَعَامَهَا مِنْ بِلاَدٍ نَائِيَةٍ. 15تَنْهَضُ وَاللَّيْلُ مَا بَرِحَ مُخَيِّمًا، لِتُعِدَّ طَعَامًا لأَهْلِ بَيْتِهَا، وَتُدَبِّرَ أَعْمَالَ جَوَارِيهَا 16تَتَفَحَّصُ حَقْلاً وَتَشْتَرِيهِ، وَمِنْ مَكْسَبِ يَدَيْهَا تَغرِسُ كَرْمًا 17تُنَطِّقُ حَقَوَيْهَا بِالْقُوَّةِ وَتُشَدِّدُ ذِرَاعَيْهَا. 18وَتُدْرِكُ أَنَّ تِجَارَتَهَا رَابِحَةٌ، وَلاَ يَنْطَفِيءُ سِرَاجُهَا فِي اللَّيْلِ. 19تَقْبِضُ بِيَدَيْهَا عَلَى الْمِغْزَلِ وَتُمْسِكُ كَفَّاهَا بِالْفَلْكَةِ. 20تَبْسُطُ كَفَّيْهَا لِلْفَقِيرِ وَتَمُدُّ يَدَيْهَا لإِغَاثَةِ الْبَائِسِ. 21لاَ تَخْشَى عَلَى أَهْلِ بَيْتِهَا مِنَ الثَّلْجِ، لأَنَّ جَمِيعَهُمْ يَرْتَدُونَ الْحُلَلَ الْقِرْمِزِيَّةَ. 22تَصْنَعُ لِنَفْسِهَا أَغْطِيَةً مُوَشَّاةً، وَثِيَابُهَا مُحَاكَةٌ مِنْ كَتَّانٍ وَأُرْجُوَانٍ. 23زَوْجُهَا مَعْرُوفٌ فِي مَجَالِسِ بَوَّابَاتِ الْمَدِينَةِ، حَيْثُ يَجْلِسُ بَيْنَ وُجَهَاءِ الْبِلاَدِ. 24تَصْنَعُ أَقْمِصَةً كَتَّانِيَّةً وَتَبِيعُهَا، وَتُزَوِّدُ التَّاجِرَ الْكَنْعَانِيَّ بِمَنَاطِقَ. 25كِسَاؤُهَا الْعِزَّةُ وَالشَّرَفُ، وَتَبْتَهِجُ بِالأَيَّامِ الْمُقْبِلَةِ. 26يَنْطِقُ فَمُهَا بِالْحِكْمَةِ، وَفِي لِسَانِهَا سُنَّةُ الْمَعْرُوفِ. 27تَرْعَى بِعِنَايَةٍ شُؤُونَ أَهْلِ بَيْتِهَا، وَلاَ تَأْكُلُ خُبْزَ الْكَسَلِ. 28يَقُومُ أَبْنَاؤُهَا وَيَغْبطُونَهَا، وَيُطْرِيهَا زَوْجُهَا أيضًا قَائِلًا: 29«نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ قُمْنَ بِأَعْمَالٍ جَلِيلَةٍ، وَلَكِنَّكِ تَفَوَّقْتِ عَلَيْهِنَّ جَمِيعًا». 30الْحُسْنُ غِشٌّ وَالْجَمَالُ بَاطِلٌ، أَمَّا الْمَرْأَةُ الْمُتَّقِيَّةُ الرَّبَّ فَهِيَ الَّتِي تُمْدَحُ. 31أَعْطُوهَا مِنْ ثَمَرِ يَدَيْهَا، وَلْتَكُنْ أَعْمَالُهَا مَصْدَرَ الثَّنَاءِ عَلَيْهَا.

ومن الأدلة على فرض الحجاب في الديانة اليهودية ما جاء في الإصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين: 64 وَرَفَعَتْ رِفْقَةُ كَذَلِكَ

عَيْنَيْهَا وَرَأَتْ إِسْحق فَتَرَجَّلَتْ عَنِ الْجَمَلِ، 65 وَسَأَلَتِ الْعَبْدَ: «مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الْمَاشِي فِي الْحَقْلِ لِلِقَائِنا؟» فَقَالَ الْعَبْدُ: «هُوَ سَيِّدِي». فَتَنَاوَلَتِ الْحِجَابَ وَتَغَطَّتْ.

وفي النشيد الخامس من نشيد الأنشاد (نشيد الأناشيد لسليمان) تقول المرأة (المحبوبة): 7 قُلْ لِي يَامَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي، أَيْنَ تَرْعَى قُطْعَانَكَ وَأَيْنَ تُرْبِضُ بِهَا عِنْدَ الظَّهِيرَةِ؟ فَلِمَاذَا أَكُونُ كَامْرَأَةٍ مُقَنَّعَةٍ، أَتَجَوَّلُ بِجُوَارِ قُطْعَانِ أَصْحَابِكَ؟

وفي الإصحاح الثالث من سفر إشعياء: 16 وَيَقُولُ الرَّبُّ: «لأَنَّ بَنَاتِ صِهْيَوْنَ مُتَغَطْرِسَاتٌ، يَمْشِينَ بِأَعْنَاقٍ مَمْدُودَةٍ غَامِزَاتٍ بِعُيُونِهِنَّ، مُتَخَطِّرَاتٍ فِي سَيْرِهِنَّ، مُجَلْجِلاَتٍ بِخَلاَخِيلِ أَقْدَامِهِنَّ. 17 سَيُصِيبُهُنَّ الرَّبُّ بِالصَّلَعِ، وَيُعَرِّي عَوْرَاتِهِنَّ». 18 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَنْزِعُ الرَّبُّ زِينَةَ الْخَلاَخِيلِ، وَعِصَابَاتِ رُؤُوسِهِنَّ وَالأَهِلَّةَ، 19 وَالأَقْرَاطَ وَالأَسَاوِرَ وَالْبَرَاقِعَ، 20 والْعَصَائِبَ وَالسَّلاَسِلَ وَالأَحْزِمَةَ، وَآنِيَةَ الطِّيبِ وَالتَّعَاوِيذَ 21 وَالْخَوَاتِمَ وَخَزَائِمَ الأَنْفِ، 22 والثِّيَابَ الْمُزَخْرَفَةَ وَالْعِبَاءَاتِ وَالْمَعَاطِفَ وَالأَكْيَاسَ 23 وَالْمَرَايَا وَالأَرْدِيَةَ الكَتَّانِيَّةَ، وَالْعَصَائِبَ الْمُزَيَّنَةَ وَأَغْطِيَةَ الرُّؤُوسِ.

وفي الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أيضًا: 11 فَقَالَ يَهُوذَا لِثَامَارَ كَنَّتِهِ: «امْكُثِي أَرْمَلَةً فِي بَيْتِ أَبِيكِ رَيْثَمَا يَكْبُرُ شِيلَةُ ابْنِي». لأَنَّهُ قَالَ: «لِئَلاَّ يَمُوتَ شِيلَةُ أَيْضًا كَمَا مَاتَ أَخَوَاهُ». فَمَضَتْ ثَامَارُ وَمَكَثَتْ فِي بَيْتِ أَبِيهَا. 12 وَبَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ مَاتَتْ زَوْجَةُ يَهُوذَا ابْنَةُ شُوعٍ. وَإِذْ تَعَزَّى يَهُوذَا بَعْدَهَا انْطَلَقَ إِلَى جُزَّازِ غَنَمِهِ فِي تِمْنَةَ بِرِفْقَةِ حِيرَةَ صَاحِبِهِ الْعَدُلاَمِيِّ. 13 فَقِيلَ لِثَامَارَ: «هُوَذَا حَمُوكِ قَادِمٌ لِتِمْنَةَ لِجَزِّ غَنَمِهِ». 14 فَنَزَعَتْ عَنْهَا ثِيَابَ تَرَمُّلِهَا، وَتَبَرْقَعَتْ وَتَلَفَّعَتْ وَجَلَسَتْ عِنْدَ مَدْخَلِ عَيْنَايِمَ الَّتِي عَلَى

طَرِيقِ تِمْنَةَ، لأَنَّهَا عَرَفَتْ أَنَّ شِيلَةَ قَدْ كَبُرَ وَأَنَّهَا لَنْ تُزَفَّ إِلَيْهِ. 15 فَعِنْدَمَا رَآهَا يَهُوذَا ظَنَّهَا زَانِيَةً لأَنَّهَا كَانَتْ تُغَطِّي وَجْهَهَا.

وقد انتقل الموقف اليهودي القديم من المرأة إلى تعاليم بولس الذي كان من اليهود الرومان وكان من الفريسيين أيضًا.

يقول بولس: «لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذونًا لهن في الكلام، بل أمرن أن يخضعن للطاعة، هكذا تأمر الشريعة، فإن أردن أن يتعلمن شيئًا ليسألن رجالهن في المنزل، لأنه من المعيب للمرأة أن تتكلم في الكنيسة»، (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس 14: 34) وكتب أيضًا: «لا أسمح للمرأة أن تعلم ولا أن تغتصب السلطة، ولا تتسلط، وعليها أن تبقى صامتة، لأَنَّ آدَمَ كُوِّنَ أولا، ثُمَّ حَوَّاءُ، وَلَمْ يَكُنْ آدَمُ هُوَ الَّذِي انْخَدَعَ بَلِ الْمَرْأَةُ انْخَدَعَتْ، فَوَقَعَتْ فِي الْمَعْصِيَةِ»، (الرسالة الأولى إلى تيموثاوس 2: 12–14). وقال في رسالته الأولى إلى كورنثوس (11: 7–9): «الرَّجُلَ عَلَيْهِ أَلاَّ يُغَطِّيَ رَأْسَهُ، بِاعْتِبَارِهِ صُورَةَ اللهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ. فَإِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُؤْخَذْ مِنَ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ أُخِذَتْ مِنَ الرَّجُلِ؛ وَالرَّجُلُ لَمْ يُوجَدْ لأَجْلِ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ وُجِدَتْ لأَجْلِ الرَّجُلِ». وفيها أيضًا: 11: 3–19 «أريد أن تعلموا أن: رأس كل رجل هو المسيح. وأما رأس المرأة فهو الرجل. ورأس المسيح هو الله... كل امرأة تصلي أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شيىء واحد بعينه. إذ المرأة إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها... الرجل ليس من المرأة، بل المرأة من الرجل ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة، بل المرأة من أجل الرجل».. ويتحدث بولس في الرسالة إلى تيطس (2: 5) عن واجبات النساء قائلًا: (مُتَعَقِّلاَتٍ، عَفِيفَاتٍ، مُلاَزِمَاتٍ بُيُوتَهُنَّ، صَالِحَاتٍ، خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ، لِكَيْ لاَ يُجَدَّفَ عَلَى كَلِمَةِ الله)

وبرغم كل ذلك فإننا نرى في الأناجيل عددًا من النساء يشتركن في رحلات عيسى عبر فلسطين ويتنقلن معه ومع تلاميذه عبر البلاد. وقد حار التلامذة كثيرًا أمام هذه الظاهرة. ولكن حيرتهم الأكبر كانت حيال كيفية تعامل السيد المسيح مع النساء الحواريات من حوله. وتبرز هذه المسألة بوضوح إذا أخذنا بعض النسوة كمثال. ففي هذه الأناجيل القانونية نجد أن أربع من النساء اسمهن مريم...

نساء الأناجيل حاملات اسم مريم

بعض علماء العهد الجديد يقارنون بين النصوص الواردة في (يوحنا 19: 25) و(متى 27: 56) و(مرقس 15: 40)، والتي تذكر أسماء لعدة نساء، فينسبون شخصية مريم أم يعقوب الصغير ويوسف في إنجيلي مرقس ومتى إلى مريم زوجة كلوبا التي ذكرت في نص إنجيل يوحنا. ويتكرر اسم مريم المجدلية في النصوص الثلاثة، فيبقى اسم صالومي في إنجيل مرقس وينسبونها إلى «أم ابني زبدي» التي ذكرت في إنجيل متى، وأخيرًا ينسبون صالومي إلى «أخت أمه مريم» التي ذكرت في إنجيل يوحنا. فاستنادًا إلى المقاربة الأخيرة يعتقدون بأن إنجيل يوحنا كان يتكلم عن أربع نساء، فإذا كان هذا الافتراض الأخير هو الصحيح فإن صالومي أم يعقوب ويوحنا ستكون شقيقة مريم العذراء وعليه فإن يعقوب ويوحنا سيكونان أولاد خالة يسوع وهذا الأمر قد يفسر العلاقة المميزة بينهم، حيث نجد في (متى 20: 20 – 23) أن صالومي تقدمت إلى يسوع وطلبت منه أن يجلس ولديها واحدًا عن يمينه والآخر عن يساره في مملكته. وعند الصليب عهد يسوع بأمه مريم إلى ابن أختها – الافتراضي – يوحنا بن زبدي، ولكن في نهاية الأمر لا يسعنا التأكد من حقيقة هذه القرابة – إن وجدت – بين يسوع وبين الأخوين يعقوب ويوحنا لأن غاية تلك النصوص كانت الحديث عن وجود شهود على عملية الصلب والدفن وليس الحديث عن قرابات أو علاقات عائلية.

في إنجيل متى هناك أولًا مريم المسماة المجدلية، وهو لا يسميها في حادثة قارورة الطيب[51] في حين أنه يذكرها باسمها إلى جانب مريم (أم يعقوب ويوسي) ومريم (أم ابني زبدي) في حادثة الصلب[52]. ثم يذكر مريم المجدلية هذه عند قبر المسيح بعد الصلب إلى جانب واحدة يسميها مريم الأخرى[53] ثم يعود فيذكر اسمها عند القبر مع مريم الأخرى (هذه المجهولة)[54]. وقد ظهر المسيح لهما (مريم المجدلية ومريم الأخرى) بعد خروجه من القبر وأمرهما بالذهاب لإبلاغ تلاميذه بأنه حي وأنه سيلاقيهم في الجليل[55].

وفي إنجيل مرقس نجده أيضًا لا يسميها في حادثة العطور أو الطيب[56]. وفي حادثة الصلب يذكر وجود مريم المجدلية ومريم، أم يعقوب الصغير ويوسف، وصالومي، من بين نساء كن ينظرن من بعيد[57]. ويذكر مريم المجدلية ومريم أم يوسي كشهود عند وضعه في القبر[58] ويضيف اليهما صالومي في مجيئهن فجر الأحد إلى القبر[59] وأنه ظهر لمريم المجدلية وحدها بعد خروجه من القبر[60].

---

(51) تقدمت اليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن فسكبته على رأسه (الإصحاح 26: 6-13).

(52) وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن تبعن يسوع من الجليل وكن يخدمنه، وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسي وأم ابني زبدي. (الإصحاح 27: 55-56).

(53) وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر (الإصحاح 27: 61).

(54) وبعد السبت عند فجر أول الاسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر. (الإصحاح 28: 1).

(55) إنجيل متى، 28: 2-10

(56) إنجيل مرقس، 14: 3-9

(57) إنجيل مرقس، 15: 40-41

(58) إنجيل مرقس، 15: 47

(59) إنجيل مرقس، 16: 1-8

(60) إنجيل مرقس، 16: 9-10

وفي إنجيل لوقا نفس الإنكار لاسم تلك التي سكبت الطيب وإنما وصف لها بأنها «كانت خاطئة»[61] ولكننا هنا نجد حوارًا ورواية كاملة حول هذه المرأة التي يعود لوقا فيسميها مريم المجدلية من بين النساء اللواتي «اتبعن عيسى ومنهن يونا زوجة خوزي وكيل هيرودوتس»، وسوسنة، «وأخر كثيرات»[62].

ويذكر لوقا أيضًا مريم وأختها مرثا وهما استقبلتاه في بيتهما «في قرية»[63] (لا يسمي القرية ولكننا هنا أمام مريم أخرى).. وعند الصلب وبعده يذكر لوقا وجود نساء «كن أتين معه من الجليل»[64]... أما ظهور المسيح بعد القبر فشهوده «مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن»[65].

في إنجيل يوحنا نفهم منذ البداية أن مريم ومرثا هما أختا لعازر من بيت عنيا[66] وأن مريم هذه هي التي سكبت الطيب على رأس المسيح ومسحت رجليه بشعرها[67]. وعند الصلب «كانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية... فلما رأى يسوع أمه...»[68]، فهنا نرى يوحنا لا يسمي أم يسوع مريم وانما يجعل مريم اسم أختها زوجة كلوبا... فنحن هنا أمام 3 مريمات حضرن عملية الصلب.. ثم يترك يوحنا مريم المجدلية وحدها عند القبر كما في ظهور السيد المسيح لها وحدها أيضًا[69].

(61) إنجيل لوقا، 7: 37–50
(62) إنجيل لوقا، 8: 2–3
(63) إنجيل لوقا، 10: 38–42
(64) إنجيل لوقا، 23: 55
(65) إنجيل لوقا، 24: 10
(66) إنجيل يوحنا، 11: 1–6
(67) إنجيل يوحنا، ا12: 1–8
(68) إنجيل يوحنا، 29: 26–25
(69) ي إنجيل وحنا، 20: 1–8

وكما نرى فإن الأسماء المذكورة في الأناجيل قليلة ولكن المثير فيها هو كثرة ترداد اسم مريم المجدلية أشهر من تبع السيد المسيح والتي كانت عملية سكبها للعطور على رأس المسيح ودهنه بها مصدر إزعاج التلاميذ حتى بدا وكأن يهوذا الإسخريوطي قام بخيانة سيده ومعلمه بسبب هذه الحادثة الجريئة[70] التي كانت بطلتها من وصفها الإنجيليون بالمرأة الخاطئة[71] التي عبّرت علنًا (وبممارسات رآها الإنجيليون فاضحة) عن حبها للمسيح حين سكبت على رأسه ودهنت جسده بعطور تبلغ قيمتها عشرة أضعاف[72] ما قبضه يهوذا على خيانته. وقد شاعت قصص وأساطير كثيرة حول مريم المجدلية هذه حتى قيل إنها كانت زوجة عيسى ومحبوبته وقد أنجبت منه لاحقًا بحسب روايات «الكأس المقدسة» أو صلة الدم المقدسة[73] التي انتشرت في أوروبا في القرون الوسطى ثم عادت إلى الظهور والانتشار في هذا القرن من خلال كتابات وأفلام كثيرة...

كما أننا لم نتوصل إلى فهم حقيقة بقية النساء المسميات أيضًا مريم.

---

(70) حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر الذي يدعى يهوذا الإسخريوطي الى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه اليكم. فجعلوا له ثلاثين من الفضة» (إنجيل متى، 26: 14-15).

(71) إنجيل لوقا، 7: 37

(72) أكثر من ثلاثمائة دينار بحسب مرقس، الإصحاح 14: 5

(73) ينظر في هذا الصدد كتاب الثلاثي مايكل باينيه وريتشارد لاي وهنري لنكولن المعنون: الدم المقدس والكأس المقدسة

Baigent, Michael; Leigh, Richard; Lincoln, Henry *(1982). The Holy Blood and the Holy Grail. London: Jonathan Cape*

يضع المؤلفون في هذا الكتاب فرضية زواج عيسى (التاريخي) من مريم المجدلية وأنه كان لهما عدة أطفال وهؤلاء الأطفال هاجروا (هم أو نسلهم) إلى ما هو اليوم جنوب فرنسا حيث اشتهروا وتصاهروا مع العائلات النبيلة ومنهم جاءت الأسرة الميروفنجية التي كانت تدعي دومًا أحقيتها المقدسة بعرش فرنسا. ولعل هذه الحكاية خلدتها رواية دان براون الشهيرة «شيفرة دافنشي». انظر: Brown, Dan *(2003). The Da Vinci Code. Doubleday.*

فواحدة منهن هي أم ابني زبدي أي يعقوب ويوحنا (إنجيل متى). والثانية هي تارة مريم أم يعقوب ويوسف (إنجيل متى) وتارة هي أم يعقوب الصغير ويوسف (إنجيل مرقس)؛ وتارة أخرى وعند مرقس نفسه هي أم يوسف فقط وعند لوقا هي أم يعقوب فقط، من دون أن نعرف إن كان المقصود هو يعقوب الصغير أم يعقوب ابن زبدي.

وهناك نقطة غريبة تتعلق بيعقوب الذي يسميه مرقس يعقوب الصغير لتمييزه عن يعقوب ابن زبدي؛ ذلك أن متى يقول عنه إنه ابن حلفى وإنه ليس له أخ من بين الحواريين غير لاوي- متى الذي يكون بالتالي ابن حلفى إذن. ولا شيء يدعو للظن بأن هذا الأخير (متى- لاوي) حمل اسمًا ثالثًا هو يوسف. ومريم أم يعقوب الصغير لا يمكن أن تكون هي أيضًا أم يوسف الذي لا نراه يظهر في أي مكان آخر من الأناجيل... إلا إذا نظرنا إلى رواية أخرى نجد فيها أن مريم كانت بمثابة أم لأولاد يوسف النجار الذين هم «أخوة يسوع المسيح» كما يرد حرفيًا في إنجيل متى، وفي إنجيل مرقس. وكما سبق ورأينا فإن يوسف كان عنده ابناء حين تزوج من مريم... وحين جاء بها إلى منزله «وجدت يعقوب الصغير الذي كان محبطًا وحزينًا بسبب فقدان أمه. وهوذا السبب الذي دعيت من أجله مريم أُم يعقوب»[74]... فهنا نجد أن مريم أم يعقوب هي نفسها مريم أم يسوع...

وكما سبق ورأينا فإن الأناجيل القانونية تتحدث في عدة مواضع عن «أخوة المسيح».وفي إنجيل توما المخفي (أبوكريفا)[75] أن يوسف

(74) قصة يوسف النجار، المرجع السابق، الفصل الثالث..

(75) والمعروف باسم «إنجيل الطفولة» بحسب المخطوط السرياني الذي يعود إلى القرن الثاني. وقد اضاف عليه المخطوط اليوناني: «بقلم توما فيلسوف اسرائيل»، ومن هنا تسميته أحيانًا بإنجيل توما الاسرائيلي تمييزًا له عن الإنجيل الأبوكريفي الآخر المسمى «إنجيل توما الغنوصي».

النجار أرسل ابنه يعقوب «ليحزم حطبًا ويحمله إلى البيت ورافقه الطفل يسوع».

في إنجيل الطفولة العربي[76] (الذي يجعل مريم شخصيته الرئيسية) نجد الطفل يسوع يشفي من المرض الملعون عدة نساء: «ثم قدما (مريم ويوسف) إلى مدينة أخرى حيث امرأة شيطانية كانت حين تذهب لاستقاء الماء خلال الليل تستحوذ عليها الروح العاصية والنجسة. ولم تكن تستطيع احتمال أي لباس ولا سكنى أي منزل. وفي كل المرات التي كانوا يوثقونها بقيود أو بسلاسل كانت تحطمها وتهرب عارية إلى الأمكنة القفر وكانت تقف على الطرق وقرب القبور وتلاحق بالحجارة من تصادفهم. ورأتها مريم فأدركتها الرحمة، وعلى الفور فارق الشيطان تلك المرأة». وفي مدينة أخرى كان هناك امرأة بكماء... وما أن حملت الطفل يسوع «على الفور تحطم الوثاق الذي كان يلجم لسانها وانفتحت أذناها». وفي مدينة ثالثة كان هناك «امرأة نبيلة تلبسها الشيطان»، وما أن لمست تلك المرأة الطفل يسوع حتى فارقها الشيطان وهرب». وقد غسلت تلك المرأة النبيلة جسد الطفل يسوع بماء عطر (لاحظ أننا هنا أمام رواية أخرى مختلفة عن حادثة العطور تجعل مسرحها مصر وبطلتها سيدة نبيلة ثرية ويسوع كان لا يزال طفلًا). ثم إن «صبية جسدها مكسو برصًا أبيض اغتسلت بذلك الماء وشفيت حالًا». وقد ألحت بعد ذلك على مريم ويوسف بأن ترافق العائلة فسمحا لها. وهذه الصبية روت لاحقًا لزوجة أمير كبير كيف شفيت من البرص ثم ساعدتها على «إقامة وليمة رائعة ليوسف ومريم في بيتها دعت إليها جمعًا غفيرًا وفي الغد

(76) وهو إنجيل مخفي يسمى «حياة يسوع بالعربية»، وهو يستند في القسم الأول إلى إنجيل آخر مخفي اسمه «إنجيل يعقوب البدئي» وفي جزئه الأخير إلى «إنجيل توما القانوني». وقد كتب في الأصل بالسريانية وتدور قصصه على الطفل يسوه وأمه مريم أثناء وجود العائلة في مصر.

تناولت ماءً عطرًا لتغسل يسوع وغسلت بالماء نفسه ابنها الذي شفي على الفور من البرص». وفي مدينة أخرى واجهت العائلة «مأساة ثلاث نسوة» قلن لمريم بأن «نسوة تسيطر عليهن روح الحسد رمين شقيقهن الوحيد بسحر... فاستحال بغلًا». وما أن قالت مريم «واأسفاه يا ابني... اشف هذا البغل بتأثير سلطانك العظيم واجعل هذا الرجل يستعيد العقل الذي حرمه... فللحال استرد البغل على الفور الشكل البشري وظهر بقسمات شاب جميل». وقد عقدت النسوة الثلاث عرسًا لشقيقهن حضره يوسف ومريم ويسوع في تفصيل يشبه ما نقرأه في الأناجيل القانونية عن عرس قانا في الجليل.

ويواصل الإنجيل رواية أعمال الشفاء التي قام بها الطفل وأمه للعديد من النساء... ولكنه ينتقل هذه المرة إلى بيت لحم التي يقول إنه «ظهرت فيها أمراض خطيرة وصعبة الشفاء كانت تضرب عيون الأطفال ويموت بها كثيرون»...فشفت مريم عدة أطفال بماء اغتسال الطفل يسوع...ثم عادت الرواية إلى حديث النساء المضطربات.. فمن امرأة لفت جسد ابنها المريض بقماط الطفل يسوع فشفي ابنها للحال ومات ابن غريمتها (ضرتها)... إلى قيام المرأة الغيورة بإلقاء طفل المرأة الأولى في البئر وإنقاذ مريم له ثم وقوع الغيورة في البئر نفسه (إذ تم فيها قول الحكيم «حفروا بئرًا ورموا التراب إلى فوق، ولكنهم وقعوا في الحفرة التي حفروها»)[77]... إلى شفاء برصاء أخرى... فشفاء أميرة كانت مريضة بالبرص أيضًا (ما يدل على كثرة هذا المرض أيضًا في أيام عيسى إلى جانب رمد العيون)... إلى شفاء صبية يعذبها الشيطان (الهستيريا مرة أخرى)... وفي بيت لحم يشفي عيسى بعض من سيصير من تلامذته

(77) وهذا مصداق لما في المزمور السابع:16، والمزمور 57: 6 (الكتاب المقدس، العهد القديم).

مثل برثولماوس الذي كان على شفا موت محقق، ويهوذا الإسخريوطي الذي كان يسكنه شيطان... إلى يعقوب ابن يوسف النجار... ثم ابن حنون الذي كان متيبسًا... إلخ. وفي «إنجيل مولد مريم وميلاد المخلّص»[78] نجد النخلة وسعفها العالية تنحني لمريم لكي تقطف منها ثمارها[79]... كما نجد أن الطفل الذي يشفيه يسوع من التيبس هو ابن حنانيا كاهن الهيكل.

موت مريم في الأناجيل

في «قصة نياح مريم»[80] أن مريم كانت تصلي كل يوم عند القبر وتطلب من يسوع أن ينقلها من هذا العالم «يا ربي أبعدني عن هذا العالم الشرير...». واتفق الحراس مع الكهنة بأنه متى أتت مريم للصلاة يسلمها الحراس للكهنة... ولما أتت مريم نهار الجمعة إلى الصلاة رأت السموات مفتوحة، وظهر لها الملاك جبرائيل ليخبرها أن يسوع (استجاب طلبك وأرسلني لأبشرك بأنك سوف تختطفين من هذا العالم...). وإذ علم الكهنة بأن مريم جاءت لتصلي، ذهبوا إلى الحاكم طيباريوس طالبين إليه أن يمنعها من ذلك. في هذه الأثناء وصلت رسالة من ملك الرها أبجر إلى الملك طيباريوس ومفادها أن أبجر آمن بيسوع

---

(78) المعروف باسم «إنجيل متى المنحول أو الأبوكريفي» وهو موجود بنسخة لاتينية فقط. وهو غير إنجيل توما الغنوصي المعروف باسم «الكلمات الخفية ليسوع المسيح» المكتوب بالقبطية في القرن الثاني ميلادي والذي اكتشف في نجع حمادي بمصر عام 1946.

(79) في القرآن: «وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا» (سورة مريم، الآية الرابعة).

(80) القصة منسوبة إلى «القديس» يوحنا اللاهوتي أو الإنجيلي والمسمى أيضًا ابن زبدي... وقد وجدت باللغات السريانية، اليونانية، العربية، الحبشية، اللاتينية، الجيورجية، الأرمنية والسلافية. زاد في تأثير هذه القصة على الشرق والغرب أن العهد الجديد لا يذكر نهاية مريم، كما أنها القصة الوحيدة التي يُستند إليها في القراءة الليتورجية وفي العقيدة التي تقول بصعود منفصل للروح والجسد.

المسيح وغضب جدًا لما فعل اليهود به، وأنه عزم على مقاتلة اليهود إلا أنه رأى أن يكتب أولًا إلى الملك طيباريوس لئلا تستعر الحرب بينهما... كما طلب إليه أن يحاكم المذنبين. ولما قرأ طيباريوس الرسالة غضب كثيرًا وفكر في إهلاك اليهود. علم سكان أورشليم بأمر الرسالة فرجوا طيباريوس ألا يهلك أورشليم، وسألوه أن ينذروا مريم فأمرهم بالتصرف برفق حيالها. ثم ذهب الكهنة إلى مريم ورجوها لئلا تذهب إلى القبر ثانية، أو فلتذهب إلى بيت لحم لئلا يحدث صخب بين الناس. رفضت مريم طلب اليهود فغضبوا كثيرًا ولكنهم عادوا في اليوم التالي مكررين طلبهم، فقبلت مريم وبعد أربعين يومًا جمعت رفيقاتها وأخبرتهن بأمر رحيلها إلى بيت لحم لتسكن هناك».

عذارى يتبعن مريم(81)

«فعرضت ثلاث عذارى ممن يخدمن مريم بأن يذهبن معها، وهؤلاء كن يعاين معجزاتها، وعندما كان الأمر كذلك ظهر الملاك جبرائيل للعذراء مريم ليلًا وقال لها: «لا تخافي من الذهاب إلى بيت لحم وامكثي فيها إلى أن تعاينيي الرب». ولما حل النهار قالت مريم للعذارى: «اخرجن يا بناتي». وكان ذلك يوم العيد الخامس. وصنعت الطوباوية مريم معجزات كثيرة حتى أن بيت لحم كلها صارت تسبحها، وكان يزورها نسوة من كل البلدان، من سوريا، ومصر، والإسكندرية... وكن يقدمن لها الهدايا ويطلبن بركتها وصلواتها. وشفت مريم امرأة بها شيطانان، وابنة ملك الإسكندرية التي كانت مكسوة بالقروح. كما شفت امرأة بها مس شيطاني... وكانت الشياطين تخرج معترفة بقدرة مريم. وكان عمر العذراء تسعة وخمسين عامًا: منذ ولادتها حتى دخولها الهيكل 3 سنوات، وبقيت أحد عشر عامًا وثلاثة أشهر في الهيكل، ثم

(81) بحسب قصة نياح مريم في إنجيل يوحنا الأبوكريفي (يُنظر فيما يلي)

أمضت ثلاثًا وثلاثين سنة مع الرب يسوع عندما كان على الأرض، وبعد صعوده انقضى أحد عشر عامًا. وهكذا مجموعها تسعة وخمسون عامًا».

6- عن مريم المجدلية

يرد ذكر مريم المجدلية 12 مرة في الأناجيل أي أكثر من أي تلميذ آخر من تلاميذ المسيح. في إنجيل يوحنا المكتوب حوالى العام 90-95 تكون المجدلية أول من يرى المسيح بعد «قيامته» من القبر فيكلفها بتنبيه التلاميذ. وقد أضيفت هذه الحادثة إلى إنجيل مرقس في القرن الرابع. وكانت كنيسة روما تعتبر منذ عهد غريغوريوس الأول في القرن السادس أن مريم المجدلية هي نفسها مريم من بيت عنيا وهي نفسها مريم الفاسقة الخاطئة التي تغسل المسيح بالعطور والطيب. ثم تخلت الكنيسة الرومانية عن هذا الوصف بعد قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني (1965) وصارت مريم المجدلية قديسة وعيدها يوم 22 تموز/ يوليو، في حين أن عيد مريم من بيت عنيا وأختها مرثا في 29 تموز/ يوليو. أما الكنيسة الأرثوذكسية ومنذ عهد يوحنا الذهبي الفم فهي تميز بين الشخصيات الثلاث هذه.

وبحسب الشائع في الأدبيات المسيحية فإن اسم المجدلية يرجع إلى كلمة مجدل الأرامية أو مغدال العبرية وتعني البرج. هذا ما كتبه الكثيرون من آباء الكنيسة حيث يرد ذكر مريم المجدلية في مواعظهم باعتبارها البرج أو القلعة الحصينة للإيمان المستقيم[82]. ولكن الكثير من الكتابات المسيحية الرسمية تذكر أن اسم المجدلية نسبة إلى بلدة اسمها المجدلة Magdala التي لا تشير أي مصادر تاريخية إلى وجودها في زمن المسيح وحتى القرن الثاني للميلاد. فلم توجد أي بلدة على

(82) Maddalena Scopello, *Femme, gnose et manichéisme: de l'espace mythique au territoire du réel*, p. 11-12.

ضفاف طبريا بهذا الاسم بحسب العهد القديم. أما في العهد الجديد (الأناجيل) فنرى في إنجيل متى ذكر لمنطقة اسمها بحسب الترجمات الغربية كلها ماغادان Magadan التي تصير في الترجمات العربية المعتمدة «مجدل»[83]. لكن إنجيل مرقس وهو مكتوب قبل إنجيل متى يسمي الموقع المذكور دلمانوثة[84]. ونجد أقدم مصدر يذكر مدينة المجدل في التلمود حيث يرد الاسم «مغدال زابعايا Migdal Zab'ayya» أو «مغدال نونيا Migdal Nunia»[85]. ونص المشنا الذي يتضمن هذا المبحث المسمى بيساشيم (أضاحي الفصح) كتبه الرابي يهودا الناسي حوالى العام 200–220. ويعتبر الباحثون أن مدينة المجدل العربية التي دمرها الصهاينة في عام 1948 هي نفسها مدينة مغدال زابعايا الوارد ذكرها في التلمود وبالتالي فهي مدينة المجدل. وبعض النقاد اعتبر أن اسم مريم المجدلية سببه أنها كانت تملك عدة حصون أو أبراج لقصور. واعتبر غيرهم أن أحد هذه القصور كان قرب مدينة المجدل وأنه بالتالي أصل تسمية المغدال الواردة في التلمود[86].

يتمسك الموروث المسيحي إذن بالقول إن قرية المجدلة تبعد مسيرة يوم عن بحيرة طبريا بحسب الجغرافيا الإنجيلية وقيل إنها قرية المجدل الفلسطينية اليوم على ضفاف طبريا. وبحسب البعض فإنها كانت مدينة غنية تضم حوالى 80 ورشة نسيج للصوف الرفيع. وما يدل على غناها أنها كانت واحدة من 3 مدن فلسطينية كان يتم نقل مساهماتها الدينية السنوية للمعبد في القدس بالعربات الكبيرة. وبحسب التواريخ القديمة

(83) ثُمَّ صَرَفَ الْجُمُوعَ وَصَعِدَ إِلَى السَّفِينَةِ وَجَاءَ إِلَى تُخُومِ مَجْدَلَ. (متى 15: 39)

(84) وَلِلْوَقْتِ دَخَلَ السَّفِينَةَ مَعَ تَلَامِيذِهِ وَجَاءَ إِلَى نَوَاحِي دَلْمَانُوثَةَ.(مرقس 8: 10)

(85) Pesachim 4, 30d & Pesachim 46a., in: Stuart S. Miller, *Sages and Commoners in Late Antique ʽEreẓ Israel*, p. 153.

(86) Simon Claude Mimouni, *Le Judaïsme ancien du VI siècle avant notre ère au III siècle de notre ère*, Paris, 2012, éd. PUF, p. 148.

فإنها كانت مدينة «سهلة وفاسدة» (بمعنى اللهو والفسق)[87].ولا نعلم يقينًا إن كان متى يقصد أن مريم المجدلية كانت خاطئة لأنها من المجدل أم أنها كانت فعلًا فتاة «سهلة» كفتيات المدينة المشهورة. ولكننا نعلم بأنها كانت ثرية ومن الجليل ما سمح لها بأن تصحب بقية الجليليين الذين تبعوا عيسى المسيح. ثم نعلم من لوقا أنها هي المرأة التي طرد عيسى منها سبعة شياطين[88]. ويتفق العلماء المعاصرون على أن ما تسميه الأناجيل شياطين شريرة تسكن أجساد النساء هو مرض الهستيريا وأنه كان شائعًا بين نساء تلك الحقبة في فلسطين[89]. وما فعلته مريم المجدلية أمام الناس حين اقتحمت الحفل عند سمعان وبشكل مسرحي ثم سكبت العطور وراحت تدهن جسد عيسى قبل أن تنهار وهي تجهش بالبكاء (حتى أنها غسلت رجليه بدموعها)، هو دليل على مزاجها المرضي الهستيري[90].

---

(87) Alfred Edersheim: *The Life and Times of Jesus the Messiah*, (2 vols.,1883; condensation in one volume, 1890)., Wm. Edermans, Grand Rapids, Mich., 1979.

مؤلف الكتاب ألفرد إدرشايم (1825–1889) يهودي تنصر وأصبح من المختصين بالدراسات الكتابية واشتهر بكتابه الآنف الذكر.

(88) إنجيل لوقا 8: 2–3

(89) Gerald Messadié: *L'Homme qui devint Dieu: les Sources*; Robert Laffont, Paris 1989; p.117

(90) الهستيريا (الهراع) (Hysteria) هي مرض نفسي عصابي تظهر فيه اضطرابات انفعالية مع خلل في أعصاب الحس والحركة وهي عصاب تحولي تتحول فيه الانفعالات المزمنة إلى أعراض جسمية ليس لها أساس عضوي وهي تحدث عند الفرد الهستيري بهدف الهروب من الصراع النفسي أو من القلق أو من موقف مؤلم من دون أن يدرك هو الدافع لذلك. ومن سمات الشخصية الهستيرية: العاطفية الزائدة، والقابلية الشديدة للإيحاء، والمسايرة، وحب المجاملة والمواساة والانفعالية، وتقلب المزاج، وعدم النضج، وعدم التحكم في الانفعالات، والسذاجة، وسطحية المشاعر، وعدم النضج النفسي الجنسي... وأيضًا التمركز حول الذات، والأنانية، ولفت الأنظار، واستدرار العطف، والاعتزاز بالنفس وحب الظهور، والاستعراض، وعدم الاستقرار، وأيضًا الاعتماد على الآخرين، والتوكل، والانقياد، والشعور بالنقص...والمبالغة والتهويل والاستغراق في الخيال، والسلوك يكون أقرب إلى التمثيل والاستعراض والتكلف والاندفاع وعدم النضج.

فالوصف الكلاسيكي للهستيريا[91] ينطبق على ما حدثتنا به الأناجيل عن مريم المجدلية.

من هنا أيضًا نفهم سبب عدم تسمية متى ومرقس لها في حادثة العطور والطيب... ولكنها ليست كما قد يتوارد إلى الذهن عاهرة أو مومس لأن المومسات لم يكن يتنقلن بحرية في تلك الحقبة ولا كان بإمكانها دخول بيت سمعان ولعلها كانت متحررة ذات عدة أزواج أو عشاق... ولعلها كانت من نوع المختلات عاطفيًا ونفسيًا وجنسيًا...

ومن اللافت أن يوحنا وحده من بين الإنجيليين يجعل المجدلية هي نفسها مريم الأخرى، أي مريم من بيت عنيا شقيقة مرثا ولعازر، وهي نفسها التي سكبت العطور ودهنت رجلي المسيح في منزلهم ببيت عنيا وقبل الفصح بستة أيام[92]. فنحن هنا أمام عائلة غريبة: مريم الهستيرية ولعازار الذي أقامه المسيح من بين الأموات، وهو يوصف في مكان آخر بأنه كان مصابًا بالجُمدة أو التخشب... أما مرثا فقد اشتهرت بشكواها للمسيح بأنها «ترتبك» و«تضطرب» و«لأجل أمور كثيرة» في حين أن أختها «تتركها في المنزل وحدها لتخدم ولا تساعدها»[93]. وهي عائلة يهتم لها عيسى كثيرًا إلى درجة المخاطرة بحياته والذهاب سريعًا إلى قريتهم في «اليهودية» برغم ملاحقة الشرطة له. وفي حادثة إقامة لعازر من بين الموتى نكتشف مجددًا كم كانت العائلة تعني للمسيح وكم كانت هذه العائلة بالمقابل متفانية في خدمته. ولكننا لا نعرف بالضبط سر ارتباط عيسى بهم وارتباطهم به خصوصًا وأن مريم المجدلية كانت عند الصلب ثم كانت وحدها عند القبر وجاءت في اليوم التالي لصلبه لتفتح

(91) Norbert Sillamy: «Dictionnaire de Psychologie», *Larousse*, Paris 2010

(92) إنجيل يوحنا، الإصحاح 11: 6-1 وأيضًا في الإصحاح 12: 8-1

(93) إنجيل لوقا، الإصحاح 10: 42-38

القبر وتدهنه بالطيب والعطور. ثم إن المسيح ظهر لها وحدها من دون غيرها بعد خروجه من القبر... كل هذا يطرح أسئلة كثيرة لا تجيب عليها الأناجيل ما سمح بانتشار القصص والحكايات حول مريم المجدلية وصلتها المزعومة بالمسيح.

ففي إنجيل مريم المجدلية[94] نقرأ صراعًا بين مريم هذه وبقية تلاميذ المسيح وخصوصًا بطرس، كما نقرأ تصعيدًا لمريم المجدلية بحيث اعتبرت من التلاميذ لا بل صاحبة إنجيل هو نفسه إنجيل توما الأصلي:

«وما أن قالت مريم ذلك حتى صمتت.. كما لو أن المخلّص كان يكلّمها حتى ذلك الحين.. وقال أندراوس: «أيها الأخوة، ماذا ترون في هذه الأقوال؟ بالنسبة لي، أنا لا أعتقد بأن المخلص قال هذا الكلام الذي لا يبدو متوافقًا مع فكره».. وقال بطرس: «أكان من أجل أن يسمعه الجميع، أن الرب، وقد سئل هذه الأسئلة، تحدّث إلى امرأة سرًا من دون علمنا؟ إلا إذا كان يريد أن يقول لنا بأنها تستحق تقديره أكثر منا نحن!... المخلّص..».. فقالت مريم لبطرس، وهي تبكي: بطرس يا أخي! بماذا تفكر؟ أتعتقد أن ما أقوله هو مجرد هلوسات مني أنا؟ أو بأنني قد أخون المخلّص؟».. وقال لاوي (وهو متّى كما نعلم) لبطرس: «يا بطرس أنت

(94) وهو أبوكريفي (منحول بحسب الكنيسة ومخفي بحسب ترجمة الكلمة اليونانية) وغنوصي (عرفاني باطني) يعود إلى القرن الثاني، ولم تصلنا منه سوى شذرات بالقبطية وأخرى باليونانية، تعود إلى برديات اكتشفت في مصر عام 1934 وتسمى «برديات إغرتون» وهي اليوم ملك المتحف البريطاني. وهذه البرديات موجودة ضمن مجموعة رايلاندز Rylands Papyri التي تضم آلاف الأوراق البرديات ومنها 500 بردية قبطية وحوالى الألف عربية.. ومن بين الألفي بردية باللغة اليونانية هناك مقاطع وشذرات من أناجيل مخفية مثل إنجيل يوحنا؛ ولكن أشهرها هي البردية رقم 463 والتي تحمل اسم إنجيل مريم...ولا تذكر البردية أهي مريم المجدلية أم مريم أُم يسوع المسيح

دائمًا متأهب للاحتداد، وأنت في هذه اللحظة تناقش هذه المرأة كما لو أنك عدوّها. إذا بدا للمخلص أنها أهلٌ، فمن تكون أنت لتحقّرها؟ وفي كل حال فهو أحبها بالتأكيد إذ رآها. لنخجل بالأحرى ولنُتمِّم ما أُمرنا به، ونحن نحمل رداء الإنسان الكامل، لنبشّر بالإنجيل من دون أن نحذف ولا نضيف شيئًا إلى تعليمه..». وإذ تكلم هكذا... مضى لاوي وأخذ يبشر بالإنجيل بحسب مريم».

7- أساطير حول مريم المجدلية

في القرن الثالث عشر انتشر كتاب بعنوان «الأسطورة الذهبية» لصاحبه جاك دوفوراجين Jacques de Voragine[95] جمع فيه قصصًا وحكايات لحوالى مئة وخمسين من «القديسين» بحسب الأدب الديني للقرون الوسطى. وورد ذكر مريم المجدلية من خلال أسطورة فرنسية قروية تقول إن المجدلية أبحرت مع بعض التلاميذ ووصلت إلى شواطئ فرنسا عند بلدة اسمها اليوم «القديسات مريم على البحر Saintes-Maries-de-la-Mer» وهي قامت بالتبشير في المنطقة وعاشت حتى وفاتها زاهدة ناسكة في مغارة تسمى اليوم مزار البلسم المقدس Sainte-Baume عند تلة البلسم المقدس Massif de la Sainte-Baume وقبرها في بلدة «القديس ماكسيمان عند البلسم المقدس Saint-Maximin-la-Sainte-Baume» يحرسه الرهبان الدومينيكيون وهو يعتبر ثالث أقدس القبور في المسيحية[96].

في كتابهما «الله، الرجل والمرأة» ادعى اللاهوتيان يورغن مولتمان

---

(95) Jacques de Voragine, *La Légende dorée* https://books.google.fr/books?id=Pj5KGsrxYIkC&dq=lpg=PA160#v=onepage&q&f=false)), p. 160-167

(96) Sainte-Baume, sanctuaire des Dominicains (http://saintebaume.dominicains.com/)
La Basilique Sainte Marie Madeleine de St-Maximin (http://www.mariemadeleine.fr/index.php/basilique2.html).

أن عيسى Elisabeth Moltmann وإليزابيث مولتمان Jürgen Moltmann المسيح ومريم المجدلية كانا زوجين «في الروح» ما سمح لهما بالتشديد على معنى المساواة بين الجنسين[97]. وفي أبحاث كثيرة لاهوتية حديثة تأكيد على هذا الزواج كما نراه في تفسيرات اللاهوتي كزافييه ليون دوفور Xavier Léon-Dufour للآية 16 من الإصحاح 20 في أنجيل يوحنا التي تقول فيها مريم لعيسى: قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا مَرْيَمُ» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي!» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ. ولكن دوفور يرى أن استخدام مريم لكلمة ربوني تدل على علاقة حميمة إذ فيها تدليع عاطفي لصديق حميم[98]. وقد رأينا كيف أن الروائي اليوناني نيكوس كازانتساكيس صوّر العلاقة بين عيسى ومريم المجدلية علاقة حب في روايته الشهيرة التي تحولت إلى فيلم سينمائي «الإغواء الأخير للمسيح» (إخراج مارتن سكورسيزي 1988). وقد انتشرت منذ أواخر القرن العشرين كتابات وروايات تركز على هذا الزواج والارتباط وتدعي أن الكنيسة خنقت في المهد بالقوة والإرهاب أي بحث جدي عن الموضوع وأنها حرمته واعتبرت المجدلية فاسقة وخاطئة وذلك تأكيدًا منها على إدانة الجنس والرغبات الجسدية. نذكر خصوصًا هنا كتبًا مثل «اللغز المقدس» و«بوح فرسان المعبد» وصولًا إلى كتاب دان براون الشهير «شيفرة دافنشي» الذي تحول أيضًا إلى فيلم (إخراج رون هاورد 2006). وكلها كتابات

---

(97) Richard Atwood, *Mary Magdalene in the New Testament Gospels and Early Tradition*. Dissertation for the
attainment of the Doctor of Theology Degree from the University of Basel: 1993, p. 147-148.
André-Marie Gérard. *Dictionnaire de la Bible* (avec la collaboration d'Andrée Nordon-Gerard et de François Tollu, P.S.S.), éditions Robert Laffont, coll. «Bouquins», 1989, p. 884.
Suzanne Tunc, *Des femmes aussi suivaient Jésus. Essai d'interprétation de quelques versets des évangiles*, éd. Desclée de Brouwer, 1998, p. 41-42.

(98) Xavier Léon-Dufour, *Lecture de l'Évangile selon Jean*, t. 4, coll. Parole de Dieu, Seuil, Paris 1996, p. 221.

تجعل من مريم المجدلية رمزًا للأنوثة «المقدسة» وأنها هي نفسها «الكأس المقدسة Holy Graal» التي تمثل الأنوثة والإلهة التي اختفت من زماننا وحياتنا لأن الكنيسة ألغتها إذ هي تشكل تهديدًا لسلطتها الذكورية.

من ناحية أخرى زعم المؤرخ ثييري مورسيا[99] أن مريم المجدلية كانت هي نفسها أم المسيح وأورد عدة حجج اهمها أن كلمة مَجْدَلة Magdela تعني البرج أو القلعة بالأرامية في حين أن كلمة مجدِّلة Megaddela تعني المعظمة ذات الجلال، وبالتالي فهي ليست اسم موقع وإنما صفة إجلال تضاف إلى اسمها. وزعم أنه لا يوجد تناقض بين الأناجيل الإزائية وإنجيل يوحنا فالأناجيل الإزائية لا تذكر اسم مريم أم عيسى بين الواقفات قرب الصليب لأن الواقفة واحدة هي نفسها المسماة مريم المجدلية أي مريم أم المسيح. وبالتالي فإن الواقفات قرب الصليب بحسب إنجيل يوحنا لسن 3 أو 4 نساء وإنما 2 فقط تحدث عنهما أولًا ثم سماهما أي على الشكل التالي: «قرب الصليب وقفت أمه (A) وأختها (B) ومريم زوجة كلوباس (B) ومريم المجدلية (A)».

ويقول ثييري مورسيا إن هذا الاعتقاد بكون مريم المجدلية هي أم المسيح قديم وكان موجودًا في الوثائق المسيحية العائدة للقرون الأولى. وبحسب مورسيا فإن «مريم المجدلية الإنجيلية لم تكن أبدًا سيئة السمعة بل على العكس من ذلك اعتبرتها الكتابات المسيحية الأولى عفويًا أم

(99) Thierry Murcia, *Marie appelée la Magdaléenne. Entre Traditions et Histoire. Ier - VIIIe siècle*, Presses universitaires de Provence, Collection Héritage méditerranéen, Aix-en-Provence, 2017 (ouvrage préfacé par le professeur Gilles Dorival, membre honoraire de l›Institut universitaire de France);
Thierry Murcia, Marie-Madeleine: *L'insoupçonnable vérité ou Pourquoi Marie-Madeleine ne peut pas avoir été la femme de Jésus*., (Propos recueillis par Nicolas Koberich), version définitive, Paris, La Vie des Classiques (Les Belles Lettres), 2017
Thierry Murcia, «Thierry Murcia: Marie de Magdala serait-elle la mère de Jésus ?», Connaissance hellenique, série Autour des évangiles, n 141, 28 juin 2015 (lire en ligne (http://ch.hypotheses.org/1278).

المسيح، وهذا يعني أنه من المستبعد أن يكون مجدلة اسم مكان أو مدينة هي موطنها. إنها بالأحرى صفة تعظيمية إجلالية لها تميّزها وتؤكد على سماتها القدسية. وحين جرت ترجمة الأناجيل إلى اليونانية انتقلت كلمة مجدلة אלדגמ العبرية التي معناها «العظيمة والمفعمة بالقداسة» ليصير معناها في القرن الرابع اوعن خطأ، سم مكان. ويمكن تقديم الكثير من الوثائق القديمة التي تؤكد كونها أم يسوع»(100)

المجدلية في التلمود

هناك أمر غريب يرد في التلمود الذي يسمي مريم أم عيسى بأنها مجدلة الشعر أي حلاقة نسائية... وهو أمر ينطبق على مريم المجدلية التي نرى في سلوكها وحياتها بحسب الأناجيل أنها كانت فعلًا تقوم بالاعتناء بشعر النساء. ولعل اسم المجدلية يأتي من هنا وليس من اسم قرية المجدلة. وبحسب التلمود فإن زوج مريم (أم عيسى) هو بافوس بن يهوذا «الذي كان يغلق الباب على زوجه عندما يغادر المنزل» (جطين 90 أ). وللتأكيد على أن بافوس هذا هو زوج مريم يقول التلمود أيضًا على لسان الرابي راشي: «بافوس بن يهوذا كان زوج مريم، مجدلة شعر النساء. وكلما كان يغادر منزله كان يوصدها في داخله حتى لا يتمكن أي كان من الحديث معها. هذا ما أدى في نهاية المطاف إلى العداوة بينهما وهو ما جعلها تخونه...قال كبير الحاخامات فافا: كانت من سلالة الملوك والحكام، ثم صارت مومسًا مع نجار» (سنهدرين 106 أ)... ويكتب الحاخام ببي الذي عاش في القرن الرابع ولم يكن معاصرًا لمريم أنه يتمنى موتها واندثار اسمها من ذاكرته. ويسأل عن سبب موت معلمة أطفال اسمها مريم أيضًا وترك تلك المريم الأخرى على قيد

(100) 39. Thierry Murcia, *Marie appelée la Magdaléenne. Entre Traditions et Histoire. Ier - VIIIe siècle*, Presses universitaires de Provence, Collection Héritage méditerranéen, Aix-en-Provence, 2017, p. 338.

الحياة، فيقول التلمود: «عثر على ملاك الموت في حضرة الحاخام ببي بر أباي، فقال الملاك لخادمه: اذهب واحضر مريم، مجدلة شعر النساء. فذهب الخادم وأحضر معه مريم معلمة الأطفال. فقال ملاك الموت: قلت لك أن تحضر مريم مجدلة شعر النساء. فأجابه الخادم: سأعيدها وأحضر الأخرى بدلًا منها.لكن ملاك الموت قال: بما أنك أحضرتها، فلتعد من الميتين إذًا. (حجيجه 4 ب)[101].

(101) وردت هذه الروايات نقلًا عن التلمود في كتاب بيتر شيفر: «يسوع في التلمود»،
Peter Schäfer, *Jesus in the Talmud*, Princeton University Press, 2007.

وللكتاب ترجمة إلى العربية ولو أنها مرتبكة ومربكة قام بها نبيل فياض. المركز الأكاديمي للأبحاث. بيروت. الطبعة الأولى. 2016. انظر ص 38-42

وكذلك نجد النصوص عند زياد منى في ترجمة أخرى: تلفيق صورة الآخر في التلمود (يسوع المسيح والعرب والمسيحيين والأميين). شركة قدمس للنشر والتوزيع. بيروت. الطبعة الثالثة 2004. ص 90-92

الباب الثالث

الغنوصية والهرمسية وفرقها

1- الغنوصية[1]

جاءت تسمية الغنوصية Gnosticism من الكلمة اليونانية حب المعرفة gnostikos γνωστικός وهي مشتقة من gnōsis γνῶσις التي تعني طلب المعرفة (العلم والحكمة...إلخ،) ويقصد بها المعرفة الباطنية (أو العرفان بمصطلح التصوف الإسلامي). وبحسب كمال الصليبي فإن الترجمة الصحيحة لكلمة غنوصية بالعربية هي الأدرية (وعكسها اللا أدرية): يعني من يعرف في مقابل من لا يعرف. واعتقادي أن العرفان ترجمة تعكس حقيقة الغنوص أي المعرفة الباطنية. والعرفان يفترض وجود طائفة من الراسخين في العلم لديهم معرفة متخصصة ببواطن الأمور. والعارفون أو العرفانيون (الغنوصيون) طالبو المعرفة هؤلاء هم الذين يتوصلون إلى الحقيقة الكلانية المطلقة عن طريق بصيرتهم

(1) عن منشأ الغنوصية والمشكلات المتعلقة بتاريخها أخذت معظم ما يرد هنا من الموارد التالية:

Henri Charles Puech. Où en est le problème du gnosticisme ? *Revue de l'Universitè de Bruxelles*, 39, 1934-1935, pp. 137ss

G. Windengren, Les origines du gnosticisme et l'histoire des religions, dans *Le Origini dello Gnosticismo* (Studies in Thre History of Religions, XII), Leyde, 1967., p. 28-60

Jacques E. Ménard. Les origines de la Gnose. *Revue des Sciences Religieuses*, tome 42, fascicule 1, 1968. pp. 24-38

G. Mac Rae, Gnosis in Messina, *Catholic Biblical Quarterly*, 28, 1966, pp. 322-333

فراس السواح: «الوجه الاخر للمسيح: موقف يسوع من اليهود واليهودية واله العهد القديم ومقدمة في المسيحية الغنوصية»، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة. دمشق، 2004. ص 66-67

خزعل الماجدي: «كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد». المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء وبيروت. 2014. ص 240-263

الداخلية (لاحظ اسم «بني معروف» الذي يطلق على الموحدين الدروز وهم مسلك صوفي غنوصي أي عرفاني باطني).

الغنوصية كفكرة كانت موجودة في الأديان الشرقية القديمة مثل ديانات وادي الرافدين ووادي النيل. ويمثل الإله الراعي دموزي[2] في الدين السومري أول إشارة رمزية غنوصية. فهو ينزل إلى باطن الارض في الخريف والشتاء (العالم السفلي) ويصعد إلى السماء في الربيع. هذه الدورة السماوية – الأرضية للإله دموزي (الذي نجده في تموز الأكادي والبابلي، وأدونيس الفينيقي، وأوزيريس المصري، وأتيس الفريجي وديونيسوس اليوناني) هي التي انطلقت منها فكرة البدء والمعاد الهرمسية لاحقًا والتي شكلت أساس الفكر الغنوصي.

وفي إيران نجد خيوطًا أخرى للغنوصية تتمثل في إله الخير والنور (أهورا مزدا) أي الإله الأعلى، وإله الظلام والشر (أهريمان) وهو الإله الأسفل، ويعادل الشيطان في الديانات الابراهيمية، ويدور بينهما صراع حتى ينتصر إله النور. هذه الثنائية ستؤسس للنظام الغنوصي لاحقًا.

كانت أفكار الغنوصيين ثيوصوفية[3] سرية غامضة جدًا نتيجة لخلطها أفكارًا مختلفة من فلسفات وديانات عديدة. وكان أتباعها يخلطون الفكر الإغريقي الهلنستي والمصري القديم مع التقاليد الكلدانية والبابلية والفارسية (خصوصًا الزرادشتية المنسوبة إلى الحكيم الفارسي زرادشت 553–630 ق م)، وكذلك اليهودية، خصوصًا

(2) تموز أو دموزي Tammuz - Dumuzi ومعنى اسمه الابن المخلص.

(3) الثيوصوفيا Theosophie كلمة جاءت من اليونانية من (ثيوس) وتعني الإله و(سوفوس) وتعني الحكمة. وترجمتها: الحكمة الالهية. وهي معرفة أسرار الكون والطبيعة والإنسان الموغلة في القِدَم. وتقوم هذه المعرفة على أن التعاليم المحتواة ضمن الديانات العالمية كلِّها، والمغلَّفة بحجاب كثيف من الرموز والإشارات تُكشَف للعالم كلما ارتأى الحكماء ضرورة ذلك لمساعدة الإنسان في تطوِّره الروحي.

فكر جماعة الآسينيين (الأتقياء) وما جاء في كتابهم «الحرب بين أبناء النور وأبناء الظلام» (سيرد الحديث عنهم لاحقًا)، وغيرها من الفلسفات والأسرار والديانات الثيوصوفية[4]. وذلك إلى جانب ما سمي بالأفلاطونية الحديثة، التي كانت منتشرة في دول حوض البحر المتوسط في القرن الأول. وكان الفيلسوف اليهودي فيلو[5] من أكثر مناصريها، فقد اعتقد أن الله غير مدرك ولا يتصل بالمادة، وأن هناك قوة سامية «اللوغوس» هي التي خلقت العالم المادي، وهي كلمة الله أو عقل الله». وأن البشر يصارعون من أجل التحرر من سجن الجسد، وأنه يمكن إعادة التجسد (التناسخ – أي عودة الروح في أجساد أخرى أكثر من مرة – Reincarnation) لأولئك الذين لم يتحرروا بالموت. بل ويرى بعض العلماء أن كل أصول الغنوصية موجودة عند أفلاطون[6] لذا يقول العلامة ترتليانوس «أنا آسف من كل قلبي لأن أفلاطون صار منطلق كل الهراطقة»[7].كانت الفرق الغنوصية تنظر للمادة على أنها شر، وآمنت بمجموعة كبيرة من الآلهة، فقالت إنه في البدء كان الإله السامي

(4) Edwin M. Yamauchi, *Pre-Christian Gnosticism: A Survey of the Proposed Evidences*. Wipf & Stock Pub 2003., pp. 21-27
Jean Doresse, *The Secret Books of the Egyptian Gnostics: An Introduction to the Gnostic Coptic Manuscripts Discovered at Chenoboskion.* Inner Traditions; First Paperback Edition (June 1, 1986)

(5) فيلو (20 ق م – 50 م)، المعروف أيضا باسم فيلون السكندري (الإسكندراني)، فيلسوف يهودي عاش في الفترة الهلنستية وولد في الإسكندرية. استخدم فيلو الرمز لمواءمة الفلسفة اليونانية واليهودية. وقد وردت بحماس أعمال فيلو من قبل المسيحيين في وقت مبكر، وبعضهم رأى أنه كان مسيحيًا في الخفاء. وكان له شعارات بأن لله «خطة للعالم»، وخطة لإدارته.

(6) Chas S. Clifton. *Encyclopedia of Heresies and Heretics*. New York: Barnes and Noble Books. 1992
Mark J. Edwards. *Catholicity and Heresy in the Early Church*. Ashgate Publishing, Ltd. 2009

(7) Tertullian. *A Treatise on The Soul*. Kessinger Publishing 2004
See: http://www.newadvent.org/fathers/0310.htm

غير المعروف وغير المدرك الذي هو روح مطلق، ولم تكن هناك المادة، هذا الإله السامي والصالح بثق منه، أخرج من ذاته، عددًا من القوات الروحية ذات الأنظمة المختلفة التي أسموها بالأيونات (Aeons)، قالت أكثر فرقهم إنه بثق من ذاته 365 أيونًا وكل أيون بثق من ذاته 365 أيونًا وهكذا إلى ما لا نهاية. هذه القوات المنبثقة من الإله السامي كان لها أنظمة مختلفة وأسماء مختلفة وتصنيفات وأوصاف مختلفة[8]. وتكون هذه الأيونات مع الإله السامي البليروما (Pleroma)، أو الملء الكامل، دائرة الملء الإلهي. وأن هذا الإله السامي الذي أخرج العالم الروحي من ذاته لم يخلق شيئًا، فهو ليس خالق الكون المادي، بل الذي خلق الكون المادي إله أقل من الإله السامي غير المدرك. وقد بثق الإله السامي من ذاته الابن، الوحيد الجنس، ثم مجموعة من الأيونات (العوالم الروحية = الحكام الروحيين = آلهة + سماوات روحية وعوالم روحية). ومن هذه الأيونات قامت الحكمة، صوفيا (Sophia)[9]، التي بثقت، أخرجت، من ذاتها كائنًا واعيًا، هو الذي خلق المادة والعوالم الفيزيقية، وخلق كل شيء على صورته. هذا الكائن لم يعرف شيئًا عن أصوله فتصور أنه الإله الوحيد والمطلق، ثم اتخذ الجوهر الإلهي الموجود وشكله في أشكال عديدة، لذا يدعى أيضًا بالديميورج (Demiurge) (والأصل باليونانية ديميورغوس)، الصانع ونصف الخالق والخالق المهندس. فالخليقة مكونة من نصف روحي لا يعرفه هذا الديميورج، نصف الخالق، ولا حكامه[10].

ومن هنا فقد آمنوا أن الإنسان مكوّن من عنصرين عنصر إلهي منبثق

---

(8) Ibid.

(9) وأنا ممن يقولون بأن مصطلح صوفية جاء من الصوفيا بمعنى الحكمة العرفانية

(10) Stephan A. Hoeller (Tau Stephanus, Gnostic Bishop): *The Gnostic World View, A Brief Summary of Gnosticism*. http://gnosis.org/gnintro.htm

من الجوهر الإلهي للإله السامي ويشيرون إليه رمزيًا بالشرارة الإلهية، وعنصر مادي طبيعي فاني. ويقولون إن البشرية بصفة عامة تجهل الشرارة الإلهية التي بداخلها بسبب الإله الخالق الشرير وأرخوناته (حكامه). وعند الموت تتحرر الشرارة الإلهية بالمعرفة، ولكن إن لم يكن هناك عمل جوهري من المعرفة تندفع الروح، أو هذه الشرارة الإلهية، عائدة في أجساد أخرى داخل الآلام وعبودية العالم[11]. واعتقد بعضهم بالثنائية (Dualism) الإلهية أي بوجود إلهين متساويين في القوة في هذا الكون: إله الخير، الذي خلق كل الكائنات الروحية السمائية، وإله الشر الذي خلق العالم وكل الأشياء المادية. وربطوا بين إله الشر وإله العهد القديم. وقالوا إن المعركة بين الخير والشر هي معركة بين مملكة النور ضد مملكة الظلام. واعتقد بعضهم الآخر أن إله الخير خلق الروح وقد وضعها إله الشر في مستوى أدنى في سجن الجسد المادي الشرير. وهكذا فإن هدف البشرية هو الهروب من سجن الجسد المادي الشرير والعودة إلى اللاهوت أو التوحد مع إله الخير. وقد فهموا فهمًا خاصًا بهم قول «القديس» بولس: «إِذًا إِنْ كُنْتُمْ قَدْ مُتُّمْ مَعَ الْمَسِيحِ عَنْ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، فَلِمَاذَا كَأَنَّكُمْ عَائِشُونَ فِي الْعَالَمِ؟ تُفْرَضُ عَلَيْكُمْ فَرَائِضُ: لاَ تَمَسَّ! وَلاَ تَذُقْ! وَلاَ تَجُسَّ! الَّتِي هِيَ جَمِيعُهَا لِلْفَنَاءِ فِي الاسْتِعْمَالِ، حَسَبَ وَصَايَا وَتَعَالِيمِ النَّاسِ، الَّتِي لَهَا حِكَايَةُ حِكْمَةٍ، بِعِبَادَةٍ نَافِلَةٍ، وَتَوَاضُعٍ، وَقَهْرِ الْجَسَدِ، لَيْسَ بِقِيمَةٍ مَا مِنْ جِهَةِ إِشْبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ»[12].

وتكمل أسطورة الخلق الغنوصية، وذلك من خلال ما جاء في الكتب الأبوكريفية، المكتشفة في نجع حمادي سنة 1947 م.، وما كتبه آباء الكنيسة في القرون الثلاثة الأولى، وبخاصة ما كتبه معاصرهم

---

(11) Ibid.

(12) رسالة بولس إلى أهل كولوسي، الإصحاح 2: الآيات 20-23

«القديس» إيريناوس أسقف ليون سنة 180م. ففيها الكثير المأخوذ من أسطورة الخلق عند أفلاطون[13] مع مزجها بما جاء في سفر التكوين. وهي تتحدث عن المسيح (أو الممسوح)؛ والذي تصفه بالكائن الميتافيزيقي، الآتي من عالم ما وراء الطبيعة وظهر في هيئة إنسان أو شكل جسد نجمي أو أثيري ولم يتخذ الجسد المادي لأنه شر. وقال عدد قليل منهم إن المسيح إله نزل من السماء وتوحد مع يسوع الناصري. وعن وجود ما يسمى بالمنيرين الأربعة: هارموزيل (Harmozel) وأورويائيل (Oroieal) وداوإيثاي (Daueithai) وإيليليث (Eleleth)، وهم أيونات وكائنات روحية وكعوالم روحية فهم الأماكن التي تقطنها النماذج الرئيسية (Geradama) أو آداماس، أي آدم السمائي؛ شيث الذي هو النموذج السمائي لابن آدم؛ الذرية السمائية لشيث ونماذج الكنيسة الغنوصية.

ثم تتحدث، أسطورة الخلق، عن خليقة الكون المادي؛ بعد اكتمال انبثاق الكون الروحي ولكي تستمر الخليقة فوق كل حدود الوجود الروحي وجد الصانع، الديميورج – Demiurge). ثم يقولون إنه، صانع العالم، ويسمونه أيضًا يالدابوث، ويقولون إنه صنع كونًا مركبًا من أيونات(عوالم) مادية، أي كواكب ونجوم وسلاطين وقوات وأرواح وملائكة...إلخ. هذا الصانع للكون الذي يصفونه بأنه منقوص بالجهل والأنانية شعر بجاذبية طبيعية تجاه العوالم الروحية، ويقولون إن هذه الجاذبية أيضًا اختبرها كجهل وأنانية ورغبة شهوانية لامتلاك اللاهوت ليفسده[14]. ووصفوا يالدابوث هذا وأتباعه من السمائيين «الحكام»

(13) في طِيمَاوُس Timaeus (تيماوس من لوكري) وهي إحدى محاورات أفلاطون كتبت حوالى عام 360 قبل الميلاد. فيها يُتناول موضوع الطبيعة ونشأة الكون والخالق. نقلها إلى العربية يحيى بن البطريق. ومن بين المشاركين في الحوار سقراط، تيماوس، هرموكراتس، كريتياس.

(14) *The Gnostic World View.*, op.cit.

بأنهم متملكون ومتعجرفون يحاولون السيادة على كل الأمور البشرية، وتقودهم رغبتهم للسيادة لخلق الشهوة الجنسية وقيد القدر (سيطرة النجوم) التي عن طريقها يريدون استعباد البشرية. وتصف خليقة آدم وحواء وأبنائهم بقولها إن الحكمة التي كانت تؤيدها الأيونات العليا للكون الروحي لتستعيد القوة المسروقة التي صارت مشتتة بعد خليقة آدم في الأجيال المتعاقبة، التي استعبدها نسل يلدابوث بخلق المقدر وروح الخداع البغيض. وتقول الأسطورة إن قوة اللاهوت المسروقة والمشتتة استقرت في نسل شيث ابن آدم إلى هذا اليوم.

وبحسب فكر هؤلاء الغنوصيين يصل الفصل النهائي للدراما عندما يُرسل المخلص السمائي، بل وتصل هذه الدراما غايتها في المجيء النهائي للمخلص، المسيح، في شكل إنسان وإن كان يظهر في أشكال كثيرة، بدون تفصيلات تاريخية. «ليوقظ» البشرية وليحرر نفوس البشر من المقدر ومن رباطات (عبودية) الجسد بالمعرفة، وهؤلاء المحررون هم الغنوصيون، محبو المعرفة. ويقولون إن كل نفس تستجيب وتكسب معرفة تتحرر من الجسد، أو إنها تهرب وتعود إلى الحق أو تصبح متجسدة في جسد آخر؛ خاص «عقاب أبدي» محفوظ للمرتدين عن الفرقة.

كما يؤمنون بأن الخلاص لا يتم إلا بالمعرفة التي يسمونها المعرفة المؤدية للخلاص، وهذه المعرفة تعني ثلاثة أمور؛ (1) معرفة الإله الحقيقي غير المدرك ولا اسم له، (2) ومعرفة أن الإله الذي خلق العالم ليس هو الإله الحقيقي بل إنه إله أقل وشرير، (3) ومعرفة أن الإنسان، أو بمعنى أدق الغنوصي، المحب للمعرفة، ليس من هذا العالم بل إنه أصلًا شرارة إلهية وطنه هو العالم الروحي الذي جاء منه ولابد أن يعود إليه، ويرى معظم الغنوصيين أنهم محبوسون هنا في هذا العالم في أجسادهم المادية التي وضعهم فيها الإله الخالق. ويرون أن هذه المعرفة لا تتم إلا عن طريق المسيح الذي يقدم هذه المعرفة السرية من

فوق ويكشفها لأتباعه المقربين، وسنرى كيف أن إنجيل يهوذا (المنحول أو المخفي) يعتبر أن يهوذا وحده من دون التلاميذ هو الذي كان مقربًا من المسيح وأنه هو وحده الذي كان مستحقًا لنوال هذه المعرفة ومن بعده الغنوصيون محبو المعرفة، أما بقية البشر ومنهم بقية تلاميذ المسيح ورسله وجميع المسيحيين من غير الغنوصيين فليسوا مستحقين ولا مؤهلين لهذه المعرفة، فهم من جيل غير الجيل المقدس الذي استحق يهوذا أن يكون منه[15]. وكان الغنوصيون يرفضون بصورة مطلقة نقدهم لأنهم كانوا يؤمنون أنهم هم وحدهم من دون بقية الخلق، الذين لديهم المعرفة الحقيقية التي كشفها لهم المسيح لأنهم، هم وحدهم، الذين كانوا مؤهلين لذلك.

2- الهرمسية

هي مجموعة أفكار ومعتقدات ومجموعة من النصوص دونت بين القرن الثالث ق. م والقرن الثالث بعده. وتنقسم إلى كتابات هرمسية شعبية، وهي الأقدم، والأدب الهرمسي الموسوم بالعلمي. ويرجح البعض كتابة النصوص الهرمسية الشعبية بحدود القرن الثالث ق. م. أما الأدب الهرمسي والفلسفة الهرمسية فقد ظهرت في القرن الثاني بعد الميلاد في الأجواء الهلنستية. وبحسب ميرتشيا إلياده فإن الأدب الهرمسي يبدو مصريًا[16].

تنسب الهرمسية إلى هرمس المثلث العظمة: لأنه كان نبيًا وحكيمًا وملكًا. وربما كان لكل أمة قديمة هرمسها. فهو عند المصريين الإله

(15) B. D. Ehrman, ‹Christianity Turned on its Head: The Alternative Vision of the Gospel of Judas›, in: Kasser, et al. (eds.). *The Gospel of Judas*, pp. 77-120 (85).

(16) انظر، ميرتشيا إلياده: «البحث عن التاريخ والمعنى في الدين»، ترجمة سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت 2007

تحوت أو طوط، وعند السومريين أنميدار آنا، وعند الفرس الإله أهورا مزدا، وعند الإغريق الإله هرمس، وعند اليهود أخنوخ وعند المسلمين بحسب القرآن هو إدريس.

وتجمع المرويات على أن هرمس أول من اخترع الكتابة وأول من كتب الصحف وخاط الثياب ولبسها وأول من حصل على الخلود وأول من صعد إلى السماء.

وليس معروفًا إن كانت تعاليم هرمس مدونة منه مباشرة بل الأرجح أنه جرى تدوينها في القرون الثلاثة قبل الميلاد في العصر الهلنستي في مصر وتحديدًا في الإسكندرية. وظهرت هذه المدونات كمرجع أساس لمدونات أخرى باليونانية واللاتينية والسريانية ثم العبرية والعربية؛ وهي نصوص ليست أصلية أبدًا فقد طوى الدهر هرمس ماقبل الطوفان في حدود 3000 ق.م.

نهلت الهرمسية الهلنستية من هرمسية بابل وفارس وهرمسية الإسكندرية. فهي في النهاية مركب فلسفي - ديني - علمي قائم على أساس سحري في قراءة سحرية للعالم. ويبدو أن متنها الفلسفي والديني هو الذي شكل أساس الغنوصية. ولذلك يكون الفرق بين الهرمسية والغنوصية هو شمول الهرمسية على الفلسفة والدين والعلم بينما الغنوصية تقتصر على الفلسفة الدينية حصرًا. والهرمسية ذات طابع نظري (يستهوي المثقفين وأبناء الطبقات العليا) أما الغنوصية فستتحول إلى ديانات وفرق لها طقوسها الخاصة، وتنتشر بين العامة.

ويبدو أن أصل النفس ومصيرها هو جوهر الهرمسية في جانبها الفلسفي. ويلتقي التصوف الهرمسي مع التصوف البوذي، أو المسيحي واليهودي، أو الفلسفة اليونانية أو حتى التصوف الإسلامي في عملية

السعي للوصول إلى الإله الذي في الإنسان وليس الإله الذي في خارجه (ملكوت الله في داخلكم/ إعرف نفسك)[17].

صوّر الهرمسيون النفس بأصلها الإلهي بطريقتين:

1- الاتصال الخارجي: حيث يذوب الإنسان في الله وقد سمى المتصوفة الإسلاميون هذه الحالة بـ (الفناء) أو (وحدة الشهود).

2- الاتصال الداخلي: حيث تعي النفس حقيقة أصلها وطبيعتها الإلهية بوصفها جزءًا من الإله الخالق حيث يشعر الإنسان أن الله قد حل فيه وأن الإنسان نفسه هو محراب الله أو هيكله (أنتم هيكل الله وروح

---

(17) يرى كمال جنبلاط أن العرفان «هو مسلك قديم متصل متجدد، فهو مسلك صوفي حكمي ذوقي نمشي اليه ونتجذب في آن واحد. فليتقي الطالب والمطلوب في جذب من فناء إلى بقاء، ومن عقل متبدّل إلى يقظة لا تبدأ ولا تتبدل ولا تزول. فهو بين الشغاف والقلب، وبين الدمع والجفون». هذا التوحيد المحض يسميه كمال جنبلاط «مسلك الأحدية، وهو ليس نظامًا دينيًا، بل هو الحقيقة تشير وتقود إلى الحقيقة، فلا تدخل في أي اختلاف أو مشاحنة مع أي دين أو معتقد... ولا تختص بأي دين معين... ولكن تتعداها جميعها، وهي في الواقع تتميم وتكملة لجميع الأديان، لا بل هي التي تعطي الحياة لجميع الأديان»... على ما يقول معلمه الفيدنتي أتماناندا... وبحسب كمال جنبلاط يتصل مسلك الحكمة والتوحيد ويمتد «إلى ما قبل الألف الثالث قبل المسيح، إلى أمحوتب العظيم، ومنه إلى فلاسفة اليونان الأقدمين، ما بين سقراط وأفلاطون، وأفلوطين، على جمعيهم السلام - كما يقول كمال جنبلاط- ومن ثم إلى الآسينيين، أولئك المتصوفة النساك الذين عاشوا قبل المسيح، ومنهم إلى عيسى ومحمد، ومن بعدهما إلى سلمان الفارسي، فإلى إخوان الصفا وخلان الوفاء، وصولًا إلى ذلك الكائن العجيب الذي لم يبلغ سنه السادسة والثلاثين عندما احتجب وغاب ويُكنى في صحفهم بالحاكم الحكيم، فإلى حمزة بن علي سلام الله عليه الذي هو سيد من أسياد المسلك العرفاني الحكمي التالد ومن أعظم الشخصيات القيادية التي عاشت بيننا... كل هذا الاتصال والامتداد في سلسلة ذهبية مشعة من الأقطاب وذوي المنزلة منذ ألف الدينا إلى غاية يائها، هي الدافع إلى السعي الدائم نحو العلم ونحو التفقه في الدين ونحو اكتشاف حقيقة الأشياء... (كمال جنبلاط: «محاضرة في تفهم مصادر وأصول الحكمة والعرفان»، وهذا النص نشر كمقدمة لكتاب سامي مكارم: «أضواء على مسلك التوحيد:الدرزية». الدار التقدمية، الطبعة الأولى 1966. انظر طبعة 2006 الصفحات 7 إلى 77)

الله ساكن فيكم – «الرسول» بولس). ويقول الحلاج (أنا الحق والحق أنا) أي (أنا هو الله). هاهنا يصل الإنسان إلى مرحلة الكشف والإشراق.

وعند الهرامسة يستطيع الإنسان بمساعدة المعرفة (الغنوص أو العرفان) أن يصبح إلهًا وعلى الإنسان أن يتحرر من جسده ويعود غريبًا إلى العالم بهدف إكمال ولادة الألوهة. وعلى ذلك فان الإنسان الذي يولد ولادة جديدة يحوز جسدًا خالدًا لأنه (ابن الله) وهذا الكلام يتفق مع فكر «الرسول» بولس في رسائله.

من أشهر المدونات الإغريقية (رؤيا هرمس) والتي تعرف بـ «نص بوامندريس» (يأتي الكلام عنه لاحقًا). وتشكل هذه المدونة الأساس النظري للهرمسية الهلنستية التي ألقت بظلالها على التصوف المسيحي والإسلامي. أما الكتاب المقدس لهرمس فيبدو أنه كتاب منحول، وقد ظهر في صحائف إدريس التي أوردها العلامة الشيعي محمد باقر المجلسي في كتابه الموسوعي (بحار الأنوار)[18].

3- الغنوصية اليهودية المسيحية

إذا كان الخلاص عند اليهود يكون بالالتزام بشريعة موسى وعند المسيحيين الكنسيين من خلال الإيمان بيسوع المسيح «ابن الله»،

---

(18) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار تأليف العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي. الجزء الحادي عشر. مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان الطبعة الثانية المصححة 1403 هـ – 1983 م، ص 120 – 151 – 196 –257 –266 وفي الصفحة 270 أن إدريس «هو جد أب نوح عليه السلام، واسمه في التوراة أخنوخ، وقيل: إنه سمي إدريس لكثرة درسه الكتب وهو أول من خط بالقلم، وكان خياطًا، وأول من خاط الثياب، وقيل: إن الله سبحانه علمه النجوم والحساب وعلم الهيئة وكان ذلك معجزة له «إنه كان صديقًا» أي كثير التصديق في أمور الدين، وقيل: صادقًا مبالغًا في الصدق فيما يخبر عن الله تعالى... وقيل: إنه رفع إلى السماء السادسة، كما رفع عيسى وهو حي لم يمت.». وفي الصفحة 284 يقول المجلسي إن «الصابئة تزعم أن إدريس هو هرمس ومعنى هرمس عطارد، وهو الذي أخبر الله في كتابه: إنه رفعه مكانًا عليًا».

فإن الخلاص عند الجماعات الغنوصية يأتي عن طريق فعالية روحانية داخلية تقود إلى معرفة النفس، وفي مستويات أعمق تقود إلى معرفة الله ذوقًا وكشفًا وإلهامًا. وقد صدرت عن الكثيرين من المعلمين اليونانيين والفلاسفة عبارات تقول: «لمعرفة الله إبدأ بنفسك»[19]. أو «إعرف نفسك» (كما على باب معبد دلفي في اليونان القديمة)[20]... وما يميز الغنوصية هو اعتقادها بأن عالم المادة الذي يتخلله الشر ليس من صنع الله، بل من صنع إله أدنى. فالغنوصية تؤمن بأن خالق هذا العالم الدنيوي هو الديميورغوس démiourgos δημιουργός الخالق المهندس (خالق الكون المادي)، ويترجمها الفرس إلى «العقل الفعال»، حيث إن أفلاطون استخدم كلمة ديميورغوس للإشارة إلى «العلة الأولى»، الخالق الطيب العاقل، واستخدمها أرسطو لوصف العلة الأولى المحركة الخالقة للعالم[21]. وبحسب جيرالد مساديه فإن هذا «العقل الفعال» هو فوق الله والشيطان في آن، فهو فوق الخير والشر إذن[22].

في الغنوصية يلعب يسوع دورًا مركزيًا باعتباره محررًا للبشرية الواقعة تحت أسر العالم المادي، والواقع في أغلال إله هذا العالم. لقد

---

(19) Elaine Pagels, *The Gnostic Gospels*, Vintage Books; 1979., p. 138-140

(20) كما في الآية الكريمة «وفي أنفسكم أفلا تُبصرون»، وفي الحديث النبوي: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، وكما في القول المشهور عن علي بن أبي طالب:

دواؤك فيك وما تُبصر وداؤك منك وما تَشعر

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

(21) Luc Brisson (dir.), *Timée: Platon, Œuvres complètes*, Éditions Flammarion, 2008

Pierre Pellegrin (dir.), *Métaphysique: Aristote, Œuvres complètes*, Éditions Flammarion, 2014

Stanford Encyclopedia of Philosophy, 25 Octobre 2005

http://archive.wikiwix.com/cache/?url=http%3A%2F%2Fplato.stanford.edu%2Fentries%2Fplato-timaeus%2F

(22) Gerald Messadié: *L'Homme qui devint Dieu: Les source.,* Op.cit., p.109-115, 124-126, 230-240

هبط يسوع من السماء الروحانية لا ليضحي بنفسه من أجل تخليص البشر من الخطيئة وإنما ليفتح بصيرتهم ويحرك العرفان في النفس البشرية. ففي إنجيل يوحنا (الذي يعتبره معظم المختصين من الأناجيل الغنوصية) يقول يسوع لليهود الذين يعبدون يهوه إله عالم المادة: «أنتم لا تعرفوني ولا تعرفون أبي، ولو عرفتموني لعرفتم أبي أيضًا»[23]... «أنا نور العالم من يتبعني لا يمش في الظلام بل يكون له نور الحياة»[24]... «أنتم من أسفل، وأنا من عل. أنتم من هذا العالم وأنا لست من العالم هذا»[25]...

«إن ثبتم في كلامي كنتم تلاميذي حقًا تعرفون الحق: والحق يحرركم»[26]... «لو كان الله أباكم لأحببتموني لأني من الله خرجت وأتيت. وما أتيت من نفسي بل هو الذي أرسلني. لماذا لا تفهمون ما أقول؟ لأنكم لا تطيقون الاستماع إلى كلامي. أنتم أولاد أبيكم إبليس تريدون إتمام شهوات أبيكم. كان منذ البدء قتالًا للناس ولم يثبت على الحق لأنه ليس فيه شيء من الحق. فإذا تكلم بالكذب تكلم بما عنده لأنه كذاب وأبو الكذب. أما أنا فلأني أقول الحق لا تؤمنون بي. من منكم يثبت علي خطيئة؟ فإذا كنت أقول الحق فلماذا لا تؤمنون بي؟ من كان من الله استمع إلى كلام الله. فإذا كنتم لا تستمعون إليه فلأنكم لستم من الله»[27]. لهذا يقول يسوع في النص الغنوصي المعروف بعنوان (رؤيا يعقوب): «لم يتعذب على الصليب ولم ينله أي أذى من جلاديه». وفي نص (الأطروحة الثانية لشيث الكبير) يقول يسوع إنه «لم يمت حقيقة

(23) إنجيل يوحنا، الإصحاح 8، الآية 54–55
(24) نفسه الآية 12
(25) نفسه، الآية 23
(26) نفسه، الآية 32–31
(27) نفسه، الآية 42 إلى 47

على الصليب، وإن ما رأوه من موته لم يكن سوى مظهرًا خادعًا، وإنهم ما ضربوه وما أهانوه وما سقوه الخل والمر، وإنما فعلوا ذلك بآخر اتخذ شبهه، بينما كان هو على البعد يهزأ منهم ومن جهلهم[28].

وبحسب عدد من الباحثين فإن مؤسس المدرسة الغنوصية في بدايات المسيحية هو سمعان ماغوس Magus[29] أي سمعان المجوسي، ويلقب أيضًا بالسامري، وهو أكثر الشخصيات غموضًا بسبب ضياع مؤلفاته بحيث لا نعرف عنه وعن أفكاره سوى ما وصلنا عن طريق معارضيه من المسيحيين.

نشط سمعان (شمعون بالعبرية والآرامية والسريانية، سيمون بالفرنسية، سايمون بالإنكليزية) في أواسط القرن الميلادي الأول، وكان

(28) Gerald Messadié: Les source., Op.cit., p.109-112 et 130-133

(29) من اللاتينية magus من اليونانية القديمة μάγος = mágos وتعني الساحر، وجمعها magi، وهي في الأصل كلمة فارسية قديمة حيث المجوسي كاهن متقدم الرتبة عند الميديين والفرس. وقد ذكرتهم الأناجيل في الحديث عن الحكماء المجوس الثلاثة الذين قدموا من الشرق للتعرف على المسيح يوم ولادته. وأول استعمال للكلمة كان بالمعنى المذكور عن كهنة الفرس (الروحانيين عندهم) من الزرادشتيين. والمجوس لفظ مأخوذ من اللغة الفارسية القديمة ويطلق على كهنة الديانة الزرادشتية بالمعنى التقني الوارد لكلمة ماغوس والبعض يترجمها أنها تعني عبدة النار. استخدم لفظ المجوس بالإضافة إلى العرب، اليونانيون والرومان. قال جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: «ولا ندري اليوم على وجه صحيح من أي طريق دخلت لفظة «مجوسي» و«مجوس» إلى العربية، عن الفرس أنفسهم، أو عن اليونانية أو عن طريق لغة «بني إرم»! وقد عرف علماء اللغة بأن لفظة «مجوس» من الألفاظ المعربة... ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في أصل اللفظة وفي بيان معناها، وذهبوا في ذلك مذاهب، وبعض هذه التفسيرات والتأويلات مفتعل يدل على عدم وقوف أصحابها على جلية الموضوع». واستطرد قائلا إن هناك من الأخبار مما وردنا أن بعض العرب اعتنقوا المجوسية (الزرادشتية) كشريف بني تميم زرارة بن عدس وابنه حاجب بن زرارة وغيرهما ممن ذكرهم المؤرخ جواد علي في كتابه.

معاصرًا ليسوع وللرسل الأوائل. وقد جاء في إنجيل يوحنا[30]وصف اليهود ليسوع بلقب (السامري)، حيث يرى الباحثون أن التفسير الوحيد لاتهام يسوع بأنه سامري هو أنهم شعروا منذ البداية بوجود صلة بين تعاليم يسوع الغريبة عليهم وتعاليم الغنوصية السامرية السمعانية. ويبدو من مصادر عدة أن سمعان الساحر هذا عاش حوالى سنة 67 م. واسم سيمون أو سمعان أو شمعون تعني بالعبرية (سامع). أما كلمة ماغوس أو ماجوس فهي لقب أطلقه عليه أعداؤه. وردت قصة سمعان في الإصحاح الثامن من سفر أعمال «الرسل» هكذا: «وكان قبلًا في المدينة رجل اسمه سيمون، يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة، قائلًا إنه شيء عظيم! وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين: «هذا هو قوة الله العظيمة». وكانوا يتبعونه لكونهم قد اندهشوا زمانًا طويلًا بسحره. ولكن لما صدقوا فيلبس وهو يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح، اعتمدوا رجالًا ونساءً. وسيمون أيضًا نفسه آمن. ولما اعتمد كان يلازم فيلبس، وإذ رأى آيات وقوات عظيمة تجري اندهش»[31].

ويبدو أن إيمانه لم ينشأ عن توبة إنما عن ثقة في قوة سحرية أقوى من قوة سحره. «ولما سمع «الرسل» الذين في أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا، اللذين لما نزلا صليا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس، لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع. حينئذ وضعا الأيادي عليهم فقبلوا الروح القدس. ولما رأى سيمون أنه بوضع أيدي «الرسل» يعطى الروح القدس قدم لهما دراهم قائلًا: «إعطياني أنا أيضًا هذا السلطان،

---

(30) الإصحاح 8، الآية 48: «أجابه اليهود: ألسنا على صواب في قولنا إنك سامري، وإن بك مسًا من الشيطان؟»

(31) أعمال «الرسل»، الإصحاح الثامن، 9-13

حتى أي من وضعت عليه يدي يقبل الروح القدس». فقال له بطرس: «لتكن فضتك معك للهلاك، لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم! ليس لك نصيب ولا قرعة في هذا الأمر، لأن قلبك ليس مستقيمًا أمام الله. فتب من شرِّك هذا، واطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك، لأني أراك في مرارة المر ورباط الظلم». فأجاب سيمون وقال: «اطلبا أنتما إلى الرب من أجلي لكيلا يأتي علي شيء مما ذكرتما»[32]. ويرد في أعمال «الرسل» أيضًا قصة ساحر آخر يسمونه عليم: وَلَمَّا اجْتَازَا الْجَزِيرَةَ إِلَى بَافُوسَ، وَجَدَا رَجُلًا سَاحِرًا نَبِيًّا كَذَّابًا يَهُودِيًّا اسْمُهُ بَارْيَشُوعُ، كَانَ مَعَ الْوَالِي سَرْجِيُوسَ بُولُسَ، وَهُوَ رَجُلٌ فَهِيمٌ. فَهذَا دَعَا بَرْنَابَا وَشَاوُلَ وَالْتَمَسَ أَنْ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللهِ. فَقَاوَمَهُمَا عَلِيمٌ السَّاحِرُ، لأَنْ هكَذَا يُتَرْجَمُ اسْمُهُ، طَالِبًا أَنْ يُفْسِدَ الْوَالِيَ عَنِ الإِيمَانِ»[33]. وقد أطلقت الكنيسة اسم السيمونية على كل من يتاجر في الوظائف الكنسية... وكان لسمعان (سيمون) أتباع (السيمونيون) اعتبروا سيمون مسيحهم وفاديهم. وهم شيعة صغيرة من شيع الغنوصيين.

يذكر يوسيفوس ساحرًا يسميه أتوموس Atomus (سمعان في المخطوطة اللاتينية Simon) وأنه كان على صلة بالحاكم فليكس، وبالملك أغريبا الثاني وأخته دروسللا التي أقنعها بالزواج من فليكس بدلًا من خطيبها. ولكن سيمون الذي ذكره يوسيفوس يهودي وليس سامريًا[34].

أما يوستينوس الشهيد (في كتابه المدافعات كما في آخر ما كتب ضد الهرطقات وهو الكتاب الذي استخدمه إيريناوس لاحقًا (وإيريناوس

(32) أعمال «الرسل»، الإصحاح الثامن، 14– 24

(33) أعمال «الرسل» الإصحاح 13: 6– 8

(34) Josephus: *Antiquities of the Jews*, Book XX: ch:7: 2

(في كتابه ضد الهرطقات Adversus Haereses)، فيقولان إنه بعد طرده من قبل «الرسل» جاء سمعان إلى روما حيث انضمت إليه امرأة تسمى هيلين وقال إنه هو الذي ظهر بين اليهود على أنه الابن، وفي السامرة على أنه الأب، وبين الأمم على أنه الروح القدس. وقام بأعمال ساحر في فترة حكم كلاوديوس حتى قيل إنه رب وأقيم له تمثال على جزيرة في نهر التيبر حيث يمر الجسران وعليه كتب: «سمعان الرب المقدس» Simoni Deo Sancto[35]. ولكن تنقيبات جرت في القرن السادس عشر عثرت على تمثال في الجزيرة المذكورة مكتوب عليه أنه تذكار لإله الثقة والاستقامة والوفاء بالعهود Semo Sancus[36].

يقول أوريجينوس Origen عنهم إنهم ليسوا مسيحيين لأنهم يعتبرون سيمون مظهر قوة الله.

وسمعان من قرية جتو السامرية (بتشديد التاء) ظهر في عصر كلوديوس قيصر وقضى طفولته في مصر. وكان يمتلك قوى سحرية ويمزج السحر بالغنوصية والمسيحية ليكون له طريقًا أو مذهبًا. مارس

(35) Iraeneus: *Adversus Haereses, First Apology*, Book V: Chapter 23

(36) في الديانة الرومانية القديمة تحتل الإلهة سيمو سانكوس Semo Sancus موقع إلهة الثقة والأمانة والصدق والوفاء بالعهود. وعبادتها هي من أقدم العبادات الرومانية. اكتشف تمثال سيمو سانكوس في العام 1855 حيث نرى الإله شابًا عاريًا يمد ذراعه الأيسر (وهو مكسور في طرفه) ولعله كان يمسك بشيء مقدس وعيناه واسعتين كبيرتين. وكان يوجد في روما معبد آخر باسم سيمو سانكوس على نهر التيبر قرب معبد جوبيتر وكان عليه كتابة فسرها يوستينوس الشهيد (أو الفيلسوف أو النابلسي) في القرن الثاني على أنها للتمثال أو الصنم المخصص من قبل كلود لسيمون الساحر. أدى اكتشاف هذه الكتابة في العام 1574 بالمؤرخين إلى القول بأن يوستينوس الشهيد قد التبس عليه الأمر بين سيمو سانكوس وسيمون الساحر أو المقدس.

Charles Daremberg, Edmond Saglio, Edmond Pottier. Article «Semo Sancus» du «*Dictionnaire des Antiquités grecques et romaines*. Hachette, Paris, publication entre 1872 et 1911.

صناعة المعجزات في السامرة أولًا، ثم وصل صيته إلى روما حيث أقيم له تمثال في نهر التيبر (أسفل الفاتيكان بمسافة قريبة) بين قنطرتين ونقش عليها باللاتينية (سيمون الإله القدوس). ادعى النبوة أولًا ثم ادعى الألوهية في السامرة وتبعه أغلب أهلها[37]. اصطحب سيمون امرأة من صور اسمها (هيلانة) وادعى أنها من بنات أفكاره وأنها (الفكرة الأولى) التي ظهرت منه وأنها أم كل الأشياء، وبها خلق الملائكة والعالم وقد وضعها العالم في جسد بشري ومنعها من الرجوع إليه فصارت غانية ضالة. وجاء سيمون ليخلصها من سجنها المادي. وكان يطلب من الناس أن يتبعوه معها حتى يهتدوا إلى الخلاص. فهو كان يقلد سيرة المسيح ويتشبه به وبمعجزاته وشفاء الناس. حتى أن هيلانة كانت نظيرة مريم المجدلية في حياة عيسى عند الغنوصيين.

ويقال إنه حاول الطيران لكنه سقط وأصيب بكسور. وحاول الصعود إلى السماء في عربة ذات لهب فسقطت وانكسرت رجله. ولذلك ألقى بنفسه من على جبل ومات. وهناك من يرى أنه طلب أن يدفن حيًا في آخر حياته حتى يقوم بعد ثلاثة أيام، ولكنه لم يقم ومات في قبره.

تأثر سيمون بالغنوصية الوثنية المبكرة وبالسحر، ورسم سفر بطرس المنحول له صورة أخرى وهو يتبارى مع «الرسول» بطرس في روما ويستطيع الطيران فوق روما والتجول في سمائها. كان له تلميذان في السامرة هما (نياندرو ودوسيتوس) اللذان غادرا أنطاكية بعد أن نشرا الغنوصية المسيحية فيها.

وثمة ما يشير إلى أن سيمون ينحدر من سلالة كلدانية قدمت إلى السامرة ولم يكن يهوديًا بل كان بابلي الديانة، وتخالط ديانته ثقافة

(37) خزعل الماجدي، مرجع سابق. ص 321–328

زرادشتية، فضلًا عن أنه كان تلميذًا ليوحنا المعمدان وقضى معظم طفولته في مصر. في هذه الفترة انتشرت الأخبار عن تعاليم (الآسينيين). وكان هؤلاء يعتنون بتربية الأطفال والصبيان وفق تعاليمهم الزهدية والرافضة للديانة اليهودية التقليدية والداعين إلى ديانة عالمية. ويبدو أن يوحنا المعمدان وبطرس وفيلبس وبولس كانوا ممن انضم إلى حركة الآسينيين في البداية.

4- المسيح في الفكر الغنوصي

المسيح في الفكر الغنوصي يعتمد بالدرجة الأولى على الفكر الدوسيتي (أو الدوقيتي Docetae). الفكر الدوسيتي (أو الدوقيتي) جاء من التعبير «dokesis» و«dokeo»، من الفعل اليوناني dokein الذي يعني «يبدو»، «يظهر»، «يُرى»، ويعني أيضًا الخيالي phantastic، (من هنا قيل عنهم «الذين شُبِّه لهم» أو «اشتبهوا»). فقد آمن الدوسيتيون بأن المسيح كان مجرد خيال وشبح (phantom)، وأنه أحد الآلهة العلوية وقد نزل على الأرض في جسد خيالي وليس فيزيائي، مادي، حقيقي، أنه روح إلهي ليس له لحم ولا دم ولا عظام، لأنه لم يكن من الممكن، من وجهة نظرهم، أن يتخذ جسدًا من المادة التي هي شر في نظرهم. لذا قالوا إنه نزل في صورة وشبه إنسان وهيئة بشر من دون أن يكون كذلك... جاء في شكل إنسان من دون أن يكون له مكونات الإنسان من لحم ودم وعظام... جاء في «شبه جسد» و«هيئة الإنسان». وقالوا إنه لم يكن يجوع أو يعطش أو ينام، ولم يكن في حاجة للأكل أو الشرب...إلخ؛ وإنه كان يأكل ويشرب وينام متظاهرًا بذلك تحت هيئة بشرية غير حقيقية. وشبهوا جسده بالنور أو شعاع الشمس، فإن النور وشعاع الشمس يمكن لهما أن يخترقا لوحًا من الزجاج من دون أن يكسرا هذا اللوح». كان مجرد خيال[38].

(38) **Iraeneus**: *Adversus Haereses.*, **op**.**cit**.

وجاء في أحد كتبهم والذي يسمى بـ «أعمال يوحنا»[39]، أن المسيح عندما كان يسير على الأرض لم يكن يترك أثرًا لأقدامه وعندما كان يوحنا يحاول الإمساك به كانت يده تخترق جسده بلا أي مقاومة حيث لم يكن له جسد حقيقي. وكانت طبيعة جسده متغيرة عند اللمس، فتارة يكون لينًا وأخرى جامدًا ومرة يكون خاليًا تمامًا. كان بالنسبة إليهم مجرد شبح وحياته على الأرض خيال. وكان يظهر بأشكال متعددة ويغير شكله كما يشاء وقتما يشاء!! أي كان روحًا إلهيًا وليس إنسانًا فيزيقيًا[40].

وقال بعضهم إنه اتخذ جسدًا نفسيًا Psychic، عقليًا، وليس ماديًا. وقال بعض آخر إنه اتخذ جسدًا نجميًا Sidereal. وقال آخرون إنه اتخذ جسدًا ولكنه لم يولد حقيقة من امرأة[41]. وجميعهم لم يقبلوا فكرة أنه تألم ومات حقيقة، بل قالوا إنه بدا وكأنه يتألم وظهر في الجلجثة كمجرد رؤيا. أشار إليهم «القديس» أغناطيوس الإنطاكي (35-107) تلميذ «'القديس' بطرس الرسول» وحذر المؤمنين من أفكارهم الوثنية قائلًا: «إذا كان يسوع المسيح - كما زعم الملحدون الذين بلا إله-لم يتألم إلا في الظاهر، وهم أنفسهم ليسو سوى خيالات (بلا وجود حقيقي) فلماذا أنا مكبل بالحديد»[42]...«وهو إنما احتمل الآلام لأجلنا لكي ننال الخلاص، تألم حقًا وقام حقًا، وآلامه لم تكن خيالًا، كما ادعى بعض غير

(39) Edgar Hennecke, *New Testament Apocrypha.* Philadelphia: Westminster, 1963.
Patterson, Stephen J. «Apocrypha, New Testament.» In the Anchor Bible Dictionary. Vol. 1. Edited by David Noel Freedman, 294–297. New York: Doubleday, 1992
C. Wilfred Griggs, «Apocrypha and Pseudepigrapha,» *The Encyclopedia of Mormonism*, 1:55–56.
https://eom.byu.edu/index.php/Apocrypha_and_Pseudepigrapha

(40) Robert Jones: *Heresies & Schisms in Early Church*. Acworth, Georgia 2001

(41) John Arendzen. «Docetae.» *The Catholic Encyclopedia*. Vol. 5. New York: Robert Appleton Company, 1909.

(42) رسالته إلى أهالي ترالس. الفصل العاشر
http://www.newadvent.org/fathers/0106.htm

المؤمنيين، الذين ليسوا سوى خيالات»[43]... «لو أن ربنا صنع ما صنعه في الخيال لا غير لكانت قيودي أيضًا خيالًا»[44].

كما كان لهذه الجماعات، أيضًا، اعتقادات أخرى في المسيح، فقالوا إن المسيح الإله نزل على يسوع الإنسان وقت العماد وفارقه على الصليب، وقالوا أيضًا إن المسيح الإله والحكمة الإله نزلا على يسوع واتحدا به وفارقاه أيضًا عند الصليب. أي أن الذي صلب، من وجهة نظرهم هو المسيح الإنسان وليس المسيح الإله. وهؤلاء يؤمنون أن المسيح هو في ذاته كيان إنساني، كانت نفسه عبارة عن كيان إلهي وليست مجرد شرارة إلهية داخله، بل كيانا إلهيًا خاصًا، جاء من أعلى وسكن مؤقتًا في يسوع الناصري ليكشف من خلاله الحقائق الضرورية لأتباعه المقربين[45].

ومن أبرز قادة الدوسيتيين (أو الدوقتيين) مونويموس العربي (وربما كان اسمه المنعم أو عبد المنعم فتحول باليونانية إلى Monoimos)، وكان يدعو إلى البحث عن الله في الذات، ويروى عنه إنه قال:»ربي هو عقلي، إدراكي، روحي، جسدي»[46].

5- الآسينية والآسينيون

الآسينيون هم طائفة يهودية ظهرت أثناء فترة الهيكل اليهودي الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي، ويزعم بعض

---

(43) المرجع السابق نفسه، رسالته إلى إزمير (سميرنا). الفصل الثاني

(44) المرجع السابق نفسه، رسالته إلى أهالي إزمير. الفصل الرابع

(45) *Christianity Turned on Its Head*: op.cit., p.88.

(46) هيبوليطُس: «دحض جميع البدع». من الترجمة الإنكليزية في مجموعة آباء الكنيسة المعارضين لمجمع نيقية:
The Complete Ante-Nicene Church Fathers Collection [9 Volumes]. Catholic Way Publishing (Editor), Philip Schaff (Translator)., vol:5., p. 122

الباحثين أن بعض الكهنة انفصلوا بها عن طائفة اليهود الصدوقيين[47]. ويبدو أن بدايتهم ترتبط بثورة المكابيين. ونظرًا لقلة عددهم مقارنة بالفريسيين والصدوقيين، فقد عاش الآسينيون في عدة مدن في تجمعات تميل إلى الزهد (بعضهم عاشوا حياة بتولية من دون زواج) والفقر طواعيةً، والطهارة. تشارك عدد من الجماعات الدينية الاعتقادات حول بعض المسائل مثل طبيعة الإله والإيمان بالآخرة وشخص الماشيح (المسيح المخلص) والزهد، وقد جمعها الباحثون جميعًا تحت اسم «الآسينيون»[48].

حظيت تلك الطائفة بشهرة واسعة حديثًا بعدما اكتشفت مجموعة ضخمة من الوثائق الدينية عُرفت بمخطوطات البحر الميت (قمران)، يُعتقد أنها مكتبة للآسينيين - برغم عدم وجود دليل يُثبت أنها من كتاباتهم. اشتملت تلك الوثائق على عدة أجزاء من عدة نسخ من الكتاب العبري لم تُلمس منذ سنة 300 ق.م وحتى اكتشافها سنة 1946 م. يشكك بعض العلماء أن تلك المخطوطات من كتابات الآسينيين[49]، بل وشكك غيرهم في وجود الآسينيين أنفسهم[50].

(47) F.F. Bruce, *Second Thoughts on the Dead Sea Scrolls*. Paternoster Press, 1956

(48) أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ، الطبعة 5، بغداد «دار الرشيد» 1981 م

(49) Hillel Newman: «Proximity to Power and Jewish Sectarian Groups of the Ancient Period. A Review of Lifestyle, Values, and Halakha in the Pharisees, Sadducees, Essenes, and Qumran». Series: *The Brill Reference Library of Judaism.* Volume: 25. 2006

(50) اعتبرت الباحثة الإسرائيلية ريتشل إليور، أستاذة التصوف اليهودي في الجامعة العبرية بالقدس بأن «الآسينيين»، الذين يفترض بأنهم كتبوا نصوص مخطوطات البحر الميت، التي يرجع تاريخها إلى القرن الأول الميلادي وتعتبر أقدم الأدلة المدونة للكتاب المقدس، غير موجودين من الأساس، وهو الأمر الذي يناقض أساسيات التاريخ الديني بالعهد القديم المشترك لدى المسيحيين واليهود. وقالت إن المجموعة اليهودية المعروفة باسم «الآسينيين،» والتي يرى مؤرخون أن أفرادها قاموا بتدوين مخطوطات البحر الميت، ما هي إلا تلفيق من قبل المؤرخ الروماني اليهودي، يوسيفوس فلافيوس، خلال القرن الأول الميلادي. وأضافت إليور =

يعد كتاب التاريخ الطبيعي للمؤرخ الرومي بلينيوس الأكبر أقدم المصادر التي ذكرت تلك الطائفة[51]. ذكر بلينيوس أنهم لا يتزوجون، كانوا زاهدين في المال، وتعدادهم بالآلاف. وبالرغم من قول فيلون الإسكندراني بأنهم منتشرون في كل أرض إسرائيل، إلا أن بلينيوس حدّد تمركزهم في عين جدي بالقرب من البحر الميت.

ورد أيضًا ذكر الآسينيين في كتب يوسيفوس فلافيوس[52] «الحرب

= أن تقارير يوسيفوس الخاطئة، التي رغب من خلالها المباهاة بوجود مجموعة يهودية تعادل من حيث قيمها وعاداتها سكان إسبارطة التاريخية، التي كان الرومان يجلون قيمها، انتقلت على مر القرون، مما أدى إلى تحولها إلى وقائع. وأوضحت إليور أن المخطوطات، لم تذكر أي نوع من المعلومات عن المجموعة، لم يرد اسمها مطلقًا، وأضافت: «لقد أضعنا 60 عامًا في محاولة للعثور على معلومات عنهم.. إنها أساطير بنيت على أساطير». اعتمدت إليور في موقفها الذي هز الأوساط الأكاديمية على مواصفات الآسينيين كما وردت في المصادر القديمة، ومنها امتناعهم عن التزاوج، فاعتبرت أنه «من غير المعقول، وجود مجموعة يهودية تضم آلاف الأعضاء تمارس شعائر تناقض الدين اليهودي، (الذي يحض على الزواج والإنجاب) من دون أن تشير الكتب اليهودية الصادرة في تلك الفترة إليها.»

Ofri Ilan. «Scholar: The Essenes, Dead Sea Scroll 'authors,' never existed». *Haaretz. 13 March 2009*

Tim McGirk. «Scholar Claims Dead Sea Scrolls ‹Authors› Never Existed». *Time. 16 March 2009*

«Rachel Elior Responds to Her Critics». *Jim West. 15 March 2009.*

(51) Pliny the Elder. *Historia Naturalis*. Book V, Chapter 17; https://archive.org/stream/plinysnaturalhis00plinrich/plinysnaturalhis00plinrich_djvu.txt

(52) يوسيفوس فلافيوس (لغة لاتينية: Josephus Flavius) أو يوسيبوس (لغة يونانية: Ιώσηπος) أو باسمه العبري الأصلي يوسف بن ماتيتياهو (והיתתמ ןב ףסוי) (38–100 للميلاد، تقدير) كان أديبًا مؤرخًا وعسكريًا يهوديي الدين رومانيًا عاش في القرن الأول للميلاد واشتهر بكتبه عن تاريخ منطقة يهوذا، والتمرد اليهودي على الإمبراطوية الرومانية والتي تلقي الضوء على الأوضاع والأحداث في فلسطين خلال القرن الأول للميلاد في حين انهيار مملكة يهوذا، ظهور الديانة المسيحية والتغييرات الكبيرة في اليهودية بعد فشل التمرد ضد الرومان ودمار الهيكل. وكتابه «تاريخ حرب يهوذا ضد الرومان» المعروف باختصار كـ «حروب يهوذا»، صدر في عام 78 للميلاد باللغة اليونانية ومن المحتمل أن يوسيفوس كتبه بالآرامية أولًا، ثم ترجمه =

اليهودية» سنة 75م و«عاديات يهوذا» سنة 94م و«سيرة يوسيفوس فلافيوس» سنة 97م، حيث ذكر أنهم مع الفريسيين والصدوقيين المذاهب الفلسفية اليهودية الثلاثة[53]. وصف فلافيوس الآسينيين بالتقوى والتبتّل والزهد في الدنيا والحياة في مجتمعات تشاركية والالتزام الصارم بالسبت اليهودي. كما أضاف أنهم كانوا يُعمّدون أنفسهم يوميًا في الماء، ويأكلون في جماعات، ويكرّسون حياتهم لفعل الخيرات، ويمتنعون عن التعبير عن الغضب، ويدرسون كتب الأقدمين ويبحثون في أسرارها، ويقدسون أسماء الملائكة في كتاباتهم المقدسة. ذكر يوسيفوس فلافيوس في كتاباته أن الآسينيين تواجدوا في تجمعات كبيرة. وأن عددهم كان بالآلاف منتشرين في المقاطعة اليهودية الرومانية. وحدّد بيلينيوس أماكن تمركزهم في الصحراء في شمال غرب شاطيء البحر الميت حيث اكتشفت مخطوطات البحر الميت[54].

واسم الطائفة نسبة إلى كلمة أسين، وتعني باليونانية الصامتين، أو الممارسين، أو الأتقياء أو الورعين أو المغتسلين أوالحسيديين Hasidim بمعنى المشفقين، وقد أُطلقت هذه التسمية على طائفة من بني إسرائيل نشأت قُبيل العهد المسيحي في الفترة المكابية الحشمونية

= إلى اليونانية، غير أنه لم تبق منه إلا النسخة اليونانية. في هذا الكتاب يسرد يوسيفوس أحداث آخر أيام حكم الحشمونيين على منطقة يهوذا، احتلال المملكة من قبل الرومان، التمرد اليهودي على الرومان وفشله حتى سقوط آخر تحصينات المتمردين في مسادا (مسعدة). وكتابه «عاديات يهوذا»صدر في عام 94 للميلاد باللغة اليونانية ويشمل 20 فصلًا، يعرض تاريخ أتباع الديانة اليهودية بحسب التراث والمصادر المتوفرة آنذاك. وكتابه «حياة يوسيفوس فلافيوس» صدر في عام 99 وهو قصة حياته. وكتاب «يوسيفوس فلافيوس بمواجهة أبيون» صدر في عام 97 وحاول فيه الدفاع عن مفاهيم الديانة اليهودية في وجه المفاهيم الرومانية المعاصرة له وهو الكتاب الذي وردت فيه المعلومات الوافية عن الأبيونيين.

(53) Josephus. *The Wars of the Jews*. Book 2. Ch.8. 3

(54) G.L. Harding: *Introductory: The Discovery. Qumran Cave 1*. Oxford: Oxford University Press (1997)

(150 ق.م – 30 ق.م) وسكنوا خربة قمران[55] قرب البحر الميت في الكهوف والمغاور، وفق شرائع محددة ملتزمة بالطهارة والعبادة وهي تختلف عن بقية الفرق اليهودية اختلافًا أساسيًا في عقائدها وتقاليدها، اتخذوا نظامًا نسكيًا خاصًا شديد التقشف؛ وأتباعها رجال لا نساء بينهم. ومن أهم مبادئهم أنهم يحرمون نظام الرق على عكس الفرق اليهودية الأخرى التي يقوم نظامها على الرق، كما يحرمون الملكية الفردية ويرفضون تقديم الذبائح والقرابين. أتباعها يغتسلون كل صباح في مياه الينابيع الصافية ويعتمدون في معيشتهم على ما يزرعونه من الحبوب والفاكهة وكانوا يستحضرون العقاقير ويجمعون الحشائش ويشتغلون بشفاء الناس من الأمراض، وقد آمنت هذه الطائفة أن الله هو الخالق الوحيد. استمرت هذه الجماعة قائمة إلى عام 68م حيث قضى عليهم الرومان. وفي فرضية أخرى أن هذه الجماعة بدأت تنقرض قبل ذلك التاريخ. وكان الآسينيون قد نسخوا تراثهم وحفظوه في كهوف خربة قمران في حوالى 400 مخطوطة على أمل العودة إليها مرة أخرى. إلا ان حكم الحشمونين وهي أسرة يهودية، عمل على إعادة العناصر

---

(55) خربة قمران موقع أثري صغير الحجم، يقع على شواطئ البحر الميت على مقربة بضع كيلو مترات جنوبي أريحا في الأراضي الفلسطينية المحتلة، اكتسب شهرته العالمية بسبب عثور مخطوطات البحر الميت فيه، وقبل العثور على المخطوطات لم يكن معروفًا إلا عند القليل من علماء الآثار.

واختلف الباحثون على معنى قمران، فبعضهم يرى أنه اسم عربي مشتق من كلمة (قُمرة) أي لون البياض المائل إلى الخضرة نسبة للون أرضها الكلسية البيضاء الضاربة للون الأخضر لما يتخللها من النباتات المفيدة للرعي، وآخرون يرون أن قمران مثنى قمر إذ يعكس القمر ضوءه على سطح البحر الميت المجاور للمنطقة، فيظهر وجهان للقمر ومنهما جاءت كلمة قمران، ويعتقد البعض الآخر أن قمران نسبة إلى إحدى القبائل التي كانت تحمل اسم قمر التي سكنت تلك المنطقة من البدو. لم يرد اسم قمران في الكتاب المقدس، إنما من المرجح أن قمران كانت تدعى (سكاكة) أو (مدينة الملح) المذكورتين في جدول مدن يهوذا وذلك في عهد الملوكية في القرن الثامن قبل الميلاد وعهد الهيكل الثاني (سفر يشوع 15: 61–62)

والطقوس الهلنستية، ما أثار غضب اليهود الأتقياء (الآسينيين) الذين عاشوا في قمران وكانوا يعتقدون على قلتهم بأنهم يعرفون الحقيقة وأن معظم اليهود على ضلال.

المعتقدات

مارست هذه الجماعة (الآسينيين) طقوسًا خاصة بها اتسمت بعدة سمات منها:

1. المعرفة بأسرار الكتاب المقدس.
2. الاهتمام بالفلك والتنبؤ.
3. التطهر قبل الأكل
4. كانوا مقسمين إلى 12 مجموعة بقيادة رئيس يسمى (معلم الصدق والمقصود معلم العدالة والاستقامة)
5. كانوا متخذين اللون الأبيض كملبس لهم

هناك الكثير من الاعتقادات بأن النبي يحيى بن زكريا/ يوحنا المعمدان قضى وقتًا مع فرقة الآسينيين وأن عيسى نفسه كان من هذه الفرقة[56].

يجدر أن نذكر هنا أن كلمة الآس العربية مطابقة للكلمة الآكدية (البابلية والآشورية) «آسو» لفظًا ومعنى... وتعني في كل اللغات السامية القديمة «الشجرة الطيبة الرائحة»، وقد استخرج القدماء من هذه الشجرة «زيت الآس» الذي كان له استعمالات طبية كثيرة... وتطلق كلمة الآسي على الطبيب في اللغة الآكدية (البابلية والآشورية) المأخوذة من المصطلح السومري آ-زو أو يا-زو ويعني الطبيب أيضًا... وآ هي

(56) A. Roitman, *A Day at Qumran*, Jerusalem 1997

الماء و«زو» تعني عَرَف... وفي الصيغة الثانية يا هي الزيت... فيكون المعنى: الطبيب «العارف بالماء والزيت» وهما مما يدخل في فن الشفاء والتداوي... وفي المعاجم العربية أسا أسو، واسا الجرح إذا داواه... وآسى تأسية الرجل عالجه، والإساء الدواء، ويطلق الآسي (وجمعه آساة وآساء والمؤنث آسية) على الطبيب أيضًا[57].

وكان العرب القدماء يعتبرون المسيح من الآسيين الذين برعوا في المداواة والمشافاة باستخدام الأعشاب.

6- الإبيونية والإبيونيون[58]

إبيونية (باليونانية: Ἐβιωναῖοι) مشتقة من الكلمة العبرية: אביונים؛ إبيونيم (أو إفيونيم)، ومعناها «الفقراء» أو «المساكين»[59]. كان الإبيونيون مذهبًا «هرطوقيًا» بحسب الكنيسة. وكل ما نعلمه عن آرائهم – كما عن آراء أغلب المذاهب الهرطوقية في العصور الأولى للكنيسة – جاء من منقولات على لسان معارضيهم. ولم يكن هؤلاء المعارضون يعنون عناية كافية بالدراسة الدقيقة لآراء من هاجموهم. وتزداد الصعوبة بالنسبة

(57) ينظر: طه باقر، «من تراثنا اللغوي القديم: ما يسمى في العربية بالدخيل». بيت الوراق للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 2010. ص 53–55

(58) المصادر المسيحية الرئيسية التي تتحدث عن الإبيونية والإبيونيين هي الكتابات التالية:

Epiphanius of Salamis, *Panarion* 29-30.
Eusebius, *Church History* 3.27.
Hippolytus, *Refutation of All Heresies* 7.22, 34; 9.13-17.
Irenaeus, *Against Heresies* 1.26.2, 3.11.7; 3.21.1, 5.1.3.
Justin Martyr, *Dialog With Trypho* 47.
Origen, *Against Celsus* 2.1.
Pseudo-Tertullian, *Against All Heresies* 11.
Tertullian, *Prescription Against Heretics* 33.

(59) E.A. Cross & F.L. Livingston, (ed.). «Ebionites». *The Oxford Dictionary of the Christian Church*. Oxford University Press. 1989

للإبيونيين لوجود شك فيمن هم المقصودون بهذا الاسم. فقد كان الاسم يطلق على جميع المسيحيين من اليهود من دون النظر إلى آرائهم، وفي بعض الأحيان كان يطلق على طائفة قريبة من بعض الغنوصيين الذين لم يعترفوا إلا بأصل بشري ليسوع المسيح.

كان آباء الكنيسة الأوائل يسمون هؤلاء وغيرهم بالمسيحيين اليهود الذين يتبعون وصايا موسى، و«كنيسة الختان». وهذا يظهر بوضوح في محاورات يوستينوس مع تريفو (حوالى سنة 140م)[60]. ويبدو أيضًا أن إيرينيؤس كان أول من استخدم مصطلح إبيونيين لوصف المسيحيين اليهود المتمسكين بتعاليم موسى ووصاياه[61]. وفي القرن الرابع وصف إبيفانيوس السيلاميسي في كتابه Panarion ثمانين طائفة هرطوقية من بينها الإبيونيين وأورد معتقداتهم الدينية واقتباسات من «إنجيلهم»[62]. وبحسب الموسوعة البريطانية فإن هذه الطائفة ظهرت وقت حصار الرومان للقدس أورشليم في عام 70م[63].

ومن قراءة كتابات آباء الكنيسة يتبين مقدار الخلط بين عشرات الفرق الهرطوقية الغنوصية للمسيحية الأولى من إبيونيين وآسينيين وكربوقراطيين وكيرنثيين وإلكاسيين وناظوريين وصابئة...إلخ[64].

---

(60) Justin Martyr, *Dialogue with Trypho*, 47

(61) Irenaeus, *Against Heresies* I, 26; II,21

(62) Epiphanius of Salamis, *Panarion*, 30
Glenn Alan Koch, *A Critical Investigation of Epiphanius' Knowledge of the Ebionites: A Translation and Critical Discussion of 'Panarion' 30*. University of Pennsylvania, ProQuest Dissertations Publishing, 1976

(63) Encyclopædia Britannica; article «Ebionite»

(64) Cross; Livingston, «Ebionites»; op.cit.
Encyclopædia Britannica; op.cit.
Kaufmann Kohler. «Ebionites». In Isidore Singer & Cyrus Alder. *Jewish Encyclopedia*. (1901 – 1906)
Hyam Maccoby. *The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity*. HarperCollins. 1987., pp. 172- 183 =

وزعم إبيفانيوس أن الإبيونيين كان فيهم بعض الغنوصيين ولكنهم لم يشكلوا طائفة مستقلة خاصة بهم[65].

انتشر الإبيونيون في فلسطين والأقطار المجاورة، ومراكز شتات اليهود بعد خراب أورشليم سنة 70م، بل وبلغوا روما. انتشر المسيحيون اليهود خلال عهد الشتات اليهودي في بلاد الشام حيث ذابوا بالتدريج في الطوائف المسيحية التقليدية[66]. وما إن دُمّرت كنيسة أورشليم سنة 135م، حتى فقد الإبيونيون تأثيرهم وأتباعهم تدريجياً. وقد تعرضوا للتهميش والاضطهاد من قبل المسيحيين واليهود على حدٍ سواء[67]. في

= Robert Eisenman. *James, the Brother of Jesus: The Key to Unlocking the Secrets of Early Christianity and the Dead Sea Scrolls*. Duncan Baird Pub.2002

A. F. J. Klijn and G. J. Reinink. *Patristic Evidence for Jewish-Christian Sects*. Leiden: Brill, 1973.

G. Uhlhorn, «EBIONITES,» Philip Schaff, ed., A Religious Encyclopaedia or Dictionary of Biblical, Historical, Doctrinal, and Practical Theology, 3rd edn., Vol. 2. Toronto, New York & London: Funk & Wagnalls Company, 1894. pp.684-685.

Tim Hegg. «The Virgin Birth — An Inquiry into the Biblical Doctrine» *TorahResource*. 2007

https://www.torahresource.com/EnglishArticles/VirginBirth.pdf

Jeffrey Butz. *The Secret Legacy of Jesus: The Judaic Teachings That Passed from James the Just to the Founding Fathers,* Inner Traditions. 2009

«في الواقع، الإبيونيون هم والناصريون واحد» (ص 124)، «بعد الدمار الذي خلّفته حرب اليهود، نزح الناصريون إلى بيلا، كمجتمع في المنفى، حيث ظلوا ينتظرون مع إخوانهم اليهود. وهناك أصبح من الأفضل تسميتهم بالإبيونيين. فلم يكن هناك فرق واضح بين الناصريين والإبيونيين، ولا حتى تغييرًا في عقائدهم الدينية»، (ص 137).

(65) Henry Wace & William Piercy. *A Dictionary of Christian Biography and Literature to the End of the Sixth Century A.D., with an Account of the Principal Sects and Heresies*. published by John Murray, London, 1911

(66) S. G. F. Brandon. *The fall of Jerusalem and the Christian church: A study of the effects of the Jewish overthrow of A. D. 70 on Christianity.* London: Society for Promoting Christian Knowledge; New York: Macmillan: 1968. (Wipf & Stock Pub; 2 edition: 2010)

Edward Gibbon. *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire*. Random House, NY. 2003. «Fall in the West», Vol 1, Ch. 15, p. 390–391.

(67) Hyam Maccoby. *ibidem*

سنة 375م، رصد إبيفانيوس وجود تجمع للإبيونيين في قبرص، إلا أن ثيودوريطس نفى في منتصف القرن الخامس الميلادي وجود أي بقايا لهم في هذه المنطقة[68].

ونجد ذكرهم عند القاضي عبد الجبار[69] الذي تحدث عن وجود أتباع لهم في الجزيرة العربية حوالى العام 1000م[70]. وفي القرن الحادي عشر الميلادي، أورد الحاخام بنيامين التطيلي في كتاب رحلاته إشارةً عن وجود تجمعات ليهود في شمال غرب شبه الجزيرة العربية في تيماء وتلماص[71]، وقال عنهم: «يعيشون حياة كلها تقشف وزهد. لا يذوقون لحماً ولا يشربون خمراً. لباسهم السواد ومأواهم الأكواخ والكهوف. يقضون جل أوقاتهم صياماً باستثناء أيام السبوت والأعياد. وهم دوماً عاكفون على إقامة الصلوات من أجل إخوانهم اليهود المشتتين في أنحاء

(68) Henry Wace & William Piercy. *ibidem*

(69) قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المتوفي سنة 415 هـ: تثبيت دلائل النبوة؛ تحقيق عبد الكريم عثمان؛ دار العربية للطباعة والنشر، بيروت؛ 1966. الصفحات 108–234

(70) Shlomo Pines. The Jewish Christians of the Early Centuries of Christianity according to a New Source. *Proceedings of the Israel Academy of Sciences and Humanities*. Vol: II, No. 13. Jerusalem 1966.

(71) ولعلها صعده في اليمن بحسب التراث اليهودي اليمني كما نجد ذلك في كتابات الحاخام اليمني حاييم بن يحيى حبشوش (1833–1899) مؤرخ القرن التاسع عشر عن يهود اليمن. وهذا الحاخام شغل دليلًا للمستشرق اليهودي الفرنسي الرحالة جوزيف هاليفي لمدة ثلاثة وعشرين عامًا. وقد بدأ حبشوش الكتابة لحساب رحلة هاليفي أولًا بالعبرية وبعد ذلك بلغته الأم اللهجة العربية اليهودية. وفي سرده لتفاصيل الرحلة مع هاليفي إلى مدينة صعده في اليمن (عنوان كتابه رحلات حبشوش שושבה תועסמ) يذكر حبشوش مدينة تلماص على أنها المدينة القديمة في صعده. ويعزز روايته بذكر مثل يمني يقول: أنا أتملص لأنني من تلماص. وهذا يؤكد رواية بنيامين التطيلي عن كون مدينة تلماص هذه هي صعده اليمنية.

المعمورة»[72]، ورجّح ماركوس إلدر أنها للإبيونيين[73].وفي القرن الثاني عشر الميلادي، ذكر الشهرستاني وجود يهود يعترفون بالمسيح نبياً ويتعبدون باليهودية القديمة، ويرفضون النظرة المسيحية الرسمية لعيسى[74]. وذكر الكثيرون عنهم أنهم مارسوا الطقوس اليهودية النباتية اقتداءً بيوحنا المعمدان (يحيى) ويسوع الناصري اللذين نقل إبيفانيوس عن إنجيل الإبيونيين تعريفه لهما بالنباتيين، «وغذاؤه كان من العسل البري الذي كان طعمه من المن، كالكعك في الزيت»[75].

يتفق معظم الذين كتبوا عن الإبيونيين على أنهم اعتبروا يعقوب (أخو عيسى) رأس كنيستهم، وأخوة عيسى عائلة مقدسة لها حق الخلافة

(72) الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي (المتوفى: 569هـ): رحلة بنيامين التطيلي 561-569هـ/ 1165-1173م، ترجمة عزرا حداد، دراسة وتقديم عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المجمع الثقافي، أبو ظبي 2002.ص 316-317

(73) Marcus N. Adler. *The Itinerary of Benjamin of Tudela: Critical Text*, Translation and Commentary. Phillip Feldheim. 1907, 70-72

(74) Muhammad Al-Shahrastani (Author), William Cureton (Editor). *Kitāb al-milal wa-al-niḥal*: *Book of religious and philosophical sects*, Printed for the Society for the Publication of Oriental Texts, London. 1846., Volume 1., p. 167
Hans-Joachim Schoeps. *Jewish Christianity: Factional Disputes in the Early Church*. Translation Douglas R. A. Hare. Fortress Press. 1969

(75) J. Verheyden*, Epiphanius on the Ebionites, in The image of the Judaeo-Christians in ancient Jewish and Christian literature*, eds. Peter J. Tomson, Doris Lambers-Petry, 1969., pp. 188: «The vegetarianism of John the Baptist and of Jesus is an important issue too in the Ebionite interpretation of the Christian life.»
Bart D. Ehrman. *Lost Christianities: The Battles for Scripture and the Faiths We Never Knew.* Oxford University Press. 2003., p.102 - «Probably the most interesting of the changes from the familiar New Testament accounts of Jesus comes in the Gospel of the Ebionites description of John the Baptist, who, evidently, like his successor Jesus, maintained a strictly vegetarian cuisine.»
Bart D. Ehrman. *Lost Scriptures: Books that Did Not Make It into the New Testament*. Oxford University Press. 2003., p.13.
W.M. Ramsey. «The Tekmoreian Guest-Friends». *Journal of Hellenic Studies*. 1912., 32: 151–170.
Exarch Anthony J. Aneed. *Syrian Christians, A Brief History of the Catholic Church of St. George in Milwaukee, Wis. And a Sketch of the Eastern Church.* 1919

الرسولية؛ وأنهم نبذوا بولس واتهموه بأنه المسؤول عن عدم الختان إذ اعتبروا الختان واجبًا دينيًا لقبول المسيحيين الجدد في الكنيسة(76)؛ واتهموه أيضًا بتجاهل شريعة موسى، واعتبروه مرتدًّا عن المسيحية(77). وقال إبيفانيوس السلاميسي بأن الإبيونيين زعموا أن بولس كان يونانيًا تحوّل إلى اليهودية من أجل الزواج من ابنة كوهين غادول الحاخام الأعظم لإسرائيل، ولما رفضت الزواج منه ارتد عن الديانة(78). وقال آباء الكنيسة إن الإبيونيين عندهم إنجيل خاص هو نسخة عبرية (أو آرامية) من إنجيل متى يُشار إليه باسم إنجيل العبرانيين ما يعني كونهم عبرانيون إثنيًا(79).

---

(76) Irenaeus, *Against Heresies.* V, 1.
Bauckham 'We may now assert quite confidently that the self-consciously low Christology of the later Jewish sect known as the Ebionites does not, as has sometimes been asserted, go back to James and his circle in the early Jerusalem church.' Richard Bauckham, ‹James and Jesus,› in Bruce Chilton, Jacob Neusner*, The brother of Jesus: James the Just and his mission*, Westminster John Knox Press, 2001, pp.100-137, p.135.
James D. Tabor. *The Jesus Dynasty: A New Historical Investigation of Jesus, His Royal Family, and the Birth of Christianity*. Simon & Schuster, 2006., p. 4-5, 79-80, 247, 249-251.
Keith Augustus Burton. *The Blessing of Africa: The Bible and African Christianity.* Intervarsity Press 2007, pp. 116,117.

(77) Irenaeus, *Against Heresies.* I, 26; II,21.

(78) «[The Ebionites] declare that he was a Greek [...] He went up to Jerusalem, they say, and when he had spent some time there, he was seized with a passion to marry the daughter of the priest. For this reason, he became a proselyte and was circumcised. Then, when he failed to get the girl, he flew into a rage and wrote against circumcision and against the sabbath and the Law «- Epiphanius of Salamis, *Panarion* 30.16.6-9
Matt Jackson-McCabe. (Ed.). *Jewish Christianity Reconsidered: Rethinking Ancient Groups and Texts*. Augsburg Fortress Publishers. 2007., P.88

(79) مجمع الكنائس الشرقية: قاموس الكتاب المقدس. مكتبة المشغل. بيروت الطبعة السادسة 1981.ص 248، و2178
Philip Schaff, A Select Library of the Nicene and Post-Nicene Fathers of the Christian Church, (14 volume set contains works by Augustine and Chrysostom). Vol. 1 (The Confessions and Letters of St. Augustine) [1904] footnote 828: «That there were two different views among the Ebionites as to the birth of Christ is stated frequently by Origen (cf. e.g. Contra Celsum V. 61), but there was unanimity in the denial of his pre-existence and essential divinity, and this = constituted the essence of the heresy in the eyes of the Fathers from Irenæus on.»

وقد رجّح بعض الباحثين أن جوهر «إنجيل برنابا» ربما كُتب اعتمادًا على وثيقة إبيونية أو غنوصية[80]. وقد صنّف جون أرنديزن في مقالة «الإبيونيون» في نسخة الموسوعة الكاثوليكية لسنة 1909 م كتابات الإبيونيين إلى أربع مجموعات[81]:

أ- إنجيل الإبيونيين

ذكر إيريناوس أن الإبيونيين اعتمدوا على إنجيل متى حصريًا. بينما ذكر يوسابيوس القيصري بعد ذلك بأنهم استخدموا فقط إنجيل العبرانيين. لذا، زعم عدد قليل من الباحثين، من بينهم جيمس إدوارد وإدوارد نيكلسون، أنهم تداولوا نسخة واحدة من الإنجيل العبراني وهي نسخة متى من الإنجيل العبراني، وقالوا بأن مُسمّى «إنجيل الإبيونيين»

= Geoffrey W. Bromiley. *The International Standard Bible Encyclopedia* (4 Volumes complete). William B. Eerdmans Publishing Company; Grand Rapids, Mich., 1982., Vol II. E-J, p.9: article «Ebionites» citing E.H.3.27.3 «There were others, however, besides them, that were of the same name, that avoided the strange and absurd beliefs of the former, and did not deny that the Lord was born of a virgin and of the Holy Spirit. But nevertheless, inasmuch as they also refused to acknowledge that he pre-existed, being God, Word, and Wisdom, they turned aside into the impiety of the former, especially when they, like them, endeavored to observe strictly the bodily worship of the law.»

Albertus Frederik Johannes Klijn; G. J. Reinink. *Patristic evidence for Jewish-Christian sects*. Leiden: Brill, 1973., p.42 «Irenaeus wrote that these Ebionites used the Gospel of Matthew, which explains Theodoret's remark. Unlike Eusebius, he did not link Irenaeus' reference to Matthew with Origen's remarks about the «Gospel of the Hebrews»,»

Edwin K. Broadhead. *Jewish Ways of Following Jesus: Redrawing the Religious Map of Antiquity.* Wissenschaftliche Untersuchungen zum Neuen Testament (Book 266) Publisher: Mohr Siebrek Ek. 2010., p.209 «Theodoret describes two groups of Ebionites on the basis of their view of the virgin birth. Those who deny the virgin birth use the Gospel of the Hebrews; those who accept it use the Gospel of Matthew.»

(80) John Toland, *Nazarenus, or Jewish, Gentile and Mahometan Christianity*, 1718. R. Blackhirst. «Barnabas and the Gospels: Was There an Early Gospel of Barnabas?», *Journal of Higher Criticism*. 7/1 (Spring 2000), 1-22.

(81) John Peter Arendzen. Catholic Encyclopedia: Volume 5 (1913) article «Ebionites»

لم يكن موجودًا على الإطلاق في عصر المسيحية الأولى[82]. ادعى إبيفانيوس أن الإبيونيين تداولوا إنجيلاً كتبه متى كان يسمى «إنجيل العبرانيين» وأردف قائلاً: «الذي لم يكن فقط غير مكتمل، بل وكان مزوّرًا ومشوّهًا...»[83] اعتبر كُتّاب مهمون مثل والتر ريتشارد كاسل وبيرسون باركر تلك النسخة نسخة مختلفة من إنجيل متى العبراني. ومع ذلك، فإن الاقتباسات التي استخدمها إبيفانيوس في كتابه توحى بأنه اقتبسها من نسخة مكتوبة باليونانية[84].

ب- الكتابات الكليمنتية

اشتملت المجموعة التي تعرف بالكتابات الكليمنتية على ثلاثة نصوص عرفت قديمًا بأسماء «حلقات بطرس» و«أعمال الرسل»

---

(82) «هؤلاء المدعوون الإبيونيون آمنوا بأن الله خلق العالم. ورغم ذلك، فإن آرائهم حول الرب تتشابه مع آراء سيرينثيوس وكربوراطس. فاستخدموا «إنجيل متى» فقط، ونبذوا بولس الرسول، واعتبروه مرتدًا عن الدين». انظر:

Irenaeus, *Against Heresies* 1.26.
Eusebius of Caesarea, *Church History*, IV, 21, 8.
James R. Edwards, *The Hebrew Gospel & the Development of the Synoptic Tradition*, Wm. B. Eerdmans Publishing Co, 2009., p. 121
Edward Byron Nicholson. *The Gospel according to the Hebrews*. 1879., Reprinted by BiblioBazaar. 2009., pp 1-81
William Whiston & H. Stebbing.*The Life and Works of Flavius Josephus*, reprinted Vol II, Kessinger Publishing, 2006. p 576

(83) «هم أيضًا يقبلون بإنجيل متى، كأتباع سيرينثيوس وميرينثيوس، ولم يقبلوا بغيره. وسمّوه «إنجيل العبرانيين»، فمتى وحده من استخدم كتب العهد الجديد بالعبرية مستخدمًا الأحرف العبرية». انظر:

Epiphanius, Panarion 30.3.7
Epiphanius, Panarion 30.13.1

(84) Walter Richard Cassels, *Supernatural Religion - An Inquiry into the Reality of Divine Revelation*, 1877 reprinted Read Books, 2010. Vol. 1, p 419- 422
Pierson Parker, A Proto-Lukan Basis for the Gospel According to the Hebrews, *Journal of Biblical Literature*, Vol. 59, No. 4, 1940. P. 471
Robert J. Miller. (ed.) *The Complete Gospels*. Polebridge Press. 1994., p. 436.

و«صعودات يعقوب البار». اعتمد إبيفانيوس على تلك الكتابات في انتقاداته للإبيونيين. وردت تلك النصوص في عظات كليمنت «ملخص خطب بطرس في رحلاته»، وكذلك في «الاعترافات» المنسوبة إلى كليمنت، والتي شكلت وجهة نظر المسيحيين اليهود حول أولوية يعقوب البار (أخو عيسى) وعدائهم لسيمون المجوسي وغيره من الغنوصيين[85].

ج- سيماخوس

ترجم سيماخوس الكتاب العبري إلى اليونانية القوينية التي اعتمد عليها هيرونيموس، ولا تزال أجزاء منها موجودة، وإن كانت تعليقاته الانتقادية على إنجيل متى قد فقدت. ذكر يوسابيوس القيصري تعليقات سيماخوس في كتابه «تاريخ الكنيسة»، قائلاً: «أما بالنسبة لهؤلاء المترجمين ينبغي أن نُذّكر بأن سيماخوس كان إبيونيًا. لكن بدعة الإبيونية، كما يطلق عليها، أكّدت على أن المسيح كان ابنًا ليوسف ومريم، واعتبرته مجرد رجل، وأصرّت بقوة على الحفاظ على الشريعة اليهودية، كما رأينا بالفعل في هذا التاريخ. لا زالت تعليقات سيماخوس موجودة التي أيّد فيها تلك الهرطقة بمهاجمته لإنجيل متى. يقول أوريجينوس إنه حصل على هذه التعليقات وغيرها من تعليقات سيماخوس حول النصوص المقدسة من جوليانا الذي قال إنه ورث تلك الكتب من سيماخوس نفسه»[86]. كما أن إبيونية سيماخوس محل شك باحثين معاصرين حيث

(85) Robert Walter Funk, *The Gospel of Jesus: according to the Jesus Seminar*, Publisher Polebridge Press, 1999.
F.L. Cross and E.A. Livingston, *The Oxford Dictionary of the Christian Church*, Oxford University Press.1989., p. 438 - 439.
Robert E. van Voorst. *The Ascents of James: History and Theology of a Jewish-Christian Community*. Society of Biblical Literature. 1989

(86) Jerome, De viris illustribus,VI. 54:17

زعم سكارسون أن يوسابيوس القيصري ربما استنتج أن سيماخوس كان إبيونيًا بسبب استخدامه لنصوص مقدسة عبرية في تعليقاته، فمثلًا ذكر يوسابيوس أن سيماخوس استبدل كلمة «عذراء» بكلمتي «امرأة شابة» في الآية 7:14 من سفر إشعيا في النص العبري، ومن هنا هاجم إنجيل متى[87].

د- الإلكاسيون[88]

ذكر هيبوليطُس الرومي[89] أن المسيحي اليهودي ألسيبيادس من أفاميا ظهر في روما وهو يُدرّس كتابًا ادعى أنه وحي أنزله ملاك على

(87) Oscar Skarsaune. *Jewish Believers in Jesus*. Hendrickson Publishers. 2007., p. 448–450

(88) E.A. Cross & F.L. Livingston, «Elkesaites». *The Oxford Dictionary of the Christian Church*. Oxford University Press.
(3 rev. ed.) 2005
http://www.oxfordreference.com/view/10.1093/acref/9780192802903.001.0001/acref-9780192802903-e-2296

(89) هيبوليطُس الرومي (170 م – 235 م) أهم العلماء اللاهوتيين في الكنيسة المسيحية في القرن الثالث الميلادي في روما،التي يُعتقد أنه ولد بها. وصفه فوتيوس القسطنطيني بأنه تلميذ إيريناوس الذي كان تلميذًا لبوليكاربوس. تصادم هيبوليطُس مع الباباوات في عصره، ويبدو أنه أسس جماعة دينية تنافس البابوية. عارض هيبوليطُس الأساقفة الرومان الذين خففوا من الاشتراطات اللازمة لقبول عدد من المتحولين إلى المسيحية من الوثنيين. ورغم ذلك، طوّبته الكنيسة شهيدًا مسيحيًا بعد وفاته.

ومع بداية القرن الرابع الميلادي، نُسجت العديد من الأساطير حوله، ووصفته بأنه كان كاهنًا مواليًا للبابا المزيف نوفاتيان، أو أنه كان جنديًا تحوّل إلى المسيحية على يد لورانس الرومي. كما أن اسمه يتشابه مع شهيد آخر. وصفه البابا بيوس الرابع بأنه القديس هيبوليطُس أسقف بنطس الذي استشهد في عهد سيفيروس ألكسندر بعد أن وجد اسمه منقوشًا على تمثال وجد في كنيسة القديس لورانس في روما، وحُفظ في الفاتيكان.

The Oxford Dictionary of the Christian Church.
John Trigilio; Kenneth Brighenti. *Saints for Dummies*., 2010. p. 82.
Hippolytus and His Age, Volume I, frontispiece, 1852, p. 424
https://www.britannica.com/biography/Saint-Hippolytus-of-Rome

رجل صالح يدعى «إلكاسي»، واشتبه هيبوليطُس أن ألسيبيادس نفسه هو مؤلف الكتاب[90]. وبعد فترة قصيرة، ذكر أوريجينوس وجود جماعة تسمى «الإلكاسيين» لها نفس المعتقدات[91]. وزعم إبيفانيوس السلاميسي أن الإبيونيين أيضًا استخدموا هذا الكتاب كمصدر لبعض معتقداتهم وممارساتهم[92]. أرجع إبيفانيوس أصل الاسم «إلكاسي» إلى كلمة آرامية تعني «القوى الخفية». ويعتقد الباحث بيتري لومانين أن الكتاب قد كتب أصلًا باللغة الآرامية حول نهاية العالم اليهودي، وربما كتب في بابل بين سنتي 116-117م[93].

7- عن الصابئة - الحسيحية - الآسية وغيرها

بين القرنين الثاني والرابع للميلاد ظهرت إلى الوجود مجموعة كبيرة من الفرق انتشرت ما بين فلسطين والأردن صعودًا إلى سورية

---

(90) Gerard P. Luttikhuizen. *The Revelation of Elchasai: Investigations Into the Evidence for a Mesopotamian Jewish Apocalypse of the Second Century & Its Reception by Judeo-Christian*. Publisher JCB Mohr (Paul Siebeck) Tübingen Germany 1985., p.216

(91) Antti Marjanen, Petri Luomanen. (ed.). *A Companion to Second-century Christian «Heretics (Supplements to Vigiliae Christianae, V. 76)*., BRILL. LEIDEN & BOSTON. 2005., p.336

(92) Hippolytus (Antipope). Philosophumena, Or, The Refutation of All Heresies. Translations of Christian Literature, series 1: Greek Texts. London: Society for Promoting Christian Knowledge, 1921. IX, 14-17.
Gerard P. Luttikhuizen. *The Revelation of Elchasai*, op.cit
«Epiphanius deviates so strikingly from Hippolytus' account of the heresy of Alcibiades that we cannot possibly assume that he is dependent on the Refutation.»
Epiphanius, *Panarion*, 19, 1; 53, 1.
Glenn Alan Koch. *A Critical Investigation of Epiphanius' Knowledge of the Ebionites: A Translation and Critical Discussion of 'Panarion' 30*. University of Pennsylvania. 1976

(93) Petri Luomanen. In: *Jewish Christianity Reconsidered.* Op.cit., p.96, 299, 331: note 7
Arendzen, Catholic Encyclopedia: Ebionites.
Jean Daniélou. *The theology of Jewish Christianity: The Development of Christian doctrine before the Council of Nicea*. H. Regnery Co. 1964

والعراق. معظمها كان اختفى من فلسطين والأردن وسورية بحلول القرن الخامس لكنها تواجدت لاحقًا بشكل أو بآخر في الجزيرة العربية حيث انتشرت بعد خراب مدينة القدس 135م.

تتفق الأبحاث العلمية على أن هذه الفرق اعتمدت جميعها الاغتسال وأنها اتخذت أسماء عدة أشهرها تلك التي وصلتنا نتف عن تاريخها وعقائدها: الآسينيين، والإبيونيين، والسامريين، والمغتسلة اليومية Hermobaptists والناظوريين Nazoraeans والنظاريين Nasaraeans (يميز البعض بين الفرقتين كما سنرى لاحقًا) والناسيين أو الآسيين أو النحاشين Naassenes، والمصبوطية Masbuthaeans، والصمصائيين Sampsaeans والصابئة Sabaeans والإلكسائيين Elchasaite.

يضاف إلى ذلك أن كل واحدة من هذه الفرق كان لها تفرعات وتشعبات انشقت عنها في الفترة المذكورة نفسها. وتبدو هذه الفرق جميعها متشابهة جدًا في نشأتها وعقائدها وطقوسها كما لجهة سريتها وباطنيتها ما جعل التعرف على حقيقتها صعبًا للغاية خصوصًا أن آباء الكنيسة الأوائل هم الذين نقلوا لنا المعلومات عنها على اعتبار أنها هرطقات مضادة أو معادية للدين القويم. كما أننا نلحظ كيف أن هذه الأسماء شديدة التقارب فيما بينها ولعلها تسمية واحدة تعاورتها أيدي النساخ فصارت السين شينًا والسين صادًا إلى ما هنالك من تغيرات تطرأ على الاسم الواحد بفعل الزمن وعوامل أخرى. يصدق ذلك خصوصًا على فرق مثل الناسيين والنحشيين (الآسيين) والآسينيين أو مثل النظاريين والناظوريين والنصارى...إلخ.

ويبدو أنه لم يتبق من هذه الفرق اليوم سوى طائفة الصابئة المندائيين الذين لا يزالون يسمون طبقة الكهنة عندهم نظاراي ويمارسون طقوس الاغتسال منذ أكثر من ألفي عام. ويتفق عدد كبير من الباحثين والعلماء

في تاريخ الفرق اليهودية المسيحية على أن طائفة المندائيين هذه منبثقة بالتأكيد عن طائفة النظاريين (والتي يعتبرونها فرقة يهودية ما قبل المسيحية هي غير فرقة الناصريين أو النصارى أو حتى الناظوريين). يشير رودولف ماكوح Macuch[94] إلى هذا الأمر[95]، في حين يذهب مارك ليجبارسكي Lidzbarski[96] إلى القول إن التقليد المسيحي جعل الناصرة موطن طفولة يسوع المسيح إنما فقط لتفسير كونه نظارائي (من النظاريين) من المندائيين[97]. وكان اليهود يعتبرون المندائيين واحدة من فرق المينيم (الهراطقة بالعبرية מינים ,minim) مثلهم مثل فرقة الناظوريين من المسيحيين الأوائل بحسب دان كوهن شربوك Cohn-Sherbok[98]. وقد ذكرت الليدي دراور E. S. Drower أن المندائيين لا يزالون يحملون

(94) رودولف ماكوح Rudolf Macuch (1919–1993) عالم لغة سلوفاكي اتخذ الجنسية الألمانية بعد العام 1954. اشتهر بدراساته في مجال اللغات والآداب السامية خصوصًا: الدراسات المندائية والسامرية والسريانية ناهيك عن تبحره بالعربية والفارسية كما باللاهوت وتاريخ الأديان. معظم دراساته تتعلق بأديان وعادات ولغات وتقاليد الأقليات في الشرق الأدنى خصوصًا المندائيين والسامريين والنساطرة الآشوريين وقد جمع مواد دراساته بعمله الشخصي في الميدان.

(95) Rudolph Macuch, *Alter und Heimat der Mandaismus nach Neurschlossenen Quellen* (ThLZ 82: 1957) pp. 402-407

(96) مارك ليجبارسكي Mark Lidzbarski (1868–1928) المولود أبراهام موردخاي، فيلسوف وفقيه لغوي بولوني من أصول يهودية حسيدية من أوروبا الشرقية. درس في برلين حيث اعتنق المسيحية الإنجيلية وغير اسمه إلى مارك. تخصص في الدراسات الشرق أوسطية من جامعة كييل وكان أستاذًا في جامعة غوتنغن وعضو أكاديمية العلوم فيها. ترجم نصوصًا مندائية كثيرة.

(97) Mark Lidzbarski, *Madaische Liturgien* (Berlin 1920) p. xxi

(98) دان مارك كوهن شربوك: حاخام أميركي إصلاحي تحرري (1945) أستاذ شرف في جامعة وايلز البريطانية، واستاذ زائر في عشرات الجامعات حول العالم، لاهوتي له أكثر من 90 كتابًا في الشؤون اليهودية وبالأخص الهولوكوست، ترجمت إلى العديد من لغات العالم.
Dan Cohn-Sherbok, *The Mandaeans and Heterodox Judaism* (Hebrew Union College Annual Volume LIV) 1983 p.149

اسم النظاريين والنظارائي بمعنى من يمتلك ناصية المعرفة الدينية[99]. وقالت إن النظاريين Nasiruta الأوائل أو أور مندايسموس Ur Mandaismus بحسب التعبير الألماني كانت في الأصل فرقة ازدهرت ونشطت في يهودا والسامرة[100]. وأكد كورت رودولف Kurt Rudolph على وجود علاقة بين الأدب المندائي وإنجيل يوحنا، وأضاف أنه لا يمكن نكران الأصول اليهودية الأكيدة للمندائيين أو النظاريين[101]. وبحسب بعض الكتابات المندائية فإن مصطلح نظارائي (أو ناظوراي) يصف رجل الدين عالي المقام الدارس للاهوت المندائي وهو الوصف الخاص بيوحنا المعمدان أو النبي يحيى الذي يعتبره المندائيون نظاريًا Nasurai أي من أتباع الإيمان الحقيقي المتمرسين بالسحر الأبيض للكهنة والمهتمين بشفاء أجساد الناس وأرواحهم[102]. والمصطلح نفسه يستخدم لوصف عقيدة المندائيين: «سلاحنا هو النظارية أي كلمات الحق التي وصلتك

---

(99) إيثيل ستيفانا دراور المولودة ستيفنز (1879–1972) عالمة أنثروبولوجيا ثقافية بريطانية اهتمت بدراسة ثقافات الشرق الأوسط وتعتبر أول وأهم خبيرة بالمندائيين وجامعة لمخطوطات كتبهم. رافقت زوجها النبيل إدوين براور إلى العراق حيث كان مستشارًا لوزير العدل من 1921 إلى 1946، وحملت لقب الليدي دراور. نشرت ترجمات للصلوات المندائية وكتاب «آدم السري» (عن المندائيين أيضًا) وكتاب «طاووس ملك» عن اليزيديين.

E.S. Drower, *The Mandaeans of Iraq and Iran: Their Cults, Customs, Magic Legends, and Folklore*. (Leiden: EJ Brill) 1962 p. 4

(100) E.S. Drower, *Mandaean Polemic.* (Bulletin of the American Schools of Oriental and African studies, vol. 25 1962) p. 448

(101) كورت رودلف (1929–) باحث ألماني في الغنوصية والمندائية درس اللاهوت البروتستانتي وتاريخ وديانات ولغة الساميين ويحمل الدكتوراه في تاريخ الأديان والأديان المقارنة. له شهرة عالمية بوصفه أهم مختص بالغنوصية والمانوية ناهيك عن اهتمامه بدراسة الإسلام.

Kurt Rudolph, *Mandaeaism* (Leiden: EJ Brill 1978) pp. 3-4

Kurt Rudolph, *Gnosis: The Nature and History of Gnosticism* (Harper, 1987), pp. 343-366.

(102) The Mandaeans of Iraq and Iran, op.cit., p. 3

من موضع الضوء»[103]. وحين بلغ من العمر سبع سنين جاءه آنوس عثرة وكتب له كتاب أ ب ج د... وإلى أن بلغ الثانية والعشرين من عمره علمه كل النظارية»[104].

وفي نص آخر شديد الأهمية حيث يرد تعريف المندائيين لأنفسهم نقرأ: «واستقبله هاران غاوايتا Haran Gawaita وتلك المدينة التي يسكنها 'ناظوريون Nasoraeans[105]' جبل مدينة الناظوريين يبعد ستة آلاف فرسخ ويسمى «حضرة هيبل زيوا»[106]. «ثم رفعوا الصوت في وجه قبائل آنوس عثرة الذي هو رأس هذا الزمان، وسفكوا دمهم بحيث لم يبق ولا رجل من تلامذة الناظوريين حيًا»[107].

(نلاحظ هنا الخلط بين نظاري وناظوري ونظاريين وناظوريين وأنا أميل إلى القول إنهما طائفة واحدة).

وخلال كل نص الهاران غاوايتا نرى استخدام مصطلح ناظوريين وليس مندائيين أو صابئة إذ لا يردان أبدًا ولا مرة واحدة[108]. وبما أن كتاب هاران غاوايتا هو النص التاريخي الوحيد لدى المندائيين فإن استخدام كلمة ناظورائي شديد الأهمية. ويبدو أن الكلمة مشتقة من جذر مندائي (هو نفسه في كل اللغات السامية من عبرية وعربية وآرامية...إلخ) ن ط ر: نطر ونظر بمعنى راقب، حرس، حمى، أبقى...

---

(103) Kurt Rudolph, «Mandaeans Sources», in *Gnosis: A Selection of Gnostic Texts*, edited by W. Foerster (Oxford 1974) p. 223

(104) *Haran Gawaita and the Baptism of Hibil-Ziwa*, translated by E.S. Drower: Citta Del Vaticano: Biblioteca Apostoloca Vaticana: 1953., p. 7

(105) Idem., p. 3

(106) Idem., p.7

(107) Idem., p.8

(108) E.S. Drower, *The Secret Adam*. Oxford University Press:1960 page xiv

إلخ[109]. فيكون الناظوريون هم حراس الهيكل، النواطير، أو حراس الشريعة والمحافظين عليها، فهم التقاة الحمس والحراس المتعصبين المتحمسين الشديدو البأس...[110] وهو نفس معنى النظار والمنظرين والمنذورين لخدمة الشريعة (كما رأينا في السابق في الكلام على إنجيل الناظوريين الأبوكريفي.

وهاران غاوايتا Haran Gawaita (وتعني بالمندائية «حران الجوانية» أي الداخلية) هو النص المندائي الذي يروي تاريخ المندائيين ووصولهم إلى العراق بوصفهم من ناظوريي القدس[111].يعود النص للقرن الرابع–السادس للميلاد ولا يُعرف كاتبه. ترجمته الليدي دراور إلى الإنكليزية ونشرته في العام 1953. بحسب هذا الكتاب فإن يوحنا المعمدان (النبي يحيى في النص الأصلي المندائي)[112] تعمد وانتسب وتعلم على يد معلم الناظيروتا (المعرفة الباطنية) واسمه آنوس عثرة وهو «البابا المقدس» عند الطائفة[113]. وتؤكد دراور على أن آباء الكنيسة (بالأخص هيبوليطس ويوسابيوس) وصفوا سيمون المجوسي (الساحر السامري في الأناجيل) بأنه من الناظوريين وتلميذ يوحنا المعمدان[114]. وكذلك فعل صاحب كتاب المواعظ المنسوبة إلى كلمنتين. كما أن هذه المواعظ ذكرت تلميذًا آخر ليوحنا المعمدان هو دوسيتوس Dositheus الذي انتخب قائدًا بسبب غياب سيمون في مصر وقت موت يوحنا المعمدان. وفي كتاب المواعظ أيضًا أنه حين رجع سيمون من مصر نشب نزاع حول القيادة بينه وبين

(109) المرجع نفسه

(110) E.S. Drower and Rudolph Macuch, *A Mandaic Dictionary*. Oxford (Clarendon Press 1963) p. 295 and 296

(111) Karen L. King, *What is Gnosticism?*, 2005, Page 140

(112) Drower, Haran Gawaita and the Baptism of Hibil-Ziwa., p. 101

(113) Drower, Haran Gawaita and the Baptism., p. 37

(114) Drower, Haran Gawaita and the Baptism., p. 89

دوسيتوس وأن سيمون أكد على سلطته وقدرته بفضل المعجزات التي قام بها فأذعن دوسيتوس لقيادته للطائفة وصار تلميذًا له(115).

كان الناظوريون ومن في حكمهم يرون في كتب المسيحية خيالات وأوهام وعيسى أو يسوع مجرد اختراع اسطوري فهو مسيح كذاب mšiha kdaba اخترعه بولس(116). ويبدو أن كلمة مندائي تقابل الكلمة اليونانية غنوص gnosis أي المعرفة الباطنية أو العرفان. وبحسب دراور فإنهم أول الغنوصيين المعروفين في اليهودية المسيحية وأنهم كانوا يكرهون اليهود كرهًا شديدًا، وأن الكثيرين منهم تحولوا إلى المسيحية وغلبوا على بلادها أيام المسلمين ومن هنا مصطلح نصراني ونصارى للدلالة على المسيحيين(117).

ويظهر اسم المندائيين باعتبارهم من الناظوريين في النقوش الشهيرة باسم نقش رستم وفي أعمال ماني.

ففي نقش كرتير (أو كردير وهو الموبذ أو الكاهن الأكبر عند الزرادشتية) المكتشف ضمن نقوش رستم نقرأ تعدادًا لعدة فرق دينية واجهت الاضطهاد في عصر شهبور الأول (241 إلى 272 م) من السلالة الساسانية، بالخط البهلوي: «واليهود والكهنة البوذيين والبراهمة والناظاريين والمسيحيين... والزنادقة...جميعهم طردناهم من المملكة»(118).

---

(115) Bk. II, xxiii-xxiv. & Bk II, xxiv
The Clementine Homilies, The Ante-Nicene Fathers
https://en.wikisource.org/wiki/Ante-Nicene_Fathers/Volume_VIII/Pseudo-Clementine_Literature/The_Clementine_Homilies

(116) Ajae (Unknow). «The Pre-Christian Nasoraeans». *Mandaean World*. 2000
http://www.oocities.org/mandaeans/nasoraean6.html
Jorunn Jacobsen Buckley, *The Mandaeans. Ancient Texts and Modern People*. Oxford University Press. New York.2002

(117) Drower, *Haran Gawaita*., p. xv

(118) Martin Sprengling, Kartir Founder of Sasanian Zororasterianism. *American* =

الصلة مع المانوية (ديانة ماني)

في كتاب كنزا ربا نجد كلمات مثل «مار ماني» (الرب ماني). وهناك دلائل كثيرة على تأثر ماني بالمندائية واستخدامه لتراثهم عند تأسيس فرقته. وقد برهن Säve-Söderberg كيف أن مقاطع من الكنزا الشمالي (خصوصًا نصوص المسطيقطة mastiqta) استخدمها ماني كما وجدت مقاطع منها في إنجيل يعقوب الأبوكريفي القبطي (يعقوب كان أول تلاميذ ماني) ويبدو أن يعقوب كان على صلة بالمندائيين قبل ذهابه إلى اليهودية[119]. وقد برهن سودربرغ أن مزامير يعقوب هي ترجمة شبه حرفية من نصوص مندائية، خصوصًا من كتاب كنزا الشمالي 1 و2»[120].

= *Journal of Semitic Languages and Literature*:1940 vol. 57., p. 221:
«...and Jews (YHWD-y) and Buddhist monks (SMN-y?) …and Brahmins (BRMN-y)…. and Nazarenes (N›C=SL=R›-y) and Christians (KL=RSTYDAN)… MKTKY-y …and Zandik (ZNDYK-y) within the empire were driven out.»

(119) Sinasi Gündüz, *The Knowledge of Life*. Oxford University 1994., pp. 122 and 123

(120) Torgny Saeve-Soederbergh, *Studies in the Coptic Manichaeism Psalmbook. Prosody and Mandaen Paralles*. Uppsala., p. 163
Eric Segelberg, *Masbuta; Studies in the Ritual of the mandaean Baptism*.Uppsala: 1958.,p.127
Albert Henrichs, «Mani and the Babylonian Baptists. A Historical Confrontation,» *Harvard Studies in Classical Philology Vol. 77 (1973), pp. 23-59*.
F. Stanley Jones, «The Genre of the Book of Elchasai: A Primitive Church Order, Not an Apocalypse,» in: A. Ötzen, ed., *Historische Wahrheit und theologische Wissenschaft: Gerd Lüdemann zum 50*. Geburtstag, Frankfurt am Main, 1996, 87-104.
Albertus Frederik Johannes Klijn; G J Reinink, *Patristic Evidence for Jewish-Christian Sects*, Leiden,Brill 1973.
F.A. Lepper, *Trajan's Parthian War*, London, 1948.
Gerard P Luttikhuizen,*The Revelation of Elchasai: Investigations into the Evidence for a Mesopotamian Jewish Apocalypse of the Second Century and its Reception by Judaeo-Christian Propagandists*, Tübingen, 1985.
Luttikhuizen, «Elchasaites and their Book,» in A. Marjanen & P. Luomanen, eds., *A Companion to Second-Century Christian 'Heretics'*, Leiden-Boston 2005, 335-364.
Luttikhuizen, «The Baptists of Mani's Youth and the Elchasaites,» in id., *Gnostic Revisions of Genesis Stories and Early Jesus Traditions,* Leiden-Boston, 2006, 170-184.
P. Bryder, ed., *Manichaean Studies. Proceedings of the First International Conference on Manichaeism,* Lund, 1988, 105-133.

وبحسب ابن النديم في الفهرست فقد كان والد ماني ينتمي إلى فرقة المغتسلة قبل ولادة ماني[121].

الحسيح

ويربط الكثيرون من العلماء والباحثين بين هذه الفرق وفرقة الإلكسائيين.وبحسب ما رأينا فإن تسمية الإلكسائيين ترجع لفرقة من اليهود الذين آمنوا بظهور المسيح وكان عندهم كتاب وحي ينسبونه إلى المدعو إلكساي Ἠλχασαι Elxai وهو كتاب مفقود بالطبع لا نملك عنه سوى شذرات وفرضيات.

واسم إلكساي يلفت النظر فلعله إلياس الحي أو الخضر أو يحيى أيضًا. ولعل الحسيح تحريف من المسيح. وهذا ما لم يلتفت إليه أي من الباحثين الغربيين والكنسيين والمسلمين أيضًا.

أول مصدر مبكر تحدث عن هذا الإلكساي أو الحسيح هو كتاب «دحض الهرطقات كلها» الذي ألفه هيبوليطس الروماني في حوالى العام 230 للميلاد، حيث يقول:

«إن عقيدة هذا المسمى كاليستوس (؟) أثارت ضجة في كل أنحاء العالم، وقد حملها رجل بارع أريب في حالة استماتة اسمه ألسيبياديس نشط في مدينة أفاميا من سوريا ثم اعتبر نفسه أهم وأذكى وأبرع من كاليستوس هذا فقد دخل روما وحمل معه بعض الكتب تقول إن شخصًا عادلًا اسمه ألكساي تلقى الوحي في بلدة Serae من أعمال فرثيا[122] ثم نقله

(121) ابن النديم الفهرست، مرجع سابق، ص 339

(122) فرثيا هي كلمة مشتقة من اللاتينية: Parthia، پارثيا، المأخوذة بدورها من الفارسية القديمة Parthava، پارثافا، التي تستخدم للنسب أي: نسبة إلى الفرثيين، وهم شعب من الشعوب الإيرانية. تقع فرثيا بشكل تقريبي في النصف الغربي من إقليم خراسان الواقع في الشمال الشرقي من إيران.

إلى شخص اسمه صوبيائي Sobiai[123].

ونجد الأمر أيضًا في نسخة من موعظة حول المزمور 82 لأوريجينوس في حوالى العام 240–250م. وقد لخصها يوسابيوس في كتابه تاريخ الكنيسة[124] الذي يذكر ظهور مبشرين من المسيحيين اليهود في كنائس روما وفلسطين. وكان زعيمهم في روما اسمه ألسيبيادس قدم من أفاميا السورية ودعا المسيحيين غير اليهود للختان وللعيش وفق الناموس الموسوي. وبحسب أوريجينوس فإن المبشرين منهم في فلسطين كانوا ينتقون من كتاب العهد القديم ومن الأناجيل ولكنهم يتفقون جميعهم على رفض وإدانة بولس بالكامل. وقد أسماهم أوريجينوس الهلكسائيين (Helkesaites) Ἑλκεσαιται. ونقرأ عند أوريجينوس ويوسابيوس أن الهلكسائيين ادعوا أن كتابهم هبط من السماء. ويروي هيبوليطس أنهم يقولون إن كتابهم أوحي إلى إلكساي في فرثيا من قبل ملاك ضخم الحجم (طوله 96 ميلًا...) وكانت ترافقه ملاك أنثى لها الحجم نفسه. وأن إلكساي نقل هذا الكتاب إلى شخص يدعى صُبيائي Sobiai (بحسب النص اليوناني). ومن الممكن أن يكون هيبوليطس اختلط عليه قول ألسيبيادس بأن إلكساي نقل الكتاب إلى الصبا (بحسب لهجة أهل العراق) أي الصابئة المغتسلة. ويتابع هيبوليطس أن الجماعتين (في روما وفي فلسطين) دعتا من يستمع إلى كلامهما لطلب المغفرة إنما جماعة روما وحدها فرضت الاغتسال من أجل غفران الخطايا حتى على المسيحيين ويعتقد هيبوليطس أن ممارسة التعميد أو الاغتسال أدخله ألسيبيادس إلى جماعة روما. ونحن نجد ممارسات

(123) Hippolytus, *The Refutations of all Heresies*. Book IX, Chapter 8. Sect of the Elchasaites; Hippolytus’ Opposition to It. http://www.newadvent.org/fathers/050109.htm

(124) Eusebius, *Church History*. Book VI, Chapter 38. The Heresy of the Elkesites http://www.newadvent.org/fathers/250106.htm

شبيهة في كتابات شيعة الكلمنتيين المزيفة وعند إبيفانيوس في حديثه عن شيعة الإبيونيين عبر نهر الأردن (شرق الأردن). يدعي إبيفانيوس أن صاحب هذا الكتاب معلّم من بلاد عبر الأردن. ويضيف إبيفانيوس أن الصمصائيين Sampsaeans، أو الإلكسائيين، وهم نفسهم الصابئة (بحسب إبيفانيوس الذي انفرد بذكر هذه الفرقة الصمصائية) يزعمون أن الحسيح هو معلمهم. ثم يتحدث إبيفانيوس عن أخ للحسيح اسمه يحيى/ الحسيح Iexai (؟) وعن امرأتين من نسلهما هما مارثوس ومارثانا كانتا لا تزالان على قيد الحياة في أيامه. ونحن نعرف أن إبيفانيوس أمضى فترة من حياته في المدينة الفلسطينية المسماة إليوثيروبوليس (باليونانية: Ελευθερόπολις، «المدينة الحرة») وهي كانت مدينة رومانية وبيزنطية في سوريا فلسطين، تبعد حوالي 53 كم جنوب غرب القدس، ما زالت بقاياها تمتد على الطريق القديم الذي يربط القدس بغزة، وتقع الآن داخل متنزه بيت غوفرين الوطني (الإسرائيلي، يعني على أرض بلدة بيت جبرين الفلسطينية غير بعيد عن مدينة الخليل). ولا يعطي إبيفانيوس أي معلومات إضافية عن ديانة هؤلاء الصمصائيين ولكن أغلب الآراء تقول إنهم هم الصابئة المندائيون. ويسميهم إبيفانيوس الصمصائيين- الإلكسائيين ويقول إنهم موحدون يعبدون الله الواحد ويمارسون الاغتسال التطهيري[125].

(125) الباناريون Panarion هو اشهر أعمال إبيفانيوس السلاميسي وسمي لاحقًا في الترجمة اللاتينية «ضد الهرطقات Adversus Haereses». كتبه في ما بين 374 و377 لمواجهة حجج الهراطقة المنشقين عن الكنيسة الرسمية. يذكر الكتاب ويدحض 80 فرقة أو طائفة هرطوقية منها 16 ما قبل المسيحية و12 يهودية، ثم يعدد ويفند 60 فرقة من الهرطقات المسيحية.انظر باناريون الكتاب الثاني المقطع 53:

«الصمصائيون، ويسمون أيضًا الإلكسائيين والذين يعيشون إلى اليوم في الجزيرة العربية في البلد الممتد إلى شمال البحر الميت، خانهم الكساي وهو نبي كذاب ومن نسله مارثوس ومارثانا، وهما امرأتان لا تزالات تعبدان عند هذه الطائفة. وكل معتقداتهم لا تختلف عن معتقدات الإبيونيين». =

وذكرهم هيبوليطس الروماني حين ذكر «الإلكساي وتبشيره في فرثيا بين الصبة» (وهي تسمية الصابئة). وبحسب دانيال كوولسون (Daniel Chwolson) 1856 فإنهم كانوا يدورون في فلك واحدة من الفرق اليهودية المسماة الحنيشة Hanputa أو الإلكسائية التي منها انشق النبي ماني وأنهم لاحقًا صاروا هم أنفسم الفرقة اليهودية التوراتية الصمصائيين Sampsaeans[126].

الصابئة في التراث الإسلامي

يقول البعض إن كلمة صابئة جاءت من جذر الكلمة الآرامي المندائي (صبا) أي بمعنى (تعمد، اصطبغ، غط،غطس) وهي تطابق أهم شعيرة دينية لديهم وهو طقس (المصبتا - الصباغة - التعميد) فلذلك نرى أن كلمة صابئي تعني (المصطبغ أو المتعمد).. أما كلمة مندائي فهي آتية من جذر الكلمة الأرامي المندائي (مندا) بمعنى المعرفة أو العلم، وبالتالي تعني المندائي: العارف أو العالم بوجود الخالق الأوحد.

في حين يرجع اللغويون العرب كلمة الصابئة إلى جذر الفعل العربي (صبأ) المهموز، وتعني خرج وغير حالته، وصار خلاف حاد حول أصل الكلمة أهو عربي من صبأ أم أرامي صبا (الاغتسال). ولعل كلمة الصابئي، أي الذي خرج من الجهل والضلالة وعرف اليقين فاتخذ دين الحق، كانت تعبر عن فترة زمنية سابقة على الإسلام عندما كان الناس يتركون (يصبأوون) ديانتهم ويدخلون الدين الموحد، وهم الذين

=

The Panarion 53
The Panarion of Epiphanius of Salamis, Book I (Sects 1–46) Frank Williams, translator, 1987 (E.J. Brill, Leiden)
The Panarion of Epiphanius of Salamis, Book II and III (Sects 47–80, De Fide) Frank Williams, translator, 1993 (E.J. Brill, Leiden)

(126) Daniel Chwolson, Die Ssabier und der Ssabismus (Sabians and Sabianism), 1856, I, 112; II, 543,

دعوا بالأحناف. أضف إلى ذلك أن هذه التسمية قديمة ولها أصولها في العربية إذ لا ننسى أن الرسول العربي نفسه ومن تبعه سموا الصباة، عندما جهروا بدعوتهم لأول مرة في قريش ودعوا إلى الإله الواحد الأحد، فدعاهم مشركو مكة بالصابئة.. على العموم اتفق أغلبية الباحثين والمستشرقين على أن كلمة صابي أو صابئي جاءت من الجذر الأرامي وليس العربي للكلمة أي الصابغة أو المتعمدين أو السابحة. والأخيرة اقترحها عباس محمود العقاد في كتابه (إبراهيم أبو الأنبياء)، جعل سببها كثرة الاغتسال في شعائرهم (أي الصابئة المندائيين) وملازمتهم شواطئ الأنهار من أجل ذلك. وذهب المستشرق نولدكه إلى أن كلمة صابئة مشتقة من صب الماء. أما يهودا سيغال[127] فقد اعتبر أن كلمة صابئة تأتي من شيفا كبير الآلهة عند الهندوس. وتكتب تمارا غرين أن سيغال هذا كان يعتقد أن جذر كلمة صبا وصابئة سرياني وأنه لا يعني مغتسلة أو سابحة أو معمدة... ولكنها تتساءل أنه في حال صحت مقولة سيغال وكانت الكلمة هندوسية فكيف عرف النبي محمد بهذه الطائفة ولماذا أشار إليها القرآن باحترام على أنها من أهل الكتاب[128].

يرد ذكر الصابئة ثلاث مرات في القرآن باعتبارهم أهل كتاب إلى جانب اليهود والنصارى[129]:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

(127) Judah Benzion Segal, *The Sabian Mysteries. The Planet Cult of Ancient Harran, Vanished Civilizations*, ed. by E. Bacon, London 1963

(128) Tamara M. Green, *The city of the Moon God: Religious Traditions of Harran*, 1992., p112
Churton, Tobias (9 September 2009). The Invisible History of the Rosicrucians. Inner Traditions / Bear & Co. p. 107

(129) انظر كيف يعرض لهم برنارد لويس في كتابه المخصص لليهود في الإسلام، Bernard Lewis, *The Jews of Islam*, 1987, page 13.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (سورة البقرة: 62)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (سورة المائدة:69)

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (سورة الحج: 17)

أما في الحديث فيشار إليهم باعتبارهم اعتنقوا الإسلام[130]

ذكر العلماء المسلمون عددًا من الأصول العقائدية التي ارتكزت عليها الصابئة وميزت الصابئين عن غيرهم من ذوي الملل المختلفة:

- الإقرار بالله تعالى: فالصابئة تؤمن بالله تعالى وبوجوده، وبقدرته وحكمته في تدبير الكائنات لكن يدعون أنهم عاجزون عن الوصول إليه إلا بوساطة الروحانيين[131]. وأن الكواكب والأجرام الفلكية هي هياكل هذه الروحانيات، ومنهم من يقصد بالروحانية الملائكة، إلا أنهم ينكرون أن تكون هذه الروحانية بشرية أو جسمانية، لذلك اشترطوا أن تكون قدسية.

- الإيمان بالأنبياء: يرون أن دعوة الأنبياء حق لكن لا يتعين أن

(130) صحيح البخاري الكتاب رقم 7 الحديث رقم 340، الكتاب رقم 59 الحديث رقم 628، الكتاب رقم 89 الحديث رقم 299...إلخ.

(131) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (691-751)، أحكام أهل الذمة». رمادي للنشر، الدمام - السعودية. الطبعة الأولى 1997 في 3 مجلدات. المجلد الأول الصفحات 231-241 (انظر 238)

تكون طريقًا للنجاة. ووظيفة الأنبياء عندهم تهذيب النفوس والأخلاق من الرذائل والأدران، وأن من استجاب للأنبياء فهو سعيد.

– التوسل بالروحانيات: يرون أن الروحانيات هي مبادئ الموجودات ومواد الأرواح والمبادئ أشرف ذاتًا وأسبق وجودًا وأعلى رتبة من سائر الموجودات التي حصلت بتوسطها، فعالمها عالم الكمال[132].

– تعظيم الأفلاك والكواكب: يرون أن الله خلق الأفلاك وفوض إليها تدبير شؤون الكون فكانت أولى بالعبادة. يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق: «مذهب الصابئة– على ما يحيط بتاريخه من غموض– يكاد يتم الاتفاق على أنه يقر بالألوهية، ويرى أنها تحتاج في معرفة الله ومعرفة أوامره وأحكامه إلى متوسط يكون روحانيًا لا جسمانيًا؛ ففزعوا إلى هياكل الأرواح وهي الكواكب، فهم عبدة الكواكب»[133].

– وقد أضاف ابن القيم لما سبق أن الصابئة يأخذون بمحاسن أهل الشرائع، ولا يوالون أهل ملة ويعادون أخرى ولا يتعصبون لملة على ملة، والملل عندهم نواميس لمصالح العالم، فلا معنى لمحاربة بعضها بعضًا بل يؤخذ بمحاسنها وما تكمل به النفوس وتتهذب به الأخلاق[134].

– ويقول الألوسي: «وأهل دين هؤلاء فيما زعموا أنهم يأخذون محاسن ديانات العالم ومذاهبهم ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولًا وعملًا؛ فقد خرجوا عن تقييدهم بجملة كل دين وتفصيله إلا ما رأوه فيه من الحق»[135].

---

(132) المرجع السابق (240).

(133) الشيخ مصطفى عبد الرازق «تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية». دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني. طبعة جديدة عن مكتبة الإسكندرية 2011، ص 102.

(134) ابن قيم، المرجع السابق (241).

(135) محمود شكري الألوسي: «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب». دار الكتاب المصري. القاهرة. لات. قي 3 مجلدات. المجلد الثاني، ص 225.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الصابئة تنقسم تبعًا لهذه الأصول إلى أصناف متعددة، منهم المشركون الذين أدى اعتقادهم بالوساطة بين الله إلى صرف العبادة المطلقة عن الخالق وحصرها في المخلوقات؛ ومنهم من حافظ على الإيمان بالله قبل مجيء الأنبياء أو بقي على الفطرة مدة انقطاع الرسل، ويطلق بعض العلماء على هذا الصنف من الصابئة اسم الموحدين. وبالإجمال فهذه هي أصناف الصابئة:

الصنف الأول – الصابئة الأولى أو صابئة الحنفاء: ويطلق عليهم بعض الفقهاء بالموحدين، يلتزم هذا الصنف بما سبق ذكره من المعتقدات، لذلك يقول عنهم أبو حنيفة: إنهم ليسوا بعبدة أوثان إنما يعظمون النجوم كما تعظم الكعبة، وقال ابن تيمية: إنما أثنى الله تعالى على هذا الصنف من الصابئة(136). وقال عنهم الألوسي: صابئة الحنفاء شاركوا أهل الإسلام في الحنيفية، ويذكر الألوسي منهم هلال بن محسن الصابئ صاحب الديوان الإنشائي والرسائل، قال: كان يصوم مع المسلمين ويعبد معهم ويحرم المحرمات حتى يعجب الناس من موافقته لأهل الإيمان وهو ليس على الإسلام(137).

الصنف الثاني – الصابئة المشركون وهم أصناف كثيرة يجمعهم تخلفهم عن أصول المعتقدات السابقة، وتأليه الكواكب والروحانيات، وإنزالها معبودًا من دون الله تعالى، وانحرف بعضهم فألّه الأشخاص وأطلق عليهم صابئة الأشخاص(138)، ومن هؤلاء صابئة الأعاجم –

(136) ابن تيمية: الرد على المنطقيين دار ترجمان السنة – باكستان 1976. ص 289.

(137) انظر: بلوغ الأرب. نفسه

(138) وهم الصابئون الذين فزعوا إلى أشخاص، فقالوا: إذا كان لا بد من متوسط يتوسل به إذا كان من الروحانيات، فإننا لا نستطيع رؤيته، ولا مخاطبته، وإذا أخذنا هياكلها وسائط، فإن الهياكل قد ترى في وقت، ولا ترى في آخر؛ لأن لها أفولًا وطلوعًا. فكان لا بد لنا من صور أشخاص موجودة قائمة منصوبة. انظر: محمد إبراهيم البيومي: «تاريخ الفكر الديني الجاهلي». دار الفكر العربي. الطبعة الرابعة 1994. ص 284.

الفرس، والروم والنبط[139]، وصابئة الهند[140].

الصنف الثالث - صابئة أهل الكتاب، ويطلق هذا اللقب على أتباع نبي الله عيسى بن مريم من اليهود، كما أنه يطلق الصابئة على «النصارى المندائيين» وتعد هي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم، ويمثلون أكبر وأهم الفرق الموجودة حاليًا من الصابئة، ثم يأتي بعدهم صابئة «حران» في شمالي العراق وسوريا.

لعب الصابئة الحرانيون دورًا مهمًا في نقل الفلسفة اليونانية والعلوم وفي الحياة الثقافية والفكرية للعرب وكان منهم مثقفون كبار أمثال أبو إسحاق الصابي وزير الطائع والمطيع، وثابت بن قرة وولديه سنان وإبراهيم اللذان برعا في الطب والرياضة والفلك والترجمة، وأيضًا إبراهيم بن هلال الأديب الذائع الصيت، الذي تولى ديوان الرسائل والمظالم سنة 960م. وحديثًا برع منهم الكثير مثل العلامة العراقي الدكتور عبد الجبار عبد الله صاحب الانجازات العلمية العالمية في علم الفيزياء والانواء الجوية، كما انه كان المؤسس لجامعة بغداد ورئيسًا لها في فترة ما، وقد ساهم أيضًا في تأسيس جامعة البصرة. والكاتب العراقي عزيز سباهي والفنان التشكيلي يحيى الشيخ والشاعر عبد الرزاق عبد الواحد والشاعرة لميعة عباس عمارة والدكتور عبد العظيم السبتي والدكتور تحسين عيسى والرسامة والشاعرة سوسن سلمان سيف.. إضافة إلى الكثير من الأدباء والأطباء والمهندسين.

(139) نزعوا إلى عبادة الهياكل التي هي السيارات السبع درسوا بيوتها ومنازلها ومطالعها ومغاربها واتصالاتها على أشكال الموافقة والمخالفة، مترتبة على طبائعها، وتقسيم الأيام والليالي والساعات عليها، ونشأ لهم من ذلك علم الفلك ثم خلطوا معه الطلسمات المذكورة في كتب السحر. تاريخ الفكر الديني الجاهلي. المرجع السابق نفسه.

(140) ربط صابئة الهند عبادتهم بزحل لأن من شأن زحل البقاء والثبوت، وألهوا لهذا، ووضعوا يوم السبت لعبادتهم. انظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ص 289

كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية المترجم عام 904 من المصادر السريانية يحكي عن عقائد الصابئة ويقول إنهم قوم عاشوا قبل زمن آدم الذي كان له أهل قدموا من الهند[141]. والبيروني في مطلع القرن الحادي عشر قال إن الصابئة الحقيقيين هم من بقايا اليهود الذين بقوا في بابل بعد مغادرة القبائل الأخرى لها أيام أرتحششتا وسيروس[142]... وبحسب الليدي دراور أن هذه القبائل اعتنقت ديانة تمزج بين المجوسية واليهودية[143].

بحسب أبو يوسف القاضي أن الخليفة المأمون وقف عند أسوار حران مع جيشه عام 830 وسأل الحرانيين عن ديانتهم وبما أنهم لم يكونوا لا مسلمين ولا نصاري ولا يهود ولا مجوس فقد طلب منهم الأسلمة أو اختيار دين من هذه الأديان وأمهلهم حتى رجوعه من حملته على بيزنطية أو سيقتلهم. وقد تشاور الحرانيون ووجدوا الجواب في القرآن سورة البقرة الآية 59 التي تقول إن الصابئة مقبولون. ومن هنا أخذوا اسم الصابئة. وصابئة اليوم الحرانية يأخذون هرمس المثلث العظمة نبيًا لهم وهو إدريس القرآن وأخنوخ التوراة[144].

وقد ترجم ابن ميمون (1125–1204) كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية واعتبره سجلًا دقيقًا لمعتقدات الصابئة. وقد ذكرهم وذكر وضعهم ومعتقداتهم في كتابه دلالة الحائرين[145].

---

(141) ابن وحشية أبو بكر أحمد بن علي بن قيس الكسداني: «الفلاحة النبطية». تحقيق توفيق فهد. المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق.
https://en.wikipedia.org/wiki/Sabians

(142) أبو الريحان محمد بن أحند البيروني: «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة».

https://en.wikipedia.org/wiki/Sabians

(143) Ethel Stefana Drower, 1937, *Mandaeans of Iraq and Iran*

(144) Churton, Tobias. *The Golden Builders: Alchemists, Rosicrucians, and the First Freemasons*. New York: Barnes and Noble, 2002..p..26-27

(145) Maimonides, *The Guide for the Perplexed*, M. Friedlander. Dover Publications, Inc. New York. 1956. Book Three, Chapter 37 p. 334.
http://www.sacred-texts.com/jud/gfp/gfp173.htm

الجدير ذكره هنا أن البهائية تذكر الصابئة في كتبها الدينية: قسم منهم يعبدون الأصنام باسم النجوم وأن دينهم جاء من شيث وإدريس، وقسم آخر يؤمنون بيحيى ابن زكريا (يوحنا المعمدان) على أنه هو المسيح ولم يقبلوا أبدًا بابن مريم. ويصف عبد البهاء شيث على أنه أحد أبناء آدم. ويرى بهاء الله في أحد ألواحه أن إدريس هو هرمس[146].

المسيحي الدمشقي نيقولا سيوفي(1829–1901) الذي تفرنس وصار لاحقًا نائب القنصل الفرنسي في الموصل يذكر في كتاب له وجود أربعة آلاف من الصابئة في بلاد الصبة[147]. وقد استقبل الثيوصوفي جورج ميد[148] كتاب السيوفي بترحاب وتبجيل في حين انتقده الكثيرون[149].

هل هي فرق يهودية قبل مسيحية؟

ولنرجع إلى إبيفانيوس (367–404) وهو من آباء الكنيسة الذي كتب عن فرقة قبل مسيحية تسمى النظاريين ويميزها عن الفرقة المسيحية المسماة الناظوريين أو النصارى، ولكنه لا يورد أي حجة أو معنى لهذا التمييز علمًا أن الاسمين قريبين جدًا ولعلها الفرقة نفسها. ويقول إبيفانيوس إنها عاشت في جلعاد ومناطق بالشام وشرق الأردن

(146) ‹Abdu›l-Bahá (1982) [1912*]. The Promulgation of Universal* Peace. Wilmette, Illinois, USA: Bahá'í Publishing Trust. p. 365.
Bahá'u'lláh (1994) [1873–92]. *Tablets of Bahá'u'lláh Revealed After the Kitáb-i-Aqdas*. Wilmette, Illinois, USA: Bahá'í Publishing Trust. p. 152.

(147) Nicolas Siouffi, *Études sur la religion des Soubbas ou Sabéens, leurs dogmes, leurs moeurs* Paris:Imprimerie Nationale, 1880

(148) جورج روبرت ستو ميد (1863–1933) مؤرخ إنكليزي وكاتب وناشر ومترجم كان عضوًا بارزًا في الجمعية الثيوصوفية وكتب الكثير عن الهرمسية والغنوصية
G. R. S. Mead, *Gnostic John the Baptizer: Selections from the Mandaean John-Book*, London:192., p.137.

(149) Sydney Smith. «Admitting M. Siouffi›s ignorance and his teacher›s possible dishonesty, these are scarcely sufficient to account for the origin of all the traditions and beliefs described in the * Etudes sur la religion ‹ des Soubbas....*». The Edinburgh Review*, 1880,

وإنها تختلف عن الناظوريين المسيحيين لأن فرقة النظاريين عاشت قبل المسيح ولم تعرفه.. Panarion by Epiphanius (19.5.6) فهم كانوا يهودًا اعترفوا بموسى وناموسه الذي يعتبرون أنه يختلف عما بين اليهود في زمنهم. وكانوا ينبذون أكل اللحوم أو تقديم الأضاحي ويرفضون الكتب المقدسة باعتبارها مجرد خيالات وأن مختلف التقاليد والعادات السائدة بين اليهود هي من صنع آبائهم...»[150].

وهو حين يقول إنهم كانوا يهودًا يذكر أن ذلك كان بفعل الجنسية والقوم ولا يذكر الدين فلعله يقصد أنهم كانوا عبرانيين أو إسرائيليين وهو ما أثار الغموض لدى المؤرخين حول انتماء المندائيين إلى فرقة يهودية قديمة قبل هجرتهم في حين يقول المندائيون إنهم عرفوا موسى في مصر وأنه تعلم منهم بعض معارفهم وعلومهم وعقائدهم. وفي كونهم يرفضون أكل اللحوم ما يقربهم من الإبيونيين والآسينيين. وفي رفضهم الكتب المقدسة ما يجعلهم أقرب إلى المسلمين وإلى المسيحيين الذين رفضوا بولس[151]. وقد كتب إبيفانيوس أيضًا أن هناك سبع فرق يهودية هي الصديقيون Sadducees والكتبة Scribes والفريسيون Pharisees والمغتسلة اليومية Hemerobaptists والآسينيون والناظاريون والهيروديون[152]. ويقول إن طوائف المغتسلة تنتشر ليس فقط في فلسطين بل في أماكن أخرى كثيرة خصوصًا شرق الأردن وشمال سوريا وصولًا إلى شمال وجنوب العراق[153].

ويقول إنهم في بلاد النبط وإيتورا (دمشق حيث رأينا ميثاق معلم

---

(150) Panarion by Epiphanius (19.15.1)

(151) Haran Gawaita and the Baptism., p. 13 and 14

(152) The Mandaeans of Iraq and Iran., p. 258

(153) James The Brother of Jesus.,p.325

الصدق الإبيوني) ومؤاب وحول أريوبوليس (الربة في الأردن اليوم) والمناطق الممتدة فوق وتحت البحر الميت[154].

ويقول ماكوح إن حركة الانفصال عن اليهودية الرسمية في ماقبل المسيحية والتي يصفها إبيفانيوس أخذت شكلين: فرقة هاجرت شرقًا وتأثرت بالبابليين والإيرانيين وبتقاليد المسيحيين السوريين، وهؤلاء هم المندائيون المتأخرون. وفرقة بقيت في فلسطين وذابت لاحقًا في الفرق اليهودية–المسيحية[155].

أما الليدي دراور فتنقل عن إبيفانيوس قوله إنه «كان يوجد ناظوريين بين اليهود قبل زمن المسيح» وأن الاسم يمكن أن ينطبق على أي فرقة يهودية حافظت على الناموس بصرامة لأن جذر الكلمة يعني «حرس، نطر، حافظ على، نظر» ولعل الاسم استخدم للدلالة على عدة فرق من المنشقين عن اليهودية الرسمية خصوصًا إن كان عندهم تعاليم سرية وباطنية[156].

أما أيزنمان فيقول: إن هؤلاء النحشيين أو الناسيين Naassenes سماهم إبيفانيوس بعد قرنين من هيبوليطس ناظاريين أو نظريين أو ناظوريين وهم نخبة طبقة الكهنوت لدى المندائيين وقد وجدوا قبل المسيح مثل جماعة الآسينيين في قمران ومثل جماعة أخرى شبيهة يسميهم المغتسلة اليومية Hemerobaptists وأيضًا الصابئين Sabuaeans[157] ويقول

(154) Panarion by Epiphanius (53.1.1)
Haran Gawaita., p. 3
James The Brother of Jesus., p. 248 and 358
James The Brother of Jesus., p.326

(155) Rudolph Macuch, pp. 402-407

(156) E.S. Drower, *The Secret Adam*., p. xiv… see: Adversus Haereses, xxix:6

(157) James The Brother of Jesus., p.31

سيناي غوندوز إنه مع وصف إبيفانيوس للناظوريين كهرطقة سابقة على المسيحية يمكن القول إنهم فرقة يهودية هرطوقية. ونحن حين نقارن بين مندائيي اليوم وناظوريي إبيفانيوس نجد فوارق كثيرة بينهم. والمندائية لها تاريخ طويل وتأثرت بالكثير من التأثيرات الخارجية وبالتالي يبدو لنا أن النظرية التي تربط بين كل هذه الفرق والمندائية صحيحة. وفي كل الأحوال فإن وجود مصطلح ناظورائي في الأدبيات المندائية يشير إلى هذا العمق التاريخي»[158] أما يوسابيوس Eusebius في تأريخه للكنيسة ونقلاً عن هجيسيبوس Hegesippus فيورد أسماء هذه الفرق كالتالي: «لقد كان هناك فرق مختلفة من جماعة الختان بين أبناء إسرائيل وجميعهم كانوا يعادون قبيلة يهودا والمسيح. فهم الآسينيون Essenes والجليليون Galilaeans والمغتسلة اليومية Hemerobaptists والمصبوطية Masbuthaeans والسامرة والصدوقيون والفريسيون»[159]

وترد طائفة المصبوطيين Masbuthaeans بصيغة أخرى ضمن لائحة كنسية بالهرطقات اليهودية وهي البصموطيين Basmothaeans إلى جانب الإبيونيين والآسينيين[160].

وكلمة مصبوطة بالمندائية تعني طقس الاغتسال وجذرها قريب من جذر صبا SBA أي الغسل بالتعميد بالماء وهو نفسه جذر الصابئة[161].

---

(158) The Knowledge of Life., p.111

(159) The History of the Church (4.22.7)

(160) The Apostolic Constitutions (6.6) Constitutiones Apostolorum
الدساتير الرسولية: أو دساتير الرسل المقدس هي مجموعة مسيحية من ثماني أطروحات تابعة لأوامر الكنيسة، وهي نوع من الأدب المسيحي المبكر، والتي قدمت وصفات «رسولية» موثوقة عن السلوك الأخلاقي والليتورجيا وتنظيم الكنيسة. يمكن أن تكون مؤرخة من 375 إلى 380 م. عادة ما يُعتبر أن أصلها كان في سوريا، وربما أنطاكية.

(161) E.S. Drower and Rudolph Macuch, *A Mandaic Dictionary*.Oxford (Clarendon Press 1963) page 388

أما طائفة الصمصائيين Sampsaeans التي يذكرها إبيفانيوس فهي لا تختلف عن الصابئة من حيث تقديس الحياة والماء التي هي أصل الحياة. ويدعي إبيفانيوس اطلاعه على أحد كتبهم وينقل عنه العبارة التالية: «أنا هو شاهدك في يوم الحساب العظيم»[162].

ويقول أيزنمان إن كلمة صمصائية ليست إلا أحد اشكال كلمة صابئة وكل هذه الفرق هي من الإلكسائيين لا يمكن التمييز بين أي واحدة منها ولعل الأمر كله تحريف عن الكلمة السريانية الإسلامية لاحقًا: صابئة أو المصبوطيين، أي المغتسلة اليومية[163].

وكان إبيفانيوس عرّف الصمصائيين بأنهم إلكسائيين وأن «الإبيونيين والصمصائيين كانوا شرق الأردن وأن الصمصائيين هم أصلًا من الآسينيين جاءوا من الجهة الأخرى من البحر الميت من بيرية Perea (مؤاب) حين كان يوحنا المعمدان ينشط هناك. وأن هؤلاء الآسينيين والصمصائيين (أي الصابئة- بحسب قوله) والناظوريين لم يعودوا يمارسون الطقوس اليهودية وصاروا جميعهم من الإبيونيين»[164]. وهنا يطرح علينا سؤال: هل كان هؤلاء جميعهم من إلكسائيين وصمصائيين ومصبوطيين ومندائيين...إلخ، من أتباع يوحنا المعمدان (النبي يحيى) الذي كان يبشر في الجهة الأخرى من البحر الميت في بيرية (مؤاب) قرب بيت عنيا (أو بيت عبرة وهي اليوم العيزرية)[165]. ونعرف أنه إلى الشمال أكثر في أفسس كان هناك من عمدهم يوحنا المعمدان وكانوا من أتباعه.

---

(162) Panarion by Epiphanius (53.1.1)

(163) James The Brother of Jesus., p. 838

(164) Panarion by Epiphanius (20.3-4)

(165) (إنجيل يوحنا 1: 28) هذَا كَانَ فِي بَيْتِ عَبْرَةَ فِي عَبْرِ الْأُرْدُنِّ حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ.

فَحَدَثَ فِيمَا كَانَ أَبُلُّوسُ فِي كُورِنْثُوسَ، أَنَّ بُولُسَ بَعْدَ مَا اجْتَازَ فِي النَّوَاحِي الْعَالِيَةِ جَاءَ إِلَى أَفَسُسَ. فَإِذْ وَجَدَ تَلاَمِيذَ. قَالَ لَهُمْ: «هَلْ قَبِلْتُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا آمَنْتُمْ؟» قَالُوا لَهُ: «وَلاَ سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ».. فَقَالَ لَهُمْ: «فَبِمَاذَا اعْتَمَدْتُمْ؟» فَقَالُوا: «بِمَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا». فَقَالَ بُولُسُ: «إِنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ، قَائِلاً لِلشَّعْبِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالَّذِي يَأْتِي بَعْدَهُ، أَيْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ». فَلَمَّا سَمِعُوا اعْتَمَدُوا بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَلَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ، فَطَفِقُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ وَيَتَنَبَّأُونَ.وَكَانَ جَمِيعُ الرِّجَالِ نَحْوَ اثْنَيْ عَشَرَ[166].

كما ذكر بليني ولوقيانوس المغتسلة في مناطق شمال سوريا فصار واضحًا أن كل هذه الفرق يجمعها أنها كانت من المغتسلة وأن بينها فروقًا أيضًا. هذا ما ذكره ابن النديم حين قال إن الإلكسائية مغتسلة وهم وصابئة البطائح جماعة واحدة[167]. وهذا ما ذكره أرنست رينان في منتصف القرن التاسع عشر من أن كل هذه الفرق يجمعها نظام غنوصي يشبه ما أسسه الإلكسائيون[168]. وأثنى ليجبارسكي[169] على هذا الاستنتاج في العام 1915 وأعاد التأكيد عليه المستشرق الروسي دانييل كوفلسون[170] الذي أضاف أن الحسيح (إلكساي) جاء من شمالي فرثيا عند نهاية القرن الأول ظهر بين البابليين الوثنيين جنوب بلاد ما بين النهرين وهؤلاء البابليين المبعثرين سموا المندائيين. وذكرهم أيضًا

(166) أعمال الرسل 19: 1-7

(167) ابن النديم مرجع سابق

(168) Svend Aage Pallis, *Mandaean Bibliography 1560–1930*.Amsterdam: Philo Press 1933., p. 60

(169) Mark Lidzbarski, *Das Johannesbuch der Mandäer*. Giessan: 1915

(170) Daniel Abramovich Chwolson, *Die Sabier and der Ssabismus*. St. Petersburg 1856. Volume 1., p. 21-22

جورج ميد[171] وسيغلبرغ[172] الذي قام بدراسة مقارنة بين الإلكسائيين والمندائيين[173].

فالمندائية لا تنبع من الإلكسائية وإنما التشابه في طقس الاغتسال يعود إلى أن الفرقتين نشأتا في المحيط نفسه في وادي الأردن حيث كثرت حركات المغتسلة. وكذلك يفعل غوندوز حين يقول إن التشابهات في الاغتسال تعود إلى نشاة الفرقتين من وسط تقليد المغتسلة في وادي الأردن[174].

الآسيين أو الناسيين أو النحشيين

فرقة أخرى تستحق الذكر هنا لأنها وردت فيما سبق هي النَحَشية أو النَحَاشيين أو الحنشية أو الحنشيين وهي طائفة غنوصية مسيحية كانت موجودة في حوالي المائة ميلادي سموا بهذا الاسم نسبة إلى النَحَش נָחָשׁ الذي بالعبري يعني الحنش. مثلّوا هم وطوائف أخرى ما يعرف بالغنوصية الأوفية (نسبة إلى – ὄφις أوفيس– التي تعني الثعبان بالإغريقي) والتي تميزت الطوائف المنضوية تحتها بأنها قدست الحية المذكورة في سفر التكوين. كانت النحشية تدعي بأن ماريامن أحد تلاميذ يعقوب البار هو من علمهم علومهم[175].

---

(171) Gnostic John the Baptizer: p.55

(172) كان إريك سيغلبرغ عالم لاهوت وكاهنًا في الكنيسة اللوثرية في السويد. عُين Segelberg في عام 1944، واستمر في دراسة اللاهوت والفلسفة الكلاسيكية في كل من جامعتي Uppsala وOxford، وحصل على درجة الدكتوراه في تاريخ الدين. كانت أطروحته في عام 1958 عن المصبوطة «Maṣbūta» دراسات في طقوس معمودية المندائيين وقال إن إلكساي حاول إحياء الطقوس اليهودية وهو من المغتسلة من أصول يهودية حافظ على الختان والسبت والناموس الموسوي وهذا يخالف المندائية.

(173) Eric Segelberg, Masbuta., p. 176

(174) The Knowledge of Life., p. 117

(175) Hippolytus Philosophumena 5, 6 or para 139. Hippolytus says ‹for the serpent is called naas›, which the translator says is ‹naḥash›. Hippolytus Philosophumena 5,2

يصفهم هيبوليطس أيضًا بأنهم كهنة يتبعون يعقوب البار وهم رؤوس كل هذه الفرق فهم يدعون أنهم وحدهم يملكون المعرفة الكاملة[176].

ويقول أيزنمان إنه من الغريب أن يعتبر هيبوليطس هذه الفرقة أول فرقة غنوصية وسابقة حتى على الإبيونيين والإلكسائيين[177]. وبحسب هيبوليطس أن يعقوب أوصى من بعده لتلميذه ماريامن الذي نقل معارفه للنحشيين[178]. ولكن في كتاب الرؤيا الثاني ليعقوب البار (من الكتب الأبوكريفية - يُنظر لاحقًا) نقرأ أنه أوصى من بعده لمريم وهي برتبة كاهن ولعلها مريم المجدلية[179]. وكان أوريجينوس تحدث عن طائفة تتمحور حول شخص مريم من دون أي معلومات إضافية. واستعمل يوسابيوس اسم الصابئة لوصف النحشيين ما يدل على مدى قرب هذه الفرق من بعضها البعض واختلاط الأمر على المؤرخين ومن كتب عنهم. وهيبوليطس يقول إن أصل الاسم هو حنش وكانوا يعبدون الثعبان[180]. ويعتقد أيزنمان أن الاسم هو مزج بسيط بين اسمين: آسينيين وناظوريين[181].

أنا أظن أن اصل الاسم هو الأسيين من الأسى المداواة والشفاء ورمزها الثعبان كما هو حتى اليوم. وهم كانوا طبقة عليا من الكهنة

---

(176) The Refutations of all Heresies. Book V section I

(177) James The Brother of Jesus, p.836

(178) The Refutations of all Heresies.,Book V section II

(179) «The Second Apocalypse of James»., editor James Robinson. *The Nag Hammadi Library*. Harper: 1990., p. 270

(180) The Refutations of all Heresies., Book V section I

(181) مرجع سابق James The Brother of Jesus

المختصين بالطقوس الشفائية التي نعلم أن عيسى المسيح قام بها أيضًا. وتبدو مريم في إنجيل يعقوب البار واحدة منهم[182].

ولعلنا نتذكر أن مريم أم عيسى في القرآن كانت منذورة للمعبد لا تفارقه. «إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِي. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب». (سورة آل عمران 35–37)

ويصف هيبوليطس مريم إنجيل يعقوب البار بأنها كاهنة أي من طبقة النحاشين وأنها كانت مؤتمنة على المعرفة بوصايتها على تعاليم يعقوب البار[183].

نحن إذن أمام طبقة من الكهان كان لها دور أساس في الكنيسة الأولى أي كنيسة القدس أو كنيسة الختان وكانت بقيادة شخصين مهمين هما يعقوب البار أخو عيسى، ومريم المجدلية.

من هنا يبدو أن عندنا مجموعتين متميزتين في النصوص الأبوكريفية: الأولى من الغنوصيين والهرمسيين وغيرهم قبل وبعد المسيحية، والثانية من كنيسة القدس وتلامذة يعقوب البار ومريم المجدلية.

(182) «The First Apocalypse of James»., p.267

(183) The Refutations of all Heresies., Book V section III

8- عن مخطوطات البحر الميت (لفائف قمران) باختصار[184]

مخطوطات البحر الميت تضم مايزيد على 850 قطعة مخطوطة، بعض هذه المخطوطات موجود في ما سمي لاحقًا الكتاب المقدس وبعضها مستل من كتب لم تكن تعرف أو كانت مفقودة. وقد كانت المخطوطات في جرار فخارية مطلية بالنحاس. وأول من عثر عليها راعيان من بدو التعامرة المتجولين. ثم اكتشف المزيد منها بين عامي 1947م و1956م في 11 كهفًا في وادي قمران. وقد أثارت المخطوطات اهتمام الباحثين والمختصين بدراسة نص العهد القديم لأنها تعود لما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الأول منه. وقد اكتشفت في كهوف قرب البحر الميت في موقع خربة «قمران» لذلك فهي تسمى أيضًا «لفائف قمران». والمعتبر اليوم أنها تخص طائفة يهودية، ربما كانت طائفة الآسينيين التي انعزلت عن بقية المدن اليهودية، وربما بنت مدينة صغيرة في هذا المكان، ولكنها تحطمت بفعل زلزال (عام 31 ق.م)، وأعيد بناء الموقع في عام 4 ق.م. ويظن أن الرومان أحرقوه في عام 68 م. والمرجح أن أفراد هذه الملة لم يكونوا يعيشون في هذه الأبنية، بل في الكهوف المجاورة، وفي أكواخ أو خيام من الجلود أو الطين.

عثر على جزء من هذه المخطوطات من قبل بعض البدو في كهف،

---

(184) الترجمة الكاملة للمخطوطات كما نشرها بالفرنسية أندريه-دوبون سومر ومارك فيلوننكو، صدرت بالعربية بترجمة موسى ديب الخوري. دار الطليعة الجديدة. دمشق. 1998

محمود العابدي: مخطوطات البحر الميت. جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان الأردن 1967

أسد رستم: مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران. طبعة ثانية. المكتبة البولسية. بيروت.1990 (الطبعة الأولى 1959)

حسين عمر حماده: مخطوطات البحر الميت. دار منارات للنشر، دمشق 1982

فيما يقال أثناء بحثهم عن ماعز ضلت منهم، فباعوها لبائعين سريانيين حملاها لمطرانهم الذي هربها بدوره إلى الولايات المتحدة الأميركية عام 1948م. ثم بعد احتلال إسرائيل القدس والضفة الغربية عام 1967م، أصبح موقع خربة قمران والمدرسة التوراتية الفرنسية و«متحف روكفلر» أو «متحف الآثار الفلسطيني» في القدس المحتوي على بقية المخطوطات التي لم ترحل لأميركا، تحت السيطرة الإسرائيلية. وقامت إسرائيل بنقل مخطوطات البحر الميت من متحف الآثار الفلسطيني إلى متحف مسمى «معبد الكتاب» في القدس الغربية، وكانت تحتفظ فيه بالمخطوطات التي اشترتها في الخمسينيات في أميركا من مطران السريان.

كتبت بعض المخطوطات على ورق البردى، وبعضها على جلد وبعضها على صفائح نحاس، وحفظت بعض المخطوطات بشكل جيد لأنها خبئت في جرار فخارية في كهوف منطقة صحراوية.

ومن بين مخطوطات البحر الميت ما هو نصوص طويلة، وما هو جذاذة صغيرة، يبلغ عددها مجتمعة عشرات الآلاف من القطع الصغيرة، بحيث يبلغ مجموع نصوص مخطوطات البحر الميت نحو 900 نص، ينسبها أكثر الدارسين للطائفة الآسينية اليهودية. وأغلب النصوص مكتوب بالعبرية والبعض منها بالآرامية والقليل باليونانية. تقسم النصوص إلى:

- 30٪ من النصوص من الكتاب المقدس العبري، قطع من كل الأسفار عدا سفر إستر.
- 25٪ من النصوص هي من نصوص يهودية ليست من الكتاب المقدس، مثل سفر أخنوخ وشهادة لاوي.

- 30٪ من النصوص من التفاسير المتعلقة بالكتاب المقدس.
- 15٪ من النصوص لم تترجم أو لم تعرف هويتها بعد.

وقد تابع علماء الاثار الأوروبيون وبخاصة الإنكليز عمليات البحث والتنقيب عن هذه المخطوطات فعُثر في هذه الكهوف على بقايا قرية مؤلفة من مساكن وأسواق وخزانات مياه ومدابغ للجلود وغرف طعام. وقد عثر في المكان أيضًا على قطع من العملات الرومانية والأقمشة مما ساعد على تحديد الفترة الزمنية التي عاش فيها رهبان هذه الجماعة في قمران في الفترة ما بين 200 ق.م. ومنتصف القرن الأول الميلادي تقريبًا (حوالى العام 70 م. وهو تاريخ تدمير الرومان النهائي للهيكل في القدس).

يقول عبد الوهاب المسيري «إن مخطوطات البحر الميت كُتبت في مرحلة لم يكن الفكر الديني اليهودي قد اكتمل فيها بعد. ولذا، فإن هناك أفكارًا عديدة رفضتها اليهودية الحاخامية فيما بعد. بل يقال إن فرق الزهاد «الآسينيين»، الذين كتبوا مخطوطات البحر الميت، هم الذين انضموا لصفوف المسيحيين. وهناك نظرية تذهب إلى أن المسيح نفسه كان عضوًا في إحدى هذه الفرق»[185].

الأوراق الخاصة بجماعة قمران

هي مجموعة من النصوص خاصة بجماعة قمران وتلقي أضواء على عقيدتها، وسلوكها، وحياتها.

وأهمها المخطوط المسمى ميثاق الجماعة (سيرَخ هايحاد) أو

(185) عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية»، دار الشروق، القاهرة، المجلد الثالث، ص 330

دستور الجماعة وهو أحد أول المخطوطات الكبيرة المكتشفة في قمران عام 1947، ومصدره المغارة الأولى. ومن خلال المغائر المختلفة يعتقد أنه كانت توجد منه نحو 12 نسخة، ويبدو أن الأجزاء التي وجدت في المغارة الرابعة أوضح.

تتألف المخطوطة من خمس أوراق من البردي تتضمن 11 عمودًا، إضافة إلى ملحقين وجدت أجزاؤهما في المغارة الأولى أيضًا. ويضم ثلاث وثائق منفصلة نصًا ولكنها تتفق مضمونًا في تنظيم شؤون الجماعة وعلاقتها الحالية والمستقبلية بما حولها. وتدلنا هذه الوثيقة على انتهاج الطائفة أساليب صارمة في التنظيم وفرضها لعقوبات على من يخالف نظامها أو ينشر أسرارها، وهي تشير إلى علاقة الفرد بالآخرين ممن هم خارج جماعته وإلى عدم جواز مخالطتهم أو الإفاضة عليهم مما أفاء الله عليه من علم بالشريعة وأسرارها.

الجزء الأول ويشتمل على العنوان والمقدمة ذات الأسلوب البليغ وهي تصف النمط العام لحياة الجماعة ووصف الاحتفال عند الدخول في الميثاق وهو مستلهم من سفر التثنية ثم يلي ذلك الشروط الصارمة للتقدم في الملة ثم عظة وخطبة حول الأقدار المتعارضة كما تشير إلى كيفية فرض روح الشر لسلطانها أحيانًا على أبناء النور لإخضاعهم وتعذيبهم.

الجزء الثاني يفرد مساحة أوسع للشرائع وأسس الدعوة ثم يتحدث عن كيفية الدخول إلى الملة والتخلي الضروري عن كل ما يتعلق بالمال والشر. يلي ذلك ما يتعلق بالتنظيم الداخلي الدقيق للجماعة ومنها واجب الطاعة وواجب الدراسة الدائمة وقاعدة النصاب للاجتماع والمتألف من عشرة أشخاص، وأيضًا وظيفة معلم المبتدئين في الملة. ونجد أخيرًا تشريعًا حقيقيًا يعتمد على مبدأ التوبة ويعدد أخطاء العاصين والعقوبات التي يستحقونها بسببها.

الجزء الثالث يمتلئ بالمقاطع الأناشيدية ويعرض مبادئ المجتمع المثالي الكامل كما تشير العبارة «عندما تتم هذه الأشياء في إسرائيل».

حرب أبناء النور وأبناء الظلام

وجد هذا المدرج في المغارة الأولى وهو مخطوط ليس له مثيل من حيث المحافظة عليه ماعدا أطرافه السفلى التي تآكلت بعض الشئ وعندما فتح الملف كان طوله أكثر من 9 أقدام حوالى 2.90 م وعرضه أكثر من ستة بوصات حوالى 0.16 م، ويتألف من شرائح جلدية والنص عبارة عن 19 عمودًا جاء فيه تعليمات لإدارة الحرب.

ولا يستطيع المرء أن يعطي جوابًا واضحًا عما إذا كانت هذه الحرب وشيكة الحدوث أم أنها حدثت بالفعل في وقت كتابة الوثيقة. وهي عبارة عن خطة حربية محكمة (خيالية) يتوقع أفراد الجماعة (سبط لاوي ويهوذا وبنيامين.. المدعوون بأبناء النور) أنهم سيخوضونها قريبًا، بعد عودتهم من «صحراء الأمم» في دمشق فسيُعينهم الرب بملائكته وجنده ليقضوا على كل الأعداء التقليديين المذكورين في العهد القديم (الآشوريين والأدوميين والمؤابيين والعمونيين والأغريق... المدعوين أبناء الظلام).

وتبدو الإشارات إلى الشعوب المعادية في اللفيفة كإشارات رمزية إلى جماعات عرْقية سكنت فلسطين في الفترة الممتدة من القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن الأول الميلادي.

وفي مطلع تلك المخطوطة مقدمة قصيرة تتنبأ باندلاع حرب، ثم تعقبها اللوائح التي ترسم أسلوب التجنيد والتعبئة للجيش (للحرب والعبادة) إلى جانب وضع لخطة الحرب ذاتها. كما تتضمن الوثيقة الجدول الزمني الذي سيقوم خلاله أبناء النور بالاستيلاء على العالم كله فضلًا إلى الإشارة إلى الأسلحة المستخدمة وأساليب القتال.

وفي الوثيقة أيضًا الخطوات المستقبلية التي ستتلى قبل وأثناء المعارك والأناشيد التي ستتلى بعدالحرب وتحقيق النصر. والجزء الأخير من المخطوطة مفقود وقد أعاد يادين دراسة هذه المخطوطة.

ويشير «أندريه دوبون سومر»[186] إلى أن هذا الميثاق لا يحمل عنوانًا أو اسمًا لمؤلفه مثل بقية مخطوطات قمران، وهو مؤلف شعبي في قمران كما تدل الأجزاء الكبيرة نسبيًا منه والتي وجدت في المغارة الرابعة فيوجد حوالى ست مخطوطات مختلفة للنص نفسه. ويلاحظ أن هذه الأجزاء تتناقض أحيانًا مع نص مدرج المغارة الأولى الذي نشر عام 1954م وعلى الرغم من وحدة الأسلوب، لكن يوجد بينها العديد من التباينات والتعارضات فلاحظ أنه في العمود التاسع سرد لنهاية المعركة لنعود إلى بداية التحضيرات للمعركة في العمود العاشر بإدخال أسلحة جديدة. كما يشير إلى أن الجزء الثاني من تنظيم الحرب به أسلوب أكثر خطابية في حين أن الجزء الأول مخصص أصلًا للوصف والتعليمات.

مخطوطة لامك

(أبوكريفون التكوين أو بيريشيت أبوكريفون): هو مخطوط مضغوط ومتماسك وهش أوشك على التكسر، وهناك قطع صغيرة وعمود كامل قد فقد من المخطوطة منذ اكتشافها، وقد جاء في المخطوطة حوادث

---

(186) أندره دوبون – سومر ,André Dupont-Sommer (1900–1983) مستشرق فرنسي اشتهر بدراساته حول مخطوطات قمران حيث أصدر في عام 1959 أول الكتب المهمة عنها بالفرنسية

- *Aperçus préliminaires sur les manuscrits de la mer Morte*, Adrien-Maisonneuve, Paris, 1950.
- *Nouveaux Aperçus sur les manuscrits de la mer Morte*, Adrien-Maisonneuve, 1953
- *Les écrits esséniens découverts près de la mer Morte*, Payot, 1959

E.J.C. Tigchelaar and F. García Martínez: André Dupont-Sommer And the Dead Sea Scrolls. In: *Qumranica Minora I: Qumran Origins and Apocalypticism. Volume: 63, Series: Studies on the Texts of the Desert of Judah. Brill 2007*

لقصة قصيرة تبدأ حين يسمع لامك أباه أخنوخ ينذر أبناء زمانه باقتراب يوم الدين ونهاية العالم، فتأثر لامك بذلك وأيقن أن الله سيهلك العالم الفاجر ويأتي بخلق جديد، وقد سجلت كل تلك النذور والتحاذير في سفره (سفر أخنوخ وهو أيضًا من الأسفار الخارجية الموجودة ضمن مخطوطات البحر الميت).

يضم هذا المخطوط آيات من سفر التكوين أعيدت كتابتها باللغة الآرامية التي كان اليهود يتحدثون بها في ذلك العصر (أيام المسيح) ولذلك فهي قدمت لنا فهمًا للكلمات الغامضة الآرامية المنسوبة إلى السيد المسيح.

وبالرغم من أنه سفر غير قانوني إلا أنه يُعتبَر إعادة صياغة لأحداث قصة لامك، والشخصية الأساسية في السفر هي شخصية لامك حفيد أخنوخ والد نوح، إلا أن المضمون العام يتضمن تكرار قصة الخلق والآباء مع إضافات عديدة منها ما يشير إلى التشكيك في ولادة نوح والتساؤل عن ولادته الإعجازية بتناسل البشر مع أنصاف الملائكة (وهي كائنات سماوية شاع الاعتقاد في وجودها في الفترة من القرن الثاني قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي)، الأمر الذي يوضح صلة طائفة قمران بالمسيحية الناشئة التي تبنَّت مثل هذه الاعتقادات.

مزامير التسبيح والشكر (هودايوت): عثر عليها بين المخطوطات التي وجدت في المغارة الأولى بقمران ويمكن ترجمتها بـ «أعمال النعمة». وهو مدرج في حالة سيئة جدًا أمكن ترميم 18 عمود منها وبقى نحو 68 جزء منه يصعب ترميمه وهو يعد من أقدم وأهم نصوص قمران وقد وجد في المغارة الرابعة ستة أجزاء أخرى منه إنما بحالة سيئة أيضًا. وعلى الرغم من ذلك التلف إلا أنه يبدو أن كل نشيد فيه يبدأ بعبارة «إنني أمجدك، أدوناي».

وكانت تلك المزامير عندما اشتراها الإسرائيلي سوكنيك[187] مؤلفة من أربع قطع ثلاث منها في رزمة واحدة والرابعة كانت أحد المخطوطين اللذين لم يفتحهما سوكنيك مدة من الزمن. وتشمل القطع الأربع عددًا من الأعمدة (كما أشرنا) كل عمود طوله حوالى 13 بوصة وفي العمود الواحد 39 سطر وتلك الأعمدة أطول بقليل من الأعمدة التي وجدت في سفر إشعياءء وأكثر سطورًا.

ويمكن القول إنه من الثمانية عشر عمودًا المحفوظين يوجد مايقرب من ثلاثين مزمورًا. وهو كعمل أدبي قريب جدًا من مزامير التوراة وبخاصة مزامير «أعمال النعمة»، لكن المؤلف أيضًا يشمل مزامير توبة ومراث مستوحاة من مراثي أرمياء ومزامير حكمة قريبة من روح مزامير أيوب وأناشيد نجدها في أعمال بن سيراخ وأمثال سليمان، وعمومًا تلك المزامير تتوافق مع العقيدة الموجودة في التوراة.

والإنسان الذي يقرأ تلك المزامير يجد أنها تدل على أن ممارسة نظم الشعر وتأليف الترانيم والمدائح كانت لا تزال حية قائمة ولو إنها لم تكن ذات قوة شعرية وإبداع وأصالة التي هي في مزامير العهد القديم.

الوثيقة الدمشقية (عهد دمشق): عُثر من الوثيقة الدمشقية (سفر عهد دمشق) على 12 جزءًا مقتطفًا من سفر عهد دمشق القاهري الذي كان قد عثر عليه صلومون شختر[188] عام 1896 في القاهرة في معبد

---

(187) أليعازر ليبا سوكنيك Eleazar Lipa Sukenik (1889–1953) عالم آثار وأستاذ في الجامعة العبرية بالقدس. اشتهر بكونه ساعد في تأسيس قسم الأركيولوجيا في تلك الجامعة وبأنه من أوائل الأكاديميين الذين اعترفوا بأهمية لفائف البحر الميت وبتاريخيتها.
The Dead Sea Scrolls of the Hebrew University. Magnes Press, Hebrew University: Jerusalem, 1955.

(188) صلومون شختر (1847–1915) حاخام أميركي من أصل مولدافي، وباحث وأستاذ ومعلم اشتهر بسبب أدواره كرئيس ومؤسس للكنيس الأميركي الموحد، ورئيس المعهد

بن عزرا (بالفسطاط)، وأُطلق عليه «جذاذات من وثيقة صدوقية». ونشر نسختيه عام 1910.

وقد دلتنا الأسفار الخارجية (بالعبرية والآرامية) التي لها صلة وثيقة بمضمون كتابات الطائفة وبلغتها على أنها جميعًا تنتمي إلى التيار الديني نفسه الذي تمثله جماعة قمران المنشقة.

وتمثل وثيقة دمشق القاهرية نقدًا لاذعًا للفرق الدينية التي انعزلت عنها الجماعة، وتكمل لنا صورة التطور التاريخي للجماعة اليهودية عمومًا، وتطلق الجماعة على أفرادها اسم «أبناء العهد الجديد» أو البناؤون الجدد، وهو الاسم الذي أدَّى ببعض الباحثين للربط بينها وبين الماسونية العصرية.

ودلنا الكشف الأثري على الدأب الذي تميَّز به سكان قمران في استنساخ الأسفار المقدَّسة وكتابات الطائفة، وعلى أنهم خصصوا لهذه الغاية قاعة معيَّنة أقاموا فيها الموائد والمقاعد للكتابة، وأنشأوا مغاسل (قاعات استحمام) للتطهر الطقوسي قبل بداية أداء الشعائر وقسَّموها بحسب درجة قدسية كل فرد ينتمي إلى الجماعة.

وقد سميت بالدمشقية لورود كلمة دمشق فيها وليس لأنها وجدت في دمشق كما بينت النصوص أعلاه.

الثيولوجي اليهودي في أميركا، ومهندس اليهودية الأميركية المحافظة. بلغت شهرته الذروة حين قام بالتنقيب في القاهرة مكتشفًا مخطوطات الجنيزة عام 1896، وهي مجموعة مدهشة من حوالى 100 ألف صفحة (حوالى 300 ألف وثيقة) من المخطوطات اليهودية النادرة والنصوص اليهودية القروسطية كانت محفوظة في كنيس مصري. انظر:

Solomon Schechter. *Studies in Judaism*. 3 vols. London: A. & C. Black, 1896-1924 (Ser. III, published by The Jewish Publication Society of America, Philadelphia PA)

Solomon Schechter.*Some Aspects of Rabbinic Theology*. London: A. and C. Black. 1909 (Reissued by Schocken Books, New York, 1961; again, by Jewish Lights, Woodstock, Vt., 1993: including the original preface of 1909 & the introduction by Loius [sic] Finkelstein; new introduction by Neil Gilman [i.e. Gillman])

الباب الرابع

الأبوكريفا: كتابات مخفية / باطنية

1- كلمة أبوكريفا؛ معناها وكيف استخدمت

في مقابل كلمة قانون/ شرع Canon تقف كلمة أبوكريفا -ἀπόκρυφοα) (apocrypha، التي كانت تعني في أصلها «خفي – غامض – مبهم – عويص – باطني». وكان اليونانيون القدماء هم الذين استخدموها حيث كان عندهم نوعان من المعرفة: النوع الأول يشمل عقائد وطقوسًا عامة لكل الناس، أما النوع الثاني فكان يشمل عقائد وطقوسًا غامضة عويصة لا يفهمها إلا فئة متمَّيزة خاصة، ولذلك بقيت «مخفية» عن العامة. ثم أطلقت كلمة «أبوكريفا» في العصور المسيحية على بعض الكتابات غير القانونية في العهد القديم، وكذلك في العهد الجديد، وبخاصة الكتابات التي تشتمل على «رؤى» تتعلق بالمستقبل والانتصار النهائي لملكوت الله...إلخ، إذ إنها أمور تسمو عن فكر البشر وحكمة «المطلعين».

أي أن كلمة أبوكريفا أطلقت على بعض الكتابات الدينية التي كانت تحمل معنى أنها مُقْتصَرة على دائرة معينة ضيقة ولا يمكن لمن هم خارج هذه الدائرة أن يفهموها. وليس بين هذه الأناجيل والرسائل الباطنية ما هو أقدم تاريخيًا مما هو موجود ضمن كتاب «العهد الجديد».

في بداية المسيحية استخدم هذا التعبير (أبوكريفا) بعد ظهور الغنوصية (أو الباطنية العرفانية) وإنتاجها كمًا كبيرًا من الكتب سواء تلك التي نسبتها إلى «الرسل» أو التي نسبتها إلى كتابها الأصليين من هؤلاء الغنوصيين والتي كانت ترى أنها مكتوبة ومُقْتصَرة على فئة معينة من الناس ووصفتها بالسرية. فقد ساعدت الغنوصية الباطنية بمذاهبها

المتعددة وتعاليمها السرية التي وضعتها للخاصة على حركة تأليف مثل هذه الكتب. وقد تأثر هؤلاء الغنوصيون بالصوفية البابلية والفارسية وكتاباتها. ويذكر إكليمنضس الإسكندراني[1] أسماء بعض الكتب السرية للديانة الزرادشتية، ولعله أول من أطلق لفظ «أبوكريفا» على هذه الكتابات الزرادشتية.

كما يطلق اسم «أبوكريفا» على مجموعة من الكتابات الدينية التي اشتملت عليها الترجمتان السبعينية[2] والفولغاتا[3] Vulgate (مع

(1) اسمه الكامل تيتوس فلافيوس إكليمنضس (باللاتينية: Titus Flavius Clemens)، هو واحد من أبرز معلمي مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، ولد في أثينا في منتصف القرن الثاني الميلادي (150؟) وتوفي بين عامي 211 و215. أبرز ما ميز تعاليمه هو ربطه وتوحيده بين الفلسفة اليونانية واللاهوت المسيحي، فكانت كل كتاباته بشكل عام موجهة للعالم الهلنستي والثقافة اليونانية. اعتنق المسيحية في شبابه أثناء دراسته للفلسفة، وهجر وطنه ليتنقل بين عدة بلدان فزار جنوب إيطاليا وسوريا وفلسطين، واستقر أخيرًا في الإسكندرية، حيث التقى هناك بمؤسس مدرسة الإسكندرية اللاهوتية بانتينوس وتتلمذ له وأصبح بعدها من أقرب معاونيه مما حقق له قدر من الشهرة، وبعد أن توفي بانتينوس خلفه إكليمنضس بإدارة المدرسة. في بداية القرن الثالث أثار الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس اضطهادا ضد المسيحيين، فأجبر إكليمنضس على الانتقال إلى كبادوكية ليقيم عند ألكسندروس وهو أحد تلاميذه والذي أصبح لاحقا أسقف أورشليم، وتوفي إكليمنضس بين عامي 211 و215 على ما يعتقد. أهم مؤلفاته المحفوظة حتى اليوم: كتاب التحريض: كتاب دفاعي هدفه الرئيسي دعوة اليونانيين إلى التخلي عن دياناتهم القديمة وعن عبادة الأصنام.

(2) السبعينية هي الترجمة اليونانية للعهد القديم التي أجريت في القرن الثالث قبل الميلاد، حيث يذكر أن بطليموس أراد أن يضم إلى مكتبة الإسكندرية الكتب المقدسة لليهود، والبعض يرى أنه بسبب عدد اليهود الذين لايعرفون إلاّ العبرية قام اثنان وسبعون من الأحبار بالترجمة. ويرمز لها بعددها اللاتيني LXX أي سبعون (لذلك تسمى أيضًا السبعونية). اعتمد كاتبو العهد الجديد على النسخة السبعينية، أما اليهود الذين هاجمهم المسيحيون بنبؤات من الترجمة السبعينية فقرروا أنها ليست صحيحة وقبلوا النسخة العبرية فقط. وبما أن الترجمة السبعينية لم تحو كتبًا توجد في النسخة الماسورتية مثل طوبيت والمكابيين فليس هناك اتفاق اليوم بين الطوائف على قدسية تلك الكتب التي يسميها البروتستانت (أبوكريفا).

(3) الفولغاتا وتعني «الشائع»، هي نسخة من الكتاب المقدس من أول القرن الخامس =

اختلافات لا تذكر) زيادة على ما في الأسفار القانونية عند اليهود وعند البروتستانت والتي أضيفت إلى العهد القديم من الكتاب المقدس Bible، والتي كتبت في القرنين السابقين للميلاد والقرن الأول الميلادي وهي من الكتب التي كتبت فيما بين العهدين (القديم والجديد) وسميت بـ «الكتابات المزيفة، والمزعومة والمنحولة» لأن كتابها نسبوها إلى الآباء البطاركة والذين لا يمكن أن يكونوا قد كتبوها حقيقة مثل أخنوخ، إبراهيم، موسى... إلخ، وذلك لإضفاء أهمية وأصالة عليها.

ولكن ليس هذا هو المعنى الأصلي أو الصحيح للكلمة وإن كان هذا هو مفهومها الجاري الآن عند الكنائس المسيحية التي تترجم أبوكريفا إلى المنحولة). وكان جيروم[4] وكيرلس الأورشليمي هما أول

= الميلادي باللغة اللاتينية أنتجها جيروم الذي كلفه البابا دماسوس الأول في عام 382 بمراجعة الترجمات اللاتينية القديمة. أصبحت النص الرسمي المقبول في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وتُستخدَم الكلمة للإشارة لترجمة العهد القديم اللاتينية التي اضطلع بها جيروم أو إيرونيموس (340–420) عن الترجمة السبعينية، ومع هذا فإنها لم تأت مطابقة لها كل المطابقة. وقد اشتملت الفولغاتا على سفرين اثنين فقط للمكابيين، مقابل أربعة في السبعينية، وحُذفت منها أسفار عزرا الثلاثة وزيد عليها سفر باروخ. وفيما عدا ذلك، لا يوجد فرق يذكر بين الترجمتين. وقد أقرت الكنيسة الكاثوليكية جميع الأسفار والأجزاء الزائدة في الترجمة اللاتينية على الأصل العبري، واعتبرتها جميعًا أسفارًا أو أجزاء مقدَّسة من أسفار العهد القديم وأجزائه. ولكن معظم البروتستانت لا يعتبرون هذه الزيادات مقدَّسة، وهي في نظرهم لا تنتمي إلى العهد القديم. أما اليهود، فإنهم يدخلونها في القسم الذي يسمونه الأسفار الخفية (أبوكريفا).

(4) جيروم (Jerome) إيرونيموس: دلماسيا 420–347 بيت لحم (Eusebius Sophronius Hieronymus) من بلاد دلماسيا في القسم المتاخم للبحر الأدرياتيكي التي تعرف الآن باسم يوغسلافيا، وكلفه البابا بإنجاز ترجمة للأناجيل من اليونانية والعبرية إلى اللاتينية، فحضر إلى بيت لحم برفقة أربع نساء نذرن أنفسهن لخدمة الكنيسة، وأخذ جيروم يعمل بدأب لإنجاز ترجمته. يكمن عمل جيروم الرئيسي في إعادة ترجمة الكتاب المقدس من اللغة العبرية إلى اللاتينية. هذا لأن الترجمات اللاتينية التي كانت شائعة آنذاك كانت قد اتّخذت الترجمة اليونانية السبعينية مرجعًا لها، فجاءت ذات إنشاء ركيك وحرفي. لقد حظيَ هذا العمل بموافقة البابا داماسيوس إلا أنهُ لم يخلُ من الصعوبات وخصوصًا فيما يتعلّق بتلك النصوص التي كانت =

من أطلقا لفظ «أبوكريفا» على ما جاء في الترجمة السبعينية زيادة عما في الأسفار العبرية القانونية. ويطلق النقاد في العصر الحاضر على مجموعة هذه الكتابات اسم «أبوكريفا العهد القديم»، لأن بعض هذه الكتب على الأقل كتب باللغة العبرية – لغة العهد القديم – كما أنها جميعها أكثر انتماءً إلى العهد القديم منها إلى العهد الجديد.

ولكن ثمة أيضًا أسفار أبوكريفا للعهد الجديد من أناجيل ورسائل ورؤى...إلخ. وفي المسيحية اليوم تعني الأبوكريفا «الكتابات المزيفة أو المنحولة». فيقول أوريجينوس إنه يجب أن نفرق بين الكتب المسماة «أبوكريفا»؛ فالبعض منها يجب رفضه كلية لأنه يحوي تعاليم تناقض تعليم الكتاب. أي أنه منذ نهاية القرن الثاني، أصبحت كلمة «أبوكريفا» تطلق على ما هو زائف ومكتوب خارج دائرة «الرسل» والكنيسة، بل وفي دوائر الهراطقة، إذ كانت الكنيسة الرسمية ترى أن هذه الكتب قد نسبت لأناس لم يكتبوها (من هنا أنها منحولة).

ويرفض إيريناوس[5] أن يكون للكتابات السرية أي اعتبار، ويضع كلمة أبوكريفا (ἀπόκρυφοσ- apocrypha) بجوار كلمة (nothos - nóθoς)

= تستخدم بشكل متواتر في الليترجيا اللاتينية، فعلى سبيل المثال لم يستطع جيروم أن يدخل ترجمة جديدة لكتاب المزامير، فكل ما فعلهُ هو إعادة تصحيح بعض الأمور فيهِ. إلى جانب هذا العمل الضخم كانت هناك أعمال أخرى لا تقل أهمية منها قاموس الأسماء الكتابية والأصول اللغوية وتفسيرات كتابية اعتمد فيها بشكل كبير على أوريجينوس برغم أنهُ وقف ضدّه في الأمور العقائدية. كتب جيروم أيضًا سيرة بعض «القديسين» المتوحّدين وبعض الكتب الدفاعية ضدّ من كان ينقد حياة التوحُّد. إضافة إلى هذا ترك لنا جيروم 150 رسالة وكتابه عن الشخصيات الشهيرة De Viris Illustribus

(5) «القديس» إيرينيئوس أو إيريناوس، (القرن الثاني الميلادي – نحو عام 202 م) هو أسقف مدينة لوغدونوم فى بلاد الغال (ليون الحالية)، وكان واحدًا من أشهر آباء الكنسية الاوائل ومن أهم المدافعين عن العقيدة المسيحية. كتب الكثير من الكتب أهمها كتابه الشهير Adversus Haereses أي ضد الهرطقات (حوالى سنة 180 م)، فقدم فيه تفنيدًا وهجومًا مفصلًا لفضح الغنوصية، خاصة الفكر الغنوصى المنتمي لمدرسة فالانتينوس الغنوصى.

أي مزيفة. وكان يعتبر، وكذلك جيروم فيما بعد، أن كلمتي «قانونية» و«أبوكريفا» على طرفي نقيض. ويستخدم العلامة ترتليانوس[6] كلمة (ἀπόκρυφοσ- apocrypha) وكلمة (falsa – مزيف) كمترادفين. وكانت كلمة أبوكريفا تعني عنده الأسفار غير القانونية، المزيفة. وهذا لا يعكس حقيقة تسمية أبوكريفا إذ تعني المخفية والسرية والغامضة وليس المزيفة.

وفي الترجمة العربية اللبنانية لهذه الكتابات يرد في العنوان أنها «منحولة»[7] ولكن في المقدمة التي كتبها جوزيف قزي نقرأ أن الكلمة اليونانية أبوكريفا «تعني الخفية المكتومة، وهي التي لم تعترف الكنيسة لا بأصالتها ولا بقانونيتها. وهي في مقابل الكتابات البيبلية الأصيلة والقانونية. تلك التي لم يُعرف كاتبها الأصيل أو نُسبت إلى كاتب ما بغير هدى، وهي لا تعبر عن العقيدة الصحيحة التي تقول بها الكنيسة»[8].

والأهم في مقدمة الأب جوزيف قزي ملاحظة أوردها في خاتمة المقدمة: «علينا أن نشير إلى أن «إنجيل برنابا» العظيم الاعتبار عند المسلمين، لا يدخل في مجموعة الأناجيل المنحولة»[9].

---

(6) ترتليانوس (باللاتينية Tertullianus) أو ترتليان (حوالى 160 إلى 220 م) مؤلف أمازيغي مسيحي مبكر بونيقي، وأول من كتب كتابات مسيحية باللغة اللاتينية. اشتهر بالدفاع عن المسيحية ومعاداة الهرطقات. ربما أكبر سبب لشهرته صياغته كلمة الثالوث (باللاتيني trinitas) وإعطاء أول شرح للعقيدة. من الأفكار الأخرى التي تظهر في كتاباته «ثلاثة أشخاص أو أقانيم، مادة واحدة» باللغة اللاتينية: «tres Personae, una Substantia» وهي من اليونانية الشائعة أو القوينة «treis Hypostases, Homoousios»، وأيضًا عبارة العهد القديم «vetus testamentum» والعهد الجديد «novum testamentum». اعتنق في آخر حياته مذهب المونتانية، وقد وصف بأنه أول بروتستانتي.

(7) الكتاب الأول (الأناجيل المنحولة)، دير سيدة النصر في نسبَيه-غوسطا- جبل لبنان، ترجمة اسكندر شديد. مرجع سابق

(8) المرجع السابق نفسه، ص 13

(9) المرجع نفسه، ص 17

وباعتقادي أن إنجيل برنابا يستحق دراسة علمية مدققة أكثر مما جرى حتى الآن إذ هو كان موضوعًا لسجالات وادعاءات أضاعت قيمته الحقيقية. فهو برأيي واحد من الأناجيل المخفية، الباطنية الغنوصية أصلًا، وقد طرأت عليه تعديلات لاحقة (بفعل متحمس ولسبب ما) لا تلغي قيمته التاريخية ومضمونه الأهم فيما يتجاوز مسألة التبشير بقدوم مسيح مخلص اسمه أحمد (على ما ينشر المسلمون حين لا يقرأون غير هذه العبارة).

الذين اكتشفوا الإنجيل نصارى غربيون ولم يسمع عنه المسلمون إلا بعد نشر الترجمة الإنكليزية حيث اهتم الشيخ رشيد رضا صاحب المنار بترجمته وطلب من الدكتور خليل سعاده القيام بالأمر في العام 1908. لكن هناك إشارة مهمة إلى معرفة الميرزا غلام أحمد (مؤسس النحلة القاديانية أو الأحمدية) بهذا الإنجيل منذ العام 1899 إذ إنه يذكره في كتابه «المسيح في الهند»[10] حيث يقول إن عيسى لم يمت على الصليب وإنما سافر إلى الهند حيث مات ودفن هناك في مكان معروف في سريناغار من أعمال كشمير[11].

---

(10) ميرزا غلام أحمد: المسيح في الهند، منشورات البعثة التبشيرية الأحمدية في لاغوس بنيجيريا1962–، أما الكتاب فقد طُبع أولًا بالأوردية في عام 1899 وترجمه إلى الإنكليزية قاضي عبد الحميد من لاهور وصدرت طبعته الإنكليزية الأولى عن منظمة الأحمدية في قاديان عام 1944. والترجمة العربية الرسمية للأحمدية لا تخلو من بعض التصرف ومن بعض التغيير... وهي على كل حال ترجمة نادرة التداول في بلادنا بسبب الموقف الإسلامي الرسمي من الجماعة وأفكارها، خصوصًا لجهة الدعاوى المنسوبة إلى الميرزا نفسه بأنه هو المهدي الموعود والمسيح المخلص، وبأنه نبي مرسل؛ هذا ناهيك عن حراجة مضمون الكتاب المناقض لما يؤمن به المسيحيون العرب عن عيسى المسيح وأيضًا ما يؤمن به المسلمون عن حقيقة مسألة صلبه وعن حياته بعد حادثة الصلب الذي «شُبّه لهم»... فكتاب الميرزا يقوم على تأكيد أن المسيح لم يمت على الصليب وإنما سافر إلى الهند حيث عاش حياة طويلة ومات هناك وله قبر مشهور معروف في كشمير. ولعل ميرزا غلام أحمد سمع عن إنجيل برنابا وعن رسائل الآسينيين وغيرها من الكتابات الأبوكريفية من أساتذته وأصدقائه الإنكليز الذين كان كثير المخالطة لهم، ولعله اطلع على بعض هذه الكتابات.

(11) مدينة سريناغار، عدد سكانها حوالى المليون نسمة هي العاصمة الصيفية لإقليم =

2- قصة الأناجيل غير الشرعية

الأناجيل «غير الشرعية»، هي «المخفية» أو «السرية»، لها تاريخ في الكنيسة يعود إلى الحقبة التي قررت فيها المجامع الكنسية شرعنة الأناجيل الأربعة المعروفة (متى، مرقس، لوقا، يوحنا، ومعها أعمال «الرسل» والرسائل الملحقة وهي كلها تشكل ما يعرف باسم العهد الجديد) باعتبارها وحدها «الصحيحة»، ورفض ما سواها من مخطوطات كانت معروفة ومتداولة في زمنها (أي منذ مجمع نيقية الشهير عام325م وحتى المجمع التريدانتي 1546). وهذه الأبوكريفا تضم نوعًا من الأناجيل، وأعمال «الرسل»، والرسائل، والتنبؤات الرؤيوية، المنسوبة إلى عدد من تلامذة السيد المسيح وحوارييه. ومع أن الكنيسة رفضتها ونبذتها كلها، فقد جرى إحراق وإنهاء وجود بعضها باعتبار أنها هرطوقية، في حين لقي بعضها الآخر حظًا من البقاء باعتبار أنها لم تكن تشكل تهديدًا للعقيدة القويمة. وسمحت الكنيسة ببقاء بعض هذه الكتابات ولكن على مستوى أدنى من مستوى الأناجيل الشرعية أو القانونية، وهو مستوى الحكايات والفولكلور الشعبي وروايات وقصص «القديسين». وبكل الأحوال فإن هذه الكتابات تظل شديدة الأهمية لدراسة الفرق والشيع والآراء المسيحية، والمسيحية – اليهودية، للفترة التأسيسية من تاريخ الكنيسة المسيحية الرسمية، إذ هي تحوي أقوالًا وقصصًا مروية عن السيد المسيح تعود إلى القرن الأول أو الثاني ميلادي؛ كما أنها تعطينا فكرة عن طبيعة الآراء اللاهوتية المتداولة آنذاك حول القضايا الكبرى مثل التثليث والتجسد والصلب والقيامة.

= كشمير في أقصى شمال الهند. تقع المدينة في وادي كشمير على ضفاف نهر جيلوم. تعد أكبر مدينة هندية غالبية سكانها من غير الهندوس. حيث يشكل المسلمون ٪96 من السكان، وتبلغ نسبة الهندوس ٪2.75، والبقية من السيخ والبوذية والجاينية.

وقد جرى اكتشاف مخطوطات لهذه الأعمال خلال أزمنة مختلفة تعود حتى إلى العصور القديمة وصولًا إلى القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين اللذين حفلا بالعديد من هذه الاكتشافات تبقى لفائف قمران أشهرها (1947) وان لم تكن أهمها. إلا أن الأناجيل والكتابات السرية المخفية ذات الشعبية في زمنها، لا تنتمي إلى أوراق قمران اليهودية أو اليهودية – المسيحية المبكرة، بقدر انتمائها إلى الفرق والشيع المسيحية (الغنوصية الباطنية العرفانية عمومًا) للقرون الأولى للميلاد. وتبرز هنا خصوصًا اكتشافات مصر وأكبرها وأهمها في أخميم عام 1896 ثم في بهنسة أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ثم في نجع حمادي في عام 1945، ثم في بني مزار بالمنيا حيث اكتشف مخطوط يهوذا في عام 1978؛ كما أن هناك كتابات أخرى اكتشفت مخطوطاتها وأوراقها في أماكن متفرقة من العالم وحتى في أوروبا. وقد انتشرت في الغرب ترجمات كثيرة لهذه «الأناجيل المخفية» التي تأخرت ترجمتها كثيرًا في بلادنا، على الرغم من أن معظمها اكتشف في مصر أو سوريا أو الأردن وفلسطين.

سبق القول بأن هناك كتابات أبوكريفية تنتمي إلى العهد القديم من الكتاب المقدس حيث نجد اختلافًا في كتب العهد القديم بين النسخة المعتمدة في الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية وتلك المعتمدة في الكنائس البروتستانتية، كما في اليهودية... فالنسخة الكاثوليكية والأرثوذكسية تحوي كتبًا أبوكريفية غير معترف بها لدى اليهود والبروتستانت، وإن كان عدم الاعتراف لا يصل إلى حد وصفها بالهرطقة. غير أن هذا له علاقة بالعهد القديم، وما يعنينا هنا هو تلك الأناجيل والأعمال العائدة إلى العهد الجديد وقصة «حياة وآلام وموت وقيامة» السيد المسيح... فهذه المخطوطات لكتب مزعومة من أناجيل وأعمال رسل ورسائل ونبوءات للرسل، تعود كلها إلى زمن تجميع

الأناجيل الشرعية وقوننتها، أو إلى ما قبلها أو بعدها بقليل. وكانت الروايات الشعبية عن «طفولة يسوع» هي الأكثر شيوعًا في ذلك الزمن إذ إن الناس لم تستطع أن تفهم كيف تخلو الأناجيل الشرعية من أي ذكر لسنوات الطفولة والنشأة والفتوة من حياة عيسى[12]. ومعظم الأناجيل المخفية مكتوبة عادة على لسان أحد «الرسل» (بطرس وبولس وتوما ويعقوب... وصولًا إلى برنابا المثير للكثير من السجالات)؛ وبعضها كان هو الإنجيل الرسمي لفرق مسيحية- يهودية بادت وانقرضت (مثل فرق الإبيونيين والآسينيين والناظوريين وغيرها). كما أن هناك نتفًا من أناجيل وكتب مخفية ورد ذكرها في أعمال كبار كتاب الكنيسة (جيروم وإكليمنضس وهيبوليطُس وإبيفانيوس وهيجيزبُس وأوريجينوس ويوسابيوس وغيرهم) التي صارت هي المصدر الوحيد المعتمد لإعادة تجميع ما تبقى من بعض هذه الأناجيل.

تنقسم هذه الكتابات الأبوكريفية إلى أناجيل، وأعمال رسل، ورسائل رسل، ورؤى رسل. وهي تعود إلى القرون المسيحية الأولى وكتبت باللغات العبرية والآرامية واليونانية والحبشية والقبطية والعربية واللاتينية.

فيما يلي نبذة عن أشهر المكتشفات المعروفة والمنشورة من هذه الكتب المخفية العائدة لكتاب العهد الجديد. وقد اعتمدنا هنا ترجمة مونتاغ رودس جيمس[13] لهذه الكتب في مؤلفه المرجعي: كتابات العهد

(12) الأناجيل الشرعية تتحدث فقط عن ولادته والهرب إلى مصر ثم العودة، ثم حادثة واحدة وهو في الثانية عشرة من العمر، ثم بداية دعوته وتبشيره وهو قريب من الثلاثين.

(13) مونتاغ رودس جيمس Montague Rhodes James (1862-1936) كاتب بريطاني مختص بآداب العصور الوسطى وبالأركيولوجيا وكان رئيسًا لكلية كنغز في كامبردج ثم لكلية إيتون وعمل على تنظيم أرشيفات الكتب والمخطوطات القديمة في جامعة كامبردج.

الجديد الأبوكريفية[14] وكذلك ترجمة إدوارد هنيكة في كتابه «أبوكريفا العهد الجديد»[15]. هذا ناهيك عن مواقع الانترنت المتخصصة بالكتابات الأبوكريفية وهي كثيرة، منها:

http://www.sacred-texts.com/

https://rejectedscriptures.weebly.com/contents.html

https://www.deadseascrolls.org.il/home

كما أننا اعتمدنا على كتابات آباء الكنيسة وهي موجودة بكثرة على الانترنت، خصوصًا في: http://www.newadvent.org/fathers/

3- الكتابات الأبوكريفية «المخفية»

1. «إنجيل طفولة يسوع بحسب توما»: وهو يجمع قصصًا ومرويات عجائبية عن الطفل يسوع قبل بلوغه الثانية عشرة... وأقدم نسخة مخطوطة منه تعود للقرن السادس وهي بالسريانية ومحفوظة في المتحف البريطاني... أما النص اليوناني فهو موجود بعدة نسخ مخطوطة تعود للقرون الرابع عشر إلى السادس عشر... وهناك ترجمات قديمة كثيرة له في اللغات القديمة مما يشير إلى موقعه الممتاز في الكنيسة تلك الأيام... والمعروف أن معظم الكتابات أو الأقوال المنسوبة إلى توما موطنها شرق سوريا... وقد وجد العلماء أن الفرق المسيحية الصوفية الباطنية التي انتشرت في القرن الثاني والتي ذكرها إيريناوس الليوني (نسبة إلى مدينة ليون الفرنسية) في كتاباته (أواخر القرن الثاني) استخدمت هذا الإنجيل.

«إنجيل توما الطفولي» هذا موجود لدينا في نسخ يونانية وسريانية

(14) Montague Rhodes James (1953) [1924]. *The Apocryphal New Testament* (2nd ed.). Oxford: Clarendon Press.

(15) Edgar Hennecke, *New Testament Apocrypha*. Philadelphia: Westminster. 1963.

وأرمينية وسلافية ولاتينية، فهو في الغالب عبارة عن نسخة منقحة ومختصرة للأصل. ففي المخطوط السرياني يرد اسم الإنجيل (طفولة الرب يسوع) وفي المخطوط اليوناني أن صاحبه «توما فيلسوف إسرائيل». وهو يورد رواية عن طفولة يسوع. كما أن القصص التي فيه تحكي عن معرفة وقوة يسوع المعجزية قد نُسخت معًا لتبين أن القوة الإلهية كانت تسكن يسوع قبل معموديته. وتشكل الحياة القروية اليومية خلفية هذه القصص، وذلك كما يظهر مثلًا في القصة التالية: «عندما كان الطفل يسوع في الخامسة من عمره كان يلعب عند النهر، وكان يجمع الماء الذي كان يجري فيه في برك، ثم يجعلها نقية فورًا، ويأمرها بكلمته فقط. وبعد أن صنع طينًا لينًا، شكله على شكل اثني عشر عصفورًا، وكان هذا يوم سبت حينما عمل يسوع هذه الأشياء، وكان هناك أطفال آخرون كثيرون يلعبون معه. وحينما رأى أحد اليهود يسوع وهو يفعل هذا، أي وهو يلعب في السبت، ذهب من فوره وأخبر أباه يوسف قائلًا: «يا للعجب! إن ابنك عند النهر، وقد أخذ طينًا وصنع منه اثني عشر طائرًا صغيرًا ونجس السبت». فجاء يوسف إلى المكان ورآه، فصاح به قائلًا: «لماذا تصنع هذه الأشياء في السبت وهو أمر ضد الناموس؟» ولكن يسوع صفق بيديه معًا وصاح في العصافير - الطينية - قائلًا: «طيري!» فطارت العصافير وهي تغرد، وعندما رأى اليهود هذا ذهلوا وذهبوا إلى رؤسائهم وأخبروهم بما فعل يسوع». (الإصحاح 2 من الإنجيل).

كما أن بعض المعجزات - التي وردت في هذا الإنجيل - ليست مستساغة، لأن الكاتب يصور الصبي يسوع وهو يستخدم قوته في الانتقام: «بعد هذا، ذهب يسوع ليتمشى في أرجاء القرية، فأتى أحد الأطفال جريًا وصدم كتفه، فاستفز هذا يسوع، فقال له: «إنك لن تُكمل طريقك»، فسقط الطفل ميتًا لوقته، لكن عندما رأى البعض ما حدث، قالوا: «من أين أتى هذا الصبي، حتى إن كل كلمة منه بمثابة عمل قد

اكتمل؟». ثم جاء أهل الصبي الميت إلى يوسف، ولاموه قائلين: «بما إنك تربي مثل هذا الصبي لا يمكنك إذن أن تعيش معنا في القرية، إلا بأن تعلمه أن يبارك ولا يلعن، لأنه يميت أولادنا». فدعا يوسف الصبي الصغير على انفراد ولامه قائلًا: «لماذا تفعل هذه الأشياء التي تجعلهم يكرهوننا ويضطهدوننا؟» ولكن يسوع قال: أنا أعرف أن هذه الكلمات ليست لك، ورغم ذلك من أجلك سوف أؤثر السلامة، ولكنهم سينالون عقابهم»، وللحال أُصيب الذين اتهموه بالعمى». (الإصحاح 4، 5).

2. «إنجيل يعقوب التمهيدي (جيمس) أو إنجيل الطفولة ليعقوب»: وهو من أناجيل طفولة يسوع أي تلك التي تجمع مرويات عن قصة ولادة مريم ونذرها للمعبد ثم ولادة وطفولة المسيح... والنص الكامل لهذا الإنجيل موجود باليونانية في حوالى 130 مخطوطة معظمها يعود إلى ما بعد القرن العاشر... كما أن هناك العديد من الترجمات إلى اللغات القديمة... ويعرف هذا الإنجيل بالإنجيل الأصلي أوالتمهيدي أو الأول... وأول طبعة معروفة له تعود إلى ترجمة لاتينية نشرت عام 1552 وأخرى للأصل اليوناني نشرت عام 1564. كما أن مخطوطة يونانية على ورق البردي تعود للقرن الثالث اكتشفت في منتصف القرن العشرين ونُشرت في عام 1958 (وهي الآن محفوظة في مكتبة بودمر في جنيف)... إن كثرة عدد نسخ هذا الإنجيل وترجماته ومخطوطاته يشير إلى شيوعه وسعة انتشاره في الكنائس المسيحية... ويسود اعتقاد بأن تجميعه جرى في سوريا أو مصر في منتصف القرن الثاني.

ينتمي إنجيل يعقوب التمهيدي إلى مجموعة أناجيل الطفولة التي تحكي بشيء من الإسهاب عن فترة شباب مريم العذراء وميلاد يسوع وطفولته. أما تسمية الإنجيل بـ«التمهيدي» (Protoevangelium) فحديثة؛ فقد أطلقت على إنجيل يعقوب لأول مرة عام 1552م في ترجمة لاتينية قام بها غيوم بوستيل (Guillaume Postel)، وقد كان أوريجينوس أول من

أشار إلى «كتاب يعقوب» مشيرًا إلى أن هذا الكتاب يذكر أن «إخوة الرب» كانوا أبناء ليوسف (النجار) من زوجة سابقة. وقال أوريجينوس، إن معلمه إكليمنضس الإسكندراني، وكذلك يوستينوس الشهيد، أوردا أحداثًا تتعلق بميلاد يسوع جاء ذكرها في إنجيل يعقوب التمهيدي.

كان هذا الكتاب على الأرجح نتاج منتصف القرن الثاني الميلادي، فمن المؤكد أنه كان موجودًا في نهاية ذلك القرن، كما أنه يحتوي على أقدم رواية لدينا عن ميلاد العذراء المعجزي وطفولتها، ونجد فيه لأول مرة أسماء أبوي العذراء مريم: يواقيم وحنة. أما الأكثر تشويقًا فهو رواية تكريس الطفلة وتقديمها للهيكل حيث أتى بها أبواها وهي في عمر ثلاث سنوات: «واشتد عود الطفلة يومًا بعد يوم، وعندما أصبحت في عمر ستة أشهر، أوقفتها أمها على الأرض لكي ترى إذا كانت ستستطيع الوقوف؛ فسارت سبع خطوات ثم عادت إلى حضنها مرة أخرى، فأمسكت بها قائلة: «حي هو الرب، لن تسيري على هذه الأرض مرة أخرى حتى آتي بك إلى هيكل الرب»، ثم صنعت محرابًا في غرفة نومها، ولم تدع أي شيء رديء أو غير طاهر يمر به. ثم أحضرت فتيات عبرانيات غير دنسات، فحملنها من ذراعيها. وعندما أتمت الطفلة سنتها الأولى، صنع يواقيم وليمة عظيمة ودعى الكهنة والكتبة ومجمع الشيوخ وكل شعب إسرائيل. ثم أحضر يواقيم الطفلة للكهنة، فباركوها قائلين: «يا إله آبائنا بارك هذه الطفلة واعطها اسمًا مشهورًا للأبد في كل الأجيال»، فرد كل الشعب قائلًا: «ليكن هذا، ليكن هذا، آمين»، ثم أحضرها لرؤساء الكهنة، فباركوها قائلين: «يا إله الأعالي، انظر لهذه الطفلة، وباركها بالبركة الأخيرة التي ليس بعدها بركة». ثم أمسكتها أمها ووضعتها في غرفة نومها وأرضعتها. ورنمت حنة للرب قائلة: «سوف أرنم تسبحة للرب إلهي، لأنه افتقدني ورفع عني تعييرات أعدائي، لقد منحني الرب ثمرة بره أمامه مرة ومرات، ومن ذا الذي سيُخبر بني رأوبين أن

حنة تُرضع؟ اسمعوا اسمعوا يا أسباط إسرائيل الاثني عشر، أن حنة تُرضع». ثم وضعت الطفلة لتستريح في غرفة النوم التي بها محرابها، ثم ذهبت لتخدمهم. وعندما انتهت الوليمة، ذهبوا مبتهجين وممجدين إله إسرائيل. وازدادت شهور عمر الطفلة حتى بلغت السنتين، فقال يواقيم: «لنذهب بها إلى هيكل الرب حتى نوفي النذر الذي نذرناه حتى لا يطالبنا الله به وتصبح تقدمتنا غير مقبولة». فقالت حنة: «لننتظر حتى السنة الثالثة حتى لا تشتاق الطفلة إلى أبيها وأمها»، فقال يواقيم: «لننتظر». وعندما بلغت الطفلة ثلاث سنوات، قال يواقيم: «ادع الفتيات العبرانيات غير الدنسات، ولتأخذ كل واحدة مصباحًا وتشعله، حتى لا تلتفت الطفلة إلى الوراء ولكي يأسر هيكل الرب قلبها». وفعلوا هكذا حتى صعدوا إلى هيكل الرب. فاستقبلها الكاهن وقبلها وباركها قائلًا: «الرب عظّم اسمه في كل الأجيال وفي آخر الأيام سيظهر الرب فيكي خلاصه لكل بني إسرائيل». ثم أجلسها على الدرجة الثالثة للمذبح، ووضع الرب نعمته عليها وكانت فرحة وأحبها كل بيت إسرائيل. ثم رجع أبواها متعجبين وممجدين الرب الإله لأن الطفلة لم تلتفت للوراء، وكانت مريم في الهيكل مثل حمامة، تتغذى وتتلقى طعامًا من يد ملاك. وعندما بلغت مريم اثني عشر عامًا، اجتمع مجمع من الكهنة قائلين: انظروا، قد بلغت مريم الثانية عشرة من العمر وهي في هيكل الرب، ماذا نفعل بها لئلا تدنس قدس الرب؟ فقالوا لرئيس الكهنة: قف أنت على مذبح الرب وادخل وصلِ من أجلها، ومهما يكن الأمر الذي سيعلنه لك الرب دعنا نفعله».

ثم يستمر الإنجيل (الأبوكريفي) ليروي قصة خطبة مريم ليوسف الذي كان حينئذ رجلًا عجوزًا وله أولاد، ثم يذكر بالتفصيل ميلاد يسوع في كهف والمعجزات المصاحبة له.

أما الهدف الرئيس من الكتاب كله فهو اثبات بتولية العذراء الدائمة

التي لم تمس قبلًا، وأثناء، وبعد ميلاد المسيح. وهكذا، شربت العذراء «ماء الإيمان الراسخ الذي للرب» حتى تزيل من نفسها أي شك (فصل 16). كما شهدت لدوام بتوليتها القابلة التي حضرت حادثة الميلاد (فصل 20). وبهذا الخصوص، يبدو أن إكليمنضس الإسكندراني كان يعرف هذا الإنجيل أو مصادره الأسطورية، فهي يقول في كتابه «المتفرقات: «يقول البعض أنها بعد أن ولدت، اعتنت بها قابلة فوجدت أنها لا تزال عذراء»[16].

ويختتم الإنجيل بحادثة استشهاد زكريا أبي يوحنا المعمدان وموت هيرودوس، ثم تأتي في نهايته فقرة بخصوص المؤلف هي: «والآن أنا يعقوب الذي كتبت هذا التاريخ في أورشليم عندما اندلع شغب هناك بسبب موت هيرودوس، فانسحبت إلى البرية حتى ينتهي الشغب في أورشليم، ممجدًا للرب الإله الذي منحني الموهبة والحكمة لأكتب هذا التاريخ».

هذا المقطع يريد القول إن كاتب الإنجيل هو يعقوب الصغير أسقف أورشليم وأخو عيسى؛ وهو أمر يتعذر اثباته. وتظهر الحكايات التي أوردها الكاتب في هذا الإنجيل أنه متأثر بشدة بالعهد القديم، وهذا يشير إلى أنه مسيحي من أصل يهودي يسكن في مكان ما خارج فلسطين، ربما مصر، ولعله من كنيسة القدس الأولى أو كنيسة الختان، ما يعني احتمال كونه يعقوب نفسه أيضًا.

ويرجع شكل النص اليوناني الموجود بين أيدينا اليوم إلى القرن الرابع الميلادي؛ حيث كان إبيفانيوس قد استخدمه في الجزء الأخير من ذلك القرن. أما الانتشار الواسع الذي كان يحظى به «إنجيل يعقوب

(16) Stromata 7: 93: 7

التمهيدي» فيمكننا أن نراه في حقيقة كون النص اليوناني قد حُفظ في ما لا يقل عن ثلاثين مخطوطة. علاوة على ذلك، لدينا ترجمات قديمة له في السريانية، والأرمنية، والقبطية، والسلافية، لكننا لم نعثر له على أي مخطوطة لاتينية.

وبالرغم من أن «مرسوم جلاسيوس»(17)- الذي يعود إلى القرن السادس الميلادي - قد أدان هذا الكتاب باعتباره من الكتب المنحولة، إلا أننا لسنا نبالغ في تقدير مدى التأثير الذي تركه إنجيل الطفولة (إنجيل يعقوب التمهيدي) على الليتورجيا، والأدب، والفن؛ فكلها قد تأثرت به على نحو مماثل. ولقد استمد كل من تكريم «القديسة حنة» والعيد الكنسي الخاص بـ«دخول العذراء إلى الهيكل» مصدره من التقاليد المسجلة في هذا الكتاب، كما أن كثيرًا من الأساطير التي تدور حول السيدة العذراء تعتمد على القصص التي وردت في إنجيل يعقوب التمهيدي، ومنها الكثير من المرويات الإسلامية عن السيدة مريم.

3. «الإنجيل العربي عن طفولة عيسى»: (ويعرف أيضًا بـإنجيل الطفولة السرياني وإنجيل الطفولة العربي) وهو من أشهر الأناجيل وقد ورد ذكره لدى آباء الكنيسة أمثال يوسابيوس وأثاناسيوس وإبيفانيوس

(17) كان البابا جلاسيوس الذي تولى باباوية الكنيسة الكاثوليكية من سنة 492-496م قد أصدر قرارًا في نهاية القرن الخامس يحتوي على أسماء الكتب المقدسة القانونية والكتب المنحولة. في الجزء الثاني منه نجد أسماء الأسفار القانونية (27 سفرًا للعهد الجديد) وفي الجزء الخامس من القائمة نجد أسماء كتب مرفوضة وممنوع قراءتها. وقد ورد فيها كتاب باسم إنجيل برنابا وبقية أسماء الكتب المذكورة هي كتب غنوصية. منها أعمال أندراوس، أعمال بطرس، أعمال توما، أعمال فيلبس، انجيل يعقوب الصغير، انجيل برثولماوس، إنجيل بطرس، انجيل أندراوس، كتاب طفولة المخلص، رؤيا توما، رؤيا بطرس، رؤيا استفانوس... وغيرها. ويقول البابا جلاسيوس: «إن هذه الكتب (المنحولة) وما شابهها قد علمها ودونها الهراطقة والمنشقون وأتباعهم. فنحن نرفض هذه الكتب ونستبعدها في كل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية الرسولية ونحرمها مع كاتبيها».

ويوحنا الذهبي الفم. ترجمه هنري سايك أستاذ اللغات الشرقية في جامعة كمبردج ونشره عام 1697... يُرجع البعض تاريخ وضع هذا الإنجيل إلى القرن السادس الميلادي، واستمد هذا الكتاب المتأخر محتوى جزئه الأول من إنجيل يعقوب التمهدي، ومحتوى جزئه الثاني من إنجيل توما عن طفولة يسوع، لكنه أضاف إليهما الكثير من الأحداث الجديدة والغريبة. وهكذا يذكر هذا الإنجيل الأبوكريفي أن يسوع قال لأمه وهو نائم في مهده: «أنا يسوع ابن الله، اللوغوس الذي ولدتيه أنتِ».

يتكون إنجيل الطفولة العربي من ثلاثة أجزاء:

– ميلاد الطفل يسوع، وهو مبني على إنجيلي متى ولوقا القانونيين إلى جانب إنجيل يعقوب التمهيدي.

– معجزات يفترض أنها حدثت أثناء الرحلة إلى مصر، وهي مبنية على تقاليد محلية قديمة، تقوم العذراء فيها بالدور الرئيسي.

– معجزات للطفل يسوع، مبنية على إنجيل الطفولة لتوما الإسرائيلي

كما يتضمَّن القسم الأوسط منه قصصًا من عدة أساطير شرقية مثيرة، والشخصية الرئيسية فيه هي السيدة مريم لا يسوع.

عُرف بأنه إنجيل الغنوصيين (العرفانيين) في القرن الثاني ميلادي. وكان أحد المجامع قد أدانه (1599) باعتباره إنجيل النساطرة... ويذكر بعض الكتاب المسيحيين قصصًا منقولة عنه خصوصًا حول سنوات طفولة عيسى في مصر.. منها أن عيسى حفر بئرًا قرب شجرة لغسل ثيابه.. وأن الشجرة صارت تطرح بلسمًا.. وعن بطرس الشهيد مطران الإسكندرية في القرن الثالث أن المكان الذي شهد طفولة ومعجزات عيسى في مصر يُعرف باسم المطرية وهو على بعد عشرة أميال من القاهرة وأن سكانه يوقدون الشموع لتذكر عيسى وأن هناك حديقة أشجار تطرح

بلسمًا كان عيسى زرعها في الطفولة... ويذكر العلامة أحمد ابن إدريس أن هذا الإنجيل العربي كان خامس الأناجيل المعتبرة في كنائس مصر وسوريا.

يرجع انتشار استخدام هذا الإنجيل عند العرب والمصريين قديمًا إلى أن أهم المعجزات المذكورة فيه يفترض أنها حدثت في أثناء وجوده في مصر. ويقول هذا الإنجيل (إصحاح 7) أن المجوس قاموا برحلتهم إلى بيت لحم بناء على نبوة لزرادشت عن ولادة المسيا

4. «التاريخ العربي ليوسف النجار»: يحكي قصة حياة يوسف النجار وموته وتأبين يسوع له. وقد ضمن الكاتب في هذا العمل بعضًا من مادة إنجيل يعقوب التمهيدي وإنجيل توما، تلك التي أضاف إليها عدة تفاصيل مختلفة. أما هدف هذا الإنجيل فهو الإعلاء من شأن يوسف النجار والتشجيع على تكريمه الذي كان معتادًا في مصر. ولدينا نص هذا الإنجيل كاملًا في العربية واللهجة القبطية البحيرية، وشذرات منه في اللهجة القبطية الصعيدية؛ ولقد ترجم في القرن الرابع عشر إلى اللاتينية. أما بالنسبة لزمن كتابته، فلا بد أن هذا الإنجيل لم يكتب قبل القرن الرابع، كما أن زمن كتابته لا يتعدى القرن الخامس.

5. «إنجيل متى»: ويسمى «إنجيل الطفولة بحسب متى» وأيضًا «إنجيل مولد مريم وطفولة المسيح المخلص». في مقدمة النص رسائل تبادلها أحد آباء الكنيسة الأوائل «جيروم» مع الأساقفة قماطيوس وهليودوروس حيث يطلبان منه ترجمة «كتاب عبري كتبه الإنجيلي متى يتعلق بمولد مريم وطفولة يسوع». ولذلك نسب الكتاب إلى جيروم ولا ندري إن كان هو مؤلفه أم مترجمه برغم أن دارسي كتابات جيروم يجدون أسلوبه مختلفًا تمامًا.

6. «إنجيل المصريين»[18]: واسمه يعود إلى ما ورد في أول سطر منه. وهو في نصين: الأول يوناني غنوصي اختفى ويوجد منه اليوم نتف متفرقة باللغة اليونانية يذكرها إكليمنضس الإسكندراني الذي يبدو من كتاباته (كما من كتابات غيره مثل أوريجينوس)[19] أن هذا الإنجيل كان معروفًا ومتداولًا بين المسيحيين المصريين في القرنين الثاني والثالث. وهذا الإنجيل المصري يختلف عن الإنجيل الآخر الذي يحمل الاسم نفسه إلا أنه قبطي اكتشف في نجع حمادي 1945 وهو اليوم محفوظ في المكتبة القبطية.

إنجيل المصريين الذي يذكره إكليمنضس يقوم على تعاليم زهد وعفة جنسية ينسبها إلى السيد المسيح.

ينتمي «إنجيل المصريين» اليوناني إلى ذلك النوع من الأبوكريفا التي كُتبت لتدعم هرطقات معينة، ومن المرجح جدًا أن يكون ذا أصل غنوصي. وقد احتفظ إكليمنضس الإسكندراني (في كتابه المتفرقات Stromata)[20] بعدد ضئيل من كلمات يسوع التي وردت في حديثه مع صالومي[21] - وهو الحديث الوارد في هذا الإنجيل - تلك التي تعد أفضل دليل على ما يظهره «إنجيل المصريين» من نزعات عقائدية مخالفة لعقائد الكنيسة: «وعندما سألت صالومي: إلى متى سيكون

---

(18) Yvonne Janssens, «L›Evangile des Egyptiens», in *Le Museon. Revue d'Études Orientales,* vol. 100, no1-4, éd. Peeters, 1987 pp. 181-198,

(19) Claudio Moreschini et Enrico Norelli, *Histoire de la littérature chrétienne antique grecque et latine: De Paul à l'ère de Constantin*, éd. Labor et Fides, 2000, p. 90,

(20) III,9,63 ; III,9,64 ; III,9,66 ; III,16,92

(21) أو سالومة بحسب اسمها في الأناجيل القانونية التي تتحدث كلها عنها وتذكر أنها الأخت غير الشقيقة لمريم وفي مواضع أخرى هي شقيقتها، وهي أم اثنين من التلاميذ الاثني عشر: يعقوب ويوحنا ابني زبدي، وكانت أيضًا من حواريي أو أتباع عيسى وواحدة من حاملات الطيب عند «قبر يسوع»

للموت سلطان؟ أجابها المسيح - وهو لا يعني أن الحياة شر أو أن الخليقة شريرة - قائلًا: طالما كنتن تحبلن أيتها النساء...[22] «أما هؤلاء الذين يناصبون خليقة الله العداء من خلال التقشف المخزي فيتذرعون بهذه الكلمات التي وجهها الرب لصالومي والتي ذكرناها أعلاه، وهي مذكورة أيضًا - كما أعتقد - في إنجيل المصريين، ذلك لأنهم يقولون إن المخلص نفسه قد قال: «لقد أتيت لأدمر أعمال الأنثى». إن الأنثى هي الشهوة وأعمالها هي الولادة والفساد[23]... ولكن لماذا لا يتكلم - هؤلاء الذين يسيرون تائهين بدلًا من أن يتبعوا إنجيل قاعدة الحق - ببقية الكلمات التي تكلم بها الرب لصالومي؟ لأنها لما قالت: «إذًا، لقد فعلت حسنًا لأني لم أنجب»، كما لو كانت الأمومة أمرًا غير لائق، أجابها الرب قائلًا: «كلي كل عشب، ولكن تلك الأعشاب التي بها مرارة لا تأكلينها»[24] لهذا يقول كاسيان[25]: عندما سألت صالومي عن الوقت الذي ستكون فيه هذه الأمور فيما يتعلق بسؤالها، قال الرب: «عندما تدوسين ثوب الخزي، وعندما يصبح الاثنان واحدًا، والذكر مع الأنثى؛ فلا يكون هناك لا ذكر ولا أنثى»[26].

---

(22) Clement of Alexandria: *Stromata*, Book 3: chapter 6: 45
http://www.earlychristianwritings.com/text/clement-stromata-book3-english.html

(23) Stromata 3: 9: 63

(24) Stromata 3: 9: 66

(25) «القديس» يوحنا كاسيان (أو «القديس» جون كاسيانوس) أحد مشاهير الكُتَّاب الروحيين في القرن الخامس في جنوب بلاد الغال (فرنسا) خاصة في الفكر الرهباني. نجح في تطوير الحياة الرهبانية هناك. يرى جيناديوس Gennadius of Marseilles أنه وُلد في سكيثيا Scythia أي Dobruja، تدعى حاليًا رومانيا Romania. ويرفض الدارسون المحدثون نسبته إلى سكّيثيا، ويرى البعض أن تعبير Scyth ربما لا يعني أنه سكّيثي، بل تشير إلى صحراء الإسقيط Scete أو Scetis في مصر، حيث قضى كاسيان عدة سنوات في هذه المنطقة، وأنه بسبب التصاقه بها وبآبائها نال شهرته، فحسبت كأنها موطنه. وُلد ما بين 350 و360 م. وتوفي ما بين 440 و450 م.، إذ عاش حوالى تسعين عامًا.

(26) Stromata 3: 13: 92

أما إنجيل المصريين القبطي فهو يعود إلى القرن الثاني وينتمي إلى فرقة الشيثيين الغنوصية (نسبة إلى شيث الابن الثالث لآدم وحواء بحسب العهد القديم) التي كانت ترى أن عيسى هو تجسد شيث [27] وقد أنتجت هذه الفرقة العديد من الكتابات الغنوصية الباطنية يبدو أن هذا الإنجيل أحدها.

7. «إنجيل العبرانيين»: وهو معروف فقط من خلال المقتطفات التي نقلها عنه كتّاب الكنيسة الأوائل. ومن اسمه يبدو واضحًا أنه كان خاصًا بالفرق المسيحية- اليهودية الأولى التي حافظت على الشريعة الموسوية في حياتها. ومن المهم الإشارة إلى أن معظم الاستشهادات المطولة عن هذا الإنجيل نقلها كتاب مسيحيون كانوا يعيشون في الإسكندرية. فقد نقل عنه إكليمنضس الإسكندراني (أواخر القرن الثاني) وجيروم (حوالى العام 400)، وأوريجينوس (مطلع القرن الثالث) وكيرلُّس (مطران القدس حوإلى العام 350)... كما أشار إليه يوسابيوس (مطلع القرن الرابع) وهيجيزبُس (أواخر القرن الثاني)، من دون أن ينقلا عنه... وفي لائحة الأناجيل الإزائية والأناجيل المخفية والتي أعدها نيسيفوروس (ويسمى أيضًا في بعض الترجمات نيقيفورُس ونيقوفوروس: بطريرك القسطنطينية 806-818 والمشهور بعزله بسبب

(27) Jean-Marie Sevrin, *Le dossier baptismal séthien: Études sur la sacramentaire gnostique*, éd. Presses de l'Université de Laval, 1986, p. 81-82 ;
John D. Turner, «Sethian Gnosticism and the Platonic Tradition», in B*ibliothèque copte de Nag Hammadi*, section «Études» 6, éd. Presses de l'Université Laval/éd. Peeters), 2001
Louis Painchaud et Anne Pasquier, «Les textes de Nag Hammadi et le problème de leur classification: actes du colloque tenu à Québec du 15 au 19 septembre 1993», in *Bibliothèque copte de Nag Hammadi*, vol. 3, éd. Presses Universitaires de Laval, 1997, p. 85
John D. Turner, «Sethian Gnosticism: A Literary History», in *Nag Hammadi, Gnosticism and Early Christianity*, éd. C.W. Hedrick and R. Hodgson; Peabody, MA: Hendrickson Publishers, 1986, p. 55-86 ;
Madeleine Scopello, *Femme, gnose et manichéisme: de l'espace mythique au territoire du réel*, éd. Brill, 1997, p. 53

معارضته لمذهب تحطيم الأيقونات)، يرد ذكر إنجيل العبرانيين وأنه يحتوي على 2200 سطر.. وقد شاع لدى المستشرقين والمستعربين المسيحيين وبعض تابعيهم المشرقيين أن هذا الإنجيل كان إنجيل القس ورقة بن نوفل في مكة قبل البعثة النبوية.

تكلم «القديس» جيروم في الفصل الثاني من كتابه «مشاهير الرجال» عن يعقوب أخي المسيح قائلًا:» أما الإنجيل المعروف باسم «إنجيل العبرانيين»، والذي قمت بترجمته مؤخرًا إلى اللسانين اليوناني واللاتيني، والذي كثيرًا ما استخدمه أوريجينوس، فيروي أنه بعد قيامة المخلص «أعطى الرب اللفائف الكتابية لخادم الكاهن، ثم ذهب إلى يعقوب وظهر له - لأن يعقوب كان قد أقسم أنه لن يأكل خبزًا منذ أن شرب كأس الرب حتى يراه قائمًا من بين الراقدين». وبعد ذلك بقليل يقول: «قال الرب: أحضر لي مائدة وخبزًا، ثم أخذ الخبز»، ويضيف الإنجيل بعد ذلك مباشرة: «وبارك وكسر وأعطى يعقوب البار وقال له: يا أخي كل خبزك لأن ابن الإنسان قد قام من بين الراقدين».

وإنجيل العبرانيين، الذي نقل عنه جيروم هذه الفقرة المثيرة للاهتمام، كان قد كُتب أصلًا باللغة الآرامية ولكن بحروف عبرية. وفي زمن جيروم، كان النص الأصلي الخاص بهذا الإنجيل محفوظًا في مكتبة بمدينة قيصرية في فلسطين. وقد استخدمه كل من «الإبيونيين» والناظوريين»؛ ومنهم حصل جيروم على نسخة منه ليترجمها إلى اليونانية واللاتينية. أما حقيقة كونه مستخدمًا من قِبل المسيحيين الفلسطينيين، الذين كانوا يتحدثون العبرانية الآرامية، فتُفسر سبب تسميته بـ «إنجيل العبرانيين»، كما أنها تُفسر أيضًا سبب ظهور يعقوب أخي المسيح - الذي كان يُمثل المسيحية اليهودية الصارمة - في قلب رواية القيامة على عكس ما روته الكتابات القانونية. وقد كان معظم الناس، في أيام

جيروم، يعتبرون هذا الإنجيل الأبوكريفي بمثابة الأصل العبري لإنجيل متى القانوني، وهو الأمر الذي ذكره بابياس[28].

وتُظهر الفقرة المقتبسة أعلاه من جيروم أنه كان يحتوي على أقوال ليسوع لم يوردها أي من الأناجيل القانونية. وقد برهن أناس آخرون غير «القديس» جيروم على هذه الصفة المميزة لإنجيل العبرانيين، نذكر منهم، على سبيل المثال، يوسابيوس[29] الذي يقول «إن هذا الإنجيل الذي قد وصل إلينا في حروف عبرية يعطي الويل كما لو لم يكن موجهًا لذاك الذي يخفي وزنته، بل لذاك الذي يحيا حياة مستهترة. لأن – المثل الذي ورد فيه يحكي – عن ثلاثة عبيد؛ واحد منهم أنفق فضة سيده على

---

(28) بابياس أسقف هيرابوليس وُلد ما بين 60، 70 م. صار أسقفًا على هيرابوليس في فريجية بآسيا الصغرى. يرى يوسابيوس القيصراني أن بابياس تلميذ «القديس» يوحنا الحبيب، ورفيق «القديس» بوليكاربوس أسقف أنطاكية. يذكر «القديس» إيريناوس المعاصر له أنه وضع كتابًا في خمس مقالات، في نهاية حياته ما بين عامي 130 و140 م. لكنه لم يُعثر بعد على نسخة منه. تعرفنا على كتاباته وأفكاره غالبًا من خلال كتابات إيريناوس.

انظر يوسابيوس القيصراني؛ تاريخ الكنيسة 3: 39: 16؛ 6: 25: 4. و«القديس» إيريناوس (ضد الهرطقات 1: 1)

(29) يوسابيوس القيصراني (263-339؟) يُعتبر أب التاريخ الكنسي ومؤسس فكرة نشر أقوال الآباء وكتاباته م. يُعتبر عمله «التاريخ الكنسي» أساسًا قامت عليه مدرسة المؤرخين الكنسيين في العالم كله. وذلك بالرغم من اتجاهاته شبه الأريوسية، وبعض الأخطاء التاريخية. وُلد عام 263 م. في قيصرية فلسطين، حيث كانت مركزًا هامة للعلم والمعرفة. فقد أسس العلامة أوريجينوس مدرسته فيها بعد تركه الإسكندرية. واهتم بمفيليوس بتأسيس مكتبة تقوم على مؤلفات معلمه أوريجينوس الذي كان يكرمه جدًا، ساعده في ذلك تلميذه يوسابيوس. وقد دعي نفسه يوسابيوس بمفيليوس باعتبار الأخير أباه الروحي. وفي عام 310 م. استشهد بمفيليوس وكتب يوسابيوس سيرة أبيه الروحي، أما هو فهرب إلى صور ومنها إلى طيبة في برية مصر. قُبض عليه هناك وسُجن. أصبح أسقف القيصرية في 314. وكثيرا ما يشار إليه انه (أبو التاريخ الكنسي) بسبب عمله في تسجيل تاريخ الكنيسة المسيحية في وقت مبكر، لا سيما وقائع التاريخ الكنسي The Ecclesiastical: وهو العمل الذي أعطاه شهرة خالدة. يتكون من عشرة كتب، تمثل مجموعة غنية جدًا من الوثائق ومقتطفات من الكتابات الخاصة بالكنيسة الأولى.

الزواني والمغنيات، وآخر ربح بها أضعافًا مضاعفة، والأخير أخفى وزنته، وكيف أن أحدهم قد قبله سيده، وآخر لم ينله سوى اللوم، وثالثهم أغلق عليه في السجن»[30].

ولا بد من أن يكون هذا الإنجيل الأبوكريفي قد كُتب في القرن الثاني الميلادي، لأن إكليمنضس الإسكندراني قد استخدمه في عمله المعروف باسم «المتفرقات»[31]، وذلك في الربع الأخير من القرن الثاني. اكتشف القديس جيروم (إيرونيموس) نصين من هذا الإنجيل واحد في قيصرية والأخر قرب أنطاكية.

8. «إنجيل الناظوريين». والكتابات الغربية والعربية تكتب اسمهم «الناصريين» وينسبونهم إلى الناصرة... والترجمة الصحيحة باعتقادي لكلمة ناظور العبرية هي «الناظر»، وفيها معنى الانتظار والنذر والناطور/ الحارس في آن... أي أنها طائفة «النظّار» أو أولئك الذين كان ينذرهم أهلهم لحياة المعبد والعفة والزهد ينتظرون قدوم المسيح ويحرسون الهيكل. وكانوا يطيلون شعر الرأس ولا يحلقونه ويلبسون الأبيض... ولعل السيدة مريم كانت واحدة منهم إذ نذرها أهلها لخدمة الرب... ويمكن أن تكون كلمة «ناظوري» أساسها الكلمة العبرية نظير nazir وتعني الراهب أو الناسك المتعبد أو الدرويش الصوفي. وقد استنتجت ذلك من عنوان مخطوطة يهودية تشبه قصة بلوهر وبوذآساف الإسلامية، أو برلام ويوشافاط المسيحية (سيأتي الحديث عليهما لاحقًا)[32].

---

(30) *The Theophania or divine manifestation*
http://www.tertullian.org/fathers/eusebius_theophania_01preface.htm

(31) Stromata 2: 9: 45

(32) النص العبري عنوانه: سفر بن ها-ملك وها-نظير، أي كتاب الأمير والراهب أو الناسك المتعبد أو الدرويش الصوفي)، بحسب الترجمات الغربية
Sefer ben ha-melekh we-ha-nazir or Book of the Prince and the Ascetic

انظر عنه في كتاب جماريه: D. Gimaret, *Le Livre de Bilawhar et Būdāsf selon la version* =

وهناك خلط كبير بين هؤلاء الناظوريين المنذورين وبين كلمة نصارى الواردة في الأناجيل كما في القرآن...

وقد وجدت القاضي عبد الجبار يستخدم تسمية «النظارين» في كتابه «تثبيت دلائل النبوة» فيقول عن النصارى «وإنك لتجد النظارين منهم والمجادلين عنهم إذا سألتهم عن قولهم في المسيح، قالوا: قولنا فيه إنه روح الله وكلمته مثل قول المسلمين سواء...»[33]؛ ثم تأملت مؤخرًا في معنى كلمة انتظار من خلال لسان العرب فوجدت أن جذرها هو نظر ونحن نجد المعنى في الآية الكريمة: «قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» (سورة الحجر: 36-38/ سورة ص: 80-81). وبالتالي رجحت أن يكون الناظريون هم من كانوا ينتظرون القدوم السريع للمسيح المخلص في زمن عيسى، أي هم النظاريون الذين تحدث عنهم القاضي عبد الجبار. كما أنهم هم حراس المعبد ينطرونه كما يفعل النواطير (ومنهم اسم ناطوري كارتا

= *arabe ismaélienne*, Geneva, Droz, 1971, p. 47

والكتاب شبه اقتباس أو لعله ترجمة خلاقة لنص عربي من نصوص برلام ويوشافاط.

(33) عبد الجبار بن أحمد الهمذاني: «تثبيت دلائل النبوة».ص 93-92

في النص الأصلي للمخطوطة من مجموعة الشهيد علي باشا في استانبول يذكر أن القسم المتعلق بالمسيحية في الكتاب مكتوب حوالى العام 385 هـ، (الورقة 80a) وفي مكان آخر أنه مكتوب عام 400 هـ (الورقة 182b). انظر:

S. Pines, «A Moslem text concerning the conversion of the Khazars to Judaism», *Journal of Jewish Studies*, XIII (1962)

S. M. Stern, «New Information about the authors of the Epistles of the Sincere Brethren», *Islamic Studies*, Vol. 3, No. 4, December 1964

S. M. Stern, «New Light on Judaeo-Christianity,» *Encounter* 28 (1967) 53–57

S. M. Stern, «Quotations from Apocryphal Gospels in ʿAbd al-Jabbār,». *The Journal of Theological Studies. New Series*, Vol. 18, No. 1 (April 1967), pp. 34-57

S. M. Stern, «ʿAbd al-Jabbār's Account of How Christ's Religion was Falsified by the Adoption of Roman Customs,» *The Journal of Theological Studies. New Series*, 19 (1968) 128–85.

George Howard, «A Note on the Short Ending of Matthew». *The Harvard Theological Review*, Vol. 81, No. 1 (Jan. 1988), pp. 117-120

الجماعة اليهودية الأرثوذكسية المعادية للصهيونية). وفي مكان آخر يذكر القاضي عبد الجبار أن المانويين من جماعة ماني[34] كان عندهم إنجيل خاص بهم يقولون إنه هو إنجيل المسيح الصحيح وإن قصة يهوذا الإسخريوطي تختلف كثيرًا في هذا الإنجيل عما في باقي الأناجيل المعروفة[35].

9. «إنجيل الإبيونيين»: ومقتطفاته متفرقة في أعمال إبيفانيوس (عاش في أواخر القرن الرابع) الذي يقول عنه إنه خاص بالإبيونيين «الذين قبلوه بحسب متى ولكنه في الحقيقة ناقص جدًا ومشوه ومبتور ويسمونه الإنجيل العبراني»... والنص قريب من إنجيل العبرانيين السابق الذكر. والإبيونيون كانوا جماعة مسيحية- يهودية ناطقة باليونانية نمت وتطورت في القرنين الثاني والثالث للميلاد... والنقطة الأساسية في تعاليم الإبيونيين أنهم يجعلون يوحنا المعمدان (النبي يحيى) وعيسى من النباتيين الذين يدينون أكل اللحوم والذبائح... وأن طعام يحيى كان من العسل البري فقط... وأن عيسى أعلن أنه جاء لإلغاء شريعة تقديم الأضاحي... وقد جاء عند البيروني[36] ذكر

---

(34) المانوية – أو المنانية (كما ذكر ابن النديم في الفهرست والبيروني في تحقيق ما للهند من مقولة مقبولةٍ في العقل أو مرذولة) ديانة تنسب إلى ماني (مولود في بابل سنة 216– أُعدم سنة 276م في جنديسابور بالإمبراطورية الساسانية). ظهر ماني في زمان شابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن شابور. وقيل إن الوحي أتاه وهو في الثانية عشر من عمره وكان في الأصل مجوسيًا عارفًا بمذاهب القوم وكان يقول بنبوة المسيح ولا يقول بنبوة موسى فنحى منحىً بين المجوسية والمسيحية. حاول ماني إقامة صلة بين ديانته والديانة المسيحية وكذلك البوذية والزرادشتية، ولذلك فهو يعتبر كلًا من بوذا وزرادشت ويسوع أسلافًا له، وقد كتب ماني عدة كتب من بينها إنجيله الذي أراده أن يكون نظيرًا لإنجيل عيسى.

انظر: الزندقة – ماني والمانوية. تأليف جيو وايدنغرين، ترجمة وزيادة ملاحق: د. سهيل زكار. دار التكوين، دمشق 2005.

(35) القاضي عبد الجبار: مرجع سابق، الصفحات 114 و140–137

(36) أبو الريحان محمد بن أحمد البَيْرُوني (2 ذو الحجة 362هـ/ 5 سبتمبر 973م–

إنجيل ماني على أنه الإنجيل الإبيوني وأن البيروني[37] قرأ فيه اسم عبد الله بن سلام[38] وسلمان الفارسي[39].

---

5 رجب 440هـ/ 13 ديسمبر 1048م) كان رحّالةً وفيلسوفًا وفلكيًا وجغرافيًا وجيولوجيًا ورياضياتيًا وصيدليًا ومؤرخًا ومترجمًا لثقافات الهند. وصف بأنه من بين أعظم العقول التي عرفتها الثقافة الإسلامية، وهو أول من قال إن الأرض تدور حول محورها، صنف كتبًا تربو عن المائة والعشرين. بسبب وجوده في خوارزم ولأن مكانه تحيط به العديد من القوميات والأعراق فقد أتقن أبو الريحان البيروني عددًا من اللغات غير العربية كالفارسية والسنسكريتية والسريانية واليونانية. أول كتبه هو (الآثار الباقية عن القرون الخالية) والثاني هو مؤلفته الكبرى (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولةٍ في العقل أو مرذولة). كما كتب مؤلفين آخرين كبيرين هما (القانون المسعودي) (في الهيئة والنجوم ألفه لمسعود بن محمود بن سبكتكين الغزنوي)، وكتاب (التفهيم لأوائل صناعة التنجيم).

(37) وردت هذه الرواية عند شلومو بينس في دراسته التي صدرت في كتاب بعنوان: اليهود المسيحيون للقرون الأولى للمسيحية بحسب مصدر جديد»
Shlomo Pines. The Jewish Christians of the Early Centuries of Christianity according to a New Source. *Proceedings of the Israel Academy of Sciences and Humanities* II, No. 13. (Jerusalem 1966)

(38) عبد الله بن سلام بن الحارث (أبو يوسف الإسرائيلي) من يهود بني قينقاع، أسلم مبكرًا، مع قدوم النّبي إلى المدينة. وهو صحابي جليل ومن ذُرِّيـة النبي يوسف من بني إسرائيل. قال عنه الذهبي في السير: «الإمام الحَبْر، المشهود له بالجنة، حليف الأنصار، من خواصِّ أصحاب النبي».

(39) سلمان الفارسي (المتوفي سنة 33 هـ) صحابي، وأحد رواة الحديث النبوي، وهو أول الفرس إسلامًا؛ أصله من بلاد فارس، ترك أهله وبلده سعيًا وراء معرفة الدين الحق؛ فانتقل بين البلدان ليصحب الرجال الصالحين من القساوسة، إلى أن وصف له أحدهم ظهور نبي في بلاد العرب، ووصف له علامات ليتحقق منه. اتفق سلمان مع قوم من بني كلب لينقلوه إلى بلاد العرب، فغدروا به وباعوه إلى يهودي من وادي القرى، ثم اشتراه يهودي آخر من يثرب من بني قريظة، ورحل به إلى بلده. وعند هجرة النبي محمد إلى يثرب، سمع به سلمان، فسارع ليتحقق من العلامات، فأيقن أنه النبي الذي يبحث عنه. فأسلم، وأعانه النبي محمد وأصحابه على مُكاتبة مالكه، حتى أُعتق. بعد عتقه، شهد سلمان مع النبي محمد غزوة الخندق، وهو الذي أشار على النبي محمد بحفر الخندق لحماية المدينة من قريش وحلفائها، ثم شهد معه باقي المشاهد. وبعد وفاة النبي محمد، شهد سلمان الفتح الإسلامي لفارس، وتولى إمارة المدائن في خلافة عمر بن الخطاب إلى أن توفي في خلافة عثمان بن عفان.

وفي المصادر الكنسية[40] أن الإبيونيين هم الورثاء الشرعيون للمسيحيين المتهودين، وأصحاب بدعة التبني. ينبه «يوحنا الحبيب»[41] في رسالته الأولى إلى «مسحاء دجالين» كثيرين (2: 18). ويقول: «منا خرجوا ولكنهم لم يكونوا منّا لأنهم لو كانوا منّا لاستمروا معنا» (2: 19). ثم يستطرد فيقول: «من الكذاب إلا الذي يُنكر أن يسوع هو المسيح» (2: 22). ويرى أهل العلم أن الإشارة هنا هي للإبيونيين الذين تفرعوا عن كنيسة أورشليم وتفرقوا مبشرين معلمين أن المخلص هو ابن يوسف ويرفضون ألوهية المسيح وأن بولس مرتد عن الدين القويم متمسكين بالإنجيل إلى العبرانيين مستمسكين بالناموس متخذين أورشليم قبلة لهم في صلواتهم؛ إذ اعتبروا التمسك بالفروض اليهودية وطقوس الآباء العبرانيين ضرورة يلتزم بها المسيحيون معتبرين أن السيد المسيح مجرد ابن لداود بدون وجودٍ له قبل التجسد، ومجرد نبي ممتاز كانوا ينتظرونه.

قالت الإبيونية: إنّ يسوع المسيح ليس سوى إنسان تبنّاه الله ومنحه سلطة إلهيّة لتتميم رسالته. ومن أتباع هذه البدعة الإبيونيون الذين كانوا يقولون إنّ يسوع هو مجرّد إنسان وُلد من مريم ويوسف، وإنّه كان أقدس جميع الناس، وقد حلّ عليه في أثناء معموديّته كائن سماويّ هو المسيح.

ويختلف الباحثون في أصل هذا الاسم فينسبه بعضهم إلى إبيون المؤسس - وهو قول ضعيف - ويقول آخرون إنه مشتق من العبرية إبيونيم ومعناه «الفقراء» وإنه مأخوذ من الآية: «طوبى لكم أيها المساكين فإن لكم ملكوت الله». ويشير الكثير من العلماء والمؤرّخين إلى وجود هذه البدعة في الجزيرة العربيّة، وفي مكّة بخاصّة، إبّان فترة الدعوة المحمّديّة.

---

(40) https://www.orthodoxonline.org/theology/sects-cults-and-heresies/ancient-cults-and-heresies/70-ebionaioi#gsc.tab=0

(41) «القديس» يوحنا الإنجيلي ويعرف أيضًا بيوحنا الرائي وبيوحنا الحبيب.

من المرجح أن يكون «إنجيل الإبيونيين» هو نفسه «إنجيل «الرسل» الاثني عشر» الذي يذكره أوريجينوس. فإذا صح هذا الأمر، فإن زمن كتابته سيعود على الأرجح إلى بدايات القرن الثالث الميلادي. غير أنه من الواضح أن جيروم قد أخطأ في قوله بأن هذا الإنجيل هو نفسه «إنجيل العبرانيين»، وبالرغم من ذلك، يدعم شميدتكه (Alfred Schmidtke)[42] هذا الرأي.

وقد حصلنا على كل ما نعرفه عن «إنجيل الإبيونيين» من إبيفانيوس[43] الذي استشهد بشذرات منه. ويمكننا أن نحكم من خلال هذه الشذرات أنه كُتب لصالح فرقة من فرق المسيحيين كانت تُقاوم تقديم الذبائح، وهكذا يظهر يسوع – في هذا الإنجيل – وهو يقول: «لقد أتيت لأضع حدًا للذبائح، وأنه لن يمتنع الغضب عنكم، إلا بأن تتوقفوا عن تقديم الذبائح»[44].

10. «إنجيل توما» (والبعض يسميه إنجيل توما الغنوصي وإنجيل توما الإسرائيلي): يوجد منه نسخ يونانية أصلية تعود إلى 3 مخطوطات اكتشفت في بهنسة بصعيد مصر مطلع القرن العشرين، ونسخة قبطية مترجمة عن اليونانية اكتشفت في نجع حمادي عام 1945. وأقدم المخطوطات اليونانية يعود إلى حوالى العام 200 ميلادي... كما

(42) ألفرد شميدتكه عالم أديان ألماني متخصص بالعهد الجديد. كان معاونًا لهرمان فون سودن حين درس المخطوطات اليونانية القديمة لكتاب العهد الجديد. سافر للبحث والتحقيق في مكتبات وأديرة ألبانيا ومقدونيا بتفويض من فون سودن. وفي العام 1903 وبعد أن قضى فترة طويلة على جبل آثوس نشر وصفًا لجمهورية رهبان الدير هناك. في العام 1911 نشر أعماله عن مخطوطات الأناجيل اليهودية المسيحية. غاب ذكره بعد الحرب العالمية الأولى.

(43) Adversus Haereses 30: 13 -16

(44) Idem 30: 16

أن وجود 3 مخطوطات يونانية مختلفة يشير إلى أن هذا الإنجيل كان متداولًا في مطلع القرن الثالث ميلادي وأن أصله يعود إلى القرن الثاني... والنسخ اليونانية كما القبطية طبعت ونشرت وترجمت إلى عدة لغات. والمخطوطة القبطية الأصلية موجودة اليوم في المتحف القبطي في القاهرة القديمة، كما أن المخطوطات اليونانية موجودة في 3 مكتبات بريطانية (أوكسفورد، لندن، وهارفارد)... وتوما بحسب الشائع وكما يكتب هو نفسه اسمه في مقدمة إنجيله هو» ديديموس يهوذا توما» الذي كان محترمًا جدًا في الكنائس السورية الأولى باعتباره رسولًا وأيضًا أخًا وحتى شقيقًا توأمًا للمسيح (كلمة توما بالعبرية تعني توأم؛ وكذلك كلمة ديديموس اللاتينية، ولاحظ أيضًا أن اسمه يهوذا وهو اسم أحد أخوة عيسى من يوسف النجار كما في الأناجيل القانونية)...

يقول أوريجينوس في عظته الأولى على إنجيل لوقا: «هناك أيضًا إنجيل متداول بحسب توما». وبينما ينسبه هيبوليطُس الروماني[45] إلى فرقة «الناسيين» (The Naassenes)، يتكلم كيرلس الأورشليمي[46] عنه باعتباره عملًا مانويًا؛ فهو يقول في مقالاته للموعوظين[47] (4: 36):

(45) Hippolytos: fifth book of the Refutation of all Heresies. Chapters 1 to 5. Translated by J.H. MacMahon. From *Ante-Nicene Fathers*, Vol. 5. Edited by Alexander Roberts, James Donaldson, and A. Cleveland Coxe. (Buffalo, NY: Christian Literature Publishing Co., 1886.) Revised and edited for New Advent by Kevin Knight. <Http://www.newadvent.org/fathers/050105.htm>.

(46) «القديس» كيرلس أسقف أورشليم (كيرلس الأورشليمي) Saint Cyril of Jerusalem ويسمى قس الموعوظين: وُلد بأورشليم أو بإحدى قراها عام 315 م. سيم شمّاسا سنة 335 م. ثم قسّا سنه 345 م. عهد إليه الأسقف مهمة تعليم الموعوظين لتأهيلهم لنوال سرّ المعمودية، كما جعله يعظ في أيام الآحاد والأعياد. ثم أُختير في سنة 348 م. خلفًا للأنبا مكسيموس أسقف أورشليم نظرًا لعلمه وتقواه. تعتبر أهم كتاباته «مقالاته للموعوظين» Catechetical Lectures، وهي 24 مقالًا، الأولى مقدمة و23 أخرى.

(47) Catechetical Lectures: Translated by Edwin Hamilton Gifford. From *Nicene and Post-Nicene Fathers*, Second Series, Vol. 7. Edited by Philip Schaff and Henry Wace. (Buffalo, NY: Christian Literature Publishing Co., 1894.). Ch. 4., part 36

«ومن العهد الجديد اقرأوا أربعة أناجيل فقط، فالباقي أبوكريفي ومُضر. ولقد كتب المانويون أيضًا إنجيلا منسوبًا إلى توما، وبالرغم من أنه يحمل اسمًا جميلًا هو اسم الإنجيل، إلا أنه يفسد نفوس البسطاء». وكذلك في عبارة مشابهة يقول في الفصل السادس المقطع 31: «لا تدعوا أحدًا يقرأ إنجيل توما، فهو لم يُكتب بواسطة أحد الاثني عشر رسولًا، لكن كتبه أحد تلاميذ ماني الثلاثة الأشرار»[48]. ولعل إنجيل توما المانوي كان مجرد اختصار وإعادة صياغة لإنجيل توما الغنوصي.

يسميه البعض الإنجيل الخامس ويعتبرونه أقدم الأناجيل وهو مختارات من 114 فقرة أو سورة من كلمات يسوع «السرية» (ومن هنا طابعه الغنوصي الباطني) وتبدأ بـ «قال يسوع أو «أجاب يسوع».

11. «إنجيل يوحنا» وهو غنوصي قطعًا وجدت نسخة لاتينية منه في سجلات محاكم التفتيش التي أقامتها الكنيسة الكاثوليكية في منطقة كركاسون الفرنسية بعد القضاء على شيعة الكاثار. والنسخة تعود إلى ما بين القرن الخامس والسابع ميلادي. والنص حوار بين عيسى ويوحنا على شكل أسئلة وجهها يوحنا ويجيب عليها عيسى وفيه كل المحزون الغنوصي من نسبة خلق العالم والشريعة إلى الشيطان، وتصوير الأنفس المسجونة في أجساد أرضية ملائكة أغواها الشيطان وحبسها في المادة.

12.«إنجيل بطرس» في الكتاب السادس من تاريخ يوسابيوس الكنسي سرد لحياة وأعمال سيرابيون مطران أنطاكية؛ وفيه أن هذا المطران كتب منشورًا في الرد على إنجيل متداول في زمنه باسم إنجيل بطرس. وفي كتاب يوسابيوس هذا أن سيرابيون عُيِّن في أنطاكية عام 191، ما يعني أن الإنجيل يعود للقرن الثاني ميلادي. وعند يوسابيوس

---

(48) Ibid. Ch. 6., part 31

أيضًا أن المطران سيرابيون زار رعيته في مدينة روسوس (من أعمال كيليكيا، في تركيا اليوم واسمها الحالي آرسوز أو آرسوس وهي في الأسكندرون على الساحل) ووجدهم يستخدمون هذا الإنجيل فقرأه ثم أصدر منشوره بتحريمه لأنه اعتبره من أعمال نحلة مرقيون(49) وخلفاء النحلة الدوسيتية Docetists، وهي فرقة استمرت عبر الكاثار والألبيجيين. وهذا يشير إلى أن الكثيرين من المسيحيين الأوائل رفضوا فكرة ألوهية المسيح أو أن عيسى هو ابن الله، وأن الله يعذب ابنه ويصلبه ويقتله. وهي أولى النحل المهرطقة في المسيحية. وكانت قد انتشرت في أنطاكية النقاشات والصراعات حول حقيقة المسيح. وكانت البعثة الأركيولوجية الفرنسية في القاهرة قد اكتشفت في عام 1886–1887 (ونشرتها في عام 1892–1893) في مقابر أخميم في صعيد مصر مجموعة كبيرة من

(49) مرقيون السينوبي Marcion of Sinope (140–160م)، هو ابن أسقف سينوب في إقليم البنطس (على شاطئ البحر الأسود من الأناضول) تأثر بالأفكار الغنوصية بعد أن أصبح غنيًا فحرمه والده من الكنيسة، فخرج من سينوب وطاف آسيا الصغرى حتى روما التي منح كنيستها هدية مادية قيمة، ونشر تعاليمه وتجمع حوله الكثير من الأتباع فكانت كنيسته الغنوصية أكثر عددًا من جميع الكنائس الغنوصية السورية. وبحسب طرطليانوس فقد بدأ مرقيون مسيرته كمسيحي أرثوذكسي لكنه سرعان ما صاغ مذهبًا مميزًا وجذريًّا أدَّى إلى إلقاء الحرمان عليه من قبل كنيسة روما في تموز 144 م، وهو التاريخ التقليدي لتأسيس الكنيسة المرقيونية (طرطليانوس، ضد مرقيون، 1.1: جاء إلى رومة حوالى السنة 140 معلّم غنوصي أصله من البنطس واسمه مرقيون. فعلّم نظامًا ثنائيًّا يعارض فيه العهدان الواحدُ الآخر. رذل مرقيون كلَّ أسفار العهد القديم واعتبرها من عمل العقل الخلاّق الشرّير ولم يحتفظ من العهد الجديد إلاّ بإنجيل لوقا بعد أن شوّهه، وبقسم من رسائل «القديس» بولس. حُرم سنة 144 وناقضه يوستينوس، ولكنّه ربح أتبّاعًا كثيرين سيحاربهم ترتليانس بعد نصف قرن في كتابه «ضد مرقيون» (دوِّن في نسخة أولى سنة 200، وثانية سنة 207، وثالثة سنة 211). هذا الكتاب هو المرجع الأساسيّ للتعرّف إلى «النقائض» التي نشرها المعلّم الهرطوقي". أمّا ردّة الفعل على هذه المحاولة فكانت إجبار الأساقفة والمعلّمين المسيحيّين على وضع لائحة كاملة بكتبهم المقدّسة وإبعاد الأسفار المنحولة والمشبوهة. ومرقيون هو مؤسس وزعيم نحلة الدوسيتية.
Kurt Rudolph; *Gnosis: The Nature and History of Gnosticism*. HarperOne; New edition (May 6, 1987), p.314

الأوراق (فيها إنجيل بطرس ورؤيا بطرس وكتاب إينوخ). طول الورقة 6 إنش وعرضها أقل من 5 إنش. وهي تعود إلى القرن الثامن. ولكن كتاب إينوخ يعود إلى القرن الأول ميلادي على الأقل إن لم يكن قبل الميلاد. وكتاب ورؤيا بطرس تعود للقرن الثاني ميلادي.

كتاب رؤيا بطرس كان معروفًا عند المسيحيين في قرطاجة (شهداء عام 203) وفيه تفاصيل عن الجحيم تنافس ما كتبه دانتي: الكاذبون يأكلون لسانهم في جهنم. وأفواههم تملؤها النار. المرابون يقفون في مستنقع تصل فيه القاذورات والدماء والوسخ إلى ركبهم. الذين يشتمون أو يكذّبون الأنبياء و«القديسين» يعلقون من ألسنتهم. (من هذا يظهر كم كان تأثير هذا الكتاب الأبوكريفي كبيرًا في أدبيات الكنيسة حول عذاب النار).

اكتشف «بوريانت» (Bouriant)[50] شذرة كبيرة من هذا الإنجيل عام (1886–1887) في قبر لراهب بأخميم في صعيد مصر، ونشرها مع ترجمة في 1892م. ويروي هذا الإنجيل قصة آلام يسوع وموته ودفنه، ويزين قصة قيامته بتفاصيل مشوقة تتعلق بما تلاها من معجزات. كما أنه توجد فيه بعض الآثار البسيطة للهرطقة الدوستية (الخيالية)، وربما لهذا السبب غير كاتب الإنجيل كلمات يسوع على الصليب القائلة «إلهي إلهي لما تركتني» لتصبح «قوتي قوتي لقد تركتني». ومن الملفت للنظر أيضًا أن هيرودوس في هذا الإنجيل هو من أصدر الحكم بالإعدام على

(50) أوربان بوريان Urbain Bouriant (1849–1903) عالم فرنسي مختص بمصر وآثارها. اكتشف إنجيل بطرس في مقبرة في أخميم واشتهر بترجمته للمقريزي. نشر كتابًا مهمًا في الوصف الطوبوغرافي والتاريخي لمصر (باريس 1895–1900). كان معاونًا لغاستون ماسبيرو Gaston Maspero حين أسس هذا الأخير البعثة الأركيولوجية المصرية إلى القاهرة والتي خلفها المعهد الفرنسي للأركيولوجيا الشرقية (IFAO). كان محافظًا لمتحف بولاق بين 1883 و1886 ثم مديرًا لمعهد الأركيولوجيا حتى العام 1898.

المسيح وليس بيلاطس؛ وبهذا تقع مسؤولية صلب المسيح على اليهود حصريًا. لكن، هناك شك فيما إذا كان هذا الإنجيل يعود حقًا إلى أصل هرطوقي، لأن الإشارات المبعثرة التي تدل على كونه ينتمي إلى مذهب هرطوقي أقل من أن تكون مقنعة، فالكاتب يبدو كما لو كان قد أعاد صياغة روايات الأناجيل القانونية متصرفًا فيها بحرية.

وهناك كذلك إشارات لـ «الإنجيل بحسب بطرس» في كتابات الكُتاب الكنسيين. وقد كان أوريجينوس هو أول من ذكره، وذلك في تفسيره لإنجيل متى (10: 17)، فهو يقول إن البعض يظنون – معتمدين على تقليد ذكره إنجيل تحت اسم بطرس – أن هؤلاء المدعوين «إخوة يسوع» هم أبناء ليوسف النجار من زوجة سابقة كانت تعيش معه قبل مريم. وقد ذكر يوسابيوس القيصراني أن الأسقف سيرابيون الأنطاكي قد رفض هذا الإنجيل حوالى عام 190م باعتباره ذا سمة دوستية. ومن ثم، ينبغي أن يكون هذا الإنجيل قد كُتب في النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي على أقصى تقدير.

13. إنجيل فيلبس»: لم تُنسب الأناجيل الأبوكريفية إلى بطرس ويعقوب وتوما فقط بل إلى باقي «الرسل» أيضًا. وقد تكلم إبيفانيوس[51] عن الغنوصيين المصريين قائلًا: «لقد زيفوا إنجيلا باسم فيلبس، التلميذ القديس، وهو يقول فيه: «لقد كشف لي الرب عن الذي يجب أن تقوله النفس بينما تصعد إلى السماء، والكيفية التي يجب بها أن تجيب على كل قوة من القوات العليا – يجب على النفس أن تقول: «لقد عرفت نفسي، وجمعت شتات نفسي من كل مكان، ولم ألد أولادًا للحاكم، ولكني قضيت عليه، وجمعت الأعضاء المشتتين في جميع الاتجاهات. وأنا أعرف من أنت، لأني أحد الذين هم فوق». وتكشف هذه الشذرة

(51) Adversus Haereses 26: 13

التي اقتبسها إبيفانيوس من إنجيل فيلبس عن ميل قوي للاتجاه النسكي الغنوصي الذي يزعم أنه يجب على الشرارات الإلهية المبعثرة في العالم أن تتحد وأن تتخلص من تأثير المادة. ويبدو أن الكتاب القبطي المعروف باسم «بيستيس صوفيا»[52] (Pistis Sophia) كان يشير إلى إنجيل فيلبس عندما ذكر أن فيلبس «الرسول» قد دون تعاليم سرية علمها المسيح لتلاميذه بعد قيامته، ومن هذا يمكننا أن نستنتج أن هذا الإنجيل كان موجودًا في القرن الثالث الميلادي.

14. «إنجيل متياس»: يذكر أوريجينوس – في عظته الأولى على إنجيل لوقا – أن «إنجيل متياس» كان معروفًا في زمانه. ويظن كل من مونتاغ رودس جيمس وأوتو باردنهيور (O. Bardenhewer)[53] أن العمل الذي ذكره إكليمنضس الإسكندراني باسم «تقاليد متياس» ربما يكون هو هذا الإنجيل نفسه، لكن هناك آخرين، مثل (O. Stahlin)[54] و(J. Tixeront)[55]، يشكون في صحة هذا الأمر. أما الفقرات التي كتبها إكليمنضس – ذاكرًا فيها «تقاليد متياس» – فهي التالية: «إن بداية معرفة الحق هي أن يشك المرء في الأشياء، وذلك كما يقول أفلاطون في محاورة ثياتيتوس (Theaetetus). وها هو متياس ينصحنا قائلًا: «شك في الأشياء التي أمامك، جاعلًا من هذا الأمر الخطوة الأولى نحو معرفة

(52) هو مخطوط غنوصي آخر وجد خارج مجموعة نجع حمادي يرجع تاريخه للقرن الرابع الميلادي، وهو يتضمن مجموعة من الحوارات بين السيد المسيح وتلاميذه من الرجال والنساء.

(53) Otto Bardenhewer. *Patrology: the lives and works of the fathers of the church*, Freiburg im Breisgau, 1908

(54) Otto Stählin. *Clément d'Alexandrie. Quel riche sera sauvé. Edited and translated by Carlo Nardi and Patrick Descourtieux; texte grec O. Stählin and L. Früchtel (GCS 172). (Sources Chrétiennes, 537.) Pp. 259. Paris: Les Éditions du Cerf, 2011*

(55) Joseph Tixeront. *A handbook of patrology*. St. Louis B. Herder Book Co., 1920.

أعمق»[56]... «إن هؤلاء الغنوصيين الملفقين عن باسيليدس يقولون إن متياس قد علمهم قائلًا: «يجب علينا أن نحارب ضد الجسد ونقمعه، لا نسلمه أبدًا للمتع الفاحشة، لكن يجب علينا أن نجعل الروح ينمو من خلال الإيمان والمعرفة»[57]... «يقولون إن متياس «الرسول» قال في «التقاليد»: «إنه في كل مرة يخطئ جار الإنسان المسيحي، فإن المسيحي أيضًا يكون قد أخطأ، لأنه لو كان المسيحي قد سلك بحسب ما توصي به الكلمة، لكان الجار أيضًا قد شعر بالخجل من أسلوب حياته، وما كان قد أخطأ»[58]. وسواء كانت هذه الفقرات من «تقاليد متياس» تمثل جزءًا من إنجيل متياس أو لم تكن، فلا بد من أن هذا الأخير قد كُتب قبل زمن أوريجينوس.

15. «إنجيل برثولماوس»: ذكر جيروم هذا الإنجيل في مقدمة تفسيره لإنجيل متى، وقد جاء ذكره أيضًا في «مرسوم جيلاسيوس». وهو نفسه، على الأرجح، العمل المعروف باسم «أسئلة برثولماوس» والذي نعرف أنه قد كُتب أصلًا باللغة اليونانية، وإلى جانب مخطوطتين يونانيتين، الأولى في فيينا والأخرى في أورشليم، لدينا أيضًا شذرات من «أسئلة برثولماوس» في ترجمات سلافية وقبطية ولاتينية. وهو يحتوي - في شكل أجوبة على أسئلة برثولماوس - على إعلانات أعطاها المسيح بعد «قيامته»، وكذلك على إعلانات أعطيت بواسطة مريم العذراء، بل إنه حتى الشيطان نفسه يظهر ويجيب على أسئلة برثولماوس بخصوص الخطية وسقوط الملائكة. كما أن «نزول المسيح إلى الجحيم» موصوف في هذا العمل بالتفصيل.

---

(56) stromata 2: 9: 45

(57) stromata 3: 4: 26

(58) stromata 7: 13: 82

16. «إنجيل يهوذا» اكتشفت مخطوطة هذا الإنجيل، وهي باللغة القبطية، في العام (1972)، ضمن مخطوطات نجع حمادي، وكانت مخطوطة مدونة على ورق البردي، وهي ترجع إلى القرن الثاني الميلادي. وكان عثر على المخطوطة بعض الفلاحين وباعوها إلى تجار آثار، أخذوا يتحركون بها من مكان إلى آخر بحثًاعن أعلى سعر. وفى هذه الرحلة حفظت البردية في خزينة أحد البنوك لسنوات طويلة، فبدأت تتهرأ وتتآكل... وفى النهاية وصلت المخطوطة إلى يد العلماء، الذين بدوأ في تجميعها بمجهود شاق، ليعرفوا في النهاية أنها «إنجيل يهوذا». جرى ترميم هذا الإنجيل وترجمته من اللغة القبطية إلى اللغة الإنكليزية في نهاية عام 2005 وأفرج عن هذه الترجمة في 6 نيسان/ أبريل من عام 2006م وأصبح هذا الإنجيل يباع في الأسواق.[59] يبدأ الإنجيل بالتعريف عن أنه «الرواية السرية للإعلان الذي تكلم به يسوع في حديث مع يهوذا الإسخريوطي لمدة أسبوع، خلال ثلاثة أيام قبل الاحتفال بالفصح، عندما ظهر يسوع على الأرض عمل معجزات وعجائب عظيمة لخلاص البشرية، ولأن البعض سلك في طريق البر، بينما سلك البعض الآخر في طريق الآثام، دعا تلاميذه الاثني عشر، وبدأ الحديث معهم عن أسرار ما وراء العالم، وما سيحدث في النهاية، وغالبًا لم يظهر لتلاميذه كما

(59) في عددها الصادر في 7 نيسان/ أبريل 2006 نشرت صحيفة الواشنطن تايمز THE WASHINGTON TIMES مقالاً بعنوان Judas stars as ‹anti-hero› in gospel By Julia Duin وجاء في هذا المقال أن الجمعية الجغرافية الدولية National Geographic أزاحت النقاب عن إحدى المخطوطات الأثرية أو الأناجيل التي عثر عليها في المنيا في مصر ويعود تاريخها إلى بداية القرن الثالث الميلادي. وأطلق على هذا الإنجيل اسم إنجيل يهوذا «The Gospel of Judas».

http://www.washingtontimes.com/news/2006/apr/7/20060407-120642-3758r/

http://ngm.nationalgeographic.com/ngm/gospel/?fs=seabed.nationalgeographic.com =

هو، ولكنه وُجد بينهم كطفل». وقيل إن أعضاء طائفة القايينيين[60] (Cainites) كانوا يستخدمونه.

4- أناجيل أبوكريفية أخرى

كان من عادة الهراطقة، وخاصة الغنوصيين، أن يكتبوا أناجيل بهدف تدعيم تعاليمهم الخاصة، لذا كان هناك عدد كبير من هذه الأناجيل معظمها معروف لدينا بالاسم فقط، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- إنجيل أندراوس: من المرجح أن كاتبه كان ذا أصل غنوصي ويبدو أن «القديس» أغسطينوس يشير إليه[61].

2- إنجيل تداوس: وهو مذكور في مرسوم جيلاسيوس.

3- إنجيل حواء: يذكر إبيفانيوس أنه كان متداولًا بين أعضاء

(60) هم طائفة غنوصية كانت مزدهرة في القرن الثاني الميلادي وخصوصًا في المنطقة الشرقية من الإمبراطورية الرومانية، كانت رؤيتهم ليهوه أنه شرير لأنه صمم العالم على نحو معادٍ للخير، حتى يمنع العنصر الإلهي في الإنسان من الاتحاد بالإله الكامل غير المعروف، وكانوا يمجدون الشخصيات الكتابية التي رُفضت في العهد القديم مثل قايين وعيسو وغيرهم من الذين اعتقدوا بأنهم كانوا يحملون معرفة باطنية مختلفة، ويقولون إن هذه الشخصيات عوقبت بواسطة إله غيور وشرير، ويطلق على القايينيين أحيانًا لقب «الغنوصيين المستبيحين»، وذلك لإيمانهم بأن الخلاص والكمال الحقيقي، يأتي فقط عن طريق كسر كل الوصايا الكتابية في فترة حياة واحدة فقط، أي يجب على الغنوصي الذي يريد الخلاص أن يكسر كل الوصايا أثناء حياته. =

(61) Augustinus: Contra adversarium legis et prophetarum. Commonitorium Orosii et sancti Aurelii Augustini contra Priscillianistas et Origenistas. K.D. Daur (ed.). IV+217 p., original edition: 1985, reprint, 1985. 1: 20

طائفة البوربوريين[62] (Borborites)، وهي طائفة أوفيتية[63] غنوصية.

4- الإنجيل بحسب باسيليدس. يقول أوريجينوس إن هذا الهرطوقي قد «بلغ من الوقاحة» حتى إنه كتب إنجيلًا. وقد ذكر هذا العمل كل من أمبروسيوس وجيروم، ومن الممكن أن يكون باسيليدس قد قام بإعادة صياغة للأناجيل القانونية حتى يجعلها مؤيدة للتعاليم الغنوصية. وباسيليدس Basilides (Βασιλείδης) كان من أوائل الغنوصيين المسيحيين ومعلمًا في الإسكندرية بمصر ما بين أعوام 117 و138 للميلاد. ادعى أنه ورث تعاليمه من «القديس» ماثياس ولكنه كان تلميذًا لميناندر. ويبدو أنه ألف أكثر من 12 كتابًا من التعليقات على الأناجيل الرسمية، ضاعت كلها. والباسيليون (أتباع باسيليدس) شكلوا حركة استمرت حوالى قرنين من بعده. وقد ذكر إبيفانيوس السلاميسي وجود فرقة غنوصية باسيلية في القرن الرابع في مصر.

5- أما ميناندر Menander (Greek: Μένανδρος) فقد كان غنوصيًا من

(62) كان البوربوريون طائفة غنوصية وصفها المسيحيون بأنها موغلة في القذارة والشر بشكل غير طبيعي، وكلمة «بوربوري» مأخوذة من الكلمة اليونانية «بوربوروس» والتي تعني «وحل»؛ لذا يمكن أن تترجم كلمة «البوربوريين» إلى «القذرين». وكانت عقائدهم تتضمن، بحسب ما نقله الكتاب المسيحيون، ممارسة الجنس المثلي (لواط وسحاق) بالإضافة إلى أمور أخرى. وبما أن كل ما نعرفه عن هؤلاء البوربوريين قد أتى من أعدائهم، لذلك لا يمكننا أن نكون متأكدين ما إذا كانت هذه الاتهامات صحيحة أم مبالغًا فيها.

(63) الأوفيتية طائفة من ضمن عدة طوائف غنوصية ازدهرت في الإمبراطورية الرومانية في القرن الثاني الميلادي ولعدة قرون لاحقة. اندرج تحت اسم «الأوفيتيين» عدة طوائف غنوصية مثل الناسيين والقاينيين، وقد اختلفت عقائد هذه الطوائف عن بعضها البعض من أوجه كثيرة لكنها جميعًا تمحورت حول نظرية لاهوتية ثنائية وضعت كائنًا أعلى ذا طبيعة روحية محضة – وهو مصدر العملية الكونية والخير الأسمى – على طرف النقيض مع عالم مادي فوضوي وشرير. بالنسبة إلى الأوفيتيين، كانت معضلة الإنسان نتيجة كونه خليطًا من هذه العناصر الروحية والمادية فقط المعرفة – المعرفة الباطنية– هي التي تستطيع ان تخلص الإنسان من قيود المادة وتجعله على دراية بهذا الإله غير المعروف والمصدر الحقيقي لكل وجود.

السامريين وساحرًا (مجوسيًا) وقائدًا لفرقة السيمونيين بعد وفاة معلمه سيمون ماجوس. نجد أن إيريناوس وترتليانوس والشهيد يوستينوس وغيرهم يذكرونه ويذكرون فرقته المسماة الميناندريين. يرى البعض أنه أسس مدرسة في أنطاكية حيث أعلن نفسه مسيحًا وادعى قدرة على هزيمة الملائكة الذين كانوا ياسرون العالم في حبالهم باستخدام التعويذ أو التعزيم[64]. حين انقسم السيمونيون بعد وفاة معلمهم سمى ميناندر فرقته الميناندريون مدعيًا أن العالم خلقته الملائكة. وكان باسيليدس من أتباعه وكذلك كيردو[65].

6- إنجيل كيرينثوس: ذكره إبيفانيوس وسبقت الإشارة إليه.

7- إنجيل فالانتينوس: وترتليانوس هو مصدر معلوماتنا عن هذا العمل. وفالانتينوس هذا (Valentinus أو Valentius) (حوالى 100 إلى 160 م) هو أحد أشهر وأنجح الثيولوجيين الغنوصيين المسيحيين المبكرين. أسس مدرسة في روما. قال ترتليانوس إنه كان مرشحًا لأن يكون أسقفًا، ويفترض أنه عنى أسقف روما (حوالى 143 م)، لكن عندما اختير غيره انفصل عن الكنيسة وطور عقيدته الغنوصية. أنتج فالانتينوس عدة كتابات لكن بقيت آثار قليلة منها. تعرف أفكاره الدينية بشكل مطور ومعدل من خلال كتابات تلاميذه. كان له عدد كبير من الأتباع انقسموا إلى قسم شرقي وقسم غربي أو إيطالي.

8- إنجيل أبيلس (Apelles)، أشار إليه كل من جيروم وإبيفانيوس.

---

(64) طرد الارواح الشريرة أو التعويذ أو التعزيم (بالإنكليزية: exorcism من ἐξορκισμός اليونانية): هو ممارسة الشعائر الدينية أو الروحية بغرض طرد الشياطين أو الكيانات الروحية الأخرى من شخص أو منطقة يعتقد أنها قد امتلكت أو تم احتلالها من قبل هذه الأرواح.

(65) كان كيردو (Cerdo (Greek: Κέρδων غنوصيًا سوريًا اعتبرته الكنيسة الرسمية من الهراطقة حوالى العام 138 م. بدأ حياته العملية كواحد من أتباع سيمون ماجوس ومارس تعليمه في عصر فالانتينوس وسبق مرقيون.

وأبيلس هذا كان مسيحيًا غنوصيًا من القرن الثاني للميلاد وتلميذًا لمرقيون عاش في روما على الأغلب إلا أن الجماعة المرقيونية طردته من صفوفها. كتب ترتليانوس عن أن سبب طرده أنه صاحب سيدة رومانية اسمها فيلومينا ادعت أن ملاكًا يسكنها ويلقي عليها بوحي كان أبيلس يقرأه أمام الجمهور. ارتحل أبيلس إلى الإسكندرية حيث طور تعاليمه المعدلة عن المرقيونية فكتب كتابه المسمى «التفكير المنطقي» Syllogisms وقيل إنه عارض فيه كتابات مرقيون التي وضعت العهد الجديد في تضاد مع العهد القديم.

9- إنجيل مرقيون هو النص الذي استعمله المعلم مرقيون في منتصف القرن الثاني عوضًا عن الأناجيل الأخرى. تعتبر بقاياه التي أعيد جمعها من أبوكريفا العهد الجديد. كتب عدد من الكاثوليك رسائل ضد مرقيون بعد موته بالإضافة إلى نقد كتبه ترتليانوس مما سمح بإعادة تأليف إنجيل مرقيون بالكامل تقريبًا بالاعتماد على مقتطفاتهم له. يعرف مرقيون من خلال نقاده فقط الذين اعتبروه خطرًا كبيرًا على شكل المسيحية المعروف لديهم.

10- إنجيل ماني المسمى «الإنجيل الحي أو الإنجيل الكبير أو إنجيل الأحياء»...إلخ[66] ويعود إلى القرن الثالث؛ كتبه ماني بالسريانية في الأصل وسمي «الإنجيل: Evangelion (Syriac). كان هذا الإنجيل واحدًا من الكتابات السبعة الأصلية للمانوية.لا تزال مقاطع كثيرة من هذا الإنجيل محفوظة في المخطوط الكولوني Cologne Mani-Codex المكتشف في أسيوط المصرية في العام 1969، وتسمى: Codex Manichaicus Coloniensis. كما أن مقاطع مخطوطة أخرى اكتشفت في مدينة طرفان (توربان) الصينية في العام 1904. ويبدو من مخطوطات

(66) *The Living Gospel* (also Great Gospel, Gospel of the Living, and variants)

أخرى قبطية اكتشفت في الفيوم المصرية أن النص يضم نوعًا من التعليقات على الإنجيل. كان البيروني قد اطلع على نص كامل لهذا الإنجيل وقال عنه إنه «إنجيل من نوع خاص» لا يشبه أيًا من أناجيل المسيحيين، وأن المانويين يشددون على أنه الإنجيل الوحيد الصحيح.

11- «الإنجيل المخفي ليعقوب (جيمس)»: وهو ترجمة قبطية عن نص يوناني يحوي تعاليم السيد المسيح على شكل حوار بينه وبين اثنين من تلاميذه هما بطرس ويعقوب، ويقول النص معرفًا بنفسه «إن عيسى المسيح أوحى به بعد قيامته من الموت، إلى أخيه يعقوب العادل الذي كتبه بالعبرانية على شكل رسالة إلى جماعة من المسيحيين»... اكتشف في نجع حمادي عام 1945 ويرجّح أنه كان قد دفن هناك في القرن الرابع... وهو اليوم في المتحف القبطي... وهو يختلف عن الأناجيل الازائية أو الشرعية في أنه لا يحتوي على قصة أو رواية للأحداث وإنما مجرد أقوال ونبوءات وحكم وأمثال وقواعد وقوانين منسوبة إلى عيسى المسيح... والمعروف في أوساط الغنوصية المسيحية الأولى أن يعقوب العادل هو «أخ» المسيح وأنه تولى رئاسة كنيسة القدس بعد عيسى. كما أنه يختلف عن «إنجيل يعقوب الأولي أو التمهيدي» الذي هو من أناجيل الطفولة.

12. «إنجيل نيقوديموس»: لقد كانت النزعة إلى التهوين من شأن الذنب الذي ارتكبه بيلاطس - والتي نجدها في «الإنجيل بحسب بطرس» - تُظهر مدى الاهتمام البالغ الذي كانت تنظر به المسيحية الأولى لهذا الشخص. ولكن المكانة المرموقة التي كان يشغلها بيلاطس البنطي في الفكر المسيحي المبكر تظهر بشكل أوضح في «إنجيل نيقوديموس»، فلقد اشتمل هذا العمل على الوثيقة المعروفة باسم «أعمال بيلاطس»، وهي عبارة عن تقرير رسمي يفترض أن الوالي الروماني قد كتبه عن يسوع. ويبدو أن بعض أجزاء «أعمال بيلاطس»

كانت معروفة في زمن مبكر كالقرن الثاني الميلادي، فبعد أن ذكر يوستينوس الشهيد- في دفاعه الأول (فصل 35) - آلام المسيح وصلبه، قال: «يمكنكم أن تتحققوا من صحة هذه الأمور التي حدثت مما قد كتب في أعمال بيلاطس البنطي»، وتوجد أيضًا عبارة مشابهة في الفصل 48 من نفس العمل. كذلك يشير ترتليانوس مرتين إلى التقرير الذي قدمه بيلاطس إلى - الإمبراطور - طيباريوس؛ فوفقًا لما يقول، أخبر بيلاطس البنطي الإمبراطور عن حكم الإعدام الظالم الذي صدر ضد شخص بريء وإلهي؛ ولقد تأثر الإمبراطور جدًا بهذا التقدير الذي يحكي عن معجزات المسيح وقيامته، حتى إنه عرض أن يقبل المسيح ضمن آلهة روما، لكن مجلس الشيوخ الروماني رفض ذلك[67]. كذلك يذكر ترتليانوس في موضع آخر أن «بيلاطس قد أخبر الإمبراطور - الذي كان في ذلك الوقت هو طيباريوس - بقصة المسيح كاملة، لأنه في ذلك الحين كان هو نفسه مسيحيًا في قلبه سرًا»[68]. ويمكننا في هذا العمل أن نرى الرغبة في استخدام الوالي الروماني كشاهد على تاريخ موت المسيح وقيامته والحق المسيحي.

ولا بد من أن تلك النزعة عينها هي السبب في ظهور تلك الوثيقة المعروفة باسم «أعمال بيلاطس» التي تشكل قوام «إنجيل نيقوديموس»؛ فالجزء الأول منه (الفصول من 1 إلى 11) يقدم إلينا رواية تفصيلية لمحاكمة يسوع وصلبه ودفنه، ولهذا الجزء عنوان خاص به وهو (Acta Pilate) - أعمال بيلاطس - أما الجزء الثاني من العمل (الفصول من 12 إلى 16) فيحكي عن المناظرات التي حدثت في مجمع السنهدرين بشأن قيامة المسيح، وهو بمثابة إضافة إلى «أعمال بيلاطس». أما الجزء الثالث

(67) Apologeticum 5

(68) Apol. 21. 24

من العمل (الفصول من 17 إلى 27) فعنوانه هو: «نزول المسيح إلى الجحيم»، وهو يزعم أنه يحكي قصة نزول المسيح إلى الجحيم على لسان شاهدين هما «ابنا شمعون» اللذان قاما من الموت بعد أن شاهدا المسيح في الجحيم.

ولا بد أن «إنجيل نيقوديموس» هذا والوارد في مخطوطة لاتينية متأخرة تحت عنوان (Evangelium Nicodemi) قد كُتب بالكامل في بداية القرن الخامس الميلادي، لكن يبدو أنه لم يكن أكثر أو أقل من مجرد تجميع لمادة تعود إلى عصر أقدم. ويخبرنا يوسابيوس القيصراني أنه في أثناء الاضطهاد الذي شنه الإمبراطور «مكسيمينوس دايا» عامي 311 و312م، نشرت الحكومة الرومانية نسخًا وثنية مزيفة من «أعمال بيلاطس» حتى تثير مشاعر الكراهية تجاه المسيحيين: «لقد زيفوا تقرير بيلاطس ومخلصنا، وجعلوه مليئًا بكل أنواع التجديف ضد المسيح، ثم أرسلوه بموافقة من رئيسهم إلى كل أرجاء الإمبراطورية مع فرمان يفرض بأنه يجب تعليقه علنًا ليراه الجميع في كل مكان، في الريف والمدن، وأنه يجب أن يعلمه المدرسون الابتدائيون لتلاميذهم بدلًا من الدروس، ليدرسوه ويحفظوه عن ظهر قلب»[69]. ومن الممكن أن تكون «أعمال بيلاطس» التي شكلت قوام «إنجيل نيقوديموس» قد كتبت في الأصل لتضاد التأثير السيئ الذي تركته تلك التصرفات الوثنية.

ويبدو أن أقدم قطعة أدبية مسيحية تتكلم عن بيلاطس هي «تقرير بيلاطس إلى الإمبراطور كلوديوس»، والتي أدخلت في نصها اليوناني إلى الكتاب المتأخر «أعمال بطرس وبولس» وألحقت في ترجمة لاتينية بـ«إنجيل نيقوديموس»، ومن المحتمل أن يكون هذا التقرير متطابقًا مع ذاك الذي ذكره ترتليانوس، فإذا كان هذا صحيحًا، لوجب أن يكون

(69) Hist. eccl. 9: 5 ; cf. 1: 9: 1; 1: 11: 9; 9: 1.

تاريخ تأليفه قبل عام 197م، وهو التاريخ الذي ألف فيه ترتليانوس كتابه «Apologeticum». واعتمادًا على النص اليوناني، جاءت الترجمة الإنكليزية التي أنجزها مونتاغ رودس جيمس (M. R. James)(70) كالتالي: «من بيلاطس البنطي إلى كلوديوس قيصر، تحية وسلام. لقد جرت مؤخرًا أحداث كنت أنا نفسي شاهدًا عليها لأن اليهود بسبب الحسد قد عاقبوا أنفسهم وذريتهم بأحكام مخيفة بسبب خطئهم؛ لأنه لما كان آباؤهم قد وعدوهم - أو بشروهم - أن إلههم سوف يرسل لهم من السماء قدوسه الذي يستحق أن يدعى ملكًا عليهم، ووعدهم أن يرسله إليهم على الأرض من عذراء؛ أتى - أو أتى إله العبرانيين هذا - في الوقت الذي كنت فيه أنا حاكمًا لليهودية، ورأوه يفتح عيون العميان، ويطهر البرص، ويشفي المفلوجين، ويطرد الشياطين من الرجال، ويقيم الموتى، وينتهر الرياح، ويمشي فوق أمواج البحر دون أن تبتل قدماه، ويفعل عجائب أخرى كثيرة، وكان كل شعب اليهود يدعونه ابن الله، إلا أن رؤساء الكهنة قد ثاروا ضده في حسد، وأمسكوا به وأرسلوه إليّ واتهموه بتهم ملفقة، واحدة بعد الأخرى، قائلين إنه ساحر وإنه فعل أمور ا تخالف ناموسهم لكني - بينما كنت أعتقد ان الأمور هي هكذا - جلدته وسلمته إليهم بحسب إرادتهم فصلبوه، وبعد أن دُفن وضعوا حراسًا عليه، لكن بينما كان جنودي يحرسونه، قام في اليوم الثالث. إلا أن خبث اليهود قد اضطرم كثيرًا حتى أنهم أعطوا الجنود مالًا قائلين لهم: قولوا إن تلاميذه قد سرقوا جسده، لكن الجنود، بالرغم من أنهم قد أخذوا منهم المال، لم يستطيعوا أن يصمتوا بخصوص هذه الأمور التي قد حدثت، لأنهم أيضًا قد شهدوا أنهم رأوه قائمًا وأنهم قد أخذوا مالًا من اليهود. ولقد قمت بإخبار عظمتكم بهذه الأمور، مخافة من أن يكذب عليك شخص ما - في اللاتينية: مخافة من أن يكذب عليك شخص ويخبرك

---

(70) Montague Rhodes James. The Apocryphal New Testament… op.cit

بأمور مختلفة – فتحسب أنك تُحسن صنعًا بتصديق أكاذيب اليهود».

ونذكر من وثائق بيلاطس الأبوكريفية الأخرى كلًا من الأعمال التالية على سبيل المثال لا الحصر: «أنافورا بيلاطس»، «ورسالة بيلاطس إلى الإمبراطور طيباريوس»، و«محاكمة الإمبراطور لبيلاطس»، و«المراسلات المتبادلة بين بيلاطس وهيرودوس» والتي يعود زمن كتابتها إلى القرون الوسطى.

ولقد كان لـ «أعمال بيلاطس» الموجودة في «إنجيل نيقوديموس» والمحفوظة في نص يوناني، وترجمات سريانية، وأرمينة، وقبطية، وعربية، ولاتينية – نتائج ملفتة للنظر، فقد كرم المسيحيون في مصر وسوريا بيلاطس باعتباره قديسًا. كما كان لها في العصور الوسطى تأثير هائل في مجالي الأدب والفن.

5- أعمال «الرسل» الأبوكريفية[71]

تشترك أسفار الأعمال الأبوكريفية مع الأناجيل الأبوكريفية في كونها تزود القارئ بالمعلومات التي تغيب عن العهد الجديد، فتملأ الفراغات المتروكة في حياة عيسى وعائلته.

تُظهر معظم هذه الأسفار ميولًا هرطوقية/ بدعية واضحة، بحسب الكنيسة، إلا أنها ذات أهمية قصوى لكل من تاريخ الكنيسة وتاريخ الثقافة المسيحية وتاريخ العبادة المسيحية في القرنين الثاني والثالث، وتصف الشكل الأول لخدمات العبادة الدينية التي كانت تقام في المنازل، كما أنها تضم الترانيم والصلوات التي تُشكل بداية الشعر المسيحي. هذا بالإضافة إلى أن هذه الأسفار تعكس الشكل النسكي الخاص بالطوائف

(71) https://www.difa3iat.com/27348.html?utm_source=dlvr.it&utm_medium=gplus

الهرطوقية المنتشرة (بدع غنوصية في أكثرها)، وتظهر أيضًا محاولات التوفيق التي كانت تتم داخل الدوائر الغنوصية بين المعتقدات المسيحية والأفكار والخرافات الوثنية. يقول مونتاغ رودس جيمس في تقديمه لهذه الأسفار: «يمكننا أن نجد ضمن الصلوات والأحاديث المنسوبة إلى «الرسل» في أسفار الأعمال الأبوكريفية بعض الأقوال المميزة بل والجميلة؛ كما أن الكثير من هذه القصص المذكورة بها جديرة بالذكر، ومليئة بالخيال، وقد جعلتها عبقرية فناني العصور الوسطى مُبجلة لدينا ومألوفة لنا. لكن، لم يكن مؤلفو هذه الأعمال يتكلمون بلهجة بولس أو يوحنا؛ أو ببساطة الأناجيل الثالثة الأولى، لذا لن نظلمهم إن قلنا إنهم عندما يحاولون أن يكتبوا مثل الأناجيل فإنهم يصبحون مملّين. واختصارًا، يمكننا أن نقول إن دراسة مثل هذا النوع من الأدب دراسة دقيقة، سواء أكانت مجملة أم مفصلة، سوف تعود بالمزيد من الاحترام للوعي الذي كانت تمتلكه الكنيسة الجامعة، والحكمة التي لعلماء الإسكندرية، وأنطاكية، وروما فهم كانوا - بلا أدنى شك - صيارفة متمرسين، لقد امتحنوا كل شيء وتمسكوا بالحسن.»

المؤلفون الحقيقيون لهذه الأسفار غير معروفين، لكن بدايةً من القرن الخامس الميلادي ذُكر «لوقيوس» باعتباره مؤلف أعمال «الرسل» الأبوكريفية الهرطوقية، فيذكر فوتيوس[72] في مكتبته[73] رجلًا يدعى

(72) فوتيوس المعروف باسم فوتيوس من القسطنطينية أو القسطنطيني (810/ 820- 893 م) هو بطريرك القسطنطينية المسكوني من 858 إلى 867 ثم من 877 إلى 886. تعتبره الكنيسة الشرقية قديسًا يأتي ثانيًا بعد يوحنا الذهبي الفم (القرن الخامس) وهو جامع تراث الكنيسة الشرقية. أهم آثاره: «**المكتبة**» وهو وصف لـ 279 كتاب يوناني مع تحليل لمضموناتها.

(73) Photius Biblioteca: codex number 114 [Lucius of Charinus, Circuits of the Apostles: Acts of Peter, Acts of John, Acts of Andrew, Acts of Thomas, Acts of Paul] http://www.tertullian.org/fathers/photius_03bibliotheca.htm

«لوقيوس من خارينوس»[74] Lucius of Charinus باعتباره كاتب مجموعة أعمال بطرس، وبولس، وأندراوس، وتوما، ويوحنا. وقد اعتُبر لوقيوس في البداية أنه مؤلف «أعمال يوحنا» فقط؛ إلا أنه لاحقًا نسبت إليه كل أسفار الأعمال الهرطوقية.

حول مسألة الصلب نقل فوتيوس القسطنطيني ما كتبه لوقيوس كالتالي: «هو يقول إن المسيح لم يصلب أبدًا إنما حل محله شخص آخر في حين كان هو يضحك ساخرًا من حماقة الجلادين»[75]. نحن هنا أمام أقدم نص مكتوب لهذا التراث المسيحي المجهول الذي نجده في التراث الإسلامي وخصوصًا في القرآن في آية «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (سورة النساء: 157)».

أعمال بولس

علق ترتليانوس في بحثه «عن المعمودية» De Baptismo. (الفصل 17)[76] قائلًا: «ولكن الكتابات المنسوبة خطأ إلى بولس تؤيد حجتها

(74) لوقيوس المسمى لوقيوس من خارينوس (الخارينوسي) في كتابات فوتيوس القسطنطيني هو كاتب مسيحي اعتبرت معظم كتاباته هرطوقية بحسب إبيفانيوس السلاميسي. قيل إنه رافق يوحنا ابن زبدي وكتب باليونانية ما يعرف باسم «أعمال يوحنا في روما» و«أعمال «القديس» بطرس وسيمون» وهما من الأعمال المعتبرة هرطوقية. وبحسب ما يروي فوتيوس فإن التقليد المسيحي ينسب إلى لوقيوس كتابة عدد كبير من أعمال «الرسل» التي اعتبرت في القرن السادس أبوكريفية (مثل أعمال بطرس ويوحنا وبولس وأندره وتوما).
http://remacle.org/bloodwolf/erudits/photius/charinus.htm

(75) http://www.earlychristianwritings.com/actsandrew.html

(76) نجد كتابات ترتليانوس في المجلدين الأول والثاني من موسوعة الكتابات اللاتينية لآباء الكنيسة
The ***Patrologia Latina*** (*The Latin Patrology*) published by Jacques-Paul Migne between 1841 and 1855. http://pld.chadwyck.co.uk/

بمثال تكلا، وذلك بوصفه أنه يعطي رخصة للمرأة كي تُعلم وتُعمد. ولكن ليعلم الجميع أن هذا القس الذي ألف هذه الكتابات في آسيا – كما لو كان يزيد بولس من شهرة على شهرته – قد عُزل من رتبته بعد أن تمت إدانته واعترف أنه هو من فعل هذا محبة منه في بولس». ويبدو واضحًا من هذه الكلمات أن هناك كتابًا اسمه «أعمال بولس» كان متدولًا بين الناس قبل زمن ترتليانوس، وكان مؤلفه كاهنًا من آسيا الصغرى قد أوقف عن خدمته الكهنوتية قبل سنة 190م. لكن لم يكن من الممكن لنا أن نحدد المحتوى الكامل لهذا الكتاب إلا حينما نشر كارل شميدت[77] (Carl Schmidt) سنة 1904 شذرات من ترجمة قبطية له كانت موجودة في بردية بجامعة هايدلبرغ (Heidelberg)[78]. وقد أثبتت هذه النسخة القبطية على وجه الخصوص أن هناك ثلاثة نصوص، كانت معروفة منذ وقت طويل باعتبارها كتبًا مستقلة، هي في الأصل وببساطة، عبارة عن أجزاء من «أعمال بولس». وهذه النصوص الثلاثة هي:

أولًا: الكتاب اليوناني المعروف باسم «أعمال بولس وتكلا». يطلق «القديس» جيروم، في مؤلفه الجامع عن 135 شخصية مسيحية مهمة

(77) كارل شميدت (1868–1938) عالم ألماني بالقبطية وتاريخها وآثارها نشر عدة نصوص قبطية واشتغل في مصر على شراء كل مخطوطات البردي التي يمكن شراؤها لمصلحة الجامعات الألمانية. ساعد أيضًا السير تشستر بيتي Sir Chester Beatty في بحثه عن مخطوطات البردي.

(78) - Carl Schmidt (editor): Acta *Pauli aus der Heidelberger koptischen Papyrushandschrift Nr. 1*, Herausgegeben von Carl Schmidt. *Übersetzungen, Untersuchungen und Koptischer Text*, Hinrichs, Leipzig 1904. (Coptic Text, German translation + commentary).
Carl Schmidt: *Acta Pauli, Übersetzung Untersuchungen und koptischer Text, zweite erweiterte Ausgabe ohne Tafeln*. Hinrichs, Leipzig 1905 (1964 reprint). (Enhanced edition without the plates)
Carl Schmidt (editor): Πράξεις Παύλου; Acta Pauli. Nach dem Papyrus der Hamburger Staats- und Universitäts-Bibliothek, unter Mitarbeit von Wilhelm Schubart. Veröffentlichungen aus der Hamburger Staats- und Universitätsbibliothek. Neue Folge der Veröffentlichungen aus der Hamburger Stadtbibliothek, Herausgegeben von Gustav Wahl, J. J. Augustin in Glückstadt und Hamburg 1936 (Greek text, German translation and commentary).

(De Viris Illustribus) على هذا الكتاب عنوان (Periodi Pauli & Teclae)، وهو يضم قصة «تكلا»، الفتاة اليونانية من مدينة إيقونيا والتي تحولت إلى المسيحية بتأثير من تبشير بولس، فتترك تكلا خطيبها وتتبع بولس لتساعده في عمله التبشيري، ثم تهرب من الاضطهاد والموت بطريقة معجزية، وأخيرًا تعتزل العمل التبشيري وتستقر في مدينة سلوقية[79]. وعلى الرغم من اعتبار الكنيسة أن معظم ما ورد من قصص في هذا العمل هو من نسج الخيال، فقد أصبح تكريم القديسة تكلا ذا شعبية كبيرة وانتشر في الشرق والغرب. وقد حُفظ النص اليوناني الأصلي لهذا الكتاب في عدد من المخطوطات، كما أنه يوجد منه خمس مخطوطات لاتينية، إضافة إلى عدد كبير من الترجمات إلى اللغات الشرقية. وكان لمحتوى هذه الرواية ولا يزال تأثير كبير على الفن والأدب المسيحيين، فلقد أصبح وصف بولس الذي ورد في الفصل الثالث هو النموذج الذي على أساسه رُسمت صورته منذ زمن مبكر: «رأى بولس قادمًا، إنه رجل صغير الحجم، ذو رأس أصلع ورجلين معوجتين، قوي، يملك حاجبين ملتصقين، وأنفًا معقوفًا إلى حد ما، مملوءً جمالًا، يظهر أحيانًا كإنسان وأحيانًا يكون له وجه ملاك.»

ثانيًا: المراسلات بين «القديس» بولس وأهل كورنثوس، وهي تشكل جزءًا آخر من «أعمال بولس»؛ وتشمل رد أهل كورنثوس على رسالته الثانية ورسالته الثالثة إليهم.

ثالثًا: «استشهاد بولس»: إضافة إلى ما سبق، تشتمل أعمال بولس على «استشهاد بولس» أو «آلام بولس» (Passio Pauli). وقد حفظ هذا

(79) مدينة سلوقية (تل عمر) Selucia بنيت من قبل القائد سلوقس الذي حكم بلاد بابل بعد وفاة الاسكندر الكبير وذلك في الأعوام 321–305ق.م. وفي عام 305 أعلن نفسه ملكًا على إيران والعراق وسوريا العليا وأمر بإنشاء عاصمة له في العراق فبنيت مدينة سلوقية.

النص في مخطوطتين يونانيتين وترجمة لاتينية غير كاملة، وكذلك في ترجمات سريانية، وقبطية، وإثيوبية، وسلافية. ومحتوى هذا النص أسطوري، وهو يتناول عمل بولس التبشيري في مدينة روما، واضطهاد نيرون، وإعدام بولس. ولقد أثرت تفاصيل عملية إعدام الرسول، المذكورة في هذا العمل، على كل من الفن والليتورجيا المسيحية بشدة: «ثم وقف بولس ووجهه متجه نحو الشرق ورفع يديه نحو السماء وصلى لوقت طويل. وفي أثناء صلاته، تحاور مع الآباء باللغة العبرية. ثم مد عنقه صامتًا، وعندما قطع الجندي المكلف بالإعدام رأس بولس، تدفق اللبن على عباءته». وبعد موته، يظهر بولس للإمبراطور ويتنبأ له بالدينونة الآتية عليه. أما فكرة «المسيح الملك» و«جنود المسيح» فتظهر بوضوح شديد في كل أجزاء هذا العمل؛ فيطلق على المسيح هنا «الملك الأبدي» و«ملك الدهور»، والمسيحيون هم «جنود الملك العظيم». كما أن الصراع ما بين عبادة المسيح وعبادة الإمبراطور مصور هنا بوضوح. ثمة إحدى عشرة صفحة من البردي – كتبت حوالى 300م وموجودة الآن في هامبورغ – تمثل جزءًا كبيرًا من النص الذي كان مفقودًا.

أعمال بطرس

كتبت «أعمال بطرس» سنة 190م، ويبدو أن الكاتب كان يعيش في سوريا أو فلسطين وليس في روما. ولا يوجد أي مخطوط يضم النص الكامل، إنما جرت استعادة ثلثي النص من مصادر مختلفة. فالجزء الرئيس من «أعمال بطرس» موجود في ترجمة لاتينية وجدت في مخطوطة بمدينة فيرسيلي (Actus Vercellenses) وتورد هذه الترجمة المعنونة بـ«Actus Petri cum Simone» (أعمال بطرس وسمعان)، الأحداث التالية:

1. ترك بولس للمسيحيين الرومانيين واتجاهه إلى إسبانيا.

2. مجيء سيمون الساحر إلى روما وخداعه للمسيحيين بمعجزات ظاهرية.

3. سفر بطرس إلى روما وانتصاره على الساحر الذي يلقى مصرعه أثناء محاولة منه للطيران منطلقًا من المنتدى الروماني إلى السماء. ثم تُختتم هذه الوثيقة برواية قصة استشهاد بطرس.

في الفصل الثاني من العمل يذكر أن بولس قد احتفل بالإفخارستيا بخبز وماء: «ثم أحضروا إلى بولس خبزًا وماء للتقدمة، حتى يصلي ويوزعهما على الجميع». وتشير هذه الواقعة إلى أن الكاتب يعتنق آراء دوسيتية. ويمكننا أن نرى التأثير الغنوصي نفسه في عظة بطرس ضد الزواج، وإقناعه للزوجات بأن يتركن أزواجهن.

النص اليوناني الأصلي لخبر «استشهاد «القديس» بطرس» يشكل الجزء الثالث من مخطوط فيرسيلي (Actus Vercellenses)[80] وهو يضم قصة «يا رب، إلى أين تذهب؟» الشهيرة. ففي حين كان بطرس يشعر أنه مرغم على ترك مدينة روما، تقابل مع يسوع: «وعندما رآه، قال له: «يا رب، إلى أين تذهب؟» فأجابه الرب قائلًا: «إني ذاهب إلى روما لأصلب». فقال له بطرس:» يا رب، هل ستصلب ثانية؟» فأجابه قائلًا: «نعم يا بطرس، سأصلب ثانية». فعاد بطرس إلى نفسه، وبعد أن رأى الرب صاعدًا إلى السماء، عاد إلى روما مبتهجًا وممجدًا الرب، لأنه قال: «إني سوف أصلب»، وهو الأمر الذي كان مزمعًا أن يحدث لبطرس». ثم تستمر القصة حتى تصل على حكم الوالي أغريباس على بطرس بالموت. وقد صُلب بطرس منكس الرأس بناء على طلبه وقبيل موته، يعظ بطرس عظة طويلة وهو على الصليب تُظهر معانيها الرمزية - مرة أخرى - تأثيرًا غنوصيًا.

---

(80) http://www.earlychristianwritings.com/text/actspeter.html

ولا تنتمي القصة المعنونة باستشهاد «الرسول» بولس كما كتبه الأسقف لينوس[81] Martyrium beati Petri apostoli a Lino episcopo conscriptum إلى نفس المؤلف، فلقد كُتبت باللغة اللاتينية في القرن السادس الميلادي على الأرجح، وبالتالي لا يمكن أن يكون كاتبها هو لينوس الخليفة الأول لبطرس، ذاك الذي تُنسب إليه كتابتها. كما أن القصة أسطورية تمامًا، وهي تتبع تفاصيل خبر الاستشهاد الأصلي كما ورد في الـ (Actus Vercellense) لكنها تضيف إليه بعض التفاصيل الأخرى، مثل اسمي سجاني بطرس: «بروسيسو» (Proxessus) و«مارتينيان» (Martinian).

أعمال بطرس وبولس

يختلف كتاب «أعمال بطرس وبولس» تمامًا عن كل من «أعمال بولس» و«أعمال بطرس»، فهو يشدد على العلاقة الحميمة والرفقة التي كانت بين الرسولين. ويبدأ النص بذكر رحلة بولس من جزيرة مالطا إلى روما، ثم يسرد الأعمال الرسولية التي قام بها الرسولان، ثم استشهادهما في هذه المدينة. ومن الواضح أن الكاتب قد استخدم سفر أعمال «الرسل» القانوني كأساس لوصفه لرحلة بولس، ومن الممكن أن يكون المؤلف قد كتب هذا العمل بغرض أن يحل محل أسفار أعمال «الرسل» القانوني. والكتاب متوفر في شذرات لاتينية ويونانية.

أعمال يوحنا

«أعمال «الرسول» يوحنا»: هو عبارة عن رواية أدبية تحوي حكايات وقصصًا عن أعمال «الرسول» يوحنا وبعضها على شكل أناشيد

(81) Ps.-Linus. *Martyrdom of the Blessed Apostle Peter* (Martyrium beati Petri apostoli a Lino conscriptum) [Translated by Andrew Eastbourne]:
R. A. Lipsius (ed.) *Acta Apostolorum Apocrypha*, part 1, pp. 1-22. Leipzig, 1891.
A. H. Salonius (ed.) *Martyrium beati Petri*. Helsingfors, 1926.
Otto Zwierlein.*Petrus in Rom: Die literarische Zeugnisse*. 2nd ed. Berlin, 2010.

غنائية... وأشهر النصوص المعروفة اليوم هو العائد إلى المخطوطات المكتشفة في مدينة فيينا العام 1886 (ونشرت عام 1897)... وفيها أنها منسوخة عن مخطوط أقدم يعود للعام 1324. ويرى العلماء أن «القديس» أغسطينوس قد نقل مقطعًا من هذه النصوص في رسالة له تاريخها القرن الخامس. كما أن مقاطع أخرى قرئت وجرى إدانتها في المجمع النيقوي الثاني عام 787. ويرى العلماء أيضًا أن هذه النصوص وثيقة الصلة بنشوء وتطور الشيع الصوفية الباطنية المسيحية المبكرة (علمًا أن إنجيل يوحنا الإزائي الشرعي نفسه كان مدعاة للتأويل الصوفي والباطني)... وبحسب العلماء فإن نصوص أعمال يوحنا قد تكون تعود إلى النصف الثاني من القرن الأول أي إلى نفس فترة تأليف إنجيل يوحنا. وقد ذكر هذه النصوص العديد من الكتاب المسيحيين، السوريون منهم خصوصًا، إضافة إلى يوسابيوس القيصراني.

إن كتاب «أعمال يوحنا» هو أقدم أسفار أعمال «الرسل» الأبوكريفية التي في حوزتنا. ولقد كُتب في آسيا الصغرى في الفترة ما بين 150- 180م. وبالرغم من أنه لم يبق منه أي نص كامل، إلا أنه يوجد منه جزء كبير من الأصل اليوناني الذي تُكمل ترجمة لاتينية عددًا من الأحداث الواردة به. الكتاب يدعي أنه رواية شاهد عيان على رحلات يوحنا التبشيرية في آسيا الصغرى، وهو يروي لنا معجزاته، وعظاته، وموته.

وتُظهر عظات يوحنا - المذكورة في هذا الكتاب - ميولًا دوسيتية لا تخطئها عين، خاصة عندما تأتي على وصف يسوع وجسده اللامادي. فهو مثلًا يقول في الفصل 93: «أحيانًا عندما كنت أمسك به، كانت يدي تصطدم بمادة وجسم صلب. وأحيانًا أخرى عندما كنت ألمسه، يصبح جسده غير مادي، كما لو لم يكن موجدًا على الإطلاق». وكذلك صُبغت الترتيلة التي رتلها يسوع «للآب» مع رسله قبل أن يذهب للموت بصبغة غنوصية في تعبيراتها وتكوينها.

أعمال أندراوس

ذكر يوسابيوس أعمال أندراوس إلى جانب أعمال يوحنا[82] باعتبارهما كتابين وضعهما الهراطقة قائلًا: «لم يعتقد أي شخص ينتمي إلى التعاليم الأرثوذكسية أنه من الصحيح أن يشير إلى أي من هذه الكتب في كتاباته. علاوة على ذلك، يختلف أسلوب كتابة هذه الكتب عن الأسلوب الرسولي، كما أن الآراء والميول العقائدية التي تحتوي عليها غير متناغمة بشكل كبير مع الأرثوذكسية الحقيقية، وتُظهر بوضوح أنها من تزييف الهراطقة».

ويعتقد علماء المسيحية أن كاتب كتاب «أعمال أندرواس» هو «لوقيوس خارينوس»، الذي كتبه حوالى سنة 260م، ولا يوجد اليوم إلا بعض الشذرات القليلة التي تحتوي على الأحداث التالية:

1. قصة أندراوس ومتياس عندما كانا بين آكلي لحوم البشر المتواجدين عند البحر الميت. ويوجد لهذه القصة ترجمات لاتينية، وسريانية، وقبطية، وأرمينية، وكذلك نجدها في القصيدة الأنكلوسكسونية «أندرياس» المنسوبة إلى «ساينوولف» (Cynewulf)[83].

2. قصة بطرس وأندراوس.

3. قصة استشهاد أندراوس في مدينة «بترا» (Patrai)، لعلها كُتبت في وقت ما بعد سنة 400م. وتأخذ هذه الوثيقة شكل رسالة دورية كتبها كهنة وشمامسة عن استشهاد أندراوس. والرسالة موجودة باليونانية

---

(82) Hist. eccl. 3: 25: 6

(83) ساينوولف Cynewulf هو واحد من أربعة من الشعراء الإنكليز القدامي المعروفين بالاسم والذين حفظ لنا شعرهم. عاش فيما بين أواخر القرن الثامن ومطلع القرن العاشر. اشتهر بشعره الديني بحيث قيل عنه إنه الممهد للشعر الأنكلوسكسوني المسيحي.

واللاتينية، ويبدو أنه لا علاقة بينها وبين أعمال أندراوس الغنوصية التي أدانها يوسابيوس.

4. هناك شذرة أخرى محفوظة في المخطوطة الفاتيكانية الإغريقية[84] تحكي عن الآلام التي عاناها أندراوس، والحوارات التي أجراها في السجن في مدينة بترا.

5. رواية عن استشهاد «القديس» أندراوس وصلت إلينا في عدة نسخ منقحة.

أعمال توما

أعمال توما هو الكتاب الوحيد من كتب أعمال «الرسل» الأبوكريفية الذي وجد كاملًا، وقد كُتب بالسريانية في النصف الأول من القرن الثالث. ومن المرجح جدًا أن مؤلفه كان ينتمي إلى شيعة البرديصانيين[85]

(84) Codex Vaticanus graecus. 808
https://www.rug.nl/research/portal/files/9816619/c3.pdf

(85) نسبة إلى برديصان؛ وهو كاتب سرياني وشاعر موهوب يعتبره البعض مبدع الأدب المسيحي السرياني. وتغنى السريان بشعره وبسببه احتلت الرها مركز الصدارة في الأدب السرياني. وُلد في 11 تموز سنة 154م من أبوين وثنيين. نشأ برديصان في صغره على الديانة الوثنية وتعلم أدبها على يدي الكاهن الأكبر لمعبد منبج، ولما تولى أبجر التاسع رفيقه في الصبا عرش الرها عام 179م عاد برديصان إلى الرها، وهناك التقى مع بعض الذين اعتنقوا الإيمان المسيحي فشرحوا له أسس الدين المسيحي، فتنصر في شبابه على يدي هسبس أسقف الرها. وبعد أن تعمق في العلوم الدينية سيم شماسًا وربما كاهنًا. وكتب برديصان في بادئ الأمر مقالات ضد الهرطقات، ولكنه انجرف فيما بعد في معتقدات مرقيون وفالنتينوس. لهذا حذر رجال الكنيسة المؤمنين من تعاليمه التي حسبوها سمًا في الدسم. وكان برديصان آخر الغنوصيين من السريان، وقد بقي لفرقته أتباع حتى القرن الثامن كما يقول يعقوب الرهاوي. وقد نظم مائة وخمسين نشيدًا على طريقة مزامير داود النبي وضع فيها أفكاره الغنوصية، وقد بذل «القديس» أفرام السرياني جهدًا عظيمًا في تأليف أناشيد تقضي بها على أناشيد برديصان، كما كان يعدم كل ما تصل إليه من كتبه.
John Peter Arendzen. Bardesanes and Bardesanites. Catholic Encyclopedia, Volume 2 (1913) =

في مدينة إديسا، وقد تُرجم هذا الكتاب بعد كتابته بفترة قصيرة إلى اللغة اليونانية، وتوجد من هذه الترجمة عدة مخطوطات. كما أنه موجود أيضًا في ترجمات أرمنية وأثيوبية، وترجمتين لاتينيتين مختلفتين.

ويصور الكتاب توما على أنه مبشر الهند ورسولها. وهو يسجل مغامراته وخبراته في رحلته إلى هذا البلد بالتفصيل. وقد آمن الملك غوندافور (Gundafor) على يد توما. ثم استشهد توما بعد أن أجرى معجزات كثيرة. ويتألف الكتاب كله من أربعة عشر عملًا، وبالرغم من أن وجود ملك هندي في القرن الأول الميلادي باسم «غوندافور» مؤكد تاريخيًا، إلا أن كل المحاولات التي بذلت حتى الآن لتوثيق قصة تبشير توما في الهند قد فشلت.

ويكشف الكتاب بوضوح عن أصله الغنوصي وميله الجزئي إلى المانوية؛ فاتجاهاته النسكية تُماثل تلك التي في «أعمال أندراوس» و«أعمال بطرس»: الزواج مرفوض، كما يتم إقناع الزوجات فيه بترك أزواجهن. كذلك يحتوي العمل على عدة تراتيل ليتورجية على قدر كبير من الجمال، أكثرها لفتًا للأنظار هي الترتيلة المُسماة بـ«النفس» أو «الخلاص»، وهي تصور المسيح باعتباره ابن الملك، ذاك الذي يُبعث من بلده في الشرق إلى مصر في الغرب لكي يهزم التنين ويفوز باللؤلؤة، ثم يعود إلى نور بلده بعد أن يتم له ذلك.

أعمال تداوس

يوحي كلام يوسابيوس القيصراني في كتابه «تاريخ الكنيسة» (1: 13) بأنه كان يعرف «أعمال تداوس» التي كُتبت في سوريا. وبحسب

= https://en.wikisource.org/wiki/Catholic_Encyclopedia_(1913)/Bardesanes_and_Bardesanites

يوسابيوس، تحكي هذه الأعمال أن الملك أبجر، ملك أديسا، عندما سمع عن يسوع ومعجزاته، أرسل إليه طالبًا منه أن يأتي ويشفيه من مرضه الصعب. لكن يسوع لم يجبه إلى طلبه، بل أرسل إليه رسالة وعده فيها أن يرسل إليه أحد تلاميذه. وفعلًا، بعد «قيامة المسيح»، حرك الله توما «الرسول» ليُرسل تداوس، أحد رسل المسيح السبعين، إلى أديسا، ثم شفى الملك على يد تداوس، وتحولت أديسا كلها إلى المسيحية.

ترجم يوسابيوس القيصراني المراسلات بين يسوع والملك أبجر من السريانية إلى اليونانية، وهو يخبرنا أنه قد أخذ النص الذي ترجمه من سجلات أديسا، وها هو نص كلامه: «هناك أيضًا دليل وثائقي على صحة هذه الأمور مأخوذ من سجلات أديسا التي كانت حينئذ مدينة كبرى. فعلى الأقل يمكن للمرء أن يجد تلك الأمور أيضًا محفوظة منذ تلك الأيام إلى يومنا هذا في السجلات العامة هناك، تلك السجلات التي تحتوي الأمور التي حدثت في الماضي وفي أيام أبجر. لكن، لا يوجد هناك ما يعادل سماع الرسائل نفسها، تلك التي قمنا باستخراجها من السجلات. ولقد نصت الرسائل على التالي بعدما ترجمتها من السريانية حرفيًا: «من أبجر أوخاما الملك إلى يسوع المخلص الصالح الذي ظهر في ناحية أورشليم، تحية. لقد سمعت عنك وعما تجريه من أعمال شفاء، وكيف أنك تتممها بدون أية أدوية أو أعشاب. لأنك، كما تقول الأخبار، ترد للعمي أبصارهم، وتجعل المقعدين يمشون، وتطهر البرص، وتطرد الأرواح الشريرة والشياطين، وتشفي هؤلاء الذين عذبتهم الأمراض الطويلة، وتقيم الموتى. وعندما سمعت كل هذه الأشياء عنك، قررت أمرًا من اثنين: إما أنك الله وقد نزلت من السماء لتصنع هذه الأمور، أو أنك ابن الله إذ تصنع هذه الأمور. لهذا السبب، كتبت أستعطفك لكي تسرع إلي وتشفيني من الآلام التي أعانيها. علاوة على ذلك، سمعت أن اليهود يستهزئون بك ويودون أن يؤذوك. لكنني لدي مدينة صغيرة جدًا

وجليلة، وهي تتسع لكلينا». رد يسوع على الملك أبجر على يد الساعي أنانياس: «مبارك أنت يا من آمنت بي دون أن تراني، لأنه مكتوب عني أن هؤلاء الذين سيرونني لن يؤمنوا بي، وهؤلاء الذين لم يروني سوف يؤمنون ويحيون. والآن بشأن الأمر الذي كتبت لي بسببه، وهو أن آتي إليك، فلا بد لي أولًا أن أكمل هنا كل الأمور التي قد أرسلت لأكملها، وبعد هذا سوف أصعد إلى الذي أرسلني، وبعد أن أصعد سوف أرسل إليك واحدًا من تلاميذي ليشفيك من آلامك وليمنحك الحياة أنت ومن معك».

وانتشرت تلك الرسائل بين يسوع والملك أبجر في كل أنحاء الشرق، ثم وصلت إلى الغرب عن طريق الترجمة التي قام بها «روفينوس» لكتاب يوسابيوس «تاريخ الكنيسة». وقد جلس الملك «أبجر أوخاما» على عرش المملكة من 4م إلى 7م، ثم من 13م إلى 50م. لكن بالرغم من ذلك كله، ليست لهذه الرسائل صدقية موثقة. فقد نفى أغسطينوس[86] وجود أي رسائل أصيلة بقلم يسوع، كما أن مرسوم جيلاسيوس قد ذكر الرسائل محل النقاش بوصفها أبوكريفية. وهكذا لم تكن «أعمال تداوس» سوى أساطير محلية كُتبت في القرن الثالث الميلادي.

ويوجد لدينا شكل آخر من هذه الأعمال مكتوب باللغة السريانية، وهو ذلك العمل المدعو باسم «تعاليم آداي» (Doctrina Addei)، الذي نشر عام 1876م. ويكاد محتوى هذا العمل يكون هو نفسه محتوى «أعمال تداوس» كما سجله يوسابيوس، لكنه يورد تفصيلة واحدة جديدة، وهي أن «أنانياس»، الذي حمل رسالة الملك أبجر إلى يسوع، رسم صورة ليسوع ثم حملها إلى مليكه، وهكذا يضعها الملك أبجر في مكان شريف

(86) Contra Adversarios Legis et Prophetarum: 14. 28: 4

بالقصر. غير أن «تعاليم آداي» لا تذكر أمر الرسالة التي كتبها يسوع إلى الملك أبجر، فقد أرسل يسوع رده على رسالة الملك أبجر شفهيًا على لسان أنانياس. وربما كان الكاتب على معرفة بما قاله أغسطينوس بشأن هذه الرسائل ومن المرجح أن تكون «تعاليم آداي» قد كتبت في حوالى عام 400م، كما أنه لدينا ترجمة أرمنية لها وأخرى يونانية إلى جانب الأصل السرياني.

وبالإضافة إلى أسفار الأعمال التي تناولناها، لا تزال هناك أسفار أخرى لم نتناولها. وتنتمي معظم هذه الأسفار إلى القرنين الرابع والخامس الميلاديين، بل ويعود بعضها إلى تاريخ متأخر عن هذا. وربما يكفي في هذا الصدد أن نذكر كتاب «أعمال متى» الذي لم يبق منه إلا الجزء الأخير فقط، كذلك «أعمال فيليبس» و«أعمال برثولماوس». أما بالنسبة للأسفار المنسوبة إلى تلاميذ «الرسل» أو رفقائهم، فلدينا «أعمال برنابا الأبوكريفية» و«أعمال تيموثاوس الأبوكريفية» و«أعمال مرقس الأبوكريفية».

6- أسفار الرؤيا الأبوكريفية

هناك أيضًا، على غرار سفر «رؤيا «القديس» يوحنا» القانوني، أسفار رؤيوية أبوكريفية منسوبة إلى رسل آخرين. لكن عدد الأسفار الرؤيوية الأبوكريفية محدود للغاية.

رؤيا بطرس

أهم هذه الأسفار هو «رؤيا بطرس» (ورد ذكره سابقًا عند الحديث عن اكتشافه مع إنجيل بطرس) الذي كتب في الفترة ما بين (125-150م). وقد شغل هذا السفر مكانة كبيرة عند الكتاب الكنسيين القدامى. فإكليمنضس الإسكندراني يعتبره سفرًا قانونيًا، كما أنه يظهر

في أقدم قائمة بأسفار العهد الجديد القانونية في الوثيقة الموراتورية، لكن مع إضافة تقول: «البعض لا يحبذون قراءته في الكنيسة»[87].

قال يوسابيوس في كتابه «تاريخ الكنيسة»[88]: «نحن لا نعرف شيئًا على الإطلاق في تقليد الكنيسة الجامعة عن ذلك السفر المسمى بـ «رؤيا «القديس» بطرس»، لأنه لا يوجد كاتب أرثوذكسي واحد سواء في الماضي أو في أيامنا هذه قد استخدم الشهادات التي به». وكذلك رفض «القديس» جيروم هذا العمل باعتباره سفرًا غير قانوني[89]، لكن المؤرخ الكنسي «سوزومين»[90] يشير، في القرن الخامس الميلادي، إلى أن هذا السفر كان لا يزال مستخدمًا في ليتورجية يوم جمعة الصلبوت في كنائس فلسطين. وقد تم العثور على شذرة كبيرة من هذا السفر في مدينة إخميم في الفترة ما بين (1886–1887م)، أما النص الكامل فقد اكتشف عام 1910م في ترجمة إثيوبية. ويتكون محتوى السفر في معظمه من رؤى تصور جمال السماء وقبح الجحيم، فالكاتب يرسم صورة مفصلة عن

---

(87) Eus. Hist. eccl. 6: 14: 1

(88) Hist. eccl. 3: 3: 2

(89) De vir. Ill. I

(90) سالمينيوس هرمياس سوزومينوس المعروف باسم سوزومين (400–450م) مؤرخ للكنيسة المسيحية. ألف كتابين عن تاريخ الكنيسة، الثاني منهما موسع وشامل. في الكتاب الأول غطى تأريخه المرحلة من «صعود المسيح إلى السماء» حتى هزيمة ليسينيوس عام 323، وذلك في 12 جزءًا. شملت مصادره يوسابيوس وإكليمنضس وهيجيزبُس وسكتوس يوليوس الأفريقي. أما الكتاب الثاني فيبدأ من حيث انتهى الأول وقد كتبه وهو مقيم في القسطنطينية في الأعوام 440–443. يتألف الكتاب من تسعة أجزاء مرتبة وفق تواريخ حكم الأباطرة الرومان. ونحن نجد ترجمة إنكليزية لتاريخ سوزومين الكنسي على الرابط التالي:
http://www.newadvent.org/fathers/2602.htm
Sozomen. «Ecclesiastical History». In Philip Schaff and Henry Wace. Nicene and Post-Nicene Fathers, Second Series. 2. Translated by Chester D. Hartranft. Buffalo, NY: Christian Literature Publishing Co. (1890).
Hermias Sozomen. The Ecclesiastical History of Sozomen. Merchantville, New Jersey: Evolution Publishing (2018)

فظاعة العقوبات المعرض لها الخطاة من الرجال والنساء بحسب ما تستحقه جرائمهم.

رؤيا بولس

كانت هناك عدة أسفار رؤيوية ظهرت تحت اسم «الرسول» بولس. وقد ذكر إبيفانيوس سفرًا غنوصيًا بعنوان «صعود بولس»[91]، ولكن لم يبق لدينا منه أي شيء. إلا أنه يوجد لدينا نص لعمل بعنوان «رؤيا بولس» في ترجمات مختلفة. وقد كُتب هذا النص باليونانية في الفترة ما بين (240-250م) في مصر على الأرجح. وربما سيفسر هذا سبب كونه معروفًا لأوريجينوس. ولم يبق لدينا أي شيء من النص الأصلي، غير أننا نملك نصًا يونانيًا منقحًا يعود إلى الفترة ما بين (380-388م). وفي مقدمة هذه النسخة - المنقحة - يخبرنا المقدم أن هذه الرؤيا قد وجدت أسفل منزل «القديس» بولس في مدينة طرسوس في فترة حكم القناصل «ثيودوسيوس» و«غراسيانوس».

وكان المؤرخ الكنسي «سوزومين»[92]، الذي عاش في القرن الخامس الميلادي، على معرفة بهذا النص الأبوكريفي، لأنه يقول في كتابه «التاريخ الكنسي» (7، 19): «ولا يزال معظم الرهبان يبجلون هذا العمل المعنون بـ «رؤيا بولس» الذي لم يره أحد من القدماء قط. كما أن هناك بعض الأشخاص يؤكدون أنه قد عُثر على هذا السفر بإرشاد إلهي أثناء فترة حكم «ثيودوسيوس» في صندوق رخامي مدفون تحت التراب في بيت بولس بمدينة طرسوس كيلكية، إلا أن كاهنًا كليكيًا من كنيسة طرسوس أخبرني أن هذا كذب. ولقد كان هذا الكاهن رجلًا دل شعره

(91) Adversus Haereses 38: 2

(92) Sozomen. «Ecclesiastical History»., op.cit., 7: 19

الأشيب على كبر سنه، وقد قال لي إن مثل هذا الحدث غير معروف لديهم، وتساءل عما إذا كان الهراطقة هم من اخترعوا هذه القصة»[93].

وإلى جانب النص اليوناني، لدينا ترجمات سريانية، وقبطية، وإثيوبية، ولاتينية. كما أن الترجمة اللاتينية، التي ترجع إلى عام 500م، والتي نملكها في أكثر من عدد من التنقيحات، تتفوق على كل المصادر الأخرى في درجة موثوقيتها بل وتتفوق حتى على النص اليوناني المنقح. وقد عُنونت الرؤيا في معظم المخطوطات اللاتينية بعنوان: (Visio Pauli) أي «رؤيا بولس»[94]، وهو الوصف الأفضل لمحتواها، لأن الكاتب يعتزم فيها أن يخبرنا عما رآه بولس في الرؤيا التي ذكرها في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (12 : 2).

رؤيا استيفانوس

أدان «مرسوم جيلاسيوس» سفر «رؤيا بولس» مع سفرين رؤيويين آخرين، هما «رؤيا استيفانوس» و«رؤيا يوحنا». أما بخصوص «رؤيا استيفانوس» فلا توجد لدينا أية معلومات.

رؤيا توما

كُتب سفر «رؤيا توما» سنة 400م باليونانية أو باللاتينية، ويعتنق كاتبه آراء غنوصية مانوية. ولم يكن هذا العمل قد اكتشف حتى عام 1907م حينما عثر عليه في مخطوطة بمدينة «ميونخ»، وفيها نجد أن هذه الرؤيا تأتي تحت عنوان: «Christi ad Thomam Discipulum Epistola»

(93) William C. Piercy and Henry Wace. (Eds.). *A Dictionary of Christian Biography and Literature to the End of the Sixth Century A.D., with an Account of the Principal Sects and Heresies*. London John Murray, Albemarle Sreet, W. 1911., Vol. IV, p. 722.

(94) http://www.earlychristianwritings.com/apocalypsepaul.html

«Domini Nostri Jesu»، وأيضًا توجد ترجمة إنكليزية قديمة لهذه الرؤيا في عظة مسجلة في مخطوطة (أنكلو سكسونية) بمدينة «فيرسيلي»، وهناك إشارات إلى أنه من المحتمل أن تكون اللغة الأصلية التي كُتبت بها هذه الرؤيا اليونانية.

ويتألف محتوى هذا السفر من عدة إعلانات أعطاها المسيح للرسول توما تتعلق بما سيحدث في الأيام الأخيرة، وعلامات نهاية العالم الوشيكة تمتد هنا على فترة طولها سبعة أيام. ولقد استخدم اتباع «بريسكيليان»[95] هذا السفر، كما أنه كان معروفًا في إنكلترا في القرن التاسع الميلادي على أقل تقدير.

رؤيا «القديس» يوحنا

نُسبت إلى يوحنا صاحب سفر الرؤيا القانوني عدة أسفار رؤيوية. وقد قام كل من قسطنطين تيشندورف[96] وقبله أندرياس بيرش[97] بنشر

---

(95) كان بريسكيليان علمانيًا؛ وبدأ ينادي في أسبانيا حوالى عام 370-375م بعقيدة نسكية عنيفة، وامتد نشاطه حتى جنوب فرنسا، وتبعته جماعة سُميت بالبريسكيليانيين، وهي تنتمي إلى الغنوصية؛ وكانت تعتقد بأن هناك فرقًا بين إله العهد القديم وإله العهد الجديد، وتعتقد بالنظرة الثنائية (الخير والشر)؛ وأن جسد السيد المسيح ليس حقيقًا، وقد نبعت أفكارهم النسكية العنيفة نتيجة إيمانهم بأن المادة شر بطبيعتها، وقد حرموا الزواج، وكانوا يمارسون السحر ويهتمون بالفلك، وقد أدينت تعاليم بريسكيليان في مجمع ساراغوسا وحُكم عليه وعلى قادة جماعته بالقطع من الشركة، ولكن الإمبراطور غراسيانوس أصدر مرسومًا إمبراطوريًا في تريف حوالى عام (483م)، ويعد بريسكيليان أول هرطوقي حكم عليه بالموت. وأدينت البريسكيليانية في مجمع توليدو (447م)، وعدة مجامع أخرى آخرها كان مجمع براغا عام (563م).

(96) قسطنطين فون تيشندورف Constantin von Tischendorf (1815-1874) عالم ألماني مهم في دراسة الكتاب المقدس وخصوصًا مخطوطات العهد الجديد.. قام بقراءة مخطوطة أفرامي وهي مخطوطة يونانية للعهد الجديد من القرن الخامس، واكتشف المخطوطة السينائية في 1859.

(97) أندرياس بيرش Andreas Birch (1758-1829) أستاذ كبير من كوبنهاغن أرسله =

واحدًا من هذه الأسفار، وهو يحتوي على سلسلة من الأسئلة والأجوبة التي تتعلق بنهاية العالم، ووصف لضد المسيح، كثيرًا ما يحذو حذو سفر الرؤيا القانوني. وهناك سفر آخر باسم «رؤيا «القديس» يوحنا» قام بتحريره فرنسوا نو[98] من مخطوطة بمدينة باريس، حيث يوجه فيه «القديس» يوحنا أسئلة للمسيح تتعلق بالاحتفال بيوم الأحد، والصوم، والعبادة، وتعاليم الكنيسة.

رؤيا العذراء

يعود تاريخ كتابة سفر «رؤيا العذراء» إلى حقبة متأخرة، فيه تتلقى العذراء استعلانات بخصوص عذابات الجحيم وتتشفع من أجل المحكوم عليهم بالعذاب. ولدينا منه عدة نصوص باقية باللغتين اليونانية والإثيوبية قام بنشرها كل من قسطنطين تيشندورف وألكسندر فاسيلييف[99] ومونتاغ رودس جيمس وماريوس شين[100].

= ملك الدنمارك كريستيان السابع لدراسة وفحص مخطوطات في إيطاليا وألمانيا وغيرها من البلدان الأوروبية.

(98) فرنسوا نو François Nau (1864–1931) كاهن كاثوليكي فرنسي وعالم رياضيات ومختص بالسريانية واللغات الشرقية. نشر الكثير من النصوص المسيحية الشرقية وترجم الكثير منها.
Maurice Brière. «L'abbé François NAU», *Journal asiatique of the Société Asiatique*. Vol. ccxxiii. Paris 1933, at Gallica starting at page 149

(99) ألكسندر ألكسندروفيتش فاسيلييف Alexander Alexandrovich Vasiliev (1876–1953) يعتبر أهم مرجعية في التاريخ البيزنطي والثقافة البيزنطية في منتصف القرن العشرين. ويعتبر كتابه (تاريخ الإمبراطورية البيزنطية–1928– في مجلدين) واحدًا من أهم التواريخ الشاملة والدقيقة حول مجمل التاريخ البيزنطي وقد اعتمده إدوارد غيبون Edward Gibbon وفيودور أوسبنسكي Fyodor Uspensky.

(100) الأب ماريوس شين Abbé Marius Chaîne (1873–1960) عالم فرنسي في اللغات القبطية والحبشية. نشر الكثير من المخطوطات الأبوكريفية المترجمة عن هاتين اللغتين.
Joseph Trinquet. «L'activité scientifique de Marius Chaîne (1873-1960)», in: *Parole de l'Orient* 6-7, (1975-1976)., pp. 537–551.

قصة يوسف النجار

هي سيرة حياة يوسف والد عيسى برواية عيسى نفسه لتلاميذه. لعل النص كتب أولًا باليونانية في مصر حوالى نهاية القرن الرابع ثم حفظ في ترجمة قبطية وعربية ولم تظهر الترجمة اللاتينية قبل القرن الرابع عشر. ونجد في النص الكثير من التأثير الأريوسي والمصري القديم الموجود في طقوس عبادة أوزيريس.

قصة نياح مريم

أو «رقاد مريم بحسب يوحنا»؛ لأنه ينسب إلى «القديس» يوحنا الإنجيلي ويعود إلى القرن الرابع وربما قبل ذلك. هو واحد من عدة نصوص عن انتقال السيدة مريم أي موتها وصعودها إلى السماء. وجدت منه نسخ كثيرة (حوالى الستين) بالسريانية والعربية والحبشية واليونانية والأرمنية واللاتينية والجيورجية والسلافية. أهمية النص أنه يروي قصة لا نجدها في الأناجيل القانونية التي تغفل تمامًا حياة وموت السيدة العذراء. ولذلك اعتمدته الكنيسة اليونانية لفترة طويلة في القراءة الليثورجية يوم «رقاد العذراء» في 15 آب/ أغسطس. (الكنيسة لا تستخدم كلمة موت بل رقاد وصعود أو انتقال وهذا هو الأساس لعقيدة سادت في الكنيسة اليونانية في القرن التاسع تقول بصعود منفصل للجسد والروح من دون اتحادهما ولا قيامة).

كتاب وحي إلكساي

ويسميه ابن النديم في الفهرست الحسيح وهو رئيس جماعة المغتسلة، وهم صُبّة (صابئة) البطائح، ويذكر ابن النديم أيضًا أن والد ماني كان من جماعة الحسيح وأن ماني نفسه كان لفترة بسيطة من هذه

الجماعة وعنها أخذ الكثير(101). وفي الأدبيات الكنسية أن الحسيحيين أو الإكسائيين فرقة مسيحية يهودية في بلاد ما بين النهرين في الإمبراطورية الساسانية وأن اسم الفرقة مشتق من اسم صاحبها إلكساي Elkesai أو إلخساي Elkhasaí وأن هذه الفرقة منشقة عن الإبيونية وهي تطابق ما نعرفه عن الصابئة وهي مذكورة مبشرة في كتب آباء الكنيسة الأوائل في الرد على الهراطقة مثل هيبوليطس الروماني في كتابه الرد على كل الهرطقات، ويوسابيوس الذي ينقل موعظة عن أوريجينوس يذكر فيها الفرقة ويدحض تعاليمها، وكذلك عند إبيفانيوس السلاميسي(102). أما كتاب وحي إلكساي فهو كتاب مفقود نعرف عنه من خلال مقتطفات نقلها آباء الكنيسة في ردودهم على الهراطقة. ولكن يبدو أن الكتاب استخدمته طوائف عدة من التي انتشرت في الضفة الشرقية لنهر الأردن مثل الإبيونيين والآسينيين والناظوريين ناهيك عن طائفة الإلكسائيين

---

(101) أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (المتوفى: 438هـ): الفهرست. تحقيق إبراهيم رمضان. دار المعرفة. بيروت، الطبعة الثانية 1997. الصفحة 339

(102) Jewish Encyclopedia, *article Elcesaites*, by: Kaufmann Kohler &Louis Ginzberg. http://www.jewishencyclopedia.com/articles/5513-elcesaites

Church Fathers: *Refutation of All Heresies*, Book IX (Hippolytus)

A. Marjanen, (ed.) & P.Luomanen, (ed.),*A Companion to Second-Century Christian «Heretics»*, Leiden: Brill. 2008. P. 335

Everett Ferguson, Church History: From Christ to pre-Reformation, Zondervan, 2005. pp. 48–49

Encyclopædia Iranica, article Alchasai

http://www.iranicaonline.org/articles/alchasai-a-sectarian-in-the-early-christian-church-1st-2nd-centuries-a

Gerard P. Luttikhuizen, Elchasaites and their book. in *A Companion to Second-Century Christian 'Heretics'*. Pages: 335–364

Luttikhuizen, *The Revelation of Elchasai: Investigations into the Evidence for a Mesopotamian Jewish Apocalypse of the Second Century and its Reception by Judaeo-Christian Propagandists*, Tübingen, 1985.

Luttikhuizen, «The Baptists of Mani's Youth and the Elchasaites,» in id., *Gnostic Revisions of Genesis Stories and Early Jesus Traditions*, Leiden-Boston, 2006, 170-184.

التي لم نجد لها ذكرًا في المصادر العربية ما عدا كون المانوية ثم الصُبّة (الصابئة) منبثقة عنها، كما عند ابن النديم. وبحسب المقتطفات الكنسية فإن الكتاب يحتوي على أساسيات المعتقد والطقوس من مثل شريعة الختان والزهد والامتناع عن الجنس والاغتسال كوسيلة تطهر من الخطايا والنجاسات. وعندهم أن المسيح عيسى (الملك الأعظم) والروح القدس (وهو مؤنث) ملائكة كبار الحجم. (سنتحدث بالتفصيل عن الحسيح فيما بعد).

7- رسائل الرسل الأبوكريفية

هذا النص الكبير هو توثيق لسجال مسيحي مع فرق بادت وانقرضت... فهو يبدأ برسالة مزعومة للرسل جميعًا موجهة إلى كل الكنائس لدحض أقوال وأفعال أتباع سمعان (المسمى بالساحر السامري تمييزًا له عن أكثر من سمعان مسيحي) وسيرنتوس (كما يسميه يوسيفوس والبعض يسميه قيرينيوس) (والاثنان سمعان وقيرينيوس كانا كما سبق التعريف من قادة فرق باطنية اشتهرت في القرن الثاني). ثم تأتي النصوص التي ينطق بها يسوع إلى تلامذته على شكل تعليمات وإلزامات عقدية ونصوص عقائدية مختلفة، وكلها تصب في اتجاه تدعيم النص الأرثوذكسي القويم للكنيسة في مواجهة بدع وشيع غير معروفة تمامًا... والنص الأصلي مكتوب على الظاهر باليونانية إلا أن اغلب المخطوطات الموجودة اليوم هي ترجمات إلى القبطية والحبشية. والنص القبطي هو أقدمها ويبدو أنه ترجمة مباشرة عن الأصل اليوناني... وهو محفوظ اليوم في أوراق بردي تاريخها يعود إلى القرن الرابع أو مطلع الخامس. اكتشفت هذه المخطوطة في صعيد مصر عام 1895 ونشرت عام 1919، وهي اليوم موجودة في محفوظات معهد البعثة الأركيولوجية الفرنسية في القاهرة... أما النص الحبشي فهو الوحيد الذي يحفظ النص الكامل للأصل اليوناني للرسائل... وهذا النص موجود في عدة مخطوطات

أهمها وأشهرها تلك التي اكتشفت في القرن الثامن عشر وهي موجودة اليوم في المتحف البريطاني... وبحسب العلماء فإن النص الحبشي هو ترجمة عن نص عربي مترجم عن الأصل اليوناني... أما تسمية هذه النصوص فتعود إلى الجملة الأولى التي تبدأ بها وهي: «هذه رسالة عن مجلس 'الرسل'».

أ- رسالة «الرسل»

إن رسالة «الرسل» هي أهم الرسائل الأبوكريفية وأقيمها من الناحية التاريخية، وكُتبت هذه الرسالة الموجهة إلى «الكنائس شرقًا وغربًا، شمالًا وجنوبًا» في آسيا الصغرى أو مصر. وبحسب كارل شميدت يعود تاريخ كتابة هذه الرسالة إلى الفترة ما بين 160–170م، ولكن ألبرت إرهارد[103] يُرجعها إلى الفترة ما بين 130–140م، إلا أن الدلائل الموجودة بالنص تشير إلى أنها قد كُتبت في الفترة ما بين 140–160م. ولم يبق لدينا أي شيء من النص اليوناني الأصلي، ولكننا نمتلك جزءًا من ترجمة قبطية اكتشفت عام 1895م في القاهرة، وترجمة إثيوبية كاملة نشرت في عام 1913م، ولدينا أيضًا بعض الشذرات من ترجمة لاتينية. وقد قام كارل شميدت في عام 1919م بتحرير نسخة نقدية من هذه الرسالة مستخدمًا هذه المصادر.

ب- رسائل بولس الأبوكريفية

جاء في رسائل بولس القانونية ذكر عدة رسائل لم ترد في قائمة أسفار العهد الجديد القانونية، ومن الواضح أنها قد فقدت، لذا ظهرت الرسائل الأبوكريفية المنسوبة إلى بولس لتحل محلها.

---

(103) ألبرت إرهارد Albert Joseph Maria Ehrhard (1862–1940) لاهوتي كاثوليكي ألماني ومؤرخ لتاريخ الكنيسة وتاريخ بيزنطية. له أعمال كثيرة عن المسيحية الأولى

1. يشير بولس في رسالته إلى أهل كولوسي (4: 16) إلى رسالة كتبها إلى اللاودكيين، وهذه الإشارة أتاحت الفرصة لتظهر «الرسالة إلى اللاودكيين الأبوكريفية». ويشبه محتوى هذه الرسالة رسائل «القديس» بولس الأصلية ويحمل نفس أسلوبها، خصوصًا الرسالة إلى أهل فيلبي، التي يعرب فيها الكاتب عن فرحه بإيمان اللاودكيين وفضائلهم، ويحذرهم من الهراطقة، ويحضهم على أن يظلوا مخلصين للعقيدة المسيحية والمفهوم المسيحي للحياة كما علمهم الرسول. وبحسب الرسالة أنها كُتبت من السجن، ولا يمكننا أن نحدد تاريخ كتابتها من محتواها. وتذكر الوثيقة الموراتورية رسالة إلى اللاودكيين باعتبارها رسالة «منحولة قد زيفت لتدعم هرطقة مرقيون». وعلى الرغم من أن هناك احتمالًا أن تكون هذا الرسالة قد كتبت باليونانية، إلا أنه ليس لدينا لها حتى الآن إلا نص لاتيني. أما أقدم مخطوطة لها في حوزتنا فهي مخطوطة (Codex fuldensis) المملوكة للأسقف فيكتور أسقف «كابوا» (Capua)، والتي كُتبت عام 546م. ولا يعود زمن كتابة هذه الرسالة إلى ما قبل القرن الرابع الميلادي، لأن الكتاب الكنسيين بدأوا يذكرونها منذ ذلك الوقت فصاعدًا. ولقد اعتمد كل ما في حوزتنا من ترجمات لهذه الرسالة على النص اللاتيني، كما أنها قد أُدخلت في عدد من الكتب المقدسة المكتوبة في إنكلترا.

2. تذكر الوثيقة الموراتورية إلى جانب «الرسالة إلى اللاودكيين» رسالة مرقيونية بعنوان «الرسالة إلى الإسكندرانيين» وقد فُقدت.

3. وردت في السفر المعروف بـ«أعمال بولس الأبوكريفية» رسالة بعنوان «الرسالة الثالثة إلى أهل كورنثوس». ومن المفترض أن تلك الرسالة قد كُتبت ردًا على رسالة أرسلها أهل كورنثوس إلى بولس يبلغونه فيها بأمر شخصين هرطوقيين، هما سيمون وكليوبيس، «هذان اللذان يحاولان أن ’يقلبا الإيمان‘، من خلال التعاليم التالية: «إنهما

يقولان أنه ينبغي علينا ألا نستخدم - كتابات - الأنبياء، وإن الله ليس بقدير، وإنه لا توجد قيامة للجسد، وإن الله لم يخلق الإنسان، وإن المسيح لم يأت في الجسد، وإنه لم يولد من مريم، وإن العالم ليس من الله بل من الملائكة». إذًا، سيكون محتوى إجابة بولس على هذه الأسئلة على قدر كبير من الأهمية، لأنها تتناول مواضيع مثل خلق العالم والجنس البشري، وخالقهما، والتجسد، وقيامة الأجساد. ولقد وجدت كل من الرسالة التي أرسلها أهل كورنثوس إلى بولس، والرسالة التي رد فيها بولس عليهم من سجنه في فيلبي، مكانًا في المجموعة السريانية للرسائل البولسية، كما أنه كان هناك زمن اعتبرت فيه هاتان الرسالتان موضعًا للثقة وذلك في الكنسية الأرمينية والكنيسة السريانية. كما يوجد أيضًا ترجمة لاتينية لهما تعود إلى فترة مبكرة من القرن الثالث الميلادي.

4. المراسلات بين بولس وسينيكا: هي مجموعة مكونة من ثماني رسائل أرسلها الفيلسوف الروماني «سينيكا» إلى «القديس» بولس بالإضافة إلى ستة ردود قصيرة من «الرسول» عليها، ولقد كُتبت باللاتينية ليس بعد القرن الثالث الميلادي. وشهد «القديس» جيروم[104]، أن تلك الرسائل كان «الكثيرون يقرأونها». ويكتب سينيكا إلى «الرسول» ليخبره أن محتوى رسائله قد أثرت فيه كثيرًا: «لأن الروح القدس، الذي فيك والذي يعلوك، هو الذي ينطق بهذه الأفكار السامية والمثيرة للإعجاب.» لكن الفيلسوف لا يعجبه الأسلوب الأدبي الرديء الذي كتب به بولس رسائله، لذا نصحه قائلًا: «لذلك، سوف ألفت انتباهك إلى بعض النقاط الأخرى، حتى لا تفقد عظمة الأفكار إلى براعة الأسلوب الأدبي». ومن الواضح أن هذه المراسلات قد لُفقت بهدف معين، فالكاتب كان يريد أن تُقرأ رسائل بولس الأصلية في الدوائر الاجتماعية الرومانية بغض النظر عن عيوبها الأدبية، «لأن الآلهة دائمًا ما تتكلم بأفواه البسطاء، لا بأفواه

(104) De Viris Illustribus. 12

هؤلاء الذين يحاولون بخداع أن يعرضوا علينا ما يمكنهم أن يفعلوه مستخدمين معرفتهم».

ج- رسالة برنابا[105]

لم تشر الرسالة إلى أن برنابا هو واضعها، وليس فيها من دليل على أنّها من وضع أحد «الرسل» غير برنابا، لكن يوجد تقليد مسيحي قديم ينسبها إلى برنابا «رفيق 'الرسول بولس' وشريكه في الخدمة». ناسخ المخطوط الأصل السينائي Codex Sinaiticus الذي يرجع إلى القرن الرابع ربّما اعتبر الرسالة ضمن كتب العهد الجديد القانونيّة وأثبّت نصها في سفر الرؤيا. واقتبس إكليمنضس الإسكندري الكثير منها ونسبها إلى برنابا. كذلك فعل أرويجينوس حيث اعتبرها من كتب «الكتاب المقدس»، أمّا يوسابيوس فصنفها من بين الكتب المختلف في أمرها، ثم جاء جيروم واعتبرها من كتب الأبوكريفا، وإن كان الإثنان ينسبانها إلى برنابا[106].

ربّما يشير استخدامها للتفسير الرمزي على طريقة فيلون الإسكندري ومدرسة الإسكندرية اللاهوتية المسيحية إلى أن الكاتب إسكندري. وربما لهذا السبب احتلت الرسالة مركزًا خاصًا بين اللاهوتيّين الإسكندريّين[107].

---

(105) المدخل في علم الباترولوجى – الآباء الرسوليون – القمص تادرس يعقوب – الإسكندرية 1991 م.
مدخل إلى الآباء الجزء الأول – الأب ميشال نجم – معهد البلمند – لبنان 1980 م.
سلسلة آباء الكنيسة (1) الآباء الرسوليون – تعريب مطران حلب إيلياس معوض – منشورات النور لبنان 1970 م.

(106) Jules Lebreton: *The History of the Prmitive Church*, vol. 2, p. 366-367.

(107) F. L. Cross: *The Early Christian Fathers*, London 1960, p. 22; Quasten: Patrology, vol. 1, p. 80, 90.

أما من جهة تاريخ الرسالة فقد جاءت الآراء متباينة[108]:

1. يرى هارناك Harnack في الإشارة إلى إعادة بناء الهيكل (فصل 16: 3-4) دليلًا على أن الرسالة كُتبت في أثناء بناء هيكل جوبيتر Jupiter capitolinus في إيلياء (القدس) Aelia، في موضع الهيكل، في نهاية عهد أدريانوس Hadrian (117-138) مقررًا إنّها كتبت حوالي عام 130-131.

2. يرى فرنسيس فونك Funk أن ما جاء في الفصل الرابع (4: 5) من الرسالة نقلًا عن سفر دانيال (7: 24؛ 7: 7-8) أن الملك الحادي عشر هو الإمبراطور نروه Nerva (96-98)، لأنّه هو الملك الرابع الذي أخضع الملوك الثلاثة فاسبسيان وتيطس ودومتيانوس.

3. يرى ليتزمان Litzmann أن الإشارة هي إلى خراب الهيكل الثاني في أثناء ثورة ابن الكوكب Bar Cochba حوالي سنة 135.

وجّه الكاتب رسالته هذه إلى رعيّة مسيحيّة مجهولة، سبق أن بشَّر فيها بالإنجيل كما يقول، ويدعو هؤلاء المسيحيّين بالأولاد والبنات، أبناء الفرح، أبناء المحبة، الأخوة...إلخ[109].

د- النص المعروف برسالة التلميذ بولس عن الاستعدادات التقوية

Epistola titi Disciple Pauli, de Disposition Sanctimony

وقد نشر دوناتيان دو بروين[110] هذا النص الأبوكريفي اللاتيني لأول مرة عام 1925، وهو ليس برسالة لكنه عبارة عن خطبة عن البتولية

(108) أسد رستم: آباء الكنيسة، القرون الثلاثة الأولى، بيروت 1983، ص 46

(109) الآباء الرسوليّون، ص 73

(110) دوناتيان دو بروين Donatien de Bruyne (1871-1935) عالم كتاب فرنسي وناقد للنص ومن الرهبنة البنديكتية. تفحص المخطوطات اللاتينية للفولغاتا وقارنها مع المخطوطات التي اكتشفها وجمعها. نشر في عام 1930 مقدمة مضادة للمرقيونيين في إنجيل يوحنا.

موجهة إلى النساك من الجنسين. وهي تُقاوم مساوئ الحياة المُشتركة بين النساك من الجنسين تحت سقف واحد. ولهذه الخطبة علاقة قريبة بالكتاب المنحول المنسوب إلى كبريانوس والمعنون بـ «de singularitate clericorum» ، والذي استخدمه الكاتب. ولقد نشأ هذا النص، على الأرجح، في دوائر البريسكيليانيين بإسبانيا، ويبدو أن لغته الأصلية كانت اليونانية.

8- كتاب هرماس المسيحي؟[111]

يوجد في التراث الكنسي الرسمي كتاب معروف باسم كتاب الراعي لهرماس The Shepherd of Hermas. ويُدرج الكتاب بين كتابات الآباء الرسوليّين، لكنّه لدى الكثيرين ينتمي إلى الرؤى الأبوكريفية.

جاء في القانون الموراتوري Muratorian Fragmenton the Canon[112]

(111) نقلًا عن كتاب الآباء الرسوليّون، تعريب مطران حلب إيلياس معوض، حلب 1970

كتاب «الآباء الرسوليون»، صدر عن منشورات النور بالاشتراك مع رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط ضمن سلسلة آباء الكنيسة في عام 1970، نقله عن اليونانية المطران إيلياس معوض، ويضم بين دفتيه نصوصًا قديمة تعود إلى القرون الأولى مع تعليق ودراسة عنها وعن هوية كاتبها، بما يختص: إقليمس أسقف رومية، تعليم الرسل الإثني عشر، رسالة برنابا، رسائل إغناطيوس الأنطاكي، بوليكربوس أسقف أزمير، الراعي لهرماس بما يضم من رؤى ووصايا وأمثال. والمطران إيلياس (1914–1979) هو الذي أصبح لاحقًا البطريرك إيلياس الرابع (معوض) بطريرك إنطاكية وسائر المشرق (للروم الكاثوليك)، ولقب ببطريرك العرب. ففي عام 1974 ترأس الوفد المسيحي المكون من أساقفة وكهنة ينتمون إلى طوائف عدة إلى مؤتمر الدول الإسلامية في لاهور (باكستان) وألقى كلمة تاريخية دفاعًا عن الحق العربي في القدس. كما زار المملكة العربية السعودية في عام 1975 وإلتقى الملك الراحل خالد بن عبد العزيز وبحث معه قضايا عربية، واقترح على الملك عقد مؤتمر مسيحي إسلامي للبحث في مسألة القدس.

(112) وجدت هذه الوثيقة الموراتورية أو المخطوطة الموراتورية، والتي تعتبر أقدم قائمة معروفة لأسفار العهد الجديد، في المكتبة الأمبروزية (the Ambrosian Library) بميلانو =

أن هرماس صاحب كتاب الراعي هو أخو بيوس الأول أسقف روما (140–150م)، وارتأى أوريجينوس أن صاحب الكتاب هو هرماس المذكور في رسالة بولس إلى أهل رومية، علمًا أن الرسالة تذكر واحدًا باسم هرماس وآخرًا باسم هرميس[113]؟ فمن هما وما صلتهما بهرمس؟

توجد شهادات مسيحية من القرن الثاني تتحدث عن كتاب الراعي وصاحبه هرماس، إذ يستشهد به إيريناوس وإقليمنضس الإسكندري وأوريجينوس ويرون أنه سفر قانوني. ويضعه الكثيرون إلى جانب رسالة برنابا[114]

يعترف أوريجينوس أنّه يوجد في عصره من يحط من قدر الكتاب[115]. ويجعله يوسابيوس في عداد الكتب المضادة للكتاب المقدّس[116]. وأما أثناسيوس، فمع اعتباره كتابًا نافعًا إلّا أنّه يجعله من

= سنة 1740، في مخطوطة ترجع للقرن الثامن الميلادي، ونشرها العالم الإيطالي لودوفيكو أنتونيو موراتوري (Ludovico Antonio Muratori) فدعيت باسمه، وكانت مكتوبة باللاتينية. ثم وجدت أربع جزئيات في أربع مخطوطات للقانون من القرنين الحادي عشر والثاني عشر في مونتيكاسينو (Montecassino) سنة 1897. وترجع نصوص هذه المخطوطة، التي كتبت أصلًا باليونانية، كما تؤكد هي نفسها، إلى النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي حيث تقول الوثيقة «كتب هرماس كتابه الراعي حديثًا جدًا في زماننا في مدينة روما عندما كان يجلس شقيقه الأسقف بيوس Pius على كرسي الكنيسة في روما».

Geoffrey Mark Hahaneman: ‘The Muratorian Fragment and the Origins of the New Testament Canon’, in L. McDonald and J. Sanders (ed.), The Canon Debate (Peabody, MA: Hendrickson, 2002), pp. 405–415 (412–13)

http://www.ntcanon.org/Muratorian_Canon.shtml

(113) سَلِّمُوا عَلَى أَسِينْكِرِيتُسَ، فِلِيغُونَ، هَرْمَاسَ، بَتْرُوبَاسَ، وَهَرْمِيسَ، وَعَلَى الإِخْوَةِ الَّذِينَ مَعَهُمْ. (روميّة 16: 14).

(114) الآباء الرسوليّون، ص 167–168

Eusebius: H. E. 5:8

Stromata 1:29.

Comm. on Matt. 14:1.

(115) Comm. on Matt. 14:1.

(116) Eusebius: H. E. 3:25.

الكتب غير القانونيّة[117]. أما بالنسبة للغرب فقد اعتبره ترتليان كتابًا يحبّذ الزناة[118]. ويقول جيروم إن هذا الكتاب كان منسيًا في الغرب في القرن الرابع[119].

يقول مطران حلب إيلياس معوّض[120]: «لم يكن الراعي لعام 1856 معروفًا إلاَّ في ترجمة لاتينيّة يرجّح أنّها من القرن الثاني، وقد طبعت هذه أولًا في باريس عام 1513، وفي عام 1857 طبعت عن مخطوطة من القرن الرابع عشر ترجمة لاتينيّة ثانية تستند على الأرجح إلى الترجمة الأولى، ويغلب الظن إنّها من القرن الرابع أو الخامس... أما المخطوطة اليونانيّة «للراعي» فإن أول من وجدها هو قسطنطين سيمونيدس المزوّر وذلك عام 1855، في دير القدّيس غريغوريوس في جبل آثوس Ὄρος Ἄθως. وهذه المخطوطة المنسوخة بخط كثيف هي من القرن الرابع عشر؛ تتألّف من عشر ورقات، والورقة الأخيرة منها مفقودة. انتزع سيمونيدس من ورقات المخطوطة، الخامسة والسادسة والتاسعة، ونقل الورقات الباقيّة باعتناء، ولم يسمّ الدير الذي وجدت فيه. ثم باع الورقات الثلاث الأصليّة مع الورقات المفقودة إلى مكتبة ليبزيغ، وهكذا عرفت التسعة أعشار من المخطوطة اليونانيّة «الراعي»، وقد نشرها Anger and Dindorf في ليبزيغ سنة 1856؛ ثم أخذ سيمونيدس يطلع على العالم، شيئًا فشيئًا، بمخطوطات جديدة «للراعي» حتى أوصلها إلى عشر مخطوطات، أقدمها ادّعى أنّه اكتشفها في جبل سيناء عام 1852، ويعود تاريخها إلى القرن الأول، وهي بالنتيجة أقدم كل المخطوطات في العالم. ولما كان سيمونيدس قد وعد بإحضار مخطوطة هرماس كما هي، جاءت دائرة

---

(117) Letter on the Acto of the Niciene Council, 18.

(118) De Pudicitia 10.

(119) De vir. il. 10.

(120) «الآباء الرسوليون»، ص 168-169

الشرطة في برلين، بإشارة من ألكساندر ليكورغو أستاذ الجامعة آنذاك، ورئيس أساقفة سيروس، وتينوس فيما بعد، فضبطت غرفته والمواد التي كان يهيئها لتقديم هذه المخطوطة، الأمر الذي اضطره إلى مغادرة ألمانيا والشخوص إلى إنكلترا حيث تابع عمله كخداع. وفي عام 1859 نشر في لندن بحثًا بعنوان «القليل من الكثير عن الأب الرسولي هرماس»، ونشر في آخر البحث صورة من مخطوطتين قديمتين من عمله، مستندًا إلى الترجمة اللاتينيّة. على أن Hulgenfeld الذي طبع لهرماس أخذ عن سيمونيدس النهاية المزيفة، لكن هارنك بيَّن زيفها. وفي عام 1880 صادف أن كان أسبيريدون لامبروس في دير القدّيس غريغوريوس في جبل آثوس Όρος Άθως فدرس مخطوطة هرماس، ونقل بواسطة مرافقه الورقات الست الباقيّة ونشرها في عام 1888 في كمبردج[121]، وقدّمت هذه الطبعة ببحث طويل عن كيفيّة وجود المخطوطة. وهكذا اتّضح أن كل ما جاء به سيمونيدس كان منحولًا[122].

لعلّ أقدم نسخ أصيلة لكتاب «الراعي» بقايا برديتان بجامعة ميتشيغان Michigan، وهما يعودان إلى أواخر القرن الثالث، يضمان شيئًا من المثلين الثاني والخامس ومن الوصيّة الثانية[123].

كما عثر على الربع من «الراعي» وحتى الوصيّة الرابعة في المخطوطة السينائيّة للكتاب المقدّس Siniaticus التي عثر عليها Codex Tishendorf سنة 1859، وطُبعت في ليبزيغ عام 1863، وهي ضمن ملحقات العهد الجديد. ووجدت في مصر مقاطع من كتاب الراعي

(121) A collection of the Athos codex of the shepherd of Hermas together with an introduction by Sp. P. Lampros. Traslated and edited by J. Armitage Robinson, Cambridge 1888.

(122) إيلياس معوض، الآباء الرسوليّين، ص 171–173

(123) F. L. Cross, p. 27.

على رق الغزال وعلى ورق البردي. وتوجد لكتاب الراعي هذا ترجمات قبطيّة وحبشية وفارسيّة.

يحوي كتاب الراعي ثلاث مجموعات: خمس رؤى، واثنتي عشر وصيّة وعشرة استعارات أو أمثال، غير أن واضع الكتاب يقدّم تقسيمًا آخر وهو:

1. القسم الأول يحوي الأربع رؤى الأولى التي يقول إن الكنيسة أعلنتها له.

2. القسم الثاني يبدأ بالرؤيا الخامسة حيث يقدّم الراعي الوصايا والأمثال، وهو القسم الأطول والأهم.

ولعل الوصايا الاثني عشر هي أهم ما في الكتاب حيث تبرز فيها رؤاه الغنوصية الزهدية.

تسلّم هرماس من ملاك التوبة الذي يتّقدمه في شكل راعٍ الوصايا التي تتضمّن التعاليم المسيحيّة التي يجب تطبيقها عمليًا، وهي:

1. الإيمان بالله الخالق وخشيته التي تبعث التعفّف.

2. البساطة وعدم النميمة وعدم الانشقاق وحب العطاء.

3. الصدق أو الحق: الله الساكن فينا هو الحق!

4. طهارة المتزوجين

5. الصبر وطول الأناة

6. السلوك في طريق العدل لا الظلم

7. خشية الله لا الشيطان

8. اصنع الخير وكف عن الشر

9. الكف عن الشك

10. طرد الحزن

11. الأنبياء الكذبة وتمييزهم عن الصادقين

12. ترك الشهوات الشرّيرة

الباب الخامس

إنجيل برنابا

1- اكتشاف إنجيل برنابا

يبدو أن أول إشارة إلى إنجيل باسم برنابا وردت في مخطوط موريسكي[1] لصاحبه إبراهيم الطَيبيلي Al-Taybili (مولود في طليطلة حوالى عام 1580- ومتوفى في تونس عام 1650)... وهو محفوظ الآن بمكتبة مدريد بإسبانيا تحت رقم (BNM MS 9653). وكان اكتشفه لويس كاردياك Louis Cardaillac[2]. ولعله وقع تحريف للاسم عند

(1) الموريسكيون أو الموريسكوس بالقشتالية (لعل الاسم من موريتانيا) هم المسلمون الذين بقوا في إسبانيا تحت الحكم المسيحي بعد سقوط المملكة الإسلامية وأجبروا على اعتناق المسيحية. ظهر وضع الموريسكيين رسميًا في غرناطة وباقي مملكة إسبانيا في 14 فبراير 1502 م (6 شعبان 907 هـ) حينما أصدرت السلطات مرسومًا يخير المسلمين بين اعتناق المسيحية أو النفي ومغادرة إسبانيا. كانت أعدادهم كبيرة في أراغون السفلى (مقاطعة تيروال حاليًا)، وفي جنوب مملكة بلنسية وفي غرناطة بينما كانت أعدادهم أقل في بقية مملكة قشتالة. وقد جرى تهجيرهم نحو دول المغرب العربي والشام وتركيا بعد سقوط الأندلس. ويتواجدون حاليًا في الجزائر وتونس والمغرب. وبحسب الاتفاق العام بين علماء اللغة فإن التسمية مشتقة من الكلمة اليونانية موروس Moros وهي موري باللاتينية Mauri، وكانت تعني في زمن الرومان بربر شمال أفريقيا وبالأخص بربر موريتانيا التي كانت يومها تشمل شمال وشرق المغرب الحالي وشمال غرب الجزائر الحالية. ويرى البعض أن التسمية قد تكون بربرية محلية أو أجنبية. وقد انتقل اسم موري إلى الجزيرة الإيبيرية وصار مورو ليدل على الفاتحين العرب أيضًا وليس فقط البربر.

Article: Maures, Encyclopédie Universalis v.10

(2) لويس كارداياك: مؤرخ فرنسي (1933-2015) ومؤلف وأستاذ جامعي - باحث في جامعة بول فاليري بمونبلييه متخصص بإسبانيا والإسلام وله عشرات الكتب والمقالات حول الموريسكيين منها:

Le passage des Morisques en Languedoc. Montpellier, Université Paul Valéry, 1971.
Morisques et Chrétiens. Un affrontement polémique (1492-1640), (Préface de Fernand Braudel), Paris, Klincksieck, 1977.
= *Les Morisques et leur temps* (dir.), Paris, C.N.R.S., 1983.

النسخ من طليطلي إلى طيبيلي (التي لم أجد لها أي مصدر أو معنى). وقد يكون الاسم هو الطيب علي.

وإبراهيم طيبيلي (Ibrahim Taybilí) بحسب الكتابات الإسبانية عنه[3] هو كاتب موريسكي إسباني، وُلد في طليطلة بإسبانيا قرابة عام 1580. عرف سابقًا باسم خوان بيريث وكان واحدًا من أشهر الكتاب في تونس عقب الطرد النهائي للعرب عام 1611. تُوفي في مدينة تستور بتونس عام 1650 وكان ذهب إلى تونس ولجأ إلى بلدة تستور التي تقع على هضبة في وادي نهر مجردة[4]. يرجع أصل إبراهيم طيبيلي إلى مرسية على الرغم من ولادته في طليطلة. إلا أنه طرد بعد فرمان طرد الموريسكيين الذي أصدره الملك فيليب الثالث في الفترة من 1609 حتى عام 1612[5].

=

Les Morisques. La Chrétienté et l'Islam en Espagne au XVIe siècle, Vanves, CNED, 1989.

Les Morisques et l'Inquisition (dir.), Paris, Publisud, 1990.

(3) J. Penella Roma, «Littérature morisque en espagnol à Tunis», M. De Epalza - R. Petit, *Études sur les moriscos andalous en Tunisie*, Madrid-Tunis: Dirección General de Relaciones Culturales, 1973, págs. 187-198.

L. Cardaillac, *Morisques et Chrétiens. Un affrontement polémique (1492-1640)*, Paris, Klincksieck, 1977.

«Rites musulmans opposés aux rites chrétiens dans deux textes de morisques tunisiens: Ibrahim Taybili et Ahmad Al-Hanafi», en A. Temimi (ed.), *Actas del III Simposio Internacional de Estudios Moriscos. Las Prácticas Musulmanas de los Moriscos Andaluces (1492-1609),* Zaghouan, CEROMDI, 1989, págs. 71-74.

«La vie intellectuelle en espagnol des morisques au Maghreb (XVIIe. siècle)», *Revue d'Histoire Maghrébine*, 59-60 (octobre 1990), págs. 73-78.

A. H. Gafsi-Slama, « Le tunisien Ibrahim Taybili et sa découverte de la première édition de 'Don Quichotte'», *Tunisie. Hommes et Monuments*, Túnez, Institut National du Patrimoine, 1996, págs. 127-131.

L. F. Bernabé Pons, « L'écrivain morisque hispano-tunisien Ibrahim Taybili (Introduction à une Littérature Morisque en Tunisie) », *Mélanges d'Archéologie, d'Épigraphie et d'Histoire offerts à Slimane Mustapha Zbiss*, Tunis, Institut National du Patrimoine, 2001, págs. 249-272.

(4) http://www.cervantesvirtual.com/obra/ibrahim-taybili-toledo-c-1580-testur-tunez-ca-1650/

(5) http://foroabenhumeya.blogcindario.com/2008/01/00203-ibrahim-taybili-juan-perez-apuntes-de-su-vida.html

له العديد من الدراسات التي أنجزها في طليطلة، مسقط رأسه، أو في ألكالا دي إيناريس (بالعربية: قلعة النار) وهي مدينة إسبانية تقع في منطقة مدريد وتعني قلعة على نهر إيناريس. وتعد مركزًا تاريخيًا فنيًا في إسبانيا وواحدة من مواقع التراث العالمي في إسبانيا بدءًا من عام 1998. وكانت مهدًا للأديب الإسباني الشهير ميخيل دي ثيربانتس. روى الكاتب الموريسكي من طليطلة أنه قام بزيارة لأحد منافذ بيع الكتب في ألكالا دي إيناريس عام 1604 وحصل هناك على الرسائل العائلية وساعة الأمراء[6] لمؤلفها أنطونيو دي غيبارا[7] والتاريخ الإمبراطوري والقيصري لبيدرو ميخيا من كتاب عصر النهضة الإسباني الذين انتقدوا الروايات الفروسية، وكان الطيبيلي يسخر هو أيضًا من كتب الفروسية ولكنه أشار إلى دون كيخوتيه باعتباره «العمل المهم» في ذلك الوقت[8]. وكان له مكانة بين الكتاب الموريسكيين في تونس، على الرغم من استمراره في الكتابة باللغة الإسبانية. كتب في عام 1624 رسالة في تناقض أربعة عشر مادة في الدين المسيحي في هيئة أبيات شعرية، مستوحاة من الكاتب الموريسكي المغربي الإسباني محمد الجواثير[9] وذكر في هذه المخطوطة بعض الأعمال التي كتبها مثل تاريخ طرد ونفي الموريسكيين من إسبانيا [10] إضافة إلى وقائع مقتل الحسن في هيئة أبيات شعرية، وهناك بعض المخطوطات المنسوبة له في المكتبة الوطنية بمدريد[11].

---

(6) http://www.filosofia.org/cla/gue/guerp303.htm

(7) https://www.escritores.org/biografias/358-antonio-de-guevara

(8) http://foroabenhumeya.blogcindario.com/2008/01/00203-ibrahim-taybili-juan-perez-apuntes-de-su-vida.html

(9) http://www.cervantesvirtual.com/portales/literatura_de_mudejares_y_moriscos/muhammad_alguazir/

(10) http://www.cervantesvirtual.com/portales/literatura_de_mudejares_y_moriscos/ibrahim_taybili/

(11) Ibidem

المخطوط الموريسكي المنسوب إلى الطيبيلي والذي يذكر إنجيل برنابا هو رسالة بالإسبانية تعود إلى العام 1634 كتبها إبراهيم الطيبيلي (أو الطليطلي أو الطيب علي) من تونس إلى أصدقاء له في إسبانيا. وإبراهيم (الطَيبيلي) هذا يكتب اسمه بالإسبانية على أنه خوان بيريث Juan Perez، ويتحدث في رسالته عن تبشير التوراة والأناجيل بـ «الرسول» محمد، مؤكدًا أن الكنيسة لا تدع المؤمنين يطلعون على هذه الأناجيل، و»منها إنجيل برنابا الذي فيه الضياء والهدى»[12]... وفي رسالة أخرى موجودة بالمكتبة الوطنية بمدريد تحت رقم 4954 باسم بيارانوا (واسمه العربي أحمد الهجري) يرد ذكر الطيبيلي إلى جانب اسم موريسكي آخر هو مصطفى العرندي نزيل إسطنبول[13]...

بعد سنوات قليلة على رسائل هذين الموريسكيين، يصدر كتاب «ميناجيات» (Menagiana) (نسبة إلى مؤلفه جيل ميناج) وعنوانه الكامل هو: «ميناجيات: أو الكلمات الطيبة، واللقاءات الممتعة، والأفكار الذكية والمشاهدات الغريبة، للسيد جيل ميناج، باريس 1693»[14]. (أي أنه كشكول من الكلمات الطيبة والموافقات اللطيفة والأفكار الذكية والملاحظات المثيرة، لصاحبه السيد جيل ميناج). وجيل ميناج (1613–1692) هو محام ثم كاهن فكاتب وشاعر فرنسي، ومؤرخ وعالم لغوي، له مؤلفات مشهورة في أصول اللغات الفرنسية والإيطالية

---

(12) Wiegers, G.A. (April–June 1995). «*Muhammad as the Messiah: A comparison of the polemical works of Juan Alonso with the Gospel of Barnabas*». Biblitheca Orientalis. LII (3/4): 274.

(13) العرندي هذا سيذكره (كما سنرى لاحقًا) جورج سايل في مقدمة ترجمته الشهيرة للقرآن (1734) على أنه مترجم إنجيل برنابا من العربية إلى الإسبانية.
George Sale. *The Koran: Preliminary Discourse*. Frederick Warne 1877. p. 79.

(14) *Menagiana, ou bons mots, rencontres agréables, pensées judicieuses, et observations curieuses, de M. Gilles Ménage.* (Paris. 1693). 2e édition augmentée [pub. Par l'Abbé Pierre-Valentin Faydit]. Delaulne, 1695

وفي قواعدهما وجذورهما، خلّده موليير في شخصية فاديوس من مسرحية «النساء العالمات» (1672)[15]. وفي العام 1693، أي بعد وفاته، جمع رفاق ميناج وأصدقاؤه حكَمه وكلماته الطيبة والذكية ورحلاته وملاحظاته، تحت إشراف أنطوان غالان، ونشروها في الكتاب الذي حمل اسم «ميناجيات» أو «كشكول ميناج». وهو أول عمل من نوعه في الغرب، وقد أعيد طبعه عشرات المرات في خلال القرن الثامن عشر. وحين كُلف برنارد دو لامونوا[16] La Monnoye بتصحيح مسودات الكتاب قبل طبعه، لم يستطع مقاومة إغراء أن يضيف إليه قسمًا أسماه « الأمور الغريبة العجيبة». وفي طبعة 1715-1716 الصادرة في أمستردام في عدة مجلدات، نقرأ في المجلد الرابع (ص202-204) «أن البارون الألماني دوهوهندورف[17] الذي يجمع إلى نبل المحتد ثقافة عميقة وأدب رفيع ومعرفة واسعة بالكتب والمخطوطات، قد عرض أمامي (دو لامونوا) الإنجيل الذي ينسبه الأتراك (يعني المسلمين على عادة أهل زمانه بتسميتهم بالأتراك) إلى «القديس» برنابا وهو مترجم إلى الإيطالية عن العربية على ما يبدو وذلك في حوالى منتصف القرن الخامس عشر، وقد جرى نسخه في فترة لاحقة، وهو اليوم مخطوط فريد ونادر الوجود

(15) النساء العالمات Les Femmes savantes هي مسرحية لموليير من خمسة مشاهد كتبها شعرًا ومثلتها «فرقة الملك» في القصر الملكي Palais-Royal في الحادي عشر من آذار/ مارس 1672. في المسرحية نجد شخصية فاديوس النيق المدقق. وقد استوحى موليير الشخصية من جيل ميناج.

(16) محام وشاعر وفيلسوف وناقد، فرنسي من مدينة ديجون، 1641-1728. أثنى فولتير على بعض أعماله ونال خمس مرات الجائزة الأولى في مسابقات الأكاديمية الفرنسية على أعماله الشعرية.

(17) جورج غليوم، بارون دوهوهندورف 1670-1719، مواليد بروسيا؛ عسكري شارك في الحملات ضد الاتراك ومنذ العام 1700 دخل في خدمة الأمير يوجين دوق سافوا ثم حاكمًا لمنطقة كورتراي 1716-1717... لكنه اشتهر بكونه من أبرع الدبلوماسيين وقد قام بمهام في لندن ولاهاي وبرلين وفيينا. وعُرف عنه أنه أهم جامع كتب ومخطوطات في زمانه.

يملكه الأمير يوجين [18] المعروف ببحثه الدؤوب واللامحدود عن كل أنواع الكتب الغريبة والنادرة»[19].

وفي العام 1718 ظهرت في لندن طبعتان لكتاب جون طولاند[20] الخطير «ناظارينوس» Nazarenus وعنوانه الكامل: «ناظارينوس، أو المسيحية اليهودية والمحمدية والوثنية، ويتضمن قصة إنجيل برنابا القديم والإنجيل الجديد للمحمديين...»[21].

---

(18) يوجين- فرنسوا المعروف بأمير دوقية سافوا النمساوية (1663-1736) وكان أحد أبرز وأكبر القادة العسكريين الذي حقق انتصارات مهمة في أوروبا المعاصرة. ولد وترعرع في باريس في قصر الملك لويس الرابع عشر الذي رفض دخوله الجيش فاختار العودة إلى النمسا في جيش آل هابسبورغ حيث خدم تحت حكم ثلاثة أباطرة خصوصًا في وجه الحملة العثمانية عند أبواب فيينا 1683. ولكن شهرته العسكرية تعود إلى انتصاره المدوي على العثمانيين في معركة زنطا 1697 ثم في الحروب الإسبانية ضد الفرنسيين وفي الحرب الإيطالية، خصوصًا معركة تورينو 1706. ثم تعززت سمعته العسكرية بانتصاراته المتلاحقة على العثمانيين في الحرب النمساوية-التركية الثالثة 1716-1718.

(19) هذه الإشارة الواضحة إلى وجود أصل عربي للنسخة الطليانية للإنجيل لم يعرها الباحثون الغربيون، والكنسيون منهم تحديدًا، أي اهتمام؛ كما أنهم لم يقبلوا حتى فكرة وجود إنجيل غنوصي باسم برنابا على غرار عشرات الأناجيل التي كانت ممنوعة ومخفية وجرى بدءًا من أواخر القرن التاسع عشر اكتشاف العديد منها، خصوصًا تلك المكتشفة في صعيد مصر.

(20) جون طولاند (1670-1722) فيلسوف عقلاني ومتحرر وناقد ساخر للأديان. ولد في أيرلندا ودرس في غلاسكو وأدنبره وليدن وأكسفورد، وتأثر كثيرًا بالفيلسوف جون لوك. له العديد من المؤلفات والمواقف في الدين والفلسفة تعد من تباشير التنوير الأوروبي. من أشهر مؤلفاته ذلك الكتاب الذي يسخر فيه من الأديان الثلاثة معتبرًا أنها أضاليل سياسية وأديان مزيّفة، وهو بعنوان «الدجالون الثلاثة». وقد أعلن طولاند أن الكتاب له أصل قديم يملك مخطوطته. سخر فولتير من مقالة طولاند عن الأديان وقال فيها كلمته الشهيرة: «لو لم يكن الله موجودًا لوجب إيجاده».

(21) *Nazarenus, or, Jewish, gentile, and Mahometan Christianity: containing the history of the antient Gospel of Barnabas, and the modern Gospel of the Mahometans... also the original plan of Christianity explain'd in the history of the Nazarens...with the relation of an Irish manuscript of the four Gospels, as likewise a summary of the antient Irish Christianity. By: Toland, John, 1670-1722 ; La Monnoye, Bernard de, 1641-1728 ; Published 1718*

وجون طولاند هذا مفكر حر من أيرلندا الكاثوليكية تحوّل إلى البروتستاتنية ثم صار من كبار العلماء المطرودين من الكنيسة والمحرمّة كتبهم، خصوصًا كتابه ناظارينوس[22]، وكتابه الشهير الآخر (المسيحية من غير إبهام)[23] (1696) الذي أدانه البرلمان الأيرلندي وكان بداية بحث طولاند في الفرق المسيحية للقرون الأولى. وكان طولاند في الوقت عينه ديبلوماسيًا ومثقفًا عالميًا منفتحًا وشفافًا. وقد ذكر طولاند أن إنجيل برنابا هو «إنجيل محمدي لم يسبق أن عرف به المسيحيون على الرغم من أنهم تحدثوا كثيرًا عن تأثير الأناجيل في المسلمين الذين كانوا من دون شك على معرفة بها واطلاع كاف عليها». ويقول في وصفه أيضًا «إن إنجيل برنابا ينحو إلى تصوير عيسى مجرد إنسان وذلك تبعًا لمعتقد الإبيونيين والناظوريين القديم». وقد اهتم كتاب ناظارينوس أساسا بإلقاء الضوء على فرقة الإبيونيين وفرقة الناظوريين اللتين اعتبرهما طولاند من فرق المسيحية الأولى الصافية وذلك قبل قرنين ونصف القرن على اكتشافات قمران في البحر الميت ونجع حمادي في مصر.

وعن ظروف إطلاعه على إنجيل برنابا يقول طولاند: «أما المثقف النبيل الذي كان من اللطف والسماحة بحيث مكنني من قراءة هذا الإنجيل فهو الوزير السيد فريدريش كرايمر[24]، مستشار ملك بروسيا

---

(22) هناك نسخة وحيدة منه موجودة في المكتبة البريطانية وللأسف لم يقم أحد بتصويرها أو نسخها أو ترجمتها علمًا أن الكتاب من أخطر الوثائق الفكرية الإنسانية.

(23) *Christianity Not Mysterious: A Treatise Shewing, that there is nothing in the Gospel Contrary to Reason, Nor Above It: And that no Christian Doctrine can be properly called A Mystery* (1696)

(24) ج. ف. كرايمر J. F. Cramer: لم نعثر له على ترجمة مفصّلة باستثناء أنه كان وزيرًا ومستشارًا للأمير فريدريش البروسي (هو فريدريش فيلهلم الأول (Friedrich Wilhelm I) (1688 – 1740) الملك في بروسيا وناخب براندنبورغ من سنة 1713 حتى وفاته. ويبدو أن كرايمر =

والمقيم اليوم في أمستردام».. وفي مكان آخر من كتابه يلمح طولاند إلى أن إكتشافه هذا فريد من نوعه «إذ لا توجد لهذا الإنجيل سوى نسخة واحدة في كل العالم المسيحي هي تلك التي وقعت عليها مصادفة في أمستردام في العام 1709».. وفي ما بعد كتب طولاند أنه هو من كشف لكرايمر أهمية المخطوط الذي كان يملكه، وهو من عرّف الأمير يوجين به وذلك عن طريق البارون دوهوهندورف الذي عرضه بدوره على برنارد دو لامونوا بعد أن صار المخطوط بحوزة الأمير يوجين.. ولكن من أين حصل كرايمر عليه؟ يقول طولاند «من مكتبة شخص عالي الشأن والنفوذ في المدينة (أمستردام) عُرف عنه اهتمامه الكبير بهذا الكتاب وشدة تقديره له طوال حياته... أكان ذلك بسبب فرادته وندرة وجود مثيل له، أم بسبب أن الكتاب كان مصداقًا لما كان يدين به هذا الرجل؟ الله أعلم!» (انتهى كلام طولاند عن إنجيل برنابا بنسخته اللاتينية).

والحال أن القرن السابع عشر كان قرن هولندا بامتياز إذ كانت أكثر البلدان الأوروبية تحررًا أو ليبرالية، وقد غدت أمستردام ملجأ للمفكرين الأحرار والمنشقين الدينيين من كل حدب وصوب. في العام 1667 ألف الفيلسوف الإنكليزي جون لوك (1632-1704) رسالته «في التسامح»، وكان على صلة وثيقة بالمتآمرين البروتستانت الثائرين ضد حكم الملك الكاثوليكي جيمس الثاني (1633-1701). وقد اضطر جون لوك للهرب (عام 1683) إلى روتردام حيث اشتغل على مؤلفاته

= خدم أيضًا كمساعد (أو نائب حاكم Sub-governor للملك فريدريش الثاني (الملقب بالكبير 1712-1786) ملك بروسيا من 1740 حتى وفاته 1786، وذلك عامي 1753- 1754 بحسب ما جاء في كتاب:

Frederick the Great: His Court and Times. Edited by Thomas Campbell, Vol. IV. (London: Henry Colburn Publisher. 1843)., p.473

الرئيسة (مقالة في الفهم البشري، ورسالتان في الحكم) التي صارت محور المناقشات والجدالات التي اضطرمت طوال عصر الأنوار. فصح القول بأن عصر الأنوار يبدأ مع رسائل ومقالات جون لوك الصادرة في هولندا.

وفي أمستردام انتشر فكر ونشاط «المسيحيين التوحيديين» (المعادين للتثليث)[25] ومنهم جيوفاني ميشيل بروتو[26] (الذي نشر

(25) التوحيدية هي حركة لاهوتية مسيحية دينية سميّت كذلك استنادًا إلى مفهومها بوحدانيّة الله حيث ترفض عقيدة التثليث. دعاة التوحيد يرفضون العديد من عقائد المذاهب المسيحية التقليدية الأخرى؛ بما في ذلك عقيدة السوتريولوجيا والخطيئة الأصلية والقضاء والقدر؛ وفي الآونة الأخيرة يرفض أتباع التوحيدية عقيدة عصمة الكتاب المقدس. صنّف ج. غوردون ميلتون مذهب التوحيدية المسيحية في موسوعة الأديان الأميركية بين أسرة الكنائس «المسيحيّة الليبراليّة». ينبغي الفرز بين التوحيدية الكتابية: Biblical unitarianism والتوحيدية الكونية: Unitarian universalism يؤمن الموحدون الكتابيون بالله واحد أحد، وبيسوع المسيح وبهبة روح القدس. ويختلفون عن التثليثيين بالإيمان أن الآب السماوي وحده هو الله ويعتمدون على المراجع التوراتية والإنجيلية لنفي عقيدة الثالوث وألوهية المسيح ويطالبون بإعادة تأويل النصوص المقدسة.

للموحدين الكونيين جمعيات ومؤسسات في مختلف أنحاء العالم تجتمع في المجلس الدولي للموحدين الكونيين، ولا يعد الكثير من الموحدين الكونيين أنفسهم مسيحيين مع أنهم يتشاطرون مع الكنائس المسيحية بعض المعتقدات والقواعد الإيمانية. وينقسم الموحدون إلى جماعات عديدة، يتركز وجودها في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا.

(26) جيوفاني ميشيل بروتو Giovanni Michele Bruto أو يوهانس مايكل بروتوس Johannes Michael Brutus (البندقية 1517 – رومانيا 1592) مؤرخ وكاتب وعالم أديان. عمل مؤرخًا في القصور الملكية في ترانسيلفانيا وبولونيا وفيينا. درس اللاهوت في بادوا وسيم كاهنًا إلا أنه اضطر في عام 1555 للهرب والتجوال في كل أوروبا بسبب اتهامه بالهرطقة ويبدو أنه كان من التوحيديين. نشر في عام 1562 كتابًا عن تاريخ فلورنسا، وكتب عن تاريخ هنغاريا في أعوام 1490– 1552 وبالأخص عن تاريخ العلاقات الهنغارية–التركية في تلك الفترة، وذلك بطلب من أمير ترانسيلفانيا استيفان باتوري الذي أصبح لاحقًا ملك بولونيا وتبعه بروتو ليقيم في كراكوفيا. وبعد موت الملك ذهب بروتو ليقيم في بوزسوني (اليوم براتيسلافا في سلوفاكيا)، عاصمة مملكة آل هابسبورغ الهنغارية ويواصل العمل على كتابه عن تاريخ هنغاريا تحت إشراف رودولف الثاني، ملك هنغاريا وبوهيميا، وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة.

له كرايمر بعض مؤلفاته)، وكريستوفر فون دون ساند[27] (المشهور بسانديوس) الذي نشر في أمستردام عام 1670 كتابًا بعنوان «التأويلات المتناقضة للأناجيل الأربعة». Interpretationes paradoxae quatuor Evangeliorum؛ وأيضًا فيشوفاتي[28] Wiszowaty الذي نشر مع سانديوس «مكتبة المؤلفات المعادية للتثليث» Bibliotheca antitrinitariorum (1684). ووالد زوجة فيشوفاتي هو فاوستو سوسيني[29] الشهير

---

(27) كريستوفر سانديوس (كونينسبرغ 1644 - أمستردام 1680) كاتب وناشر لأعمال فاوستو سوسيني وجماعته من دون أن يكون هو نفسه منهم. يبدو أن اسمه في الأصل الألماني هو كريستوف فون دون ساند وأنه قام بجعله لاتينيًا (كريستوفوس سانديوس) ثم صار كريستوف فان دن ساند خلال إقامته الهولندية. يبدو أن ساندیوس الابن تلقى دروسه على والده الشهير أيضًا باسم كريستوفر ساندیوس الأب (توفي 1686) وكان موظفًا حكوميًا في كونينسبرغ ولكنه طرد من الوظيفة بسبب آرائه المعادية للتثليث فانتقل ابنه إلى أمستردام وعمل كناشر ومترجم واشتهر بين المثقفين الأوروبيين. اعتبر ساندیوس الابن أن الأريوسية كانت ذروة اللاهوت في الكنيسة الأولى. وكان على صلة حميمة مع سبينوزا في آخر أيامه حين اشتهر بأنه واحد من أشد أتباع الفيلسوف إخلاصًا. وقد دافع في أعوام 1676-1680 عن المؤلف المجهول لكتاب (في اللاهوت السياسي) وذلك في مراسلاته مع اللاهوتي الكاثوليكي بيار دانيال هويت Pierre Daniel Huet.

(28) أندريه فيشوفاتي الأب Andrzej Wiszowaty Sr (1608-1678) كان لاهوتيًا من أتباع سوسيني اشتغل مع يواكيم ستغمان (1595-1633) على كتابة موجز المسيحية الراكوفي لعام 1605 ودرّس في الأكاديمية الراكوفية للأخوة البولونيين. بعد نفيه من راكوف عام 1639 اشتهر بكونه المحرك الرئيسي لطباعة المكتبة الأخوية البولونية Bibliotheca fratrum Polonorum التي كان لها بالغ التأثير على فولتير وجون لوك. وقد طبع في أمستردام أعمالًا كثيرة للتوحيديين والأريوسيين وأهمها مؤلفات جده فاوستو سوسيني عام 1668. أما كتابه الأهم «الدين العقلاني» Religio rationalis فقد طبعه ابنه بنديكت فيشوفاتي. ومن كتبه الشهيرة: مقالة ضد التثليث

A dissertation against the Trinity, De sancta trinitate objectiones quaedam (1665),

وقد رد عليها لايبنتز في كتابه: دفاع عن التثليث ضد الفيشوفاتيين

Defensio Trinitatis contra Wissowatium (1669).

(29) فاوستو باولو سوسيني المعروف أيضًا باسم فاوستوس سوسينوس أو فاوست سوسيني (1539- 1604) لاهوتي إيطالي مؤسس مدرسة الفكر المسيحي المسماة السوسينية وعالم اللاهوت الأساسي لكنيسة الأخوة البولونيين Polish Brethren وهي كنيسة بروتستانتية بولونية تطورت من داخل الكنيسة المصلحة البولونية الراديكالية خلال القرن السادس عشر ثم =

بمعاداته للتثليث والذي نشر في أمستردام أيضًا خمسة أجزاء من «مكتبة التوحيديين» (1656) وصار له أتباع باسم السوسينيين كانوا مثله ينفون الإلوهية عن السيد المسيح ويقولون «إنه مقدس لأنه كلمة الله»[30].

2- المخطوط اللاتيني

بحسب آخر الأبحاث الأوروبية في هذه القضية يبدو إذن أن الدبلوماسي الألماني كرايمر اشترى الكتاب من مكتبة تعود إلى عالم إيطالي شهير هو غريغوريو ليتي[31] الذي كان المؤرخ الرسمي لمدينة

= اعتنقتها الكنيسة التوحيدية الترانسيلفانية. تتميز كنيسة الأخوة البولونية برفض التثليث وبأمور ومعتقدات أخرى خارجة عن المعتقد الرسمي للكنائس المعروفة. تعود جذور هذه الحركة إلى حركة إيطالية معادية للتثليث نشأت في النصف الأول من القرن السادس عشر وتبلورت في مجمع البندقية 1550. وكان أول حاملي هذا التيار ضمن معاداة التثليث في إيطاليا ليليو سوسيني الذي ذهب أبعد من الأريوسية المعروفة فرفض القول بوجود للمسيح خارج الزمان والمكان وقبل الخلق وذلك في تفسيره الشهير (1562) لمعنى اللوغوس/ الكلمة كما ورد في إنجيل يوحنا 1: 1-5: (فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ.هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ.كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ). فهو اعتبر النص موافقًا لما جاء في الإصحاح الأول من رسالة يوحنا الأولى: (اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ): (1 يوحنا 1:1) معتبرًا أن يوحنا يتكلم عن الخلق الجديد creation وليس عن التكوين genesis. ثم قام ابن شقيقه فاوستو بنشر هذا التفسير وطوره. مات ليليو في سويسرا وانتقل فاوستو لمشاركة الكنيسة التوحيدية في ترانسيلفانيا ثم انتقل إلى بولونيا حيث تزوج من ابنة أحد قادة كنيسة الأخوة. لم ينضم فاوستو أبدًا إلى هذه الكنيسة البولونية الجديدة وإنما أدخل فيها العديد من معتقداته مثل احتجاج الضمير أي رفض الخدمة العسكرية لدافع أخلاقي ضميري، والصلاة إلى المسيح، وولادة المسيح من عذراء. وقد أقنع الكثيرين من أبناء كنيسة الأخوة الذين كانوا في السابق أريوسيين باعتناق معتقدات عمه.

(30) Marian Hillar, Laelius and Faustus Socinus: Founders of Socinianim, Their Lives and Theology, in «*The Journal from the Radical Reformation. A Testimony to Biblical Unitarianism*.» (Part I, Vol. 10, No. 2, 2002; Part II, Vol. 10, No. 3, 2002)

(31) غريغوريو ليتي Gregorio Leti (1630–1701) مؤرخ إيطالي وكاتب ساخر من ميلانو كان ينشر أحيانًا باسم الأب غوالدي Abbe Gualdi أو غوالدوس. اشتهر بسبب أعماله عن =

أمستردام، وقد بيعت مكتبته في العام 1701. ثم إن كرايمر أهدى الكتاب إلى أشهر جامعي المخطوطات في عصره الأمير يوجين الذي انتقلت مكتبته بوفاته إلى المكتبة الملكية النمساوية في فينيا (المكتبة الوطنية اليوم). وغريغوري ليتي هذا (لعله الرجل عالي الشأن والمقام الذي ذكره طولاند كما ورد فيما سبق) نال 17 إدانة خلال 35 سنة في فهرست الكتب المحرمّة الصادر رسميًا عن الكنيسة. وليتي هو والد زوجة جان لكلرك[32].

= الكنيسة الكاثوليكية خصوصًا عن البابوية. وقد وردت عناوين مؤلفاته كلها على لائحة الكتب المحرمة Index Librorum Prohibitorum. كان ليتي ابن شقيقة أسقف أومبريا ودرس في مدرسة لليسوعيين ولكنه اعتنق لاحقًا البروتستانتية الكالفينية. عاش في قصر الملك الفرنسي لويس السادس عشر وبعدها في قصر الملك الإنكليزي تشارلز الثاني الذي كلفه بكتابة تاريخ إنكلترا. كما انتخب عضوًا في الجمعية الملكية. كتب أول وأفضل ترجمة للملكة إليزابيث الأولى وأمها آن بولاين مستخدمًا وثائق وجدها في المكتبات الإنكليزية. وبعد نشره لحكايات أثارت استياء الملك تشارلز الثاني غادر ليتي إنكلترا في العام 1683 إلى أمستردام حيث أصبح مؤرخ المدينة في العام 1685 وتوفي فيها. تعتبر ترجمة سيرة البابا سيكستوس الخامس أهم كتبه وقد ترجم إلى عدة لغات ونجد فيه حكاية تشبه حكاية شكسبير عن تاجر البندقية.

Maria Luisa Ambrosini, and Mary Willis. *The Secret Archives of the Vatican*. Barnes & Noble Publishing. 1996., p. 138.

Jonathan Irvine Israel. *The Anglo-Dutch Moment: Essays on the Glorious Revolution and Its World Impact*. Cambridge University Press. 1991., p. 32.

Thomas Frederick Mayer. *A Reluctant Author: Cardinal Pole and His Manuscripts*. 1999., p. 107.

Marshall, John. 2006. John Locke, Toleration and Early Enlightenment Culture. Cambridge University Press. p. 177.

A. Solomon. «Shakespeare and the Jews.» *Renaissance Quarterly*. 1998. 51, 1.

Johann Lorenz Mosheim, and Archibald Maclainep. *An Ecclesiastical History, Ancient and Modern, from the Birth of Christ, to the Beginning of the Eighteenth Century.* 1819., p. 194.

Thomas Adolphus Trollope. *The Papal Conclaves, as They Were and as They are*. Chapman and Hall. 1876., p. 106.

William George Clark, and William Aldis Wright. *Introduction to The Merchant of Venice*. Clarendon Press. 1874., p. xx.

(32) جان لكلرك Jean Le Clerc ويعرف أيضًا باسم يوهانس كليريكوس Johannes Clericus (1657 جنيف – 1736 أمستردام): لاهوتي من جنيف وعالم كتابي اشتهر بنشره =

وقد استنتج العديد من المستشرقين والباحثين الأوروبيين أن إنجيل برنابا كُتب في أجواء أمستردام السابق وصفها. وبرغم نفي رجال الكنيسة ولعقود صحة وجود إنجيل مخفي (أبوكريفي) يحمل اسم برنابا، إلا أن الأبحاث الغربية الحديثة (ومنها بعض الدراسات الكنسية الجدية) عادت وأقرت بوجود ذكر لإنجيل برنابا في وثيقة شهيرة اسمها «المرسوم الجيلاسي».

نبذة عن المرسوم الجيلاسي

مرسوم جيلاس (باللاتينية Decretum Gelasianum) هو مجموع من الوثائق تُنسب إلى الباباوات داماسوس الأول (366–384) وجيلاس الأول (492–496) وهرمزيدا (514–523). وكان معارضو حقيقة إنجيل برنابا يقولون سابقًا بعدم وجود هكذا وثيقة... ثم أقر الجميع بوجودها ونشرتها عدة مواقع إلكترونية نقلًا عن كتب قديمة. والتقليد المسيحي ينسب أغلب هذا المرسوم إلى البابا داماسوس الأول. المرسوم يتألف من خمسة أقسام: في القسم الأول يقدم تفصيلًا بالتعريفات العقدية للكمالات السبعة للروح القدس، ثم أسماء السيد المسيح الثمانية عشر، ثم عن معنى الروح القدس في التثليث المسيحي. القسم الثاني يعدد الكتابات القانونية التي تعترف بها الكنيسة الكاثوليكية. القسم الثالث يتضمن تصريحًا حول مراكز الكنيسة الثلاثة: روما والإسكندرية وأنطاكية. القسم الرابع يتضمن تصريحًا حول سلطات المجامع المقدسة والآباء وفيها لائحة بأسماء بعض الكتاب المشبوهين. القسم الخامس،

= للتأويل أو التفسير النقدي للكتاب المقدس وكان راديكاليًا بالنسبة إلى زمنه. اختلف مع الكالفينية بسبب تأويلاته وترك جنيف لهذا السبب. اعتبر من أتباع سوسيني ولذلك طرد من كرسي تدريس اللاهوت العقدي.

وهو الأهم، يذكر الأناجيل المحرمة أو المزيفة (الأبوكريفا)، ومنها إنجيل برنابا[33].

وتوجد أيضا قائمة باسم البطريرك نيقوفوروس Necephorus بطريرك القسطنطينية[34] الذي ذهب إلى بغداد وهناك وجد العديد من هذه الكتب الأبوكريفية فقرأها وأحصى عدد سطورها. والقائمة المنسوبة إليه لا يوجد فيها رؤيا يوحنا (وهي من ضمن الكتب القانونية)[35].

ويوجد أيضًا نص يسمى «كاتالوغ الكتب الستين القانونية» Catalogue of the Sixty Canonical Books (صادر في القرن السابع ميلادي على الأغلب وقد نقلته عدة مخطوطات) يحصي الأناجيل المنحولة أو المزيفة ومنها إنجيل برنابا. فالكتب القانونية بحسب كاتالوغ الكنيسة هذا يضم 34 كتابًا في العهد القديم و26 في العهد الجديد (ينقص فيه رؤيا يوحنا). وبعد استعراضه هذه الكتب الستين يذكر الكاتالوغ الكتب التي رفضتها الكنيسة (أي الأبوكريفا) فهي 25 كتابًا[36].

3- المخطوط الإسباني

لكن ثمة مخطوط آخر لإنجيل برنابا إنما باللغة الإسبانية وكان أول من ذكره أدريان ريلاند[37] في طبعة 1717 من كتابه «الديانة المحمدية»

---

(33) النص الكامل للمرسوم الجيلاسي على هذه الروابط
http://www.ntcanon.org/Decretum_Gelasianum.shtml
http://www.thelatinlibrary.com/decretum.html
http://www.tertullian.org/decretum_eng.htm

(34) نيقوفوروس الأول (758-828) لاهوتي ومؤرخ كان بطريركًا على القسطنطينية من 12 نيسان/ أبريل 806 إلى 13 آذار/ مارس 815.

(35) http://srbigham.com/articles/vie-nicephore.html

(36) http://innvista.com/culture/religion/bible/early-new-testament-lists/
http://www.ntcanon.org/Sixty_Canonical_Books.shtml

(37) Reland Adriaan. *De religione Mohammedica libri duo - the first European* =

وهي الطبعة الثانية وصدرت في تريف، وهو لم يذكره في الطبعة الأولى للكتاب التي صدرت عام 1705 في أوترخت. وذكر الإنجيل جاء على شكل ملاحظة صغيرة يقول فيها ريلاند «ولدى المسلمين أيضًا إنجيل مؤلف من كتابات فيها الجيد وفيها السيء... وأصله مخطوط موجود بالعربية والإسبانية». إذن بين الطبعتين والعامين 1705-1717 تعرّف ريلاند على إنجيل برنابا بنسخته الإسبانية ولكنه لم يره وإلا لكان وصفه.

ولكن بداية القصة الفعلية كانت مع المستشرق جورج سايل[38]

= *attempt to systematically describe Islamic religious practices*. Utrecht 1705, 1717
English translation: *Of the Mahometan Religion*, Two books. London 1712
French translation: *La Religion des Mahometans exposée par leurs propres Docteurs, avec des éclaircissemens sur les opinions qu'on leur a Faussement attribuées*. The Hague 1721

أدريان ريلاند Adriaan Reland (1676-1718) مستشرق هولندي مشهور وعالم بالخرائط وبأنساب اللغة اشتهر بأنه صاحب أهم وأكبر مساهمة في بحوث الجغرافيا التاريخية لفلسطين القديمة. في عام 1699 عين ريلاند أستاذًا للفيزياء والميتافيزياء في جامعة هاردرفييك Harderwijk وكان يومها يجيد العربية والعبرية وغيرها من اللغات السامية. في عام 1701 وكان عمره 25 سنة عين أستاذًا للغات الشرقية في جامعة أوترخت. ومنذ العام 1713 بدأ بتدريس عاديات العبرية ثم تسلم كرسي عاديات اليهودية. بعدها اشتهر ريلاند لبحوثه في الدراسات الإسلامية ولغاتها وكان من أوائل من استخدم الألسنية المقارنة. درس أيضًا الفارسية واهتم بصلة الأساطير الشرقية بكتاب العهد القديم ونشر كتابًا عن أساطير شرق آسيا في عام 1708. قام بتجميع نصوص عربية كثيرة اعتمد عليها لكتابة مؤلفه عن الديانة المحمدية De religione Mohammedica في عام 1705. واستمر في العمل على هذا المؤلف حتى العام 1717 وكان أول استكشاف موضوعي للمعتقدات والممارسات الإسلامية حتى صار مرجعًا في كل أوروبا وترجم إلى الهولندية والإنكليزية والألمانية والفرنسية والإسبانية.

(38) جورج سايل George Sale (1697-1736م) مستشرق إنكليزي ومحامي ولد في عام 1697 بمدينة كانتربري في مقاطعة كنت بإنكلترا، عرف عنه ترجمته لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنكليزية سنة 1734، وهو أيضًا كاتب للمعجم المسمى بالمعجم العام – The General Dictionary على شكل سجلات في عشر مجلدات. عني سايل ولمدة كافية بدراسة اللغات الشرقية وغيرها سواء الحديث منها أو القديم، وقد ساعده في فهم اللهجات الشرقية مترجم الملك في ذلك الوقت كارلوس داديتشي (Carolus Dadichi)، كما عرف عنه أنه أمضى 25 عامًا في جزيرة العرب والتي تعلم من خلالها اللغة العربية وبعض العادات، وهو ما صرح به =

صاحب الترجمة الأشهر والأهم للقرآن إلى الإنكليزية في العام 1734. ففي مقدمة ترجمته للقرآن إشارة وردت إلى «إنجيل يروي جانبًا من سيرة يسوع المسيح بشكل غريب ومثير للفضول»... يقول سايل في الخطاب التمهيدي للقرآن[39]. وذكر سايل وجود مخطوطة إسبانية لهذا الإنجيل وقال إنها مترجمة من الإيطالية إلى الإسبانية على يد مسلم أراغوني (من مقاطعة أراغون الأندلسية) اسمه مصطفى العرندي (من بلدة عرندة Aranda الأندلسية). وعرندة هي البلدة التي نفى إليها فيليب الثاني كل من تبقى من العرب في غرناطة بعد احتلالها على أمل إدماجهم بالسكان المحليين. ويذكر مصطفى العرندي في مقدمته الإسبانية أن مكتشف الإنجيل بنسخته الإيطالية هو الراهب الأخ مارينو، إذ وجده في مكتبة البابا سيكستوس الخامس خلال لحظة إغفاءة للبابا المذكور. وتقول المقدمة إن الراهب ذهل من اكتشافه إلى حد إشهار إسلامه. ولا توجد إثباتات تاريخية تؤكد الحادثة ولكن في إنجيل برنابا نفسه رواية مشابهة حيث يكتشف نيقوديموس كتاب موسى الحقيقي في منزل الحاخام الأكبر (الفصل 192 من إنجيل برنابا).

ولا أدري لماذا لم ينتبه المترجم العربي خليل سعاده إلى أن فرا Fra تعني الأخ أو «الراهب في أخوية»، فتركها كما هي جاعلًا اسم المكتشف فرامارينو. وقد نقل كل المسلمين الذين نشروا إنجيل برنابا هذه التسمية من دون تمحيص أو تدقيق... كما أنهم لم يحاولوا معرفة حقيقة هذا الراهب: من هو؟ متى عاش؟ وأين؟

= فولتير في قاموسه المعجمي (Dictionnaire Philosophique) في مقالتيه الأولى عن القرآن والثانية عن هاروت وماروت. كان سيل أيضًا ضمن المدققين في الجزء الثاني من الكتاب المقدس – العهد الجديد باللغة العربية والذي صدر عن جمعية تعزيز المعرفة المسيحية في عام 1726، وكان لديه مكتبة تحوي مخطوطات نادرة وقيمة بالفارسية والتركية وأصول اللغة العربية – والموجودة الآن بمكتبة بودلين بأكسفورد.

(39) George Sale. *The Koran: Preliminary Discourse*. Frederick Warne., 1877., p.79

يقول سايل إنه اطلع على النسخة الإسبانية حين كانت بحوزة العميد الدكتور هولم من هدلي (من أعمال هامبشير)[40]، وأنها انتقلت منه إلى توماس مونكهاوس أحد أعضاء الكلية الملكية في أوكسفورد[41]، وأن مونكهاوس ترجمها إلى الإنكليزية وأعطى الترجمة مع الأصل في العام 1784 إلى الدكتور (المحترم) جوزيف هوايت. بعد ذلك أورد هوايت في محاضراته أمام طلابه في أوكسفورد (المعروفة بمحاضرات بامبتون)[42] ترجمات لمقاطع وشذرات من هذا الإنجيل خصوصًا تلك المتعلقة بصلب يهوذا الإسخريوطي محل المسيح. وكانت إشارة هوايت بعد سايل إلى هذه النسخة الإسبانية آخر العهد بها حيث كان الاعتقاد أنها فقدت إلى الأبد، إلى أن شاع في العام 1976 (ثم تأكّد) خبر وجودها في مكتبة فيشر بجامعة سيدني بأستراليا من ضمن مقتنيات مكتبة السير تشارلز نيكولسون (رئيسها الأول)[43] الذي كتب بخط يده على هذه النسخة الإسبانية أنه «نقلها عن مخطوطة كانت بحوزة (المحترم) السيد إدموند كالامي الذي اشتراها عند وفاة السيد جورج سايل، ثم إنها وصلت إليه عند وفاة السيد جون نيكولز عام 1745»[44].

4- عودة إلى المخطوط الإيطالي

قبل اكتشاف هذه النسخة الإسبانية كانت أوروبا منشغلة بالحديث عن النسخة الإيطالية التي ذكرها أولًا جون طولاند. والحال أن طولاند تحدث عن النسخة الإيطالية التي صارت اليوم مشهورة منذ اكتشفت

(40) Dr Holme rector of Hedley in Hampshire

(41) Thomas Monkhouse, a fellow of Queen’s College, Oxford

(42) Reverend Joseph Whitein his Bampton Lectures (Oxford) 1784.

(43) The University of Sydney’s Fisher Library: Charles Nicholson its first Chancellor.

(44) J.E. Fletcher: «The Spanish Gospel of Barnabas», in: *Novum Testamentum*. Brill, Leyden. Vol: 18:4 (1976), p.314-320

في المكتبة النمساوية ضمن مقتنيات مكتبة الأمير يوجين دوق سافوا الخاصة، وهي مخطوطة تحمل الرقم codex 2662. ولم يكن العالم ليسمع عنها مجددًا منذ طولاند وسايل وريلاند ودو لامونوا (ولا عن إنجيل برنابا) لولا قيام لونسدايل ولورا راغ[45] بترجمتها إلى الإنكليزية (1907). وقد وصلت نسخة من هذه الترجمة الإنكليزية إلى يد السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار في القاهرة الذي اتفق مع صديقه الدكتور خليل سعادة على ترجمتها إلى العربية وهذا ما كان. إذن لولا الزوجين راغ لما عرف المسلمون هذا الإنجيل. والغريب أن ترجمة راغ التي اعتمدها خليل سعادة صارت هي الوحيدة المستخدمة ولم يقم المسلمون بأي جهد لدراسة المخطوطات الأصلية الإيطالية منها والإسبانية واكتفوا بإعادة طبع ترجمة راغ- سعادة مع مقدمة رشيد رضا لها ولو أن البعض حاول التلاعب وادعاء الترجمة الخاصة أو الشخصية أو الجديدة.

والزوجان لونسدايل ولورا راغ هما مثال واضح على جيل من العلماء الإنكليز والغربيين المحققين الموثقين المستقيمين. فالمحترم لونسدايل (متخصص في دراسة دانتي) رجل دين أنغليكاني تنقل في مناصب كنسية كثيرة جعلته يجول معظم بلدان أوروبا حتى وفاته عام 1945. وقد لازمته زوجته الوفية لورا في كل مهماته وكانت خير عون ورفيق. وإضافة إلى الترجمة فإن ملاحظات وتعليقات الزوجين راغ ما تزال إلى اليوم هي الأساس الذي بنيت وتبنى عليه كل المحاجات

(45) لونسدايل راغ (1866-1945) كاهن أنغليكاني وكاتب درس في مدارس وجامعات دينية ولاهوتية إنكليزية وسيم كاهنًا في عام 1889 ثم تنقل في وظائف كنسية عدة في إنكلترا من 1889 حتى 1903. بعدها انتقل إلى بولونيا والبندقية وبورديغيرا وكان وروما ثم جبل طارق حتى وفاته. زوجته لورا ماريا روبرتس (1865-1962) كانت مساعدة أساسية له في كل أعماله.

المسيحية حول الإنجيل. فقد أفتى الزوجان راغ منذ البداية بأن الإنجيل تزوير فاضح يعود إلى أواخر القرن الخامس عشر، واستعانا بخبراء في الورق والحبر وفي الخطوط ليتوصلا إلى استنتاج بأن الورق إيطالي والخط خليط توسكاني بندقي. وقد أكد راغ أن النسخ حصل في حوالى العام 1575 وأنه من المحتمل أن يكون الناسخ هو الراهب مارينو، وأن «الناسخ له إلمام عجيب بالتوراة اللاتينية يقرب من إلمام دانتي، وأنه نظير دانتي متضلع على نحو خاص من الكتاب المقدس، وهو صنع رجل معرفته للأسفار المسيحية تفوق كثيرًا اطلاعه على الكتب الدينية الإسلامية. فيرجح إذن أنه مرتد عن المسيحية». وأوحى راغ بأن الناسخ اطلع على كتابات دانتي عن الجنة والنار ونقل عنه ذلك. ولم ينتبه راغ إلى أن العكس قد يكون هو ما حصل أي أن يكون دانتي هو الذي نقل وصفه للجنة والنار عن إنجيل برنابا هذا.

وكان لونسدايل راغ قد نشر في عام 1908 مقالة حول إنجيل برنابا تحدث فيها عن الصلة بين الإنجيل وكتابات دانتي ألليغري في وصفه للجنة والنار[46]. اعتبر راغ أن الإنجيل هو إسلامي بالتأكيد يشرح حياة المسيح من وجهة نظر المسلمين ويزعم أن صاحبه هو «القديس» برنابا الذي يظهر فيه واحدًا من التلاميذ الاثني عشر مستبعدًا توما، وأن برنابا كتبه بطلب وإلحاح من معلمه لدحض أباطيل بولس وغيره. هذه الأضاليل تلخص بثلاث مسائل: 1- عقيدة أن عيسى هو ابن الله. 2- رفض الختان. 3- السماح بأكل الذبائح النجسة المحرمة. وبحسب برنابا فإن الأولى من هذه الأضاليل هي الأسوأ وبالتالي يجهد الإنجيل وعلى لسان عيسى نفسه في دحض ألوهيته مرارًا وتكرارًا وحتى في نفي كونه المسيح المنتظر جاعلًا من محمد هو المسيح المنتظر. وبحسب

(46) Lonsdale Ragg: Dante and the «Gospel of Barnabas»; *The Modern Language Review*, Vol. 3, No. 2 (Jan.,1908), pp. 157-165

راغ فإن ثلثي إنجيل برنابا نجده في الأناجيل القانونية الأربعة المعروفة، والثلث الباقي يأخذ شكل خطاب على لسان عيسى له طابع شرقي واضح وبذوره نجدها في القرآن أو في التراث اليهودي. وحول هذا القسم من الإنجيل ركز راغ دراسته ليظهر اهتمام دانتي بهذا القسم من الإنجيل.

بحسب راغ فإن الكلمات المختصرة الجدية الجلال التي يتحدث فيها برنابا عن مصير الخطأة في يوم الحساب يعضدها وصف دقيق لعذابات جهنم التي يعبر عنها الإنجيل بعبارات قريبة الشبه إلى حد مذهل في جحيم دانتي Inferno وفي مطهره Purgatorio. وبحسب راغ أيضًا فإن المواضيع التي كانت مفضلة عند محمد كانت يوم الحساب الأخير وعذابات النار في جهنم من جهة، ولذائذ الجنة ونعيمها من جهة أخرى. وقد وجد راغ أن إنجيل برنابا يسهب في وصف هذه الأمور ما بين نعيم الجنة وجحيم النار. وبحسب راغ أيضًا فإن برنابا يصف النعيم بشكل مفصل على قدر وصفه للجحيم خصوصًا وصف الجنات الأرضية والسماوية، وأن وصف الجنة لا يشبه كثيرًا وصف دانتي للجنة الأرضية والسماوية ولكنه يعطي القارئ نظرة شاملة عن رحلة في ثنايا الفلك حيث يجد نفسه (ربما من غير قصد أو وعي) في نهاية رحلته أقرب إلى تصور دانتي للسماوات العشر منه إلى التراث التقليدي للعرب واليهود عن السماوات والجنات.

وبرغم تأكيد راغ ومن جاء بعده على كون الإنجيل تزوير وتلفيق من صنع مرتد عن المسيحية، إلا أنه لم يغفل إمكانية أن يكون له أصل في كتاب أو إنجيل غنوصي قديم يعود إلى القرن الثالث[47].

(47) وهو ما تبنته مؤخرًا الكنائس العربية والغربية وما ورد نصًا في معجم الإيمان المسيحي الصادر بمباركة كنيسة اللاتين واليسوعيين والكاثوليك ومجلس كنائس الشرق الأوسط، عن دار المشرق الكاثوليكية في بيروت 1994.

المهم أن مقدمة الإنجيل التي تروي قصته والمكتوبة على لسان الراهب مارينو موجودة في المخطوط الإسباني وغير موجودة في المخطوط الإيطالي الذي يحتوي على صفحات فارغة في بدايته متروكة للمقدمة وعددها 38 صفحة.

إلا أن الأبحاث الحديثة[48] دلت على أصول قديمة لبعض أجزاء الكتاب. فيرى البعض في الكتاب بعض بقايا تراث يهودي-مسيحي كان منتشرًا في سوريا وفلسطين وهو المعروف بنحلة أو شيعة الكليمنتيين الكذبة في بدايات تاريخ المسيحية Pseudo Clemntines. وهذا الأمر يزيد من قيمة الكتاب وأهميته إذ يكشف عن وجود معتقدات مسيحية قديمة حول عيسى تطابق المعتقد الإسلامي (في أنه نبي وأنه لم يصلب وإنما شبه لهم).

5- الإنجيل الصحيح ليسوع المسمى المسيح

النبي الجديد الذي أرسله الله للعالم، بحسب وصف برناباس تلميذه

من مقدمة ترجمة خليل سعادة لإنجيل برنابا

التالي هو ملخص مقدمة أول ترجمة عربية للكتاب. ترجمها الدكتور خليل سعادة بتاريخ 15 مارس 1908. ونشرها السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار في 21 صفر 1326.

أورد الدكتور خليل سعادة في مقدمة الترجمة بحثًا علميًا حول حقيقة هذا الكتاب تتلخص فيما يلي:

---

(48) أهمها باعتقادي هو العمل المقارن بين نسخ الإنجيل الذي قام به الباحث لويجي سيريللو

Luigi Cirillo et Michel Frémaux*: Evangile* de Barnabé: *Recherches sur la composition et l'origine*. Préface Henri Corbin. Paris 1977

أ- لغة الكتاب الأصلية

النسخة الوحيدة المعروفة في العالم الذي نقل عنها هذا الإنجيل هي نسخة إيطالية في مكتبة بلاط فينا (ص ج سطر 8).

ب- غلاف الكتاب

غلاف الكتاب من الجلد الضارب إلى الصفرة النحاسية ويحيط بها على الحواف الأربعة خطان مُذَهَّبان، وفي مركز الجلد نقش بارز من التذهيب تحيط به حافة مزدوج من نقوش ذهبية متباينة الأشكال يسميها الغربيون الطراز العربي، ويستدلون على ذلك أنه طراز شرقي. خصوصًا وأن هناك صك في البندقية لمعاهدة بين الدولة العلية والبندقية. ويرجع عهدها إلى القرن السادس عشر موجودًا بالقسطنطينية مجلد بجلدة تضارع ذات الجلدة الخاصة بهذا الإنجيل (ص ج سطر 14-23).

ت- قصة اكتشاف نسخة أخرى أسبانية

في أوائل القرن الثامن عشر وجدت نسخة أخرى أسبانية، قام المستشرق سايل بالتعليق عليها. وترجمها الدكتور منكهوس في أكسفورد إلى اللغة الإنكليزية. وواضح من تعليق سايل أن هذه النسخة مترجمة عن النسخة الإيطالية بقلم رجل مسلم يسمى مصطفي العرندي الذي كان راهب اسمه «فرامرينو» ويروى في المقدمة قصة اكتشافه للنسخة الإيطالية التي نقل عنها. بأنه عثر على كتابات للقديس إيرينايوس يندد برسائل «الرسول» ويستند إلى كتاب اسمه إنجيل برنابا. مع العلم بأنه بدراسة كل ما كتبه «القديس» إيرينايوس في كتابته لم يذكر أي إشارة بالمرة لإنجيل اسمه برنابا. وأن «القديس» إيرينايوس لم يندد برسائل بولس الرسول، بل كتب عنها الكثير. وفي أحد الأيام كان في مكتبة البابا اسكتس الخامس. كان هذا الراهب في المكتبة ووقع نوم على البابا

ودخل الراهب إلى المكتبة، وكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو هذا الإنجيل، فكاد يطير من الفرح، وخبأه في ردائه ولبث إلى أن أفاق البابا واستأذنه بالانصراف. ثم طالعه بشوق عظيم فاعتنق على هذا الدين الإسلامي (ص 5).

ويبدو أن هذا الراهب فرامرينو كان يهوديًا لأن له إيمان يفوق الوصف بالتوراة. وهو عينه الذي كتب النسخة الإيطالية وهو الذي ترجمها إلى اللغة الأسبانية.

ث- وجود ألفاظ وجمل عربية على النسخة الإيطالية

إن من يطالع هذا الكتاب ص (و) يجد صورة للغلاف مكتوب عليها ألفاظ عربية على هوامش النسخة مثل «اللّه عظيم». فكيف يمكن أن يكون الإنجيل مكتوب في القرون الأولى وهو مكتوب على حروفه ألفاظ عربية؟!

ج- التشابه بين الكتاب وشعر دانتي

دانتي Dante هو أول من ذكر وصف الجحيم والسموات بصورة مختلفة تمامًا عما جاء في الإنجيل والتوراة، وأيضًا القرآن. لم يكتب أحد في التاريخ هذا الوصف قبل دانتي. وهذا يؤكد تمامًا أن كاتب إنجيل برنابا أخذ وصف الجحيم والسموات من كتابات دانتي أي بعد القرن 14. يضيف خليل سعادة «وقد يبعث على المقارنة بين كاتب هذا الإنجيل والشاعر دانتي ما في كليهما من ملابسات وتعابير لمؤلفات دانتي الشعرية التي يصف فيها الجحيم والجنة. إذ جاء في هذا الإنجيل أن هناك سبع درجات للجحيم في مراتبها باختلاف الخطايا الكبيرة السبع. وأن هناك 9 سموات تأتي في قمتها الجنة فتكون العاشرة، ويُستنتَج من ذلك أن كاتب ذلك الإنجيل جاء بعد دانتي أو معاصر له فيكون برنابا هذا ظهر في القرن الرابع عشر. (صفحة ح.)

ح- الكاتب الأصلي يهودي أندلسي اعتنق الإسلام

لا يجوز اتخاذ عدم العثور على الأصل العربي لهذا الإنجيل حجة على عدم وجوده. لأن المطالع الشرقي يرى لأول وهلة أن الكاتب له إيمان بالقرآن حتى أن كثيرًا من فقراته تكاد تكون ترجمات حرفية أو معنوية لآيات قرآنية!

وكثير من الأقوال التي تنطبق على الأحاديث النبوية والأساطير العلمية التي لم يكن يعرفها حينئذ غير العرب، حتى أنك تجد في هذه الأيام على كثرة المستشرقين والمشتغلين باللغة العربية وتاريخ الإسلام من الغربيين من يعد عالمًا بالحديث. (صفحة ط)

غير أن القول أن هذا الإنجيل عربي الأصل، لا يترتب عليه أن يكون كاتبه عربي الأصل، بل أن الكاتب يهودي أندلسي اعتنق الإسلام بعد تنصره وإطلاعه على أناجيل النصارى. لأنك إذا أمعنت النظر في ذلك الكتاب وجدت لكاتبه إلمامًا عجيبًا بأسفار العهد القديم لا مثيل له بين طوائف النصارى.

والمعروف أن كثيرًا من يهود الأندلس كانوا يتضلعون باللغة العربية والاطلاع على القرآن والأحاديث النبوية مثل العرب. صفحة (ي)

ومن أكبر الأدلة على ذلك اهتمام الكاتب بالختان حتى أنه يقول: بأن الكلاب أفضل من الغلف أي غير المختونين! وهذا فكر يهودي محض. صفحة (ي).

بل إن هذا الإنجيل يتضمن كثيرًا من التقاليد التلمودية التي يتعذر على غير اليهودي معرفتها. وفيه أيضًا شيء من معاني الأحاديث والأقاصيص الإسلامية الشائعة على ألسنة العامة، ولا سند لها في كثير من الكتب، ولا يتأتى لأحد الإطلاع عليها إلا إذا كان في بيئة عربية. مما

يؤكد أن الكاتب الأصلي هو يهودي أندلسي اعتنق الإسلام بعد تنصره. (صفحة ي سطر 24).

خ- عدم ذِكْر الكتاب في أي من كتب العرب أو في القرآن

والذي يؤيد هذا الرأي أنه لم يرد ذكر لهذا الإنجيل في كتابات مشاهير المسلمين سواء في العصور القديمة أو الحديثة حتى ولا في مؤلفات مَنْ انقطع منهم إلى الأبحاث والمجادلات الدينية. مع أن إنجيل برنابا هذا أمضى سلاح لهم في مثل تلك المناقشات وليس ذلك فقط. بل لم يرد ذكر هذا الإنجيل في فهارس الكتب العربية القديمة عند العرب أو العجم المستشرقين الذين وضعوا فهارس لأندر الكتب العربية من قديمة وحديثة. (صفحة (ط) سطر 11).

د- هذا الكتاب كُتب في القرن الرابع عشر

وهناك دليل يمكن معه الجزم بشأن الزمن الذي كتب فيه. وهو النص الوارد في ص 123، ص 125 أي سنة اليوبيل التي تجئ الآن مرة كل مئة سنة. والمعروف أن اليوبيل اليهودي لا يجئ إلا مرة كل خمسين سنة. وأن أول مَنْ حدَّد اليوبيل بمئة سنة في التاريخ كان البابا ديوناسيوس سنة 1300 م. لكن الباباوات اللاحقين أرجعوه إلى خمسين سنة، ثم إلى 33 سنة. من هذا يتضح أن الزمن الوحيد الذي يمكن فيه لكاتب أن يتكلم عن يوبيل يقع كل مئة سنة هو هذا الوقت الذي كان معاصرًا للشاعر دانتي في القرن 14. (صفحة ي).

أما القول الذي يشيعه البعض بأن التاريخ يذكر أن البابا جلاسيوس الأول لسنة 492 م حرّم قراءة بعض الكتب ومن بينها إنجيل برنابا. فهذا لم يحدث. وإلا لذاع الخبر ولو سماعًا عن نبي المسلمين. لأن هذا الكتاب فيه من العبارات الصريحة المتكررة. بل والفصول الصافية التي

تذكر اسمه في عرضها ذِكرًا صريحًا لا يقبل شكًا أو تأويلًا. وليس ذلك فقط بل لم يتصل بخلفائه الذين أتوا من بعده ولا بالعرب الذين دخلوا الأندلس.

أخيرًا قد سجلت موسوعة العلوم البريطانية تزوير أمر قصة البابا جلاسيوس هذا. (صفحة ل، وصفحة م).

المترجم خليل سعادة القاهرة في 13 مارس 1908.

6- أطروحة التزوير المتعمد

نقطة الفصل التي دارت وتدور عليها جل الكتابات المسيحية التي رأت في الإنجيل «تزويرًا فاضحًا» منقولة ومكررة عما أورده الزوجان راغ عن «غلطة» ارتكبها كاتب الإنجيل «حين ذكر (في الفصول 82 و83) أن «الاحتفال بسنة اليوبيل اليهودية يتم كل مئة سنة»، في حين أن العهد القديم يجعلها كل خمسين سنة. وبحسب راغ ومن جاء بعده فإن البابا بونيفاسيوس الثامن هو الذي جعل اليوبيل كل مئة سنة (عام 1300) ثم أعاده البابا إكليمنضس) كليمنت) السادس إلى خمسين سنة (عام 1349)[49]. وقد بنى راغ على هذه «الغلطة» المزعومة للاستنتاج بأن كاتب الإنجيل لابد أنه عاش ما بين عامي 1300 و1349 أي أنه كان معاصرًا لدانتي أليغييري Dante Alighieri[50]. لكن الغريب أن راغ وكل من كتب بعده من علماء الغرب والمسيحية لم يدر ببالهم أن «كاتب إنجيل برنابا» الذي وصفوه بأنه متضلع في العهد القديم من الكتاب المقدس

(49) فقرة اليوبيل وردت في الفصل 82 من إنجيل برنابا حيث يرد على لسان عيسى أن سنة اليوبيل التي تجيء كل مئة سنة سيجعلها المسيح القادم تتكرر في كل سنة وفي كل مكان.

(50) شاعر وكاتب سياسي وفيلسوف ولاهوتي طلياني عاش بين 1265 و1321 واشتهر بعمله الأهم والأكبر «الكوميديا الإلهية» الذي جعل منه «أبو اللغة الايطالية الحديثة». اشتهر لونسدايل راغ باشتغاله على دانتي بحيث صار مرجعًا فيه.

لا يمكن أن يقع في هكذا غلطة سخيفة لا تخفى على البسطاء فكيف بالعلماء. ولعل الصواب أن ثمة خطأ وقع في النسخ جعل الخمسين الإيطالية تُقرأ مئة (بحسب استنتاج خليل سعادة الموفق جدًا)... أو ربما يكون الكلام رمزيًا يمعنى دخول العالم مرحلة فرح وحبور وابتهاج بمجيء المسيح بحيث إن عيد اليوبيل يصير كل عام لا كل خمسين أو مئة عام.

ومن المفارقات الغريبة الأخرى تسمية إنجيل برنابا للنبي محمد بالمسيح، وهذا مخالف لعقيدة المسلمين ولا يوجد في أي تراث إسلامي معروف، خصوصًا وأن القرآن والتفاسير سمت عيسى وحده بالمسيح. كما أن هذا الإنجيل يتجاهل تمامًا يوحنا المعمدان ووالده[51]، ويورد مقاطع على لسان عيسى نراها نفسها في الأناجيل الرسمية منسوبة إلى يوحنا؛ ومنها قوله بالخصوص إنه ليس المسيح إنما هو ممهد له وإنه لا يستحق حتى أن يربط له حذاءه. ويبدو وكأن عيسى هو (يوحنا) الممهِّد للمسيح القادم الذي اسمه محمد[52]. وقد اشتغل مسلمون كثر على تفسير كلمة أحمد القرآنية بأنها هي الفارقليط[53] الواردة في إنجيل يوحنا (وهو غير يوحنا المعمدان أو يحيى). فالفارقليط بحسب المسلمين

(51) يحيى وزكريا وهما من الشخصيات القرآنية.

(52) في القرآن فإن الذي بشّر به عيسى هو أحمد وليس محمد –سورة الصف الآية 6– وهو رسول وليس المسيح– برغم محاولة المفسِّرين تبرير ذلك بالقول إن أحمد ومحمد هما اسم واحد.

(53) فارقليط (باليونانية παράκλητος وباللاتينية paracletus) مصطلح يوناني يعني المعين، أي الذي نستدعيه للعون، استخدم في العهد الجديد للإشارة إلى الروح القدس في المسيحية. استعمل المصطلح في اليونانية القديمة كما في إحدى خطب ديموستينوس في إشارة إلى محام أو من يستعان به في سياق قضائي. وتطور المصطلح بعد أن استعير في الترجمة السبعينية للتناخ (الكتاب المقدس العهد القديم) ومن ثم في إنجيل يوحنا ليعني المدافع كمضاد للمُتهم (الشيطان).

تعني محمد بالنظر إلى أن الكلمة هي بالسريانية «المنحمنا»[54]. في حين يرى المسيحيون أنها تعني الروح القدس. هذا ناهيك عن أن الترجمة اللاتينية للفارقليط اليونانية الواردة في إنجيل يوحنا[55] تعني المحامي

(54) جاء في السيرة النبوية لأبن هشام ما يلي: «قال ابن إسحاق: وقد كان، فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الإنجيل لأهل الإنجيل من صفة رسول الله صلعم، مما أثبت يحنس (أي يوحنا التلميذ في إنجيله) الحواري لهم، حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى بن مريم عليه السلام في رسول الله صلعم إليهم أنه قال: من أبغضني فقد أبغض الرب، ولولا أني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي، ما كانت لهم خطيئة، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزونني، وأيضًا للرب، ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التي في الناموس: أنهم أبغضوني مجانًا، أي باطلًا. فلو قد جاء المنحمنا هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب، (و) روح القدس، هذا الذي من عند الرب خرج، فهو شهيد علي وأنتم أيضًا، لأنكم قديمًا كنتم معي في هذا قلت لكم: لكيما لا تشكوا». والمنحمنا (بالسريانية): محمد: وهو بالرومية: البرقليطس، صلى الله عليه وآله وسلم (السيرة النبوية).

(55) وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. (يوحنا 14: 16–17)

وَأَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ. (يوحنا 14: 26)

وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. (يوحنا 15: 26)

لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ: أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي. وَأَمَّا عَلَى بِرّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضًا. وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ. (يوحنا 16: 7– 11)

وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. (يوحنا 16: 13–14)

في القرن الخامس أدخلت ترجمة جيروم اللاتينية مصطلح الفارقليط بمعنى المعزي وهو معنى موجود في التراث اليهودي حيث يقصد به المسيح. (التلمود البابلي، سنهدرين 98 ب). Talmud de Babylone, Sanhédrin 98b

والمصطلح موجود أيضًا عند الغنوصيين فهو اسم واحد من أيونات فالنتين. (ترتليان: ضد فالنتيانوس: 8) Tertulien, Adversus Valentinianos, =

المدافع والداعية advocate. وباعتقادي أن بعض المسلمين أساءوا إلى تاريخية وخطورة إنجيل برنابا بمحاولتهم تبرير أمور لا يعقل تبريرها من مثل التبشير بمحمد أو كون «الرسول» العربي هو المسيح. ولعل نقطة ضعف الإنجيل هي ذكره «الرسول» محمد بالاسم... وبرأيي أن الاسم وكل ما يتعلق بـ«الرسول» أضيف لاحقًا على إنجيل أبوكريفي لبرنابا هذا... ولعله اعتمد على الروايات الإسلامية حول معنى نبوءات العهد القديم (التوراة) عن قدوم الفارقليط وتفسير اسمه بأنه أحمد... إلخ. ولعل الراهب مارينو اشتغل على نسخة حقيقية لإنجيل أبوكريفي حقيقي وأنه أضاف (هو أو غيره) بعد إسلامه اسم «الرسول» في محل الفارقليط. أما القول بتشابه دعوة عيسى ودعوة محمد من حيث دور الملاك جبرائيل ونزول كتاب في صدر عيسى (الفصل العاشر من إنجيل

= والفارقليط هو الاسم الذي يعطيه المسلمون للرسول محمد مشيرين إلى نص إنجيل يوحنا وإلى أن الإنجيل كما التوراة قد تنبآ بمجيء محمد كما تعبر عن ذلك الآية 157 من سورة الأعراف: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ «الرسول» النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ». وفي القرآن أيضًا في سورة الصف (الآية 5): «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ». وهذا الربط بين اسم أحمد والفارقليط ظهر قبل منتصف القرن الثاني للهجرة. انظر: Schacht, J., «Aḥmad», in: Encyclopédie de l'Islam.

وقد انتشرت ورفضت مسيحيًا من خلال الحوار المزعوم الذي جرى بين البطريرك ثيموثاوس المشرقي (ثيموثاوس الكبير) والخليفة المهديّ.

الأب سمير خليل اليسوعي: خصائص التراث العربي المسيحي. الجزء الخامس. http://coptcatholic.net /%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AB-%D9%81%D9%8A-%D8%AD%D9%88%D8%A7%D8%B1%D9%8D-%D9%85%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85/

M.T. Urvoy. *Dictionnaire du Coran*, article «annonce de Mahomet», p. 55-56.

Marie-Thérèse Urvoy. *Abécédaire du christianisme et de l'islam,* éditions de Paris, 2008, p. 69.

برنابا) فهو لا يؤكد إسلامية المصدر خصوصًا وأن العصر الوسيط الأوروبي شهد ظهور العديد من الرسائل التي اشتهرت باسم «رسائل الجنة» مما يدل على رسوخ المعنى نفسه في المعتقد الشعبي المسيحي. ولا ننس أن دانتي صور محمد في كل كتابه عن الجحيم وصدره مفتوح تخرج منه الأحشاء ليقول إن لا شيء ألقاه جبرائيل في صدره على العكس من حالة عيسى.

وفي إنجيل برنابا تشديد على رفض عيسى لدعوى ألوهيته... وهو ما اعتبره الباحثون الغربيون غير معقول على الرغم من أنه المعقول عينه طالما أن كنيسة القدس الأولى وإنجيل برنابا وعشرات الأناجيل والأسفار الأبوكريفية كتبت في الأصل لمعارضة هذه الدعوى. كما استغرب الباحثون الغربيون هجمات عيسى على الفريسيين (في إنجيل برنابا) وصبه اللعنات عليهم، وهو أمر غير مستغرب طالما أن المعروف أن بولس كان فريسيًا وأن محور الإنجيل رد دعاوى بولس كلها. ولعل صراعًا نشب بين اليهود المسيحيين أو مسيحيي ذلك الزمن (خصوصًا في كنيسة القدس) حول الفريسية علمًا أنه لم يكن ممكنًا أن تكون المسيحية صدوقية لعدم إيمان الصدوقيين بيوم الحساب والجنة والنار. ولعل المقاطع المستغربة مسيحيًا عند برنابا هي تلك التي تطابق الفهم الإسلامي حرفيًا في أمور هي أصلًا غير موجودة في القرآن والسنة بل هي من القصص والمرويات الشعبية مثل رؤية عيسى وقبله آدم في الجنة لكتابة في السماء «لا إله إلا الله محمد رسول الله» (الفصل 39 من إنجيل برنابا)، وقول عيسى ليعقوب إن المسيح المنتظر ليس من نسل اسحق بل من إسماعيل وإن الذبيح كان إسماعيل وليس إسحق (الفصل 43)، وقول المسيح إنه رأى محمدًا فيما يشبه المنام وإنه صرخ باسمه طالبًا من الله أن يجعله مستحقًا لربط حذائه (الفصل 44)... في حين أن ما يرد في الفصل 215 ليس مستغربًا لجهة التصريح بعدم صلب

المسيح بل رفعه إلى السماء فذلك كان أيضًا من المعتقدات الشعبية لفرق مسيحية غنوصية كثيرة... وكذلك الأمر بالنسبة إلى اعتقاد الجنود أن يهوذا هو عيسى (شبه لهم) (الفصول 216-217) فذلك أيضًا كان من معتقدات فرق مسيحية كثيرة.

7- حول الأصول المحتملة لإنجيل برنابا

في العام 478 م وخلال حكم الإمبراطور زينون[56]، أعلن المطران أنثيموس القبرصي[57] أنه أوحي إليه في المنام بالمكان المخفي لقبر برنابا. وقد ساد الزعم لاحقًا بأن جسد برنابا وجد مدفونًا في كهف يحمل على صدره الإنجيل القانوني لمتى. وبحسب شهادة ثيودوروس لكتور Theodorus Lector فإن المطران أنثيموس عرض بقايا عظام برنابا والإنجيل على الإمبراطور[58]. ولكن عددًا من كبار علماء الكتاب المقدس الذين يؤكدون على قدم إنجيل برنابا قالوا إن الإنجيل المكتشف في قبره عام 478 هو بالضبط إنجيل برنابا القديم. وبالتالي فقد شاع بعد ذلك أن إنجيل برنابا هو في الأصل إنجيل أبوكريفي ضاع مع الزمن.

---

(56) الإمبراطور القيصر فلافيوس زينون أغسطس Flavius Zeno، اسمه الأصلي تاراسيكوديسّا Tarasicodissa أو تراسكاليسايوس (425-491) كان إمبراطورًا رومانيًا شرقيًا من 9 فبراير 474 حتى 9 أبريل 491، ويعد من أبرز الأباطرة البيزنطيين الأوائل. أصابت الثورات المحلية والخلاف الديني عهده الذي نجح على الرغم من ذلك إلى الحد من الفوضى ترأس النهاية الرسمية للإمبراطورية الرومانية في الغرب بينما في نفس الوقت ساهم في استقرار الإمبراطورية في الشرق. كان في شبابه مقاتلًا إساوريًا، من المنطقة المسماة الآن أرمينيا. والإساوريون هم أجداد الأكراد الحاليين، وكان الرومان ينظرون إليهم على أنهم برابرة على الرغم من كونهم مواطنين رومان لأكثر من قرنين.

(57) أسقف سلامينا القبرصية خلال عهد زينون وقد شيَّد الإمبراطور زينون على قبر برنابا كنيسة كبيرة واعتبر كرسي سلامينا من ذلك الحين مستقلًا عن إنطاكية إكرامًا لذكري «القديس» برنابا ومطرانها بطريركًا كامل الصلاحيات والامتيازات.

(58) Luigi Cirillo et Michel Frémaux. Évangile de Barnabé. Op.cit., pp. 244.

المخطوط الإيطالي، ومن خلال كتاب جون طولاند نظارينوس (الناظوريين) وقوله إن إنجيل برنابا ينحو إلى تصوير عيسى مجرد إنسان، وذلك تبعًا لمعتقد الإبيونيين والناظوريين القديم، واهتمامه من ثم بإلقاء الضوء على فرقة الإبيونيين وفرقة الناظوريين، أثر بقوة على العقول الكبرى من ناقدي الكتاب المقدس أمثال ريماروس[59] Hermann Samuel Reimarus وليسنغ Gotthold Ephraim Lessing[60] وإيكهورن Johann Gottfried Eichhorn، الذين اشتهروا بقولهم بنظرية وجود إنجيل تمهيدي سابق على الأناجيل الإزائية proto-gospel-theory وذلك تقليدًا لطولاند الذي اعتبر إنجيل برنابا نسخة مكررة من إنجيل العبرانيين الذي كان

(59) هرمان صموئيل ريماروس (1694–1768) فيلسوف ألماني وكاتب من زمن التنوير عرف بتبنيه مذهب الربوبية القائل بقدرة العقل البشري على الوصول إلى معرفة الله والأخلاق والقيم العليا من خلال دراسة الطبية أو حقيقتنا الداخلية الخاصة وبالتالي فلا حاجة للأديان القائمة على الوحي. ونفى كذلك الأصل الخارق المافوق طبيعي للمسيحية وكان أول ناقد جدي ومؤثر في التحقيق عن يسوع التاريخي. وقد أعلن أن يسوع هو كائن بشري فان ونبي يهودي وأن تلامذته «الرسل» أسسوا المسيحية المعروفة اليوم بالابتعاد عن تبشير عيسى الحقيقي.

D. C. Peck, H. T. Colby, F. M., eds. «Reimarus, Hermann Samuel». *New International Encyclopedia* (1st ed.). New York: Dodd, Mead. 1905

Theissen, Gerd and Annette Merz. *The historical Jesus: a comprehensive guide*. Fortress Press. 1998. translated from German (1996 edition). Chapter 1. The quest of the historical Jesus. p. 1–15.

(60) يوهان غوتفرايد إيكهورن (1752–1827) لاهوتي بروتستانتي ألماني من زمن التنوير ومستشرق مبكر. سمي «مؤسس النقد الكتابي الحديث» فهو أول من عرّف مدى هذا الموضوع وعمقه وقضاياه وأطلق أهم محاوراته الأولى. وأوصلته تحقيقاته إلى القول بأن معظم ما نعرف عن العهد القديم وصلنا عبر أيدي كثيرة كانت تتداوله. واعتبر أن كل الخوارق الموجودة في العهدين القديم والجديد يمكن تفسيرها تفسيرًا علميًا طبيعيًا. اعتبر أيضًا أن الأناجيل القانونية تستند على ترجمات مختلفة متعددة وتحريرات عن نص أولي بدئي آرامي المصدر مفقود (1804).

Udo Schnelle: *The history and theology of the New Testament writings*. Fortress Press 1998., p. 163

يستخدمه الإبيونيين والناظوريين[61]. وقد اعتبر طولاند أن المخطوط الإيطالي من برنابا استمر وعاش وتناقله المسلمون. وأطروحة طولاند هذه تبناها في القرن العشرين كل من شلومو باينس Shlomo Pines ومارك فيلونيكو Marc Philonenko ولويجي سيريللو Luigi Cirillo

ترتبط بهذه النظريات نظرية الأصل الآرامي لكتاب متى، وصاحبها ثيودور زان Theodor Zahn[62] الذي اعتقد بوجود أصل آرامي قديم ولكنه نسبه إلى متى «الرسول» ولم يربطه بالإنجيل الأبوكريفي المسمى إنجيل العبرانيين الوارد ذكره في كتابات جيروم. ويرى زان بناء على قراءات أجراها لكتابات إيريناوس وإكليمنضس الإسكندراني أن الإنجيل الأول هو متى العبراني المكتوب بالأرامية ثم يليه بالتسلسل: متى، مرقس، لوقا ويوحنا[63].

وكان كرايمر ألمح إلى وجود أصل عربي للمخطوط الإيطالي الذي كان بين يديه، وذلك في إهدائه إلى الأمير يوجين على صدر النسخة

---

(61) cf. Daniel Alexander Erhorn: Das Barnabasevangelium und die Wiederentdeckung des Judenchristentums: Mit einem Anhang des Nachdrucks von GOTTHOLD EPHRAIM LESSINGS. Neuer Hypothese über die Evangelisten als blos menschliche Geschichtsschreiber betrachtet (Wolfenbüttel 1778). Lympia/Cyprus: Spohr Publishers Ltd. 2018

(62) ثيودور زان أو ثيودور فون زان (18380 1933) لاهوتي بروتستانتي ألماني ودارس متعمق للكتاب المقدس. رشح 3 مرات لجائزة نوبل في الأدب.
Rines, George Edwin, ed. (1920). «Zahn, Theodor». Encyclopedia Americana.
Bandstra, Andrew J. (2007). «Zahn, Theodor». In Donald K. McKim. *Dictionary of Major Biblical Interpreters* (2nd ed.). Downers Grove, Ill.: IVP Academic. pp. 1072–1076

(63) Einleitung in das Neue Testament, Leipzig 1897.
Archibald Thomas Robertson: *Commentary on the Gospel According to Matthew*. The Bible for Home and School. New York: Macmillan. Princeton; Americana. Princeton Theological Seminary Library 1911
Archibald Thomas Robertson: Mark's Gospel and Modern Knowledge. *The Homiletic review*, v.75. 1918.
Previous Title: Homiletic monthly (New York, N.Y. 1881). Published: [New York: Funk & Wagnalls], 1885-1934).

الإيطالية حيث يقول إن هذا «الإنجيل المحمدي مترجم عن العربية». وقال لامونوا لاحقًا «الظاهر أنه منقول إلى الإيطالية من العربية». وكذلك فعل هوايت حين ذكر عام 1784 أن الأصل العربي لا يزال موجودًا في الشرق. ولعل مبعث كلام هوايت هو ما قاله سايل في مقدمة ترجمته للقرآن عن «وجود إنجيل عربي».

وقد تفرد العالم الكتابي الشهير الأسترالي جون باومان[64] بفرضية تقول بأن مصدر هذا الإنجيل لعله الدياطيشارون السرياني، وهو عمل تفسيري لططيانوس السوري (القرن الثاني) ينسق الأناجيل الأربعة القانونية في رواية واحدة. وقد استمرت الكنائس السريانية تعمل بهذا الكشكول حتى القرن الخامس[65].

كتب باومان أن إنجيل برنابا نفسه إن كان كتب بالإيطالية في دمشق فقد يكون انتقل عبر تجار البندقية الذين كانوا يأتون المراكز التجارية

---

(64) John Bowman, «The Debt of Islam to Monophysite Syrian Christianity,» in *Essays in Honor of Griffithes Wheeler Thatcher*, ed. E. C. B. MacLaurin (Sydney: Sydney Univ. Press, 1967).

(65) ططيانوس السوري اتهمته الكنيسة الرسمية بالهرطقة والغنوصية برغم موقعه الرسمي الذي مكنه من فرض الدياطيشارون وجعله إنجيلا رسميًا في الشرق حتى مجيء ربولا أسقف إيديسيا Edessa في القرن الخامس وإبطاله العمل به. وبحسب باومان فإن الدياطيشارون السرياني الوحيد الذي بقي هو ذاك المترجم إلى العربية عن مخطوط يعود إلى القرن التاسع ميلادي. كما أشار باومان إلى أن الفرق الغنوصية جميعها كان عندها إنجيلها الخاص بها وأن الإبيونيين استخدموا إنجيلًا عن متى الرسول، والمرقيين (أتباع مرقيون) استخدموا إنجيلًا عن لوقا... وهكذا... وقد جرى اكتشاف عشرات من هذه الأناجيل منذ قرن وتستمر الاكتشافات إلى يومنا هذا (وقد رأينا أنه جرى مؤخرًا نشر إنجيل غنوصي يحمل اسم يوضاس (أو يهوذا) الإسخريوطي، عن مخطوط قديم جرى اكتشافه في مصر).

عن تاريخ الأبحاث حول الدياطيشارون انظر:

W.L. Petersen, Tatian's Diatesseron: Its Creation, Dissemination, Significance, and History in Scholarship (Supplements to *Vigiliae Christianiae*. Book 25), Leiden 1994.

Ulrich B. Schmid: In Search of Tatian's Diatessaron in the West. *Vigiliae Christianae*. Vol. 57, No. 2 (May 2003), pp. 176-199

المهمة ومن خلالهم انتقل إلى إيطاليا حيث وقع بالطبع في يد محققي محاكم التفتيش[66].

وفي زمن قريب تبنى الباحث البروتستانتي يان جوستن Jan Joosten نظرية صلة إنجيل برنابا بالدياطيشارون[67].

ثم ادعى باومان أن كاتب الإنجيل هو كاهن سامري إسماعيلي (أي عربي من نسل إسماعيل) دمشقي تحول إلى الإسلام في القرن الرابع عشر. وتعليله لسامرية الكاتب وجود انعكاس واضح في مناقشات إنجيل برنابا لكل الآراء التي كانت موضع خلاف وسجالات بين السامريين حول نصوص موسى الأصلية. في حين اعتبر بلاكهرست[68] أن هذا قد يكون ناجمًا عن السجالات الإسلامية المسيحية حول تحريف الأناجيل أو مسألة التحريف على العموم. أما تفسير باومان لورود ذكر دمشق في إنجيل برنابا فإن هذا قد يكون سببه على الأغلب الوجود التاريخي ليسوع ملك دمشق الذي يقول الموريسكي المتحول إلى الإسلام خوان ألونزو[69] أنه صلب محل يسوع الحقيقي. أما لماذا جعل برنابا من محمد المسيح المنتظر فذلك بحسب باومان «لأن مسيحًا إسماعيليًا كان ليبدو أكثر جذبًا للسامريين من مسيح داوودي».

---

(66) J. Bowman, «The Gospel of Barnabas and the Samaritans», *Leiden, Abr-Nahrain*, 30 (1992), pp.20-33,
and J. Bowman, «The Debt of Islam to monophysite Syrian Christianity», in *Nederlands Theologisch Tijdschrift*, (1964-1965), 19, pp.177-201

(67) Jan Joosten: The Gospel of Barnabas and the Diatessaron. *The Harvard Theological Review*. Vol. 95, No. 1 (Jan. 2002), pp. 73-96

(68) R. Blackhirst, «Barnabas and the Gospels: Was There an Early Gospel of Barnabas?». *Journal of Higher Criticism* 7/1 (Spring 2000), 1-22..

(69) Gerard Wiegers, «Muhammad as the Messiah: a comparison of the polemical works of Juan Alonso with the Gospel of Barnabas». *Bibliotheca Orientalis*, Jan 1, 1995

كما دافع رودني بلاكهرست[70] عن الأصل القديم لإنجيل تمهيدي إبيوني يعود إلى جماعة قمران[71] ولكن المعروف اليوم أن جماعة قمران وجدت قبل المسيح عيسى[72].

وفي العام 2001 اعتبر ثيودور بولشيني في مقال مدعم بأدلة ومناقشات، أن كاتب إنجيل برنابا كان راهبًا من الكرمليين في قبرص تحول إلى الإسلام وقال إن هذه الفرضية تتوافق مع تاريخ النص نفسه كما مع تاريخ الرهبنة الكرملية في «الشرق اللاتيني» وهي نظرية تؤسس لمقاربة بحثية جديدة[73].

8- راغ والنسخة الايطالية من إنجيل برنابا

تتألف المخطوطة الإيطالية من 506 صفحات، يغطي إنجيل برنابا منها الصفحات 43 إلى 500، مكتوبة ضمن أطر حمراء على الطراز الإسلامي. أما الصفحات السابقة من 5 إلى 42 فهي أيضًا ضمن أطر حمراء ولكنها فارغة (عدا مقدمة كريمر إلى الأمير يوجين). ويمكن الاستنتاج من ذلك أن نوعًا من التمهيد أو نصًا أوليًا كان هو المقصود، على الرغم من أن المساحة الفارغة هي أكبر بكثير من المطلوب إن قارناه بحجم المقدمة الإسبانية[74].

---

(70) رودني بلاكهرست أستاذ الفلسفة والدراسات الدينية في جامعة تروب Trobe University في بنديغو–أستراليا Bendigo, Australia حيث يعيش. متخصص في التراث اليوناني والأديان التوحيدية.

(71) R. Blackhirst, Sedition in Judaea. The Symbolism of Mizpah in the Gospel of Barnabas, Studies in Western Traditions Occasional Papers. No. 3 School of Arts *La Trobe University, Bendigo, Australia*, 1996, 84 p.

(72) F. Garcia Martinez and Adam van der Woude, De rollen van de Dode Zee, *Kampen, Kok*, 1994, Vol.I, pp.30-31

(73) Theodore Pulcini: In the Shadow of Mount Carmel: the collapse of the `Latin East' and the origins of the Gospel of Barnabas. *Islam and Christian-Muslim Relations*, Vol. 12, No. 2, April 2001

(74) Lonsdale & Laura Ragg. *The Gospel of Barnabas*. Oxford. 1907., p.xlix

ونجد في المخطوطة الإيطالية أن عناوين الفصول والملاحظات المكتوبة على الهوامش هي على غير قواعد اللغة العربية[75] كما أن تجليد المخطوط تركي، ويبدو أنه أصلي[76]. ولكن الورقة تحمل علامة مائية إيطالية[77]، والتي يعتقد أنها تعود إلى الأعوام 1563-1620 [78]. كتبت المخطوطة بكل من النص الإيطالي والملاحظات العربية في الهوامش بطريقة الغربيين أي الكتابة من اليسار إلى اليمين[79]. هناك وصلة، أو واصلة وهي الكلمة المكتوبة في ذيل صفحة الكتاب دلالة على الكلمة الأولى من الصفحة التي تليها، للتمكين من وصل القراءة، وهي ممارسة شائعة في المخطوطات تخدم عند طباعة المخطوطة. ويبدو أن المخطوطة لم تنته، حيث إن المقدمة والفصول المئتين واثنين وعشرين 222 تركت في كل المخطوطة مع مسافات فارغة مؤطرة للعناوين، ولكن فقط 28 فراغًا منها كان مملوءًا. وشكلت هذه المخطوطة الإيطالية الأساس لترجمة لونسدايل ولورا راغ باللغة الإنكليزية وقد عممت وكانت هي الأكثر شيوعًا، ونشرت في عام 1907، ومنها الترجمة التي قام بها خليل سعادة إلى العربية ونشرها محمد رشيد رضا في مصر عام 1908[80].

يقول راغ إنه إستشار خبراء إيطاليين أكدوا له أن نوعية الورق الذي كتب عليه المخطوط إيطالي يعود إلى القرن الخامس عشر. كما أن طبقة الخط تشير إلى كونه خليطًا بين التوسكانية والإيطالية الشمالية.

---

(75) Luigi Cirillo et Michel Frémaux. *Évangile de Barnabé.,* op.cit., p.12

(76) Ragg. The Gospel of Barnabas., op. cit., p. xiii.
Luigi Cirillo et Michel Frémaux. Évangile de Barnabé., op. cit., p.8

(77) Idem

(78) Idem

(79) Ibid p.V

(80) Ibid p. 77

واحتمل راغ أن يكون الكاتب توسكانيًا في الأصل ثم قام شخص من البندقية بنسخ النص، أو أن يكون حصل العكس. أما التعليقات الصغيرة على هوامش وحواشي المتن فهي مكتوبة بالحرف العربي ولكن لغتها ركيكة أو هي أقرب أن تكون إلى الفارسية أو التركية. ويخلو النص من الاستشهادات القرآنية؛ كما يبدو كاتبه ضليعًا بالعهدين القديم والجديد وغير عارف بالدراسات أو المصطلحات الإسلامية... بإستثناء المواعظ المطولة على لسان السيد المسيح التي تبدو بزعم الدارسين المسيحيين إسلامية المصدر. أما عن التدخل الإلهي الذي أحل يوضاس محل عيسى عند المحاكمة والصلب فهو غير وارد بهذا التفصيل في المصادر الإسلامية. فالقرآن يقول «شُبّه لهم» ولا يذكر كيف كان ذلك. أما قصة يوضاس فمن المرويات الشعبية اللاحقة. ولا ننسى أننا نجد لها أصلا في قول العديد من الفرق المسيحية البائدة ومنها الفرقة «الظاهرية» docetism[81] التي أنكرت التجسد الإلهي في المسيح ولم تنسب إليه سوى الظواهر البشرية.

ويزعم خليل سعادة (مترجم إنجيل برنابا) أن هناك أصلا عربيًا للإنجيل وأن كاتبه ملم بالقرآن (على عكس ما رأى الغربيون) حتى «أن كثيرًا من فقراته يكاد يكون ترجمة حرفية أو معنوية لآيات قرآنية. أقول هذا وأنا عالم أن في ذلك مخالفة لجملة كتاب الغرب الذين خاضوا عباب هذا الموضوع». ويورد سعادة بعض الأمثلة التي تدل بزعمه على أن في الإنجيل المذكور الكثير من الفقرات المنقولة عن سور قرآنية أو من الأقوال التي تنطبق عليها الأحاديث النبوية، مذكرًا بأنه لم يكن يوجد في الغرب من يُعد عالمًا بالحديث النبوي لكي يقارن بينه وبين بعض مواعظ الإنجيل» (ا.ه).

(81) الدوستية أو الذين يقولون بأنه شُبه للناس أن المسيح صُلب (ورد التعريف بها فيما سبق).

وبحسب راغ أيضًا يبدو وكأن كاتب الإنجيل «اشتغل على نسخة أصلية ضاعت اليوم». وأشار راغ إلى إحتمال أن يكون الأصل في أحد الأناجيل الغنوصية المخفية، أو المنحولة، المحرّمة والتي ضاعت ثم بدأنا نستعيد بعضها منذ الإكتشافات المصرية أواخر القرن التاسع عشر. وما دفع راغ إلى هذا الاستنتاج الحذر قول هذا الإنجيل إن «مريم جاءها المخاض بدون ألم»، وهو قول الغنوصيين، إذ لا يوجد إشارة عنه في القرآن الذي يكتفي بذكر مفاجأة المخاض لها عند جذع النخلة.

9- نظرية الأصل العربي الإسباني للإنجيل

الغريب أن علماء الغرب لم يهتموا إلى الألفاظ والجمل العربية المكتوبة على هامش النسخة الإيطالية والتي تستحق دراسة جادة لم يقم بها المسلمون أيضًا للأسف. وحده خليل سعادة حاول تقديم تفسير لهذه الهوامش العربية فوجد «بعضها صحيح العبارة محكم الوضع لعب فيه قلم الناسخ كل ملعب من مسخ وتصحيف، والبعض الآخر سقيم التركيب من أصله لا تكاد تفقه لبعضه معنى إلا بكد الذهن ولا تفقه لبعضه الآخر معنى بالمرة». واستنتج سعادة أن «كاتب الهوامش العربية أكثر من واحد». كما استنتج بأن النسخة الإيطالية الموجودة في مكتبة فيينا «هي مأخوذة بلا مراء عن نسخة أخرى» (هي النسخة الإسبانية التي لم يكن سعادة يعرف بوجودها حين ترجم النسخة الإيطالية). وافترض خليل سعادة أن «كاتب هذا الإنجيل يهودي أندلسي اعتنق الدين الإسلامي بعد تنصره واطلاعه على أناجيل النصارى». وهو استنتاج أو افتراض عاد إليه لاحقًا الكثير من الباحثين المسيحيين، والإسبان منهم تحديدًا.

يقف على رأس القائلين بذلك: ميغيل دي إبالزا de Epalza[82]

(82) Mikel de Epalza, « Sobre García Gómez como conferenciante y periodista. La autoría del Evangelio de San Bernabé », *Awrâq*, 17, 1996, pp. 121-133. - « Sobre un posible =

ولويس برنابي بونس[83]، وجيرارد وايغرز Gerard Wiegers[84] وإميليو غارسيا غوميز Emilio García Gómez[85] وبييتر فان كونينغزفيلد van Koningsveld[86] ويان سلومب Jan Slomp[87] ودايفد سوكس David Sox[88] وكريستين سكيرماخر Christine Schirrmacher[89]. ويمكننا أن نجد ملخصًا مكثفًا لحجج هؤلاء مع قائمة مفصلة بالمراجع والمصادر في المقدمة التي كتبها لويس برنابي بونس Luis F. Bernabé Pons للنص الإسباني[90].

حاول دي إبالزا في البداية أن يجعل من مارينو أحد المتحولين من المسيحية إلى الإسلام. ولكن ظهر له أن المشكلة الأساس في مخطوط فيينا تكمن في لغة النص إذ هي خليط بندقي توسكاني بلغة إيطالية،

= autor español del Evangelio de Bernabé », *Al-Andalus*, XXVIII, 1963, pp. 479-491.
Luigi Cirillo et Michel Frémaux. Évangile de Barnabé., op. cit.

(83) Luis F Bernabé Pons. *El texto morisco del Evangelio de San Bernabé*. Universidad de Granada. 1998

(84) G.A. Wiegers. «Muhammad as the Messiah: A comparison of the polemical works of Juan Alonso with the Gospel of Barnabas». *Biblitheca Orientalis*. (April–June 1995). LII: 274.

(85) Emilio García Gómez: *Silla del moro y nuevas escenas andaluzas* (Madrid 1948, reprint Buenos Aires, Espasa-Calpe, 1954).

(86) Pieter van Koningsveld: The Islamic Image of Paul and the Origin of the Gospel of Barnabas, *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* (1996) 20: 200-228.
Christian-Arabic Manuscripts from the Iberian Peninsula and North-Africa: A Historical Interpretation, *Al-Qantara*: *Revista de Estudios Arabes* (1994) XV(fasc.2): 423-451.

(87) Jan Slomp. «The Gospel in Dispute. A Critical evaluation of the first French translation with an Italian text and introduction of the so-called Gospel of Barnabas». *Islamochristiana*. (1978). 4 (1)

(88) David Sox. *The Gospel of Barnabas*. George Allen publishers ltd, & Unwin. London.1984

(89) Christine Schirrmacher, *Mit den Waffen des Gegners*, Berlin 1992.

(90) Bernabé. Texto Morisco, op. cit., p. 11-48
J. E. Fletcher: The Spanish Gospel of Barnabas. *Novum Testamentum*, Vol. 18, Fasc. 4 (Oct.,1976), pp. 314-320

وركاكة في الملاحظات العربية في الهامش. التهجئة اللاتينية للكلمات تذكر بتأثير الكتاب المقدس بنسخته الشعبية أي الفولغاتا والخط يذكر بخطوط مرحلة النهضة في إيطاليا. كما أن هناك تأثيرات واضحة من كتابات دانتي وأخطاء كثيرة في اللغة الإيطالية جعلت سلومب يقرر بأن الكاتب فشل في الإيحاء بسيطرته على اللغة التي يستخدمها. اقترح دي إبالزا أن يكون الكاتب طالبًا إسبانيًا يدرس في جامعة بولونيا الإيطالية حيث كانت اللهجات التوسكانية والبندقانية شائعة. ذلك أن جامعة بولونيا كان فيها الكثير من الطلبة الإسبان وكانت لغة الجامعة هي اللاتينية وقد يكون الطالب مارينو تعلمها من الناطقين بها في الجامعة وهم توسكان وبنادقة.

ويؤكد سلومب أن هذا ممكن خصوصًا وأن أحد طلاب بولونيا الإسبان القادم من مايوركا واسمه أنسلمو تورميدا (1383–1390) تحول إلى الإسلام وكان ادعى أنه كان راهبًا قبل إسلامه وأن أستاذه في بولونيا كان مسلمًا متخفيًا. وقد كتب دي إبالزا في العام 1972 عن تورميدا هذا فوصفه بأنه كان راهبًا فرنسيسكانيًا أسلم وانتقم من المسيحية بعد إسلامه. وقد درس سلومب كتاباته المنشورة باسم عبد الله بن عبد الله وقرر أنه لا يمكن أن يكون هو كاتب إنجيل برنابا. وتورميدا يستند في كتاباته إلى ابن حزم الأندلسي القرطبي ولا يعرف اليونانية.

وأشار سايل في مقدمته لترجمته للقرآن أن المسلمين من عرب أفريقيا لديهم نسخ من إنجيل برنابا باللغة الإسبانية[91]. ويقول دي إبالزا إن هناك نسخة إسبانية في تونس تعود إلى العام 1643.

ويبدو أن الباحثين والعالِمين الإسبانيين غارسيا غوميز ومن بعده

---

(91) George Sale. The Koran: Preliminary Discourse. Published by Frederick Warne & Co, London (1887)

ميغيل دي إبالزا كانا أول من كتب عن أصل أندلسي لإنجيل برنابا[92]. ففي نبذة تأبينية عن غارسيا غوميز (1996) قال مايكل دي إبالزا إن هذا الأخير أعلن في العام 1962 خلال مؤتمر في بيروت عن تأكده من الأصل الأندلسي هذا[93]. وقد عاد غوميز (بحسب دي إبالزا) فتحدث في العام 1963 بإيجاز عن الأصل الأندلسي وذلك في مقالة له بمجلة الأندلس[94] ولكنه لم يدعم أطروحته السابقة بتقديم حجج إلا في العام 1981 حين أراد مناقضة دعاوى سيريللو وفريمو[95] عن أصل مسيحي قديم شرق أوسطي للنص الرئيس للإنجيل. ثم طور دي إبالزا هذه الحجج بمعلومات جديدة في مقال له بمجلة الإسلام والمسيحية في العام 1982[96].

كما قدَّم دي إبالزا الكثير من الأدلَّة التي تُبرهن على أنَّ المكان الذي وُجد فيه وخرج منه إنجيل برنابا هو بين جماعة الموريسكيين في إسبانيا وفي الأغلب في غرناطة حيث كُتبت هناك كلٍّ من النسختَين الإيطاليَّة والإسبانيَّة. كما يذكر دي إبالزا أيضًا أسماء العديد من العلماء والرحَّالة والديبلوماسيِّين الذين كانوا وسيلة لنقل كلًا من النسختَين الإسبانيَّة والإيطاليَّة إلى إنكلترا وهولندا.

وفي مقالة بعنوان «أصل أسبانيّ» كتب كلٍّ من غارسيا غوميز ودي إبالزا يقولان: «وكان هؤلاء الموريسكيين قد برعوا في القرن السادس

---

(92) http://textualcriticism.scienceontheweb.net/FATHERS/GospelofBarnabas.html#s00

(93) Mikel de Epalza, « Sobre García Gómez como conferenciante y periodista. La autoría del Evangelio de San Bernabé », *Awrâq*, 17, 1996, pp. 121-133.

(94) Emilio García Gómez: «Sobre un posible autor español del Evangelio de Bernabé», *Al-Andalus*, XXVIII, 1963, pp. 479-491.

(95) Luigi Cirillo et Michel Frémaux. *Évangile de Barnabé*.

(96) M.de Epalza, «Le milieu hispano-moresque de l›Evangile islamisant de Barnabé (XVI-XVIIe s.). *Islamochristiana*: no.8, 1982, pp.159-183

عشر في المزيَّفات الإسلاميَّة - المسيحيَّة، والمسمَّاة (Jofores) أي النبوَّات والتي نسبوها لمسلمين قدماء وبعض قدماء المسيحيِّين، وهي تتنبَّأ عن عودة المسلمين ثانية إلى الأندلس وإعادة غزوها من جديد. وقد جاء إنجيل برنابا كجزء من هذه المزيِّفات التي تحتوي على ثقافة مزدوجة (إسلاميَّة - مسيحيَّة) لإدخالها في المجتمع الإسبانيّ».

وقد كان إبراهيم الطيبيلي، والذي كتب عددًا من الأعمال الإسلاميِّة التي ظهرت في أرجوان، هو أول من أشار إلى إنجيل برنابا وشاركه في ذلك محمد روبيو Muhammad Rubio، إلى جانب مصطفي العرندي[97].

ويجب أنْ لا يغيب عن بالنا شخصيَّة مصطفى العرندي أحد هؤلاء الموريسكيين والذي كان له دورٌ هامٌّ في خروج وظهور هذا الكتاب، فهو الذي زعم في مقدِّمة المخطوطة الأسبانيَّة أنَّه الذي قام بترجمتها في إستانبول من الإيطاليَّة إلى الإسبانيَّة، ومن الواضح أنَّه يتميَّز بمعرفة جيِّدة للثقافتَين الإسبانيَّة والإيطاليَّة فضلًا عن الإسلاميَّة وروايته لقصة الراهب المزعومة ودوره في كتابة هذا الكتاب المزيَّف وتأليفه.

ويذكر دي إبالزا ظهور الكثير من الكتب المسيحيَّة المزيَّفة في غرناطة في تلك الفترة والتي سُمِّيَت برسائل «القديس» يعقوب، وأعمال سيِّدنا يسوع والعذراء مريم، وكتاب حقيقة الإنجيل برواية العذراء مريم عن «القديس» يعقوب، وفيه تجيب عن أسئلة تلاميذ المسيح. وكانت هذه النصوص المزعومة تُعَدّ لظهور هذا الإنجيل الذي وصفوه بالإنجيل الحقيقيّ الذي سينطلق من إسبانيا. وقد اِنتقلت هذه المزيَّفات إلى شمال أفريقيا بواسطة أندلسيّ من غرناطة، كان يعرف العربيَّة والأسبانيَّة وله

(97) Jan Slomp. «The Gospel in Dispute. A Critical evaluation of the first French translation with an Italian text and introduction of the so-called Gospel of Barnabas». *Islamochristiana*. no.4, 1978. pp.67-112: 82

علاقات مع الأندلسيِّين في المنفى بالمغرب ومصر وتونس وإسطنبول، اسمه أحمد بن قاسم الحجري[98].

10- الموريسكيون ومؤامرة المدجنين

المدجَّنون جمع مدجّن، تحولت مع مرور الزمن عند مسيحيي الأندلس في القرون الوسطى إلى موديخاريس (mudéjares)[99]، هم الموريسكيون المسلمون الذين لبثوا في شبه الجزيرة الإيبيرية إبان سقوط الأندلس ولم يتنصروا في البداية؛ ولكنهم أجبروا على ذلك في أواسط القرن السادس عشر، ثم طُرد من أبى التنصير منهم سنة 1630م. وكانت بلنسية مثوى لكثير من هؤلاء الذين أتوا من البلدان الأخرى، حيث تجمع فيها ما يقرب من ثلاثين ألفًا، ورأوا أن يقوموا

---

(98) شهاب الدين أحمد بن قاسم الحَجْرِي (أو الحَجَرِي)، المعروف بـآفوقاي Abogado، وتعني محامٍ أو قانوني، ولد بالأندلس سنة 1569 م. انقطعت أخباره بتونس بعد سنة 1640 م، هو رحالة ومترجم موريسكي ودبلوماسي مغربي، ينتسب إلى قرية «الحجر»، إحدى قرى غرناطة، هرب من إسبانيا ولجأ للمغرب وعمل في خدمة سلاطينها السعديين بدايةً في بلاط كل من أحمد المنصور الذهبي وزيدان الناصر وأبو مروان عبد الملك بن زيدان إلى غاية فترة السلطان الوليد بن زيدان.

خير الدين الزركلي: الأعلام – ج 1 (الطبعة الخامسة عشر). بيروت: دار العلم للملايين. صفحة 198.

(99) لدراسة وافية عن تاريخ وآداب واجتماعيات المدجنين انظر:

L. P. Harvey, *Islamic Spain 1250-1500* (Chicago: University of Chicago Press, 1990); Harvey, «The Mudejars,» in *The Legacy of Muslim Spain*, ed. S. Khadra Jayyusi (Leiden: Brill, 1994), 176-87;

J. Hinojosa Montalvo, *Los Mudéjares: La voz del Islam en la España cristiana* (Teruel: Centro de Estudios Mudéjares, Instituto de Estudios Turolenses, 2002) ;

A. Echevarría Ursuaga, *La minoría islámica de los reinos cristianos medievales: Moros, saracenos, mudéjares* (Málaga: Sarriá, 2004).

P. S. van Koningsveld and G. A. Wiegers, «Islam in Spain during the Early Sixteenth Century: The Views of the Four Chief Judges in Cairo,» in *Poetry, Politics and Polemics: Cultural Transfer between the Iberian Peninsula and North Africa*, ed. O. Zwartjes, G. J. van Gelder, and E. de Moor (Amsterdam: Rodopi, 1997), 133-52.

بثورة لاكتساب بعض الحقوق كحق الحرية، أو حرية العقيدة؛ واحتلوا بعض الحصون من منطقة بلنسية، وتقدموا نحوها حتى كادوا يدخلونها وذلك في عام 652 هجري بعد أن شكلوا جيشًا. وكانت منطقة بلنسية تابعة لـمملكة أرغون وليون ويحكمها ملك يدعى «جقوم» (جايميش)، فأمر هذا الملك أن يخرج كل (مدجن) من مملكته، فخرج الجميع نحو غرناطة تاركين ديارهم وأموالهم.

وقد نشر جيرارد وايغرز في العام 2006 مقالًا[100] تحدث فيه عن مجموعة شهيرة من النصوص الإسلامية من بينها إنجيل برنابا، والكتب الرصاصية Lead Books التي اكتشفت في غرناطة في نهاية القرن السادس عشر، وقال إن مؤلفي هذه الكتب «المزيفة» تعود أصولهم إلى المدجنين الموريسكيين من العصور الوسطى وعصر النهضة الأوروبية. وقال في مقالته إنه يمكن التعرف على أصحاب هذه الكتب المزيفة من خلال دراسة انتقال ثقافة المدجن إلى ثقافة الموريسكيين. واقترح التعريف أيضًا ببعض أعلامهم أمثال الموريسكي ألونزو دل كاستيللو (الفقيه الجبس)، وصهره ميغيل دو لونا (الأُكَيْحل) وحفيد الأول وابن الثاني ألونزو دو لونا (محمد أبو العاصي)، خصوصًا رحلات هذا الأخير إلى روما وإسطنبول ومحاكمته في محاكم التفتيش عام 1618 وادعى وايفرز أن محمد أبو العاصي هذا كان له علاقة بتزييف إنجيل برنابا وكذلك الكتب الرصاصية.

أما الكتب الرصاصية المعروفة باسم كتب فرضية الرصاصية Plomos del Sacromonte أو Libros plúmbeos فهي عبارة عن 22 لوحة

---

(100) Gerard A. Wiegers: The Persistence of Mudejar Islam? Alonso De Luna (Muhammad Abu ’L-aÀsi), The Lead Books, and The Gospel 0f Barnabas. in: *Medieval Encounters*. Volume 12 (2006): Issue 3 (Jan 2006). Koninklijke Brill NV, Leiden, 2006., pp. 498-518

رصاصية دائرية حجمها 10 سم، سجلت بها رسومات ونصوص باللاتينية وحروف بأبجدية عربية، وأطلق عليه لاحقًا اسم الحروف السليمانية. وتم تفسير الكتاب في بداية الأمر على أنه الإنجيل الخامس (بعد متى ولوقا ومرقس ويوحنا)، وأن العذراء أنزلته باللغة العربية لنشره في إسبانيا[101]. وصنفت لاحقًا كأهم حادثة تزوير في تاريخ إسبانيا، حيث وصل الاهتمام بهذه الكتب إلى نفس مستوى الاهتمام بالأناجيل الأربعة. واستغرق الباحثون في الكنيسة وقتًا طويلًا للتأكد من صحة أو زيف هذه اللوحات الرصاصية، لأنه خطط لها بعناية واحترافية عالية. وهي تُعتبر تزويرًا، بحسب رواية الكنيسة. وينظر لها اليوم، بأنها عمل ذو هدف أسمى ونبيل: من أجل التقريب بين الديانتين (المسيحية والإسلام) وإنقاذ العربية الإسبانية الموريسكية، وللخلاص من الاضطهاد الذي كان يتعرض له الموريسكيون[102].

استخرجت الكتب الرصاصية هذه وكانت مدفونة إلى جنب رفات بشرية في ضاحية ساكرومونتي (خندق الجنة سابقًا) بوادي فالبارايسو في مدينة غرناطة بين سنوات 1595م و 1599م. وتشمل هذه الكتب كذلك ما تم اكتشافه سابقًا في 18 مارس 1588، و«صادف» ذلك اليوم احتفال الكنيسة بعيد رئيس الملائكة جبرائيل، وهو مُنزِّل الوحي على نبي الإسلام محمد، حيث كان يجري بناء كاتدرائية غرناطة وسط المدينة وقد هدم برج توربيانا الذي كان يشكل مئذنة جامع غرناطة الكبير، فعثر فيه على عظام داخل صندوق معدني يحتوي أيضًا على مخطوط (مكتوب بعدة لغات) وصورة للعذراء. يتحدث المخطوط عن شهيد

---

(101) http://digital.csic.es/bitstream/10261/19203/1/20090930085743270.pdf

(102) Manuel Barrios Aguilera, Mercedes García-Arenal: *Los plomos del Sacromonte: Invención y tesor*. Universitat de València, Servei de Publicacions. España 2006

اسمه سيسيليو من العرب المسيحيين الذين رافقوا «القديس» يعقوب بن زبدي المعروف بسانتياغو، وذلك كان بحسب الباحثين الإسبان والغربيين (أمثال مانويل باريوس أغويليرا وميرسيديس غارسيا أرينال وجيرارد وايغرز وغيرهم) محاولة لإثبات أن المسيحيين الأوائل الذين دخلوا شبه الجزيرة الإيبيرية كانوا من العرب قادمين من شبه الجزيرة العربية. ويحاول الكتاب رواية قصة حقيقية، للاستحواذ على التاريخ، بحسب قول المؤرخة ميرسيديس غارسيا أرينال، للتأثير على الرأي العام بشكل عام والمملكة الإسبانية على وجه الخصوص للتأكيد على أن المجتمع الموريسكي من أصل قديم، مسيحي، ومقدس. وفي نفس الوقت الدفاع عن أهم رموز هويتهم: اللغة العربية، لغة القرآن[103].

11- الموريسكيون ولقب المسيًّا (المسيح):

يتساءل برنابي بونس: لماذا اختار الكاتب المزيَّف لإنجيل برنابا لقب المسيًّا لمحمد ونزعه من يسوع؟ ويُجيب لأنَّ لقب المسيًّا كان يُقدَّم

(103) C. Alonso. *Los apócrifos del Sacromonte* (Granada). Valladolid: Editorial Estudio Agustiniano. 1979

Caro Baroja, J. *Las falsificaciones de la historia (en relación con la de España)*. Barcelona: Seix Barral. 1992

T. D. Kendrick. *St. James in Spain*. London: Methuen and Co. 1960

M. García-Arenal, and F. Rodríguez Mediano. *The Orient in Spain: Converted Muslims, the Forged Lead Books of Granada, and the Rise of Orientalism.* Trans. Consuelo López-Morillas. Leiden: Brill. 2013

M. J. Hagerty. *Los libros plúmbeos del Sacromonte*. Madrid: Editora Nacional. 1980 (Reprinted 1998, 2007. Granada: Editorial Comares.)

A. K. Harris. «Forging History: the Plomos of Granada in Francisco Bermúdez de Pedraza's Historia eclesiástica». *Sixteenth Century Journal*. (1999). XXX:4 pp. 945–966.

A. K. Harris. *From Muslim to Christian Granada: Inventing a City's Past in Early Modern Spain*. Baltimore: Johns Hopkins University Press. 2007

L. P. Harvey. *Muslims in Spain, 1500 to 1614.* Chicago: University of Chicago Press. 2005. (A full English translation of one Sacromonte text is included in an appendix).

I. Gómez de Liaño. *Los juegos del Sacromonte*. Madrid: Editora Nacional. 1975. (Reprinted 2005. Granada: Universidad de Granada.)

لهؤلاء الموريسكيين عند تعليمهم العقيدة المسيحيَّة باعتباره، كما جاء في نبوَّات العهد القديم، اللقب الذي يتعلَّق به كلّ ما يختصّ بالمسيح كالفادي والمخلِّص ومشتهى كلّ الأمم والإعلان النهائيّ وختام النبوَّات الذي تمَّت فيه جميع النبوَّات. وهذا ما لم يقبلْه هؤلاء الموريسكيين مثل الطيبيلى!! ومن ثمَّ انتزعوا اللقب من المسيح وأعطوه لمحمد لأنَّ محمد في الإسلام هو خاتم الأنبياء الذي جاء للعالمين، أمَّا المسيح، من وجهة نظرهم، فقد جاء لليهود فقط، لذا فمحمد يستحق اللقب أكثر من يسوع من وجهة نظر بعض هؤلاء الموريسكيين!!

ويتساءل جيرارد وايغرز Dr. Gerard Wiegers(104) عن وضع لقب المسيَّا لمحمد وليس ليسوع وإنْ كان هنالك أي آثار على ذلك عند الموريسكيين؟ ويُجيب متَّفقًا مع كلٍّ من دي إبالزا وبرنابي بونس، كانت فكرة نسب لقب المسيَّا لمحمد كامنة عند جماعة صغيرة من الموريسكيين في بداية القرن السابع عشر. وقد وجد الدارسون للفترة وكتابات الموريسكيين ذلك في المخطوطة «BNM MS 9655» والمحفوظة بمكتبة مدريد. هذه المخطوطة والمعروفة برقم «9655» كتبها، هي وعدة كتابات أخرى، شخص يُدْعَي خوان ألونزو Juan Alonso من أراغون بإسبانيا فيما بين سنة 1600-1612م ضد اليهوديَّة والمسيحيَّة في هجومه على عقائد الكنيسة الكاثوليكيَّة الرومانيَّة. وكانت هذه الكتابات بين أيدي بعض الموريسكيين. وكان خوان هذا مسيحيًا ودارسًا للاهوت ثم ترك المسيحيَّة وارتد إلى الإسلام.

وقد كُتبت هذه المخطوطة بالإسبانيَّة وكُتب في هوامشها تعليقات باللغة العربيَّة بالخطّ العربيّ المغربيّ. وعند دراستها وجد الدارسون

(104) Gerard Albert Wiegers. «Muhammad as the Messiah: A comparison of the polemical works of Juan Alonso with the Gospel of Barnabas. *Biblitheca Orientalis*. LII ((April–June 1995): 245-292., f 274

(وعلى رأسهم جيرارد وايغرز ودي إبالزا ولويس برنابي بونس) عددًا من النصوص المتماثلة بشكلٍ ملحوظٍ بينها وبين إنجيل برنابا المزيَّف، ومن أهمِّ هذه النصوص والأفكار المتماثلة:

(1) إعطاء لقب «المسيَّا» لمحمد ونزعه من يسوع، فقد زعم كاتب المخطوطة أنَّ يسوع هو «مسيَّا الإنجيل – Evangelico mesias» الذي كانت رسالته لليهود فقط! وأنَّ محمدًا هو «المسيَّا العمومي – mesias general» الذي جاء للعالم كلّه! وهذا ما قاله كاتب هذا الكتاب المزيَّف بالتفصيل في (فصل 82: 16) ووضعه على لسان المسيح نفسه في حواره مع المرأة السامريَّة أجاب يسوع: «حقًا أنّي أُرسلت إلى بني إسرائيل نبيّ خلاص، ولكن سيأتي بعدي مسيَّا المرسل من اللَّه لكلِّ العالم الذي لأجله خُلق كلّ العالم».

(2) حديث هذه المخطوطة المتكرِّر عن فساد وتحريف كلّ من العهد القديم والعهد الجديد!! هذا الموضوع الذي كرَّره إنجيل برنابا كثيرًا.

(3) قام كاتب المخطوطة بعمل مقارنة بين شعائر الديانات التوحيديَّة الثلاث مثل الصلاة والوضوء (الاغتسال) والصوم... إلخ؛ ثمَّ يقول إنَّ من أهم علامات فساد الكنيسة هو معاقبتها الذين يختنون أولادهم مثل الموريسكيين والمارانوس (Marranos– اليهود المتحوَّلين إلى المسيحيَّة مثل الموريسكيين) والذين كانوا يمارسونها سرًا. ويمثِّل موضوع الختان هذا قضيَّة كبرى في هذا الكتاب المزيَّف. قال في مقدِّمة إنجيله المزيف «أيَّها الأعزاء إنَّ اللَّه العظيم العجيب قد افتدانا هذه الأيام الأخيرة بنبيِّه يسوع المسيح برحمةٍ عظيمةٍ للتعليم والآيات التي اتَّخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشِّرين بتعليم شديدِ الكفر داعين المسيح اِبن اللَّه ورافضين الختان الذي أمر اللَّه به دائمًا». وفي (فصل 23) يذكر رواية خرافيَّة طويلة عن أصل الختان.

(4) كما تتحدَّث المخطوطة عن الشعائر الإسلاميَّة بتعبيرات مسيحيَّة! وعلي سبيل المثال يدعو الكاتب قراءة الفاتحة بالصلاة الربانيَّة!! وهذا ما يفعله كاتب هذا الكتاب المزيَّف دائمًا. ويقول يان سلومب Jan Slomp «وقد رأيت بنفسي استخدام كاتب المخطوطة لكلمة» سينوفيجا – Cenophega «لعيد المظال» وهذا ما فعله كاتب إنجيل برنابا المزيَّف في (فصل 30).

(5) كما لاحظ الدارسون أخطاء ألونزو في وصفه للأفكار الإسلاميَّة والمسيحيَّة أيضًا. وهذا ما يتكرَّر كثيرًا في إنجيل برنابا المزيَّف. أخيرًا يقول وايغرز إن هذه المتماثلات بين المخطوطة (BNM MS no 9655) وإنجيل برنابا المزيَّف لا يمكن أنْ تكون مُجَرَّد مصادفة بحتة، لكنَّها توضِّح تأثير المخطوطة على الكتاب المزيَّف لأنَّها الأقدم ولا يمكن أنْ يكون العكس لسببٍ بسيطٍ هو أنَّ المخطوطة يُذكر بها عبارة «يسوع ملك دمشق» وليس «يسوع ملك اليهود» كما في الكتاب المزيَّف، وقت الصلب، ومن ثمَّ فقد صحَّح كاتب الكتاب ما جاء في المخطوطة. ويقول برنابي بونس إنَّ المزيِّفين خطَّطوا لنشر هذا الكتاب في إسبانيا ولكن ذلك لم يتحقَّق لأنَّ الحكومة الأسبانيَّة قامت بإجلائهم فيما بين سنة 1609 و1614م وذهبوا حاملين هذا الكتاب إلى شمال أفريقيا ومنها إلى تونس وتركيا. ثم يتساءل مع دي إبالزا لماذا اختاروا البابا سكتس الخامس بالذات ليزعموا أنَّ الكتاب خرج من المكتبة البابويَّة في عهده؟ ويُجيبان: هذه حيلة أدبيَّة للخداع وخلط الأكاذيب بالحقيقة، فهذا البابا هو الذي أعطى الإذن للتحقيق في أصل المكتشفات التي اكتُشفت في غرناطة سنة 1588و1595م، ولأنَّ هؤلاء الموريسكيين أرادوا أنْ يُعطوا للنسخة الإيطاليَّة مصداقية لذا زعموا قصَّة سرقة الراهب لها من مكتبة هذا البابا! ويتساءلان أيضًا لماذا اِختاروا اسم «فرا مارينو»؟ ويُجيب لويس برنابي بونس أنَّ اسم «فرا مارينو» هو نموذج

لعالم الشرقيَّات الراهب العظيم «فراي ماركو ماريني Fray Marko Marini) 1542-1594)» الذي كان في خدمة البابا سكتس الخامس والذي أعاد كتابة تاريخ الكنيسة بإيجاد مخطوطات قديمة جدًا، ومن ثمَّ وضعوا اسم «فرا مارينو» كنموذج له وجعلوه في موضع الذي أعاد اكتشاف الإنجيل.

12- الراهب مارينو والبابا سيكستوس الخامس

أما الراهب مارينو الذي عثر على الإنجيل بحسب مقدمة النسخة الإسبانية (ومحل المقدمة فارغ في النسخة الإيطالية كما سبق القول) فهو شخصية سال عنها الحبر الكثير. وكان الباحثون الغربيون ومعظمهم من المبشرين والقساوسة والرهبان، يرفضون مجرد فكرة وجوده ويقولون إنه إختراع إسلامي...علمًا أن القس المحترم لونسدايل راغ وزوجته لورا ذكرا أنهما اكتشفا حقيقة هذا الراهب بالبحث في أرشيفات البندقية وأن اسمه الكامل هو فينسينزو ماريني. وقد زعم المبشر زويمر لاحقًا (وهو الشهير بتعصبه المقيت ضد الإسلام والمسلمين) أنه وجد في مجلة هندية اسمها Epiphany هذا المقطع: «الأخ فينسينزو ماريني حكم عليه بالموت (بعد عدة عمليات إحتيال) من قبل المفتش العام في البندقية وذلك بتهمة الردة»[105].

إلا أن ما لم يذكره زويمر هو أن هذا الماريني مولود عام 1573 في حين أن مقالة زويمر تورد أن احتيالاته حصلت عام 1549!! لكن راغ كان أكثر دقة ومسؤولية فيما ينقله فهو يقول إن «اسم مارينو وماريني يتردد في حوليات وأرشيفات البندقية... إلا أن الوحيد الذي يمكن أن يكون هو صاحب الإنجيل اسمه مايسترو مارينو دل أوردينو دي سان

(105) في المجلد 13 لسنة 1923 من مجلة العالم الإسلامي Muslim World التي كان يصدرها زويمر.

فرنسيسكو، وكان مسؤولًا عن فهرست الكتب المحرمة المطبوع عام 1549». وقد تتبع الباحث المسيحي دايفد سوكس Sox هذا الدليل الذي أورده راغ عرضًا، بحثًا عن راهب فرنسيسكاني في البندقية باسم مارينو، فزار في العام 1982 المكتبة العامة في البندقية وفيها النسخة الوحيدة من فهرست 1549 التحريمي، فوعدوه في المكتبة أن يرسلوا له نسخة من صفحات العناوين. غير أن سوكس اكتشف صدفة أن باحثًا بريطانيًا هو هوراسيو براون سبق له أن نشر في لندن هذه الوثيقة التي يطلبها، وذلك في كتابه «دراسات في تاريخ البندقية»، الصادر في مجلدين عام 1907.. ويذكر براون في كتابه عنوان فهرست الكتب المحرمة كما يلي: «تأليف المحترم الأب مايسترو مارينو البندقي من دير الأخوة الصغار البنادقة التابع للرهبنة الفرنسيسكانية»... يتبع ذلك صفته: «مفتش عام».

وقد ذكر هذه الأمور أيضًا بول غرندلر Grendler في بحثه المنشور في جامعة برنستون الأميركية عام 1977 وعنوانه «محاكم التفتيش الرومانية وصحافة البندقية في سنوات 1540-1604»[106]. وفي هذا الكتاب يورد غرندلر المعلومة التالية «الأب مارينو قدم شهادته مرتين أمام الرئاسة المقدسة لمحاكم التفتيش في البندقية في 9 آب 1555 وذلك حول أمور تتعلق بفترة عمله كمفتش عام بين سنوات 1550-1542.». وعاد سوكس للبحث في أرشيفات جمهورية البندقية فوجد في الصندوق رقم 12 وتحت عنوان «رئاسة محاكم التفتيش» ملفًا يحوي 46 ورقة تحمل عنوانًا عامًا هو «الأب مارينا البندقي». وقال سوكس إن ماريني يكتب أيضًا مارينا... والاسم الوارد داخل الملف هو مارينو وعلى الغلاف مارينا. وكان راغ قد اقترح أن اسم مارينو شائع في إيطاليا كاسم أول وليس كاسم عائلة. وهذا أيضًا نفس ما اقترحه سوكس

(106) Paul Grendler: *The Roman Inquisition and the Venetian Press 1504-1604*. Princeton, New Jersey: Princeton University Press 1977

وغرندلر قائلين إن اسم عائلته مجهول وإنه من أسرة نبلاء؛ وفي تلك الأزمنة كان الكثير من الكهنة في البندقية وغيرها أولادًا غير شرعيين. ولكن باحثًا آخر هو ستانلي شويناكي وجد اسم مارينو كاسم عائلة في البندقية بين 244 عائلة نبلاء في القرون الوسطى.

وبالعودة إلى شهادات هذا الأب مارينو أمام محكمة التفتيش العليا يتبين أنهم اشتبهوا بأنه كان متساهلًا جدًا حين كان مفتشًا... وقد دافع عن نفسه قائلًا «لقد أحرقت الكثير من كتب الهراطقة». ولكن العشرات شهدوا عليه بهذا التساهل تجاه كتب معينة طبعت في البندقية برغم قرارات التحريم.

واقترح الباحث المسيحي يان سلومب أن يكون مارينو واحدًا من طائفة المارانو وهم اليهود الإسبان والبرتغال الذين اضطروا للتحول إلى المسيحية وإخفاء عقائدهم أمام محاكم التفتيش... وقد جرى طردهم النهائي من إسبانيا والبرتغال في عام 1492 أي بعد سقوط غرناطة، فلجأوا إلى تركيا وهولندا وبعض جمهوريات وممالك إيطاليا. واقترح سلومب أن يكون هذا المارانو قد اختار اسم مارينو لتذكيره الدائم بأصله وبالاضطهاد الذي عاشه شعبه. (وكلمة مارانو التي أطلقت عليهم تعني الخنزير).

أما البابا سيكستوس الخامس الذي قال مارينو إنه وجد المخطوط في مكتبته فهو فيليس بيريتي ولد عام 1520 في غروتاماري قرب مونتالتو على الساحل الإيطالي ودخل الرهبنة الفرنسيسكانية عام 1533 حيث اكتشفه راعي الرهبنة الكاردينال كاربي فأخذه إلى روما عام 1552 وهناك لفت انتباه الكرادلة (ومنهم من صار البابا لاحقًا مثل بولس الرابع وبيوس الخامس). عيّنه بولس الرابع مفتشًا عامًا لمحاكم التفتيش في البندقية (1557) حيث خدم أيضًا كمدبّر لرهبنة الفرنسيسكان ومديرًا

للدراسات فيها. لكن أهل البندقية لم يحبوا بيريتي «الغريب». وحتى الرهبان من زملائه في الدير عارضوه وسخروا منه. وقد كتب ليتي سيرته وفيها أنه أدين من الناس لقسوته وطموحه ورغبته بالإنتقام من زملائه الرهبان الفرنسيسكان. وهذا ما أكده لودفيغ فون باستور في كتابه «تاريخ البابوات» (1952).

وكانت البابوية دخلت في صراع مع دور النشر والطباعة في البندقية (وكانت الأقوى والأهم في إيطاليا يومها) بسبب الكتب المحرّمة التي كان يصدر فيها لائحة سنوية. وتعاظم الصراع في الأعوام 1559-1549. ففي العام 1549 أعدت حكومة البندقية لائحة شملت 47 كتابًا إلا أنها لاقت مقاومة امتدت إلى غير البندقية حتى تم إلغاؤها. وحين جاء البابا بولس الرابع عام 1555 ومعه بيريتي كمفتش عام في البندقية سحب الفهرست الذي كان أعد عام 1554 وأصدر قرارات بتحريم عدة كتب ومنها تحريم طباعة الكتاب المقدس بلغات غير اللاتينية. وفي العام 1559 صدر الفهرست البابوي الرسمي للتحريم وفيه تحريم كل أعمال إيراسموس وكل ترجمات الكتاب المقدس إلى لغات محلية. والتزم بيريتي تطبيق القرارات برغم مقاومة البنادقة التي وصلت إلى حد البصق في وجهه في بعض المناسبات. ومع وفاة البابا بولس الرابع 1559 هرب بيريتي من البندقية إلى قريته مونتالتو ولكن البابا الجديد بيوس الخامس أعاده إلى البندقية كرئيس عام لمحاكم التفتيش وكمدير للدراسات في دير الفرنسيسكان، مع صلاحيات أكبر وأوسع. لكنه غادر البندقية في حزيران 1560 حين عُيِّن مستشارًا عامًا لرئاسة محاكم التفتيش. وفي العام 1585 توفي البابا غريغوريوس الثالث عشر وانقسم الكرادلة حول خلافته فكان أن جيء ببيريتي بابا تسوية باسم سيكستوس الخامس (جلس لمدة 5 سنوات فقط) وقد اشتهر بالقسوة والقمع والإعدامات وتأسيس محاكم تفتيش جديدة ولوائح تحريم كبيرة. لكنه كان أيضًا هو

من بنى مكتبة الفاتيكان الشهيرة وكان مولعًا بالكتب. ولذلك يبدو أنه كان من الطبيعي أن يحتفظ بنسخ عن الكتب التي كان يجري تحريمها وإحراقها ومنها إنجيل برنابا.

الباب السادس

أناجيل وكتابات أخرى مثيرة

1- مذكرة بيلاطس

في منتصف القرن التاسع عشر سرت شائعة تقول إن المذكرة الرسمية الصادرة بإعدام عيسى قد وجدت في ايطاليا منقوشة على صفيحة معدنية وقد جرى تعميم النص وقصة اكتشافه من خلال مقال صدر في الجريدة الفرنسية (الحق = Le Droit)، ومن المحتمل أن يكون ذلك في ربيع 1839 ولكنني لم أعثر على العدد الذي نشر فيه المقال في الجريدة المذكورة. ولكن نفس المقال بنصه الكامل مع نص المذكرة الرسمية المزعومة، أعيد نشره في: Le Moniteur Universel (الراصد الشامل أو العالمي) عدد 4 أيار 1839 (ص 644) حيث ذكر أن المقال نشر «حديثًا» في صحيفة الحق كما أنه أعيد نشره في Gazette De France. وقد نال الموضوع نقدًا عنيفًا من فرنسوا إيزامبير Isambert المؤرخ القانوني الشهير حيث نشر مقالين في المونيتور مؤكدًا أن الأمر كله خدعة وتزوير (المونيتور 13 أيار، ص 702). وقد أعيد نشر نص الحكم (المزعوم) في فرنسا حيث نعثر على 3 طبعات مختلفة لعنوان «الحكم الذي أصدره بيلاطس البنطي حاكم الجليل الأدنى بحق يسوع الناصري والقاضي بصلبه»[1].

---

(1) *Sentence Rendue par Ponce Pilate, Gouverneure (regent) de la Basse Galile portant que Jesus de Nazareth subira la peine (le supplice) de la Croix.*
Bonaventure et Ducessois. Paris 1858
A. Liébert Cic. Paris 1866
(مع خارطة درب الصليب وموافقة الكنيسة على نشرها)
-C.A. Lhérison. Cayes (sans date)

ومن الطبعات الفرنسية انتشر النص بترجمات عديدة ألمانية وسويدية ثم أميركية. ويبدو أن كل الترجمات اعتمدت نص جريدة Le Droit، وقد نشر أولًا في صحيفة ألمانية Kölnische Zeitung في 25 أيلول 1849 لناشره الدكتور ثيسمار Thesmar. ثم أعاد رودولف هوفمان Hoffman نشره ضمن كتاب له صدر عام 1851[2]. أما الترجمة الأميركية فتستند إلى نص أقدم من le Droit ولعله الأصل الذي اخذت عنه الصحيفة معلوماتها. ولم أعثر على الترجمة القديمة الأميركية ولكن هناك ترجمة سويدية عنها تعود إلى عام 1886، كما أن ذكرها جاء في كتاب إدغار غودسبيد الشامل لكل الكتابات الأبوكريفية (وهو أشمل وأدق كتاب في نوعه)[3]. كما أعيد نشرها في عام 1907 في كتاب بعنوان: شاهد عيان على حادثة الصلب[4].

وقد عرفت أن الدار التي نشرت الكتاب هي للجماعة الأحمدية في أميركا.

في مختلف هذه الترجمات والطبعات يرافق النص رواية اكتشافه وهي الآتية: إنه في عام 1280 للميلاد كان بعض القوم ينقبون عن الآثار والكنوز في خرائب المدينة الإيطالية أكويلا L'Aquila عاصمة منطقة أبروزو Abruzzu فوجدوا صفيحة معدنية عليها كتابة عبرية. الوجه الأول للصفيحة حمل نص الحكم الصادر عن بيلاطس والوجه الثاني حمل الكلمات التالية «أرسلت نسخة مماثلة إلى كل قبيلة (أو عشيرة أو سبط)». وتمضي الرواية لتقول إن هذه الصفيحة ضاعت ثم أعيد

(2) Rudolf Hofmann: Das Leben Jesu Nach Den Apokryphen: Im Zusammenhange Aus Den Quellen Erz Hlt Und Wissenschaftlich Untersucht. Friedrich Voigt. Leipzig 1851.

(3) Edgard Goodspeed: *Modern Apocrypha*. Boston: Beacon Press 1956., pp.92-96

(4) The Crucifixion by an Eye Witness; Suplemental Harmonic Series, vol 2. (Chicago: Indo- American Book Co. 1907)

اكتشافها أثناء الاحتلال الفرنسي لإيطاليا (أو بالأحرى مملكة نابولي) ما بين 1806 و1815. في تلك الفترة حفظت اللوحة في صندوق من خشب الأبنوس في غرفة المقدسات في منزل محصن قرب نابولي (بيت العقود Charter House) وقيل إن المكتشف كان أحد مفوضي الآثار والفنون من مرافقي الحملة الفرنسية (كعادة نابوليون كما في مصر). ويشكك غودسبيد في وجود هذا الشخص غير أن الرواية هنا لها صلة فعلية بأحداث تاريخية حقيقية ذلك أن نابليون وحملته سمحوا لأنفسهم بنقل الكثير من كنوز الفن والتراث الإيطالي إلى متحف اللوفر. وكان قائد هذا النشاط دومنيك ڤيڤان دونون[5]. وبحسب الرواية فإن الفرنسيين كانوا ينوون نقل اللوحة المعدنية أيضًا إلى اللوفر لولا أن الكارتوزيين Cartusians[6] وقفوا دون ذلك بالإشارة إلى تضحياتهم في خدمة الجيش الفرنسي. وهكذا بقيت اللوحة في الصندوق الخشبي في كنيسة كازرتا Caserta ولعلها الكنيسة الملكية للملوك النابوليتانيين[7]. الرواية لا تشرح لنا مصير اللوحة نفسها. هل ما زالت في صندوقها وأين؟ ولكن الرواية

---

(5) دومنيك فيفان، بارون دونون Dominique Vivant, Baron Denon (1747–1825) فنان فرنسي وكاتب ودبلوماسي ومؤلف وعالم آثار. عينه نابليون أول قيم على متحف اللوفر بعد حملته المصرية (1798–1801). وهو مكرم اليوم في جناح خاص به في اللوفر كما في مركز أبحاث أنشئ على اسمه. يعتبر كتابه عن رحلته في مصر والصعيد الصادر عام 1802 مؤسسًا لعلم المصريات الحديث Egyptology

Voyage dans la basse et la haute Egypte («Journey in Lower and Upper Egypt»), 1802.

(6) رهبنة مسيحية تأملية Ordo Cartusiensis تأسست عام 1084 على يد «القديس» برونو وستة أخوة آخرين وأخذت اسمها من جبال الشارتروز شمال غرونوبل. هذه الرهبنة تتميز بالتشدد من حيث لا يخرج أعضاؤها من معزلهم ولا يتكلمون أبدًا ويكثرون من الصوم ولا يأكلون اللحم أبدًا. وهم لا يستقبلون أفراد عائلاتهم إلا مرتين في السنة.

(7) كنيسة كازرتا الحديثة بنيت حول أسوار الدفاع في اللومبارديا على يد باندو أمير كابوا. دمر باندو المدينة الأصلية حوالى العالم 863. انتقل السكان الأصليون للمدينة من كازرتافيكيا Casertavecchia وكانت مركز الأسقفية إلى المدينة الحالية في القرن السادس عشر. وهذه المدينة القديمة كانت بنيت على أنقاض المدينة الرومانية كازام إرتام.

تقول إنه جرت ترجمة نص اللوحة وقيل إن دونون صنع نسخة عن اللوحة نفسها... وحين بيعت ممتلكاته بعد وفاته اشترى هذه النسخة شخص اسمه لورد هاورد Lord Howard بمبلغ وقدره 2890 فرنك ولا يُعرف بعد ذلك ماذا حصل؟؟

ملاحظات:

1– بيلاطس لم يكن أبدًا حاكمًا للجليل السفلي (بحسب المصادر المسيحية).

2– وهو بوصفه من الغوييم (غير اليهود، من الأمم) لا يمكن أن يكون تحدث عن أورشليم كمدينة مقدسة.

3– أن التاريخ المذكور لا يتوافق مع أي تاريخ روماني أو يهودي.

4–أن بيلاطس لا يمكن أن يكون قد أرسل نسخًا إلى الأسباط الـ 12 لأن هذا التنظيم العشائري كان قد انهار واندثر منذ القرن الثامن قبل الميلاد.

لكل تلك الأسباب جرى اعتبار النص تزويرًا فاضحًا.

غودسبيد اعتبر أنه تزوير يعود للقرن التاسع عشر؛ وقد يكون ذلك صحيحًا ولكن رواية وجود مكتشفات أثرية في أكويلا هي رواية قديمة. وفي القرن السادس عشر قيل إن ما اكتشف هو مخطوطات Parchement Scroll (لفائف مخطوطة).

في حوالى العام 1500 ساد بين القضاة واللاهوتيين سجال حول من هو المذنب الحقيقي في الحكم بإعدام عيسى أهم اليهود أم بيلاطس؟ وقد انقسمت الآراء حول ذلك. فالأناجيل لا تذكر بوضوح أن بيلاطس أصدر أو أعلن حكمًا رسميًا بحق عيسى.

هناك إشارات إلى ذلك في مكتشفات لاحقة تسمى أعمال بيلاطس

Acts Of Pilate. في تلك السجالات القديمة ظهرت استشهادات تعود إلى مصادر مجهولة اليوم ولعلها من أناجيل مخفية. وقد خصص رودولف برلينر Berliner مقالة مطولة للحديث عن الروايات القديمة المتعلقة بحكم الاعدام هذا في مجلة الفن المسيحي (البروتستانتية) الصادرة في ألمانيا[8].

(أشهر الأعمال الأبوكريفية التي استخدمت في سجالات القرون الوسطى كان إنجيل نيقوديموس Nicodemus الذي تحدثنا عنه فيما سبق).

كما دخل عامل آخر ألقى زيتًا في نار السجال الحامي وتمثل في اكتشاف آخر في مدينة Vienne جنوب فرنسا حيث يُقال إن بيلاطس أمضى آخر أيامه هناك. والاكتشاف المزعوم هو عبارة عن نص يقول فيه بيلاطس إنه هو من حكم على عيسى بالموت. وقد جرى الاستشهاد بهذا النص في عدة سجالات وطبع في عدة كتب ونشرات. وبحسب الروايات فإنه عثر عليه في صندوق مدفون تحت الأرض في تلك المدينة وهو باللاتينية. وقد تحدث عنه برلينر في مقالته المذكورة وقال إنه نشر في مطلع القرن السادس عشر في كتاب بالفرنسية حمل عنوان «حياة يسوع المسيح وآلامه» Vie de Jesus Christ avec sa passion (لم أجد هذا الكتاب للأسف ولكن تحدث أيضًا عنه الأب جاك بول ميين J. P. Migne[9]

(8) *Die Christliche Kunst* 30 (1933-1934) pp 128- 147

كانت هذه المجلة تصدر شهرية في ميونيخ من عام 1904 إلى 1937. وكانت تحمل عنوانًا فرعيًا هو أنها شهرية تشمل كل حقول الفن المسيحي وتاريخ الفن وكذلك كل فنون الحياة، وذلك من العدد 1 إلى العدد 22، ثم من العدد 22 إلى آخر عدد وهو العدد السنوي 33 تحمل عنوان: شهرية تشمل كل حقول الفن المسيحي وتاريخ الفن. نشرت المجلة بالتعاون مع الجمعية الألمانية للفن المسيحي وكانت تحمل الكثير من الصور مع شروحات للأعمال الكلاسيكية الكبرى وأعطت مجالًا للكتابة عن الإبداع الفني المسيحي المعاصر.

(9) جاك بول ميين Jacques-Paul Migne (1800–1875) أب كاثوليكي فرنسي صاحب مطبعة وناشر كتب دينية وصحافي. يرتبط اسمه بنشر المجلدات الضخمة من كتابات آباء الكنيسة باللاتينية Patrologia Latina وكتابات لآباء باليونانية Patrologia Graeca.

في موسوعته اللاهوتية Encyclopedie Theologique[10] الجزء 11-12. كما أورده الكونت دو دوهيه[11] في كتابه: «قاموس أساطير المسيحية أو مجموعة من الروايات الأبوكريفية والرائعة من العهدين القديم والجديد»[12] (والذي نشره نفس الأب مين بالمناسبة). وهناك صيغة لاتينية للنص نشرت مع ترجمتها الإنكليزية في عام 1851 وهي بعنوان: «حكم الإعدام الذي أصدره بيلاطس البنطي بحق الرب يسوع المسيح مخلص هذا العالم»[13]. وكتب أنها منقولة عن مخطوط قديم يملكه السيد تشارلز هاڤل من ريدنغ C. Havelle, Reading[14].

في عام 1580 نشرت صيغة جديدة من حكم الموت هذا قيل إنه عثر عليها في آكويلا نفسها، ويومها أمر أسقف أبرشية المنطقة (في نوسيرا داي باغاني Nocera dei Pagani[15]) القاضي كاميليو بوريللو من

(10) الموسوعة اللاهوتية L'Encyclopédie théologique نشرها الأب جاك مين وهي جزء من عمل أضخم وأوسع بعنوان «المكتبة العالمية للكنسيين والعلمانيين المتعلمين، أو الدروس الكاملة في كل فرع من فروع العلم الكنسي والبشري، وقد ظهرت المكتبة بدءًا من العام 1837 والموسوعة من عام 1844 حتى 1859 في خمسين جزءًا.

(11) الكونت دو دوهيه: جول دو دوهيه Comte de Douhet: Jules de Douhet (-1854) مؤرخ ومتخصص بالأدبيات المسيحية

(12) *Dictionnaire des légendes du christianisme, ou Collection d'histoires apocryphes et merveilleuses se rapportant à l'Ancien et au Nouveau Testament, de vies des saints également apocryphes et de chants populaires...depuis les premiers siécles de l'église jusqu'aux temps modernes*. Édition: Petit-Montrouge: J.-P. Migne, 1855

(13) *The sentence of Condamnation as passed by Pontuis Pilate against the Lord Jesus Christ the savior of the world.*
Per Erik Beskow: (1985) *Strange tales about Jesus: A Survey of Unfamiliar Gospels*.113 n. 15

(14) أسرة هاڤل من ريدنغ في بيركشاير بإنكلترا ضمت عددًا من الرسامين والنحاتين الكبار إضافة إلى الكتاب والناشرين والمعلمين والموسيقيين. وهي أسرة تنحدر من أرستقراطية النبلاء النورمانديين من عائلة هوتفيل Hauteville.

(15) وتعرف أيضًا باسم Nocera de Pagani أو Nuceria Paganorum وهو الاسم الذي حملته في القديم، ما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر مدينة مواطنين (سيفيتاس) ضمت قسمًا كبيرًا من منطقة أغرو نوسيرينو-سارنيزي Agro Nocerino-Sarnese المشكلة من 5 بلديات.

نابولي للذهاب والتحقيق في المسألة. وفي عام 1581 قدم بوريللو Borello نقدًا عنيفًا أعلن فيه أن الاكتشاف المزعوم كومة أكاذيب[16]. وبفضل شهادة بوريللو حصلنا على النص الإيطالي الأصلي للوثيقة، (كما نشره برلينر) وعلى ترجمة إسبانية مع الأصل الإيطالي تعود للقرن السابع عشر في محفوظات أرشيف ولاية سيمانكاس الإسبانية Simancas وقد نشره أوريليو دوسانتوس أوتيرو Aurelio de Santos Otero[17] في كتابه عن الأناجيل المخفية [18].

ومن هذه الترجمة نشرت ترجمة فرنسية للسيد لاكاز M. Lacaze مع مقدمة بقلم M.jaybert[19].

وبحسب كل هذه المنشورات فإن الأصل نص عبراني اكتشف في حائط متهدم، حيث كان داخل ثلاثة صناديق، واحد من بلاط والثاني من حديد والثالث الخارجي من حجر. وهذا النص يشابه كثيرًا نص اللوحة المعدنية Copper ولكنه يحمل تواقيع خمسة عشر شاهدًا، كما يذكر في مقدمته أسماء العديد من الأمراء والحكام وكبار المسؤولين في زمنه؛ وهو يحمل نفس التاريخ (25آذار) ونفس الاتهامات بحق عيسى ويذكر

(16) راجع برلينر ص 136–141

(17) أوريليو دوسانتوس أوتيرو Aurelio de Santos Otero (–1927) عالم لغويات ومستشرق ولاهوتي إسباني يحمل دكتوراه في اللغات السلافية وفي علم اللغات الشرقية. درس في روما وسالامنكا وميونيخ وبون. كلفته الجامعة البابوية في سالامنكا بنشر طبعة نقدية بلغتين للأناجيل المخفية الأبوكريفية باللغة الإسبانية. قام أولًا بجمع كل النصوص المتوفرة في حقل الأبوكريفا متجاوزًا الطبعات الناقصة ثم قام بترجمتها عن اللغات الأصلية التي كان يجيدها، أما تلك التي لم يكن يجيدها فقد ترجمها من أفضل الطبعات الخاصة باللغات الفرنسية والإنكليزية والألمانية والإسبانية.

(18) *Los Evangelios Apocrifos*. Madrid. La Editorial Catalica 1963., pp. 532-535

(19) *Sentence prononcée par Ponce Pilate contre Jésus-Christ, le 25 mars de l›an 73 de l›établissement de l›empire romain*. Introduction, par M. Jaybert, Léon. (L. Hébrail, Durand et Delpuech. Toulouse. 1872)

اسم نفس قائد المئة كوينتيس كورنيليوس الذي أمر باقتياد عيسى من باب معين (هنا اسمه زاغورلا Zagorla)[20] مع التشديد على تحذير كل من تسول له نفسه الوقوف في وجه تنفيذ الحكم. ومن التواقيع: دانيال وجواني، ويُذكر أنهما ربانيين (rabini) بالإيطالية رابي ولاحقًا تحول إلى اسم علم روباني). نقطة الاختلاف بين هذا ولوحة آكويلا هي أنه هنا تأتي عبارة «حاكم الجليل السفلي» بعد اسم بيلاطس ولكن يليها اسم هيرودوت أنتيباس (الذي كان فعلًا حاكم الجليل). ولم يظهر نقد ومحاكمة بوريللو للاكتشاف المزعوم قبل العام 1588 وفي ذلك الحين كانت القصة قد انتشرت خارج حدود إيطاليا فظهرت ترجمة فرنسية عام 1581 وفي نفس السنة ترجمة ألمانية. وأخرى إسبانية عام 1583 أحدثت ضجة كبرى في حينه[21].

ويذكر برلينر 3 نشرات ألمانية: نورنبرغ Nürenberg 1581، ريغنسبورغ Regensburg 1581، ماغدبورغ Magdeburg 1584[22].

بالعودة إلى النشرة الإسبانية (مدريد 1583) فقد أعدها الأخ الراهب رودريغو دو ييبس De Yepes[23] وقد أحدثت ضجة في الأوساط

---

(20) لم أجد أي مرجع يذكر هذا الباب ولعله الباب المعروف باسم الباب الذهبي وهو عند اليهود باب الرحمة: שער הרחמים، وهو عند المسلمين بابان أولهما باب الرحمة والثاني باب التوبة. ويعتبر المسلمون مثل المسيحيين أنه الباب الذي دخل منه المسيح إلى القدس.

(21) الترجمة الفرنسية نشرها Guillam Julien Paris 1581 وأعاد نشرها Le Febre باريس 1621 ونشرة ثالثة أعدها Augustine Soulier عام 1839.

(22) يرد في مقدمات الترجمات الالمانية أنه حين وصل الفارس الألماني ملشيور لاسي Melchior Lussy حاجًا إلى الأراضي المقدسة في فلسطين عام 1583 أعطي شيئًا قيل إنه الأصل العبراني وقيل إنه ترجمه هناك إلى الألمانية وأحضره معه.

(23) الراهب رودريغو دو ييبس Rodrigo de Yepes كان راهبًا وكاتبًا إسبانيًا من الثلث الأخير من القرن السادس عشر. ولا نعرف عنه الكثير سوى أنه كان ربما من مواليد ييبس في طليطلة وكما يبدو من أعماله ارتباطه بمقاطعة لامانشا. كان أستاذًا ومبشرًا في دير سان خيرونيمو إل ريال في مدريد: San Jerónimo el Real. ترجم ونشر كتبًا كثيرة وطبعها في الدير نفسه. كما =

الدينية كما عند الشعب. وقد صدر في لندن في عام 1922 كتاب بقلم P. R. Lyell[24] يتهم هذا الراهب بأنه هو مخترع هذه الحكاية. لكن أهمية المسألة تبدو في إعادة نشر الترجمة الإسبانية على يد أسقف أشبيلية D. N. Guerra في العام 1786.

ثمة وثيقة أخرى انتشرت منذ العام 1580 تدعى بروتوكول السنهدرين: وهي عبارة عن محضر اجتماع مزعوم للسنهدرين نوقشت فيه جريمة وعقاب عيسى وعبّر فيه المجتمعون عن أرآئهم كلٍ بدوره، وتذكر الوثيقة أسماء عشرين متكلمًا منهم يوسف من الرامة الذي يقف إلى جانب عيسى، فيما تنقل الوثيقة الكلام المعروف للحاخام قيافا[25] أن هذه الكلمات قيلت في اجتماع بعد أعجوبة قيام أليعازر من القبر[26].

نص الحكم الصادر عن بيلاطس البنطي Pontius Pilate أو لوحة أكويلا[27].

= كتب عملًا معاديًا للسامية «تاريخ الموت والشهادة المجيدة للأبرياء من «القديسين» المسمى لاغوارديا» (1583)، وسيرة حياة الفيزيغوط سانتا فلورنتينا. كما كتب وصفًا لفلسطين لغاية هداية الحجاج..

(24) جيمس باتريك رونالدسون لايل (1871-1948) كاتب وناشر ومنتج ومراسل ومالك مكتبات. له 123 عملًا في 219 مطبوعة في 5 لغات، ومالك 1433 كتابًا قيمًا..

(25) ورد ذكر اسمه في إنجيل يوحنا 11: 45-53

(26) فَكَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مَرْيَمَ، وَنَظَرُوا مَا فَعَلَ يَسُوعُ، آمَنُوا بِهِ. وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَمَضَوْا إِلَى الْفَرِّيسِيِّينَ وَقَالُوا لَهُمْ عَمَّا فَعَلَ يَسُوعُ. فَجَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ مَجْمَعًا وَقَالُوا: «مَاذَا نَصْنَعُ؟ فَإِنَّ هذَا الإِنْسَانَ يَعْمَلُ آيَاتٍ كَثِيرَةً. إِنْ تَرَكْنَاهُ هكَذَا يُؤْمِنُ الْجَمِيعُ بِهِ، فَيَأْتِي الرُّومَانِيُّونَ وَيَأْخُذُونَ مَوْضِعَنَا وَأُمَّتَنَا» فَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ قَيَافَا، كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ: «أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا، وَلاَ تُفَكِّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلاَ تَهْلِكَ الأُمَّةُ كُلُّهَا!».وَلَمْ يَقُلْ هذَا مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الأُمَّةِ،وَلَيْسَ عَنِ الأُمَّةِ فَقَطْ، بَلْ لِيَجْمَعَ أَبْنَاءَ اللهِ الْمُتَفَرِّقِينَ إِلَى وَاحِدٍ. فَمِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ تَشَاوَرُوا لِيَقْتُلُوهُ.

(27) The sentence of Pontius Pilate: being an alleged copy of the formal judgment against Jesus. London: Grafton, 1922.

«الحكم الصادر عن بيلاطس البنطي الحاكم التنفيذي على الجليل الأدنى، وفيه يقرر أن عيسى الناصري يموت صلبًا وذلك في السنة السابعة عشر من ملك الإمبراطور تيبريوس Tiberius وفي اليوم السابع والعشرين [أو الخامس والعشرين] من شهر مارس في المدينة الأقدس أورشليم، في أيام حبرية آناس وقيافاس، حيث إن بونتيوس بيلاطس حاكم الجليل السفلي، وهو جالس على كرسي رئاسة القضاء، يحكم على عيسى الناصري بالموت وهو معلق على الصليب وسط لصين اثنين، وذلك بعد أن أدانته إثباتات الشهود الكثيرة والمعتبرة والتي اتفقت على القول:

1- أن عيسى ضال مضلّ

2- أنه محرض على الفتنة

3- أنه عدو الشريعة

4- أنه يسمي نفسه بضلال ابن الله

5- أنه يسمي نفسه بضلال ملك اسرائيل

6- أنه دخل الهيكل تتبعه حشود تحمل أغصان النخيل

ولذلك فإننا نأمر قائد المئة كوينتوس كورنيليوس، بأن يقوده إلى مكان تنفيذ الاعدام. وأننا نمنع أيًا كان، وكائنًا من كان، غنيًا كان أم فقيرًا، بأن يعارض موت عيسى المسيح.

الشهود الذين وقعوا على حكم الإعدام الصادر بحق عيسى هم:

1- دانيال رباني فريسي؛ 2- يوهانس رباني؛ 3- رافائيل رباني؛ 4- كابيت: مواطن «نبغي أن يخرج عيسى من مدينة أورشليم عبر باب ستروبونوس»[28].

(28) Struenus و لم أجد أي أثر لهذا الباب في بوابات القدس القديمة. ولكن بعض =

2- قصة بيلاطس

قصة بيلاطس: نشرها أندرياس فابر-قيصر Andreas Faber - Kaiser[29] في كتابه المسيح مات في كشمير[30]. وأندرياس شاب متحمس للطريقة أو البدعة الأحمدية (القاضيانة). وبحسب الكتاب فإن نص رسالة بيلاطس البنطي إلى تيبريوس قيصر Tiberius Ceasar كتبت عام 32 م وأن الأصل موجود في المتحف البريطاني وأن هناك نسخة في مكتبة الكونغرس في واشنطن. والرسالة تستعيد ما ورد في نص اشتهر قبل حوالى 150 سنة بعنوان «تقرير بيلاطس». والمعروف أن بيلاطس حيّر علماء المسيحية كما جمهورها وكان مدعاة وموضوعًا لقصص عديدة ولروايات حول حواره مع المسيح. وهناك في الأناجيل والنصوص المخفية نص بعنوان «أعمال بيلاطس» كما أن هناك نصًا آخر ضمن الإنجيل المعروف باسم إنجيل نيقوديموس (أنظر القسم الخاص بالأناجيل الأبوكريفية).

في مطلع الخمسينات من القرن التاسع عشر، أعلن قسطنطين تيشندورف عن عثوره في حفريات قام بها في الشرق على عدة نصوص تعود لبيلاطس وقام بنشرها بعنوان (أعمال بيلاطس). بعدها قام قس أميركي اسمه وليام ماهان[31] من كنيسة بونفيل ميسوري المشيخية

= الأصدقاء المقدسيين أشاروا لي أنه يمكن أن يكون المقصود باب الرحمة المسمى بالعبرية Sha'ar Harachamim والمعروف أيضًا بالباب الذهبي وقد ورد في مكان سابق أن اسمه زاغورلا.

(29) أندرياس فابر-قيصر Andreas Faber- Kaiser (1944-1994) كاتب إسباني من أصول ألمانية كان ناشرًا لمجلة Mundo Desconocido الخاصة بالأجسام الطائرة المجهولة (Unidentified Flying Object)، أو ما يعرف بمختصر يو إف أو (UFO) وبالأمور المخفية.

(30) Andreas Faber- Kaiser. *Jesus died in Kashmir*. London: Gordon and Cremonest 1978., paper back ed: London Abacus Books 1978

(31) وليام دنس ماهان William Dennes Mahan (1824-1906)

Boonville, Missouri بنشر كتاب آخر عنوانه «تقرير بيلاطس» (1856) زعم أنه من المخفيات المكتشفة حديثًا. وبحسب ماهان فإن هناك مخطوطًا لاتينيًا موجودًا في مكتبة الفاتيكان عبارة عن تقرير بخط يد بيلاطس نفسه. وفي عام 1859 قال ماهان إنه حصل على ترجمة للمخطوطة بواسطة ثلاثة أشخاص ذكر أسماءهم كالتالي:

C. C. Vanberger, Peter Freelinhusen, Henry C. Whydaman

زاعمًا أن فريلنهوسن هو رئيس حرس الفاتيكان. ولم يقم أحد بالتأكد من وجود هؤلاء الأشخاص (لم أجد أي أثر لهذه الأسماء في أي من الموسوعات المختصة). ولم ينشر ماهان التقرير المزعوم إلّا في عام 1879 وقد نال نجاحًا عجيبًا ونشر في طبعة ثانية عام 1880[32]. وقد أثار الكتاب اهتمام وليام كلاف الذي أعطى له مكانًا في مجلده المسمى Gesta Pilati[33] وهو عبارة عن مجموعة من النصوص المسيحية القديمة المتعلقة ببيلاطس معظمها مأخوذ من ترجمة ألكسندر والكر Alexender walker الإنكليزية لنص تشندورف السابق الذكر؛ يضاف إليها النص الغريب المسمى قرار قتل عيسى (بحسب رواية اللوحة المعدنية السالفة الذكر) ونص آخر عنوانه «وصف صحيح لمحكمة بيلاطس» «A correct Transcript of Pilate’s Court» هو عبارة عن نص ماهان نفسه (تقرير بيلاطس). كما أن كلاف هذا نشر مقاطع من التقرير باللاتينية (في حين أن ماهان كان زعم أنه حصل فقط على ترجمة للنص في اللاتينية).

أما القصة في حد ذاتها فهي تصف صراع بيلاطس الداخلي خلال محاكمة عيسى وكيف أن زوجته كانت تناشده العفو عن المسيح إلاّ أنه

(32) Egar J. Goodspeed, *Strange New Gospels*, The University of Chicago Press. Chicago. Illinois. 1931., pp. 43-45

(33) William Overton Clough: *Gesta Pilati: Or, The Reports, Letters and Acts of Pontius Pilate, Procurator of Judea, with an account of his life and death.* Publisher R. Douglass. Indianapolis: 1880.

لم يكن عنده قوات رومانية كافية لحماية نفسه ومقاومة القوات التي كان يقودها حاخامات وكهنة اليهود. كما لم تصل القوة التي كان ينتظرها وقوامها ألفي رجل إلا بعد تنفيذ الصلب بليلة. وأن الصلب نفذ وسط حزن وغم بيلاطس الذي اعتبر نفسه ضحية قدر ظالم.

وبحسب غودسبيد فإن هذه القصة لها أصل أدبي في رواية لصاحبها الفرنسي جوزيف ميري Joseph Méry (1797–1866) عنوانها «بيلاطس البنطي في فينيا»[34] وقد ترجمت الرواية إلى الإسبانية والإيطالية (بوغوتا 1838– ميلانو 1837). أما الترجمة الأميركية (بوسطن 1842) فلم تذكر المؤلف وإنما ذكرت أن «النص مأخوذ من مخطوط لاتيني قديم اكتشف حديثًا في «فيينا» وعنوان الكتاب الأميركي»رواية بيلاطس عن الحكم على عيسى المسيح وعذابه النفسي الشديد لذلك». هناك ترجمة عربية نشرها الأسقف الأرثوذكسي جراسيموس يارد Jerasimus[35]

(34) Joseph Mery (1798–1867). *Ponce Pilate à Vienne*, *Revue de Paris*. Janvier 1837, pp 193-212

وهذه الرواية أعاد نشرها جوزيف ميري في كتابه: ليالي لندن، الجزء الثاني، فصل بعنوان بيلاطس البنطي في فيينا.

Joseph Mery. *Les nuits de Londres*. Paris: Dumont.1840, t2, Ponce Pilate à Vienne. pp.145-189

(35) المتروبوليت جراسيموس يارد، مطران سلفكياس (أبرشية زحلة وبعلبك وصيدنايا ومعلولا) ولد في راشيا وادي التيم سنة 1840. في العام 1851 دخل مدرسة دمشق الكهنوتية، (وهي أحد فروع المدارس الأرثوذكسية الدمشقية الكبرى) وفي عام 1858 انتخب معلمًا لمدرسة حماة الأرثوذكسية ثم دخل لمدة عام واحد في إحدى مدارس القسطنطينية اللاهوتية في عام 1861 سافر مع الإرشمندريت شاتيلا الى موسكو لتحقيق ذلك ودخل في مدرسة موسكو اللاهوتية الإكليريكية عام 1862 وأتم دروسها بنجاح في عام 1868. ثم تابع دراسته اللاهوتية العليا في كلية بطرسبرغ وأكمل دراسته في اللاهوت والفلسفة أتقن العربية والروسية واليونانية والتركية وبعض السريانية والعبرية. وفي عام 1872 سمي أستاذًا لمدرسة (بسكوف)، ثم اختير رئيسًا لمدرسة ريغا اللاهوتية في فنلندا ثم أستاذًا لتاريخ الكنيسة البيزنطية الشرقية في مدرسة بطرسبرغ حيث ألف ونشر بعض تآليف هامة في اللغة الروسية وبسببها نال رتبة «عالم لاهوتي» وكان أول عربي ينال هذه الرتبة. في سنة 1889 انتخبه المجمع الأنطاكي =

jared عام 1889 وقد وجدت الطبعة الثانية منها الصادرة عام 1897 عن «المطبعة العثمانية في بعبدا، لبنان» و«تُطلب من المكتبة السورية في بيروت لصاحبها عبده أفندي يني» (وهي بعنوان «رواية إقرار بيلاطس»). ووجدت ترجمة إنكليزية عن هذه الترجمة العربية نشرها في أستراليا ب. شحادة[36] (New South wales 1893) ثم أعيد نشرها في إيست أورانج/ نيو جرسي بأميركا سنة 1917. ويرى غودسبيد أن أناتول فرانس قد استوحى من هذه القصة روايته الساخرة الشهيرة عن بيلاطس Le Procurateur de Judée 1890 والتي ضمها إلى مجموعته المنشورة عام 1891 بعنوان (l'etui de Nacre). والغريب أن ميري يقول في مقدمة روايته إنه استوحاها من مخطوط لاتيني قديم قرأه حديثًا.

إذن الأصل ليس الرواية وإنما العكس...

في عام 1884 نشر ماهان 12 نصًا جديدًا تحت عنوان «الكتابات الأركيولوجية والتاريخية للسنهدرين ولتلمود اليهود مترجمة عن المخطوطات الأصلية الموجودة في القسطنطينية وفي الفاتيكان بروما»[37]. وقد نشر مرارًا تحت هذين الاسمين المختصرين «The Archko volum», «the Archko Library»[38] واعتبره الكثيرون حقيقيًا صادقًا فيما تبين لاحقًا أنه مزيف

= المقدس بالإجماع مطرانًا على أبرشية سلفكياس فقام بترميم كنائسها من جيبه الخاص وجهزها، وأوجد نهضة حقيقية في أبرشيته، واستمر على سدتها حتى 1899 حيث توفي يوم 13 أيلول. وجرى له تشييع لائق خرجت زحلة والبقاع كلها تقديرًا له بحضور القناصل يتقدمهم القنصل الروسي وأركان الجمعية الإمبراطورية الروسية لأنه كان من قادتها...

(36) يرد في تعريف السيد شحاده على غلاف الكتاب أنه مترجم رسمي سابق لدى حكومة نيوساوث وايلز باستراليا ولم أجد له أي تعريف آخر.

(37) «*The Archeological and historical writings of the sahedrim and talmuds of Jesus, Translated from the Ancient Parchments and scrolls at Constantinople and the Vatican at Rome*»

(38) Goodspeed. *Strange New Gospels*., op.cit., p. 46-69

عن الترجمة البلغارية لوثيقة بيلاطس

في نص للباحث الديني البلغاري نايدن بوتشيف بعنوان «المسيح في التاريخ» منشور على الموقع الإلكتروني المسمى «الجماعة الرسولية العالمية» والتابع للكنيسة الأدفنتستية، باللغة البلغارية، يقدم الأستاذ بوتشيف نص تقرير بيلاطس ويعرضه كما يلي (بترجمة جورج حداد)[39]: «تكتسب هذه الوثيقة أهمية دينية وتاريخية، لما تشير إليه من وخز الضمير الذي حل ببيلاطس البنطي، بعد أن حكم بالإعدام على يسوع المسيح، وتوضيحه للأسباب التي دفعته للنطق بهذا الحكم غير العادل... وإليكم الطريقة التي حصلنا فيها على هذه الوثيقة: إن القراء الكرام سوف يشعرون بالاحترام وعرفان الجميل حيال المؤمن المسيحي ف. د. ماهان، الذي أعار الاهتمام لهذه الوثيقة المهمة وقام بترجمتها إلى اللغة الإنكليزية.

في البدء كان ماهان قد سمع عن هذه الوثيقة من بروفسور ألماني كان قد أكب منذ سنوات طويلة على التنقيب باهتمام في المكتبة الكبيرة للفاتيكان. وكان البروفسور الألماني قد وجد فيما وجد مخطوطة التقرير الذي أرسله بيلاطس إلى القيصر في روما، ولكنه في البداية لم يعره الاهتمام الكافي حتى ينسخه. وبعد عدة سنوات تحدث بشأن هذه الوثيقة مع ف. د. ماهان، فأثار لدى الاخير الاهتمام والرغبة في الحصول عليها. وبهذا الصدد كتب ماهان لصديقه البروفسور الألماني كي يزوده بالوثيقة. وكان الأخير على علاقة صداقة مع الأسقف فرايلينيهايزن، مدير محطة الفاتيكان، فرجا منه أن يزوده بترجمة باللغة الإنكليزية لهذا التقرير:

(39) ترجم النص عن البلغارية السيد جورج حداد المقيم في بلغاريا ونشره على موقع الحوار المتمدن: العدد: 3583، في 21 كانون الأول/ ديسمبر 2011، بعنوان: تقرير بيلاطس البنطي عن قضية صلب السيد المسيح. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=288289

(وفيما يلي نص الترجمة باللغة البلغارية، ويفهم ضمنًا من نص الأستاذ نايدن بوتشيف أن الترجمة البلغارية هي عن الترجمة الإنكليزية ولكنه لا يذكر اللغة الأصلية للتقرير التي نفترض أنها اللغة اللاتينية القديمة، كما لا يذكر بوتشيف من ترجم النص البلغاري عن النص الإنكليزي. ومن دون أن يكون لدينا أي رأي مسبق حول المترجمين، الذين لا نعرف أيًا منهم، فنحن نتحفظ على مسألة الأمانة في الترجمة، لا سيما في موضوع شديد الحساسية كهذا الموضوع، مع إبداء ثقتنا مسبقًا بأنه من المنطقي تمامًا وشبه المؤكد أن الفاتيكان قد اطلع مسبقًا على الترجمة الإنكليزية والترجمة البلغارية التي تولى نشرها الأستاذ نايدن بوتشيف، والتي نتولى نحن ترجمتها ونشرها عن اللغة البلغارية. ونعتذر تمامًا ومسبقًا عن أي ضعف أو ركاكة أو خطأ غير مقصود في ترجمتنا العربية) (انتهت مقدمة المترجم جورج حداد).

3- رسالة الأسينيين أو رواية شاهد عيان

مقاطع من الرسالة المذكورة

«لقد أخبرتكم عن كل هذه الأمور يا أخوتي لكي تعرفوا حقًا بأن عيسى كان أخونا وأنه كان ينتمي إلى طريقنا المقدسة. وينبغي أن تزول بعد ذلك كل الشكوك والترددات حول هذا الموضوع. إن أخينا عيسى قد تحمل عذاب الموت بإرادته وذلك لكي يمجد ويعلي شأن عقائد طريقتنا وإن خير ثواب نجزيه هو في أن نستطيع بنفس الطريقة أن نضحي بأنفسنا من أجله... لقد سمعتم الروايات التي نشرها اليهود وتلامذته حوله وكيف أنهم رأوه في الجبال وعلى الطريق بعد أن كانوا اعتقدوا موته. لقد أعطتنا العناية الإلهية معرفة دقيقة بتلك الحوادث ما زالت مخبوءة ومجهولة من قبل الشعب وإن واجبنا هو أن نعلمكم بالوقائع جوابًا على أسئلتكم المتعلقة بذلك. وحتى وأنا أكتب هذه المقاطع فإن عيني

تغالب الدموع وأنا أتخيل أخينا وسط عذاباته وآلام الموت ويتألم عقلي المصاب المجروح لذكرى شجاعته العظيمة وتضحيته بذاته. لقد أرسله الله بعد أن اختاره من بيننا وهو الحبيب إلينا جميعًا وأوحى إليه بالعلم والمعرفة بالطبيعة وعناصرها. وهاكم يا اخوتي ما حدث في أورشليم قبل سبع سنين (سبعة فصوح): لقد رأيت ذلك بأم عيني وحافظت على السر وفمي مغلوق حتى لا يعرف العالم الحقيقة لأن اليهود والوثنيين لا يؤمنون بغير ما يرونه رأي العين... ولذلك فإنهم لا يصدقون بوجود الله خارج نطاق ما يدركون بحواسهم»...[40]

بحسب الرسالة يقول عضو في جماعة الآسينيين إنه شاهد عيان على صلب المسيح وهو يذكر بأن المسيح لم يمت على الصليب بل أنه جرى إنقاذه سرًا وإنزاله ونقله إلى مكان بعيد. وبحسب الرسالة فإنها تقرير من جماعة أورشليم إلى إخوانهم في الإسكندرية، كتب بعد سبع سنوات من صلب المسيح. وبالتالي فإن عيسى كان عضوًا في الجماعة ويعرف أسرارها ومعظمها عبارة عن أدوية وعلاجات لأمراض مختلفة. وبحسب الرسالة فإن يوسف الرامي[41] ونيقوديموس أنقذا عيسى عن

---

(40) هذا النص ترجم ونشر بالإنكليزية تحت عناوين مختلفة منها:

1- *The Crucifixion by an Eye Witness* 1907

2- *The Crucifixion and the Resurection of Jesus By an Eye Witness* (1919)

3- *The Crucifixion An Eye witness Account* (1975)

4- Supplemental Harmonic service, Vol 2 (Chicago: Indo-Aremican Book Co. 1907)

5- Los Angelos Holmes Book (Company 1919)

6- The academy of Mystic Arts,New York 1975. With a Forward by: grand Master Blana MED PA, Grand Master Temple of the White Flame

الطبعة الأولى (1907) التي نقلنا عنها مقاطع الرسالة (ص 54-55) ما زالت تطبعها فرقة الأحمدية في أميركا وكذلك في لاهور (طبعة سيد عبد الحي لاهور 1977).

(41) وفق المعتقدات المسيحية فإن يوسف الرامي كان رجل من الأغنياء وكان من بلدة **الرامة** وكان قد حفر لنفسه قبرًا في الجبل ولكن دفن فيه يسوع وقد اشترى الأكفان من الأقمشة الغالية ليكفن بها يسوع. كان يوسف الرامي واحدًا من الذين آمنوا بالمسيح وقد قام بطلب جسد يسوع من بيلاطس فأذن له بيلاطس بأن يأخذه فقام الرامي بإنزاله عن الصليب =

الصليب وإن الأخير نيقوديموس كان يمتلك أسرار فن الشفاء الذي كان يمارسه الآسينيون. وهكذا فإن عيسى ظهر لاحقًا أمام أتباعه الذين لم يكونوا يعرفون أسرار الطريقة ولذلك آمنوا بأنه قام من الموت. وبحسب الرواية فإن الملائكة عند القبر وعند الصعود كانوا أخوة آسينيين يلبسون لباسهم التقليدي الأبيض. والمسألة الرئيسة في الرواية أن الاخوة الآسينيين كانوا هم العارفون وقادة مجرى العملية في حين أن التلامذة كانوا جاهلين وغير مصدقين وذاهلين ويعتقدون أنهم يرون عجائب ومعجزات في أمور كان الأخ الآسيني يعرف أن لها أسبابًا طبيعية. وبحسب الرواية فإن عيسى مات بعد ستة أشهر بسبب آثار التعذيب والصلب.

الرسالة الآسينية هذه لها أصل ألماني إذ إنها نشرت أولًا في ليبزيغ عام 1849 ونشر معها رواية أخرى عن طفولة عيسى لم تعرف أية ترجمة إلى الإنكليزية...

حين ظهرت الرسالة الآسينية لم يكن العالم يعرف الكثير عن تلك الجماعة باستثناء المعلومات القليلة المتفرقة من كتابات المؤرخين اليهود أمثال فيلو ويوسيفوس أو الروماني بليني الكبير Pliny the Elder. ولم يعرف العالم عن الجماعة قبل اكتشاف مخطوطات البحر الميت (قمران). ويعتقد معظم الباحثين اليوم أن جماعة قمران هم الآسينيون أو أنهم فرقة منهم أو مقربون منهم.

ولكن الرسالة التي نشرت في ألمانيا قيل إن أصلها لاتيني في حين

= وبدفنه في قبر كان قد نحته لنفسه في بستانه. وبحسب إنجيل يوحنا فإن نيقوديموس الفريسي وهو أحد أتباع يسوع كان قد ساعد الرامي بعملية الدفن، وكانت هناك أيضًا مجموعة من النسوة المؤمنات بيسوع تنظر أين دفنوا الجسد: «وَتَبِعَتْهُ نِسَاءٌ كُنَّ قَدْ أَتَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ، وَنَظَرْنَ الْقَبْرَ وَكَيْفَ وُضِعَ جَسَدُه. فَرَجَعْنَ وَأَعْدَدْنَ حَنُوطًا وَأَطْيَابًا. وَفِي السَّبْتِ اسْتَرَحْنَ حَسَبَ الْوَصِيَّةِ».

أن الآسينيين الحقيقيين كانوا يكتبون بالعبرانية أو الآرامية ولم توجد أية مخطوطة لاتينية بين وثائق قمران. وإذا كانت الرسالة موجهة إلى الاخوة في الإسكندرية فهؤلاء يتكلمون اليونانية ولم يعرف يهود شرق الإمبراطورية الرومانية اللاتينية أبدًا. (هذه ملاحظة Beskow[(42)] ولكن تعليقي هو أن النص مترجم إلى اللاتينية من أصل عبراني أو آرامي). (تؤكد الرسالة على الثوب الأبيض وعلى المعالجة والشفاء بواسطة الأعشاب والأحجار وعلى أسرار الطبيعة وتأثير الأحجار والأعشاب على جسم الانسان).

❋ ملاحظة Beskow المهمة أن الآسيين كانوا يهودًا ولذا فإنه لم يكن ممكنًا أن يتكلموا عن اليهود كشعب آخر أو غريب عنهم (كما في الرسالة) وهو يرى بأن ذلك يؤكد الأصل المسيحي للرسالة، حيث إن المسيحية رأت نفسها كشعب ثالث إلى جانب اليهود والأغيار (Gentiles).

❋ الملاحظة الأفضل هي ذكره أن الرسالة تعرف الأناجيل وهي تسمي الأربعة في حين أننا نعرف أن الأناجيل وأن الكتبة هؤلاء لم يكونوا شهودًا ولم يوجدوا ما بين العام 30–40 (تاريخ كتابة الرسالة). وفي الرسالة ذكر لإنجيل مرقس وللمقطع المضاف إليه وهو يعود إلى القرن الثاني ميلادي مما يؤكد تزوير الرسالة (مسيحيًا)

❋ قصة اكتشاف الرسالة بحسب الترجمة والمقدمة الألمانية:

عثر على المخطوط اللاتيني مع الرسالة في مكتبة دير مهجور

(42) بير إريك بسكوف Per Erik Beskow (1926–2016) عالم كتابي سويدي من مواليد ستوكهولم. كتابه «حكايات غريبة عن المسيح»: نظرة في أناجيل غريبة (1985) Strange tales about Jesus: A Survey of Unfamiliar Gospels هو مجموعة من المقالات والأبحاث في الأبوكريفا الحديثة وقد فضل بسكوف لاحقًا تسميتها بالتزويرات وقام بمراجعة الكتاب وتحديثه ليصدر بعنوان: *The Blackwell Companion to Jesus* (2011).

في الإسكندرية وقد حاول الأرثوذكس واليسوعيون منع الأكاديمية الفرنسية من الاحتفاظ بالمخطوط وحتى حاولوا تدميره. الاّ أن نسخة منه وصلت إلى أيدي «جمعية الفيتاغوريين» ومنهم إلى أيدي أخوية ألمانية هي في الحقيقة آخر مخلفات حكمة الآسينيين القديمة. حين نشرت الرسالة في عام 1849 قام لاهوتي يدعى يوهان تروويل بدحض الرواية الأولى[43] وأثبت أنها عبارة عن نقل رواية معروفة عن المسيح ظهرت في مطلع القرن التاسع عشر وهو وصف تلك الرواية لصاحبها كارل هينريش فنتوريني[44] وأكد إضافة إلى ذلك أن تراث عصر الانوار مليء بمجادلات تجعل عيسى من الآسينيين ومن المعالجين الطبيعيين وذلك تماشيًا مع تقاليد وروح العقلانية الجديدة يومذاك. فمنذ العقود الأولى من القرن الثامن عشر ظهر لاهوت الأنوار العقلاني خصوصًا بعد سقوط آل ستيوارت في إنكلترا (1689) وهكذا أصبح العهد الجديد وشخصية عيسى موضوع نقد ومراجعة وإخضاع لأولوية العقل إذ إنه لم يعد مقبولًا أن تتضمن المسيحية شيئًا مخالفًا للعقل. وفي نفس الفترة ازدهرت الجماعات السرية مثل الماسون والمتنورين Illuminati والـ Rosicrucians واستهواهم التأكيد على كون عيسى عضوًا في جماعة مشابهة هي الآسينيين. وفي عام 1717 صرّح الإنكليزي همفري بريدو Humphrey Prideaux[45] بأن أتباع الربوبية يرون في المسيحية فرعًا من

(43) Johann Nepomuk Truelle, *Für Jeden Christen Höchst Nothwendige Aufklärungen Über die Allein Wahre Todesart Jesu Christi: Ein Unenthehrlicher Beitrag zum Verständnisse des... Jesu; Nicht aus Einem Alten* (German Edition)

(44) Karl Heinrich Georg Venturini. *Natiirliche Geschichte des grossen Propheten von Nazareth*. (A Non-supernatural History of the Great Prophet of Nazareth.) Bethlehem (Copenhagen), 1st ed., 1800-1802; 2nd ed., 1806. 4 vols.,

(45) همفري بريدو هو مستشرق إنگليزي اشتهر بكتابه «حياة محمد»، الذي نشر سنة 1697 وخصصه لدحض الربوبية. ولد غربي إنكلترة 1648م. التحق بجامعة أوكسفورد، في كلية المسيح، وحصل على البكالوريوس في الآداب في يونيو سنة 1672، وعلى الماجستير في الآداب في نوفمبر سنة 1682، وعلى الدكتوراه في اللاهوت في يونيو سنة 1686. وفي سنة =

الآسينية[46]. من إنكلترا انتشرت هذه الأفكار إلى كل أوروبا. في ألمانيا كان النقد الجذري للمعتقدات الكنسية حول عيسى قد جاء من هرمان صامويل ريماروس Hermann Samuel Reimarus[47] الذي وصف عيسى بأنه سياسي ثوري وقال إن التلامذة سرقوا جسده عن الصليب. وقد

= 1678 عُيّن مدرّسًا للغة العبرية في كلية المسيح بجامعة أوكسفورد. وقد انتقده بشدة جورج سايل في ترجمته للقرآن. وأهم كتبه هو: «العهد القديم والعهد الجديد مرتبطين، في تاريخ اليهود والأمم المجاورة... حتى عصر المسيح»

The Old and New Testament connected, in the History of the Jews and Neighbouring Nations... to the Time of Christ, 1716–18, fol., 2 vols.; very frequently reprinted; 1845, 2 vols. (edited by Alexander M'Caul); in French, *Histoire des Juifs*, &c., Amsterdam, 1722, 5 vols.; in German, 2 vols. 1726.

(46) الربوبية تعريب لكلمة Deism الإنكليزية المشتقة من الكلمة اللاتينية رب Deus، والربوبية هي مذهب فكري لا ديني وفلسفة تؤمن بوجود خالق عظيم خلق الكون وبأن هذه الحقيقة يمكن الوصول إليها باستخدام العقل ومراقبة العالم الطبيعي وحده دون الحاجة إلى أي دين. معظم الربوبيين يميلون إلى رفض فكرة التدخل الإلهي في الشؤون الإنسانية كالمعجزات والوحي. الربوبية تختلف في إيمانها بالإله عن المسيحية واليهودية والإسلام وباقي الديانات التي تستند على المعجزات والوحي حيث يرفض الربوبيين فكرة أن الإله كشف نفسه للبشرية عن طريق كتب مقدسة. ويرى الربوبيين أنه لا بد من وجود خالق للكون والإنسان فيختلفون بذلك عن الملحدين أو اللاربوبيين بينما يتفقون معهم في اللادينية. برزت الربوبية في القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر خصوصًا خلال عصر التنوير، لا سيما في ما يعرف الآن بالمملكة المتحدة وفرنسا والولايات المتحدة وأيرلندا. معظم الربوبيين في ذلك الوقت كانوا قد ولدوا مسيحيين ولكن تركوا المسيحية بسبب عدة قضايا مثيرة للجدل ووجدوا أنهم لا يمكنهم الإيمان بالثالوث أو إلوهية السيد المسيح أو المعجزات أو عصمة الكتاب المقدس ولكن كانوا يؤمنون بإله واحد. الربوبية لم تشكل أي تجمعات في البداية ولكن مع الوقت أثرت الربوبية على الجماعات الدينية الأخرى بشكل قوي كالمجموعة التوحيدية والمجموعة الكونية التي تطورت من الربوبية.

(47) هرمان صامويل ريماروس (1694–1768) فيلسوف ألماني ولد وعاش ومات في هامبورغ وكان أحد كتاب التنوير اشتهر بإيمانه بعقيدة الربوبية وبأن العقل البشري قادر على الوصول إلى معرفة الله والقيم الأخلاقية من دراسة الطبيعة وحقيقة الإنسان الداخلية، وبالتالي فلا حاجة للأديان القائمة على الوحي. كان أول المؤثرين في دراسة يسوع التاريخي الذي قال عنه إنه شخص يهودي من الناس ونبي لشعبه وإن الحواريين هم من أسس الديانة المسيحية بوصفها دينًا لا علاقة له بتبشير عيسى الأصلي الحقيقي.

انتشر النقاش في جامعات ألمانيا خصوصًا حول انتماء عيسى للآسينيين وأول من كتب جديًا حول هذه المسألة اللاهوتي المغامر البروسي كارل فريدريك باهردت[48] Karl Freidrick Bahrdt وكان لفترة من الزمن محاضرًا مشهورًا وشعبيًا في جامعة هاله Halle. مات ريماروس عام 1768 غير أن أطروحاته لم تنشر قبل عام 1774-1778 وذلك من قبل G.E. Lessing[49] ومن دون ذكر اسم المؤلف[50] وشويتزر[51] يذكر بأن الرسالة الآسينية منقولة عن رواية فنتوريني من دون أن يذكر ترولّلي Truelle الذي كان أول من اشار إلى الصلة بين الرسالة والرواية. باهردت وصف يوسف الرامي

(48) كارل فريدريك باهردت (1741-1792) باحث وعالم ألماني في الكتاب المقدس وبروتستانتي غير تقليدي ثائر على التقليد الدراسي المحافظ للكتاب ومجادل لاهوتي أثار الاعتراضات الكثيرة في حياته واعتبره خصومه «الابن المشاكس» في ألمانيا ذلك الزمن.

(49) غوتهولد إفرايم ليسينغ Gotthold Ephraim Lessing: كاتب، وفيلسوف، وكاتب مسرحي، وناقد فني ألماني (1729-1781) هو أحد أهم ممثلي عصر التنوير، مسرحياته وكتاباته النظرية أثرت بصورة كبيرة على تطور الأدب الألماني. دافع ليسنغ في كتاباته الفلسفية والدينية عن مبدأ حرية التعبير والتفكير. وناهض الإيمان بالوحي والتمسك بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس على يد عقيدة صنمية جامدة. وقال إنه لا يمكن اعتماد دلائل المعجزات المسيحية لأنه لا دليل عليها أصلًا. فالحقائق التاريخية التي هي موضع تشكيك لا يمكن أن تكون دليلًا على حقائق ميتافيزيقية (مثل وجود الله). في عام 1770 أصبح صاحب مكتبة هرتزوغ أغسط في ولفنبوتل (Wolfenbüttel). كان مؤيدًا قويًا للماسونية.

(50) كان ريماروس يخشى السجالات التي سيثيرها كتابه An Apology for the Rational Worshipper of God في مجتمع عميق التدين، لذلك لم ينشره. وقد حاز ليسينغ على مخطوطة الكتاب بعد وفاة صاحبه وقام بنشر أجزاء منه في العام 1774 Fragments of an Unknown Writer. ادعى ليسينغ (وهو كان كتبيًا) أنه اكتشف المخطوطة مخبأة من ضمن محتويات مكتبة. أحد مقالات المخطوطة يهاجم تاريخية القيامة. وفي مقطع آخر أن ثمة فرقًا بين تعاليم يسوع الحقيقية الأصلية ومعتقدات الكنيسة.

(51) Albert Schweitzer *The quest of the historical Jesus: a critical study of its progress from Reimarus to Wrede*. First published in 1906 and in German with the title «von Reimarus Zuwerde G.E.Lessing «Wolffenbüttler Fragmente eives Ungenannten». London: A. and C. Black 1910

انظر شويتزر: ص 31-62-83-44-84

ونيقوديموس بأنهما من الآسينيين وأن هدف هؤلاء كان رفع مستوى الشعب من مرحلة الإيمان المسيحاني إلى مرحلة أعلى من المعرفة. وقال إن التلامذة لم يصلوا إلى مرحلة متقدمة فلم يفهموا تعاليم عيسى ولم يعرفوا أن معجزاته هي من عمل أخوية الآسينيين. وبحسب باهردت فإن عيسى كان ظاهريًا على الصليب وأن يوسف الرامي ونيقوديمس أنقذاه بأسرار العلاج الشافي الآسينيي. وبحسب باهردت فقد عاش عيسى حياة نسك وانعزال وأنه التقى بولس على طريق دمشق.

أما فنتوريني (1786–1849) وهو كان مثل باهردت كاهنًا ومؤمنًا بالأنوار فإن روايته كانت في أربعة أجزاء وليس صدفة أن عام 1849 كان عام نشر الرسالة في ألمانيا. فأربعينات القرن التاسع عشر كانت مرحلة الغليان والحركات الجذرية والعقلانية في ألمانيا ونشوء كيانات دينية جديدة مثل الكنيسة الكاثوليكية الألمانية والجامعات البروتستانتية الحرة (أو أصدقاء الحرية= Licht freund). وعام 1847 كان عام الحرية الدينية في ألمانيا وتلاه ثورة 1848 في شباط وانتشار الليبرالية والعقلانية مما استلزم نشوء مسيحية ترى في عيسى إنسانًا عاديًا وفي تعاليمه عقيدة أخلاقية يحكمها العقل.

«الأخوية الألمانية» التي نشرت الرسالة هي من دون شك محفل ماسوني من هذا التيار العقلاني الجديد. في المقدمة يؤكد الناشر مرارًا على أن الماسون هم الأحفاد الحقيقيون لأولئك الآسينيين كما أن الطقوس المتعلقة بإدخال عيسى ويوحنا في الطريقة لها شكل ماسوني واضح. كما أن الناشرين اللاحقين للرسالة كانوا أيضًا من الماسون. في مقدمة الطبعة الأميركية لعام (1907) نلحظ التأثير الماسوني، والطبعة الأميركية الأخيرة (1975) نشرها محفل ماسوني في نيويورك.

في عام 1879 ظهر كتاب آخر في ألمانيا بعنوان: « الإنجيل

الخامس أو الإنجيل الحقيقي للآسينيين». وكان ناشره فريدريك كليمنس (Frederick Clemens Gerke)[52] عضوًا في الماسونية منذ أربعينيات القرن التاسع عشر؛ وهو مزج بين الأناجيل الأربعة والرسالة الآسينية وجعل إنجيل لوثر مثاله. ترجمت الرسالة الآسينية إلى الفرنسية في عام 1863 ولم تعرف شهرة أو نجاحًا (آخر طبعة 1963 La mort de Jesus Paris 1963) عكس الطبعات السويدية وآخرها عام 1977. كما أنها ترجمت إلى الأوردو وما زالت فرقة الأحمدية القاديانية تنقل الترجمة الأميركية.

4- يسوع الساحر: أو الإنجيل السري لمرقس

وقد عرفناه من كتابات مورتون سميث[53]. ومورتون سميث هذا كان أستاذًا وعالمًا مشهورًا في جامعة كولومبيا بنيويورك، قال إنه عثر على مخطوطة عام 1958 في دير مار سابا (حوالى 12 ميلًا جنوب شرقي القدس) وقال إن البطريرك سمح له بالبقاء أسبوعين في الدير لدراسة المخطوطات التي وجدها ولفهرستها. وهو نشر لاحقًا فهرسًا بالمخطوطات في مجلة البطريركية بالقدس عام 1960. كما نشر وحقق بعض هذه المخطوطات لاحقًا. وبحسب قوله فإنه وجد بين كتب الدير نسخة من رسائل «القديس» أغناطيوس، طبعة إسحق ڤوس Voss[54]

(52) فريدريك كليمنس (اسمه الحقيقي فريدريك كليمنس غيركه) (1801-1888) كاتب ألماني وصحافي وموسيقي ورائد التلغرافية أعاد النظر في شيفرة المورس عام 1848، وصارت مساهمته الأصلية لشيفرة مورس الأميركية تعرف باسم «شيفرة مورس العالمية» وأصبحت معيارية من خلال اتحاد الاتصالات العالمي ITU (International Telecommunications Union).

(53) Morton Smith, *Clement of Alexandria and a Secret Gospel According to Mark* (*Cambridge: Harvard University Press 1973)*.
Morton Smith, *the Secret Gospel: the discovery and interpretation of the Secret Gospel according to Mark* (New York: Harper and Row 1973)

(54) إسحق فوس أو فوسيوس (1618-1689) أستاذ وباحث هولندي ألماني وجامع مخطوطات عالمي الشهرة.

لعام 1646. وخلال تفحصه الكتاب وجد في آخر صفحات منه وعلى صفحة الغلاف الداخلية الأخيرة نص المخطوطة المشهورة، وهي بحسب مورتون سميث كتابة تعود إلى القرن الثامن عشر لرسالة من إكليمنضس الإسكندراني وقد صوّر سميث الصفحات الثلاث وهي الآن تطبع منسوخة Facsimile ضمن أحد كتبه[55]. وقد دار سجال كبير بين العلماء بعد نشر كتاب مورتون سميث حول صدقية الرسالة. أكد معظم العلماء أن لغة الرسالة هي فعلًا لغة إكليمنضس (اختياره للكلمات وبنية اللغة). نشر مورتون سميث الرسالة أول مرّة عام 1973، فعارض بعض العلماء ادعاءه (ومنهم آرثر داربي نوك Arthur Darby Nock، ويوهانس مونك Johannes Munck وفيلهلم فولكرت Wilhelm Volkert[56])، في حين أعلن بول أختيماير Paul John Achtemeier[57] أنه يتوقف عن إبداء الرأي،

(55) Morton Smith, Clement of Alexendria., op.cit., pp. 449-453
Morton Smith, the Secret Gospel., op. cit., pp.39 a photo of the old book published in 1646 with a photo of the first paper from the document

(56) آرثر داربي نوك (1902–1963) عالم كلاسيكيات ولاهوتي إنكليزي كان أستاذًا في جامعة هارفرد من 1930 وحتى وفاته. يعتبر باحثًا وعالمًا رائدًا في تاريخ الأديان.

يوهانس مونك (1904–1965) عالم دنماركي وأستاذ تأويل العهد الجديد في جامعة آرثوس الدنماركية. درس في عدة جامعات أميركية مادة دراسات العهد الجديد (خصوصًا برنستون).

فيلهلم فولكرت (1928–.) مؤرخ ألماني ابن موظف رسمي كبير أمضى أيامه متنقلًا بسبب وظيفة والده قبل الاستقرار في مسقط راسه ميونيخ عام 1942. اعتقلته القوات الأميركية في نهاية الحرب العالمية الثانية حيث أمضى سنوات الأسر في معسكر ثم درس المرحلة الثانوية بعد عودته من الأسر وبعدها انتقل للدراسة الجامعية في التاريخ والجغرافيا في جامعة ميونيخ ونال الدكتوراه عام 1952. بعد ذلك اشتغل في الأرشيفات البافارية حتى أصبح مديرًا لها ثم أستاذًا لتاريخ بافاريا في جامعة رغنسبورغاند Regensburgand التي ظل فيها حتى تقاعده عام 1994.

(57) بول جون أختيماير (1927–2013) كان أستاذًا مبرزًا للدراسات العبرية في معهد اللاهوت المتحد التابع للكنيسة المشيخية في فيرجينيا الأميركية. ويعتبر مرجعية محترمة في العهد الجديد وله أكثر من 18 كتابًا و60 مقالة في مجلات بحثية محكمة وناشرًا لسلسلة =

وأعلن ريتشارد هانسون Richard Patrick Crosland Hanson[58] أن الرسالة صحيحة ولو أنه يعارض طريقة استخدام مورتون سميث لها. وقال فريدريك بروس Frederick Fyvie Bruce[59] إن المقطع المتعلق بإنجيل مزعوم هو مزوّر في حين أن رسالة إكليمنضس أصلية؛ وهو يعتقد أن إكليمنضس عثر على إنجيل باسم مرقس واستخدمه. والحال أن الرسالة فيها مقطع من إنجيل غير معروف قيل إن صاحبه هو مرقس وهو مختلف عن إنجيل مرقس القانوني وقيل إن أصحاب هذا الإنجيل كانوا طائفة الكربوكراتيين. وفي رسالته يقول إكليمنضس إن هؤلاء حرفوا الإنجيل

= كبيرة من الكتب خصوصًا سلسلة دراسات العهد الجديد المخصصة للتدريس والتبشير والمسماة: A Bible Commentary for Teaching and Preaching

كما أنه كان ناشر قاموس هاربر للكتاب المقدس Harper›s Bible Dictionary (1985 ثم طبعة مزيدة ومنقحة في 1996) بالتعاون مع جمعية الأدبيات البيبلية Society of Biblical Literature.

(58) ريتشارد باتريك كروسلاند هانسون (1916–1988) أسقف في كنيسة أيرلندا من 1970 حتى 1973. مؤرخ العاديات ادعى عدم ثقته بالتاريخ المكتوب عن حقبات ما بعد العام 600 م. من أشهر مؤلفاته حياة «القديس» باتريك. اكتشف أن العمل المسكوني محدد في سياق الاضطرابات في رعوية تعيش على طرفي الحدود ما بين أيرلندا الشمالية والجنوبية وبالتالي فقد استقال من منصبه الكهنوتي ليتفرغ للتدريس الجامعي في كلية اللاهوت بجامعة مانشتر. عمل على دراسة تطور اللاهوت المسيحي للفترة ما بين مجمع نيقية (325 وما قبله أيضًا) ومجمع القسطنطينية (381). من بين مؤلفاته كتابه عن الإيمان العقلاني Reasonable Belief الذي كتبه بالاشتراك مع أخيه. في مقدمة الكتاب يذكر ريتشارد أن «واحدًا من كتاب هذا الكتاب كاهن أنغليكاني والثاني أسقف أنغليكاني، ولا يستطيع أي منهما أن يخرج من جلده»... وبالتالي «أن الكتاب نتاج تعاون ليس فقط بين لاهوتيين اثنين أنغليكانيين وإنما بين شقيقين توأمين»

(59) فريدريك بروس (1910–1990) كان عالم لاهوت دعم قضية الموثوقية التاريخية للعهد الجديد. أول كتاب له «مخطوطات العهد الجديد: هل هي موثوقة New Testament Documents: Are They Reliable? (1943)» قالت عنه المجلة الإنجيلية الأميركية Christianity Today في العام 2006 إنه واحد في صدارة الخمسين كتابًا التي شكلت وأطرت الحركة الإنجيلية اليوم».

وهو يخاطب ثيودوروس Theodorus ليخبره عن المضمون الحقيقي لهذا الإنجيل وعن التزوير الذي لحق به من قبل تلك الجماعة الغنوصية وهنا ترجمة للمقطع المذكور:

«ولك أنت لن أتردد في الإجابة على الأسئلة التي طرحتها وذلك لدحض التزويرات التي حصلت لكلمات الإنجيل. وإليك بعض الأمثلة. فبعد الجملة التالية «وكانوا في طريقهم ذاهبين إلى القدس»... وما يليها... حتى جملة «وبعد ثلاثة أيام سيقوم من الموت»... كان الإنجيل السري يضيف العبارة التالية بنصها الحرفي «وقد وصلوا إلى بتانيا Bethany (هي اليوم بلدة العيزرية في فلسطين المحتلة) وكان هناك امرأة مات أخوها فجاءت وركعت أمام يسوع وقالت له «أنت يا ابن داوود ارحمني» إلا أن التلامذة أبعدوها عنه... فغضب يسوع وسار معها نحو الحديقة التي كان بها القبر وللحال سمعت صيحة كبيرة من داخل القبر... واقترب يسوع من القبر ودحرج الحجر عن باب القبر وللحال دخل إلى حيث دفن الشاب الصغير ومد يده ورفعه ممسكًا بيده ولكن الصغير وقد نظر إلى عيسى «أحبه» وبدأ يتضرع إليه لكي يبقى معه... ثم خرجا معًا من القبر ودخلا إلى منزل الشاب لأنه كان غنيًا. وبعد ستة أيام أخبره يسوع بما ينبغي عليه فعله. وفي المساء جاء الشاب اليه وهو يلبس قماشًا أبيض شفافًا من كتان فوق جسده العاري. وبقي معه طوال تلك الليلة إذ إن عيسى علمه سر مملكة الله. من ثم انبعث من الموت وعاد إلى الضفة الآخرى لنهر الأردن»... وبعد هذه العبارات يأتي النص «وجاء اليه جيمس وجون... وكل ما يليها من ذلك المقطع. ولكن ما كتبته وسألتني عنه وعن «رجال عراة مع رجال عراة لا وجود له في هذه المقاطع. وبعد كلمات «وجاء إلى أريحا» يضيف الإنجيل السري «وكان هناك أخت الشاب الصغير الذي أحبه يسوع وأمه وصالومي ولكن عيسى لم يستقبلهم»... أما بقية الأمور التي كتبت تسألني عنها فيبدو أنها أو هي في الحقيقة تزويرات».

هذا هو المقطع الشهير المعروف من رسالة إكليمنضس والذي يتحدث فيه إكليمنضس عن وجود إنجيل سري باسم مرقس فيه إضافات على الإنجيل الصحيح... وقد بنى مورتون سميث على هذا المقطع قضيته القائلة بأن عيسى كان مثليًا Homosexual. ولكن إكليمنضس نفسه يقول في رسالته هذه إن عبارة «رجال عراة مع رجال عراة» ليست من نص الإنجيل وانما هي إضافة من الكربوكراتيين. أما مورتون سميث فيقول إن النص اليوناني هو ترجمة عن الآرامية التي استخدمها مرقس كما عرفها متى ولوقا... وبحسب مورتون سميث فإن النص اليوناني يعود إلى حوالى العام 125م. ويقول كوينتين كينيل وكما قال غودسبيد بأن على كل من يدعى أنه وجد مخطوطة أو وثيقة جديدة أن يُظهرها. ونحن نعرف أن كل أصحاب هذه الأناجيل الحديثة لم يظهروا أبدًا النص الأصلي للمخطوطات التي زعموا أنهم وجدوها. ونفس الأمر ينطبق على مورتون سميث بحسب كينيل فهو لم ير المخطوطة منذ 1958 ولم يقدم سوى صورة فوتوغرافية غير واضحة كفاية[60].

غير أن مورتون سميث بنى على وثيقته عدة كتب أظهر فيها:

– أن عيسى كان ساحرًا – أنه عمّد نفسه بنفسه

– أن التعميد أدخل عيسى في حالة نشوة وأعطاه تجربة « ما سمي «الصعود» Ascencion

– أن عيسى كان متحررًا جنسيًا Libertine معارضًا للقواعد الأخلاقية وأن هناك عناصر مثلية في طقوسه وتعاليمه.

(60) Quentin Quesnell: «The Mar Saba Clementine: A question of Evidence», in *The Catholic Biblical Quarterly*., vol. 37, (1975) p. 48-67

رواية مورتون سميث[61]

وصل مورتون سميث إلى القدس في عام 1941 بمنحة من مدرسة اللاهوت في هارڤارد Harvard Divinity School وبقي فيها بسبب الحرب في المتوسط فتسجل لتحضير دكتوراه فلسفة في جامعتها العبرية وسكن في فندق كان ديرًا أرثوذكسيًا وكان الأرشمندريت كرياكوس سبيريدونيس مسؤولًا عنه وهو الذي طلب من مورتون سميث مرافقته لزيارة دير مار سابا أكبر دير أرثوذكسي في الشرق[62].

يصف مورتون سميث رحلته مع الأرشمندريت إلى الدير جنوب شرق القدس عبر الوادي نحو البحر الميت. وقد أمضى شهرين كاملين في الدير حيث تعرّف على محيطه من الكهوف والمخابئ وعلى مكتبته في أعلى البرج والمكتبة الأخرى فوق الكنيسة الجديدة. وهو يصف طقوس العبادة التي عاشها مع الرهبان حتى عودة الأرشمندريت ورجوعه معه إلى القدس، وهو أمضى 3 سنوات في الجامعة العبرية يدرس علاقة الأناجيل بالأدبيات الربينية الأولى وهو التقى المفكر الكبير غيرشوم شولم[63] Gershom Scholem. ثم حصل مورتون سميث على دكتوراه

(61) Morton Smith: «*the Secret Gospel: the discovery and interpretation of the Secret Gospel according to Mark*». New York: Harper and Row 1973

(62) دير مار سابا: هو دير للروم الأرثوذكس يطل على وادي الجوز (القدرون) في بلدة العبيدية (عرب ابن عبيد) شرقي بيت لحم في فلسطين. تم بناؤه بين عامي 478م – 484 م، على يد الراهب سابا بمشاركة 5000 راهب، وهو بهذا يُعتبر من أقدم الأديرة المأهولة في العالم. والراهب مار سابا عاش في القرن الخامس وأسس الدير الذي خدمه الرهبان منذ ذلك الوقت باستثناء فترة انقطاع بين 1450 و1540 لعلها تعود إلى الحروب البيزنطية العثمانية وسقوط القسطنطينية وما تلاه.

(63) غيرهارد شولم الذي غير اسمه بعد خروجه من ألمانيا إلى فلسطين المحتلة فصار غيرشوم شولم (1897–1982) فيلسوف ومؤرخ يهودي يعتبر مؤسس الدراسة الأكاديمية الحديثة للقابالاه. وكان أول أستاذ للتصوف اليهودي في الجامعة العبرية بالقدس. كان والتر بنجامين وليو شتراوس من أقرب أصدقائه وقد طبعت رسائل مختارة من مراسلاته معهما. =

ثانية في اللاهوت من هارفارد وأصبح أستاذًا في جامعة براون Brown University ثم جامعة درو Drow ثم كولومبيا. وفي ربيع 1958 أخذ إجازة للراحة وفكر في العودة إلى هدوء وتأمل وصلاة دير مار سابا. وكان لم ينقطع عن مراسلة الأرشمندريت منذ 1948 وعن مساعدة الأرثوذكس بعد حرب فلسطين. وفي عام 1958 سمح له البطريرك الجديد بندكت بقضاء ثلاثة أسابيع في مار سابا ودراسة المخطوطات الموجودة هناك وطباعة ونشر ما يجده. اهتم به الأرشمندريت سيرافيم، متولي الدير. وهو اهتم بالعمل يوميًا في المكتبة حيث كان ينظم الكتب القديمة ويكتشف المخطوطات ليأخذها معه إلى غرفته لدراستها ثمّ إعادتها بعد تنظيم وترتيب وضعها في المكتبة (نشرت البطريركية لائحة تفصيلية بالمخطوطات التي رتبها مرتون وذلك على يد الأرشمندريت ميكائيليدس)، إلى أن عثر في يوم من الأيام على نص مكتوب بخط صغير يبدأ هكذا: «من رسائل العظيم القداسة إكليمنضس، كاتب «المتفرقات» إلى ثيودوروس». والنص يمدح ثيودوروس لأنه أسكت الكربوكراتيين Carpocratians. وقام مورتون سميث بتصوير النص ثلاث مرات وهو كان مكتوبًا على الغلاف الداخلي الخلفي لكتاب فقد غلافه الخارجي الأمامي وعنوانه بالتالي. إلا أنه ظهر أنه نسخة عن رسائل «القديس» أغناطيوس الأنطاكي، ومقدمة الكتاب بقلم الباحث الهولندي الشهير في القرن السابع عشر إسحق فوس Voss وهو معروف بكتاباته عن أغناطيوس. وقد صوّر مورتون سميث الصفحات الأولى والأخيرة من الكتاب لمقارنتها مع أعمال فوس الكاملة ليعرف منها تاريخ الطبعة (يعود إلى العام 1646 كما ظهر له لاحقًا).

= اشتهر شولم بكتابه «الاتجاهات الرئيسة في التصوف اليهودي» (1941) ولتأريخه عن حركة «سبتاي زيفي المسيح العرفاني» (1957).

وهو اكتشف أيضًا مخطوطة شبه ممزقة تعود للقرن الخامس عشر موقعة باسم «القديس» مكاريوس المصري[64] وهو اسم اشتهر لأنه الاسم الحركي لهراطقة سوريين. وقد اشتغل على المخطوط لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من صفحاته فأنقذ دزينة منها معظمها يحتوي مقاطع من نصوص غير معروفة. بعد ذلك قام بتظهير الأفلام، ونقل مضمون النص من إكليمنضس، ثم ترجمه وهو التالي: « من رسائل الكلي العظيم القداسة إكليمنضس صاحب الـ «متفرقات» إلى ثيودوروس: «لقد فعلت حسنًا بإسكات تعاليم الكربوكراتيين لأن هؤلاء هم «النجوم الضالة التي يرد ذكرها في النبوءات والتي تضل عن الصراط المستقيم للوصايا لتقع في هاوية عميقة لا حدود لها من خطايا الشهوة والجسد. ذلك أنهم يفتخرون بأنهم يتعرفون (كما يدعون) على كل طرق الشيطان الخفية، فإنهم لا يعرفون أنهم يطرحون أنفسهم بعيدًا إلى الدرك الأسفل من عالم الظلمات والزيف والخديعة. وفي حين يتبجحون بأنهم أحرار فإنهم أصبحوا عبيدًا للرغبات الدنيا والشهوات المنحطة. وينبغي معارضة أمثال هؤلاء بكل الوسائل وبكل ما في الكلمة من معنى لأنه حتى ولو أنهم قد يصدر عنهم أشياء أو كلمات صحيحة فإنه ينبغي على محب الحقيقة حتى في هذه الحالة ألّا يوافقهم الرأي. لأنه ليست كل الأشياء الصحيحة هي الحقيقة، ولا ينبغي أن تحل الأمور التي تبدو وكأنها حقيقية وصحيحة وفق آراء البشر محل الحقيقة الصحيحة النابعة من الإيمان والعقيدة. والحال أنه من بين الأشياء التي ما فتئوا يرددونها حول الإنجيل الإلهي الموحى به إلى مرقس هناك أمور كلها تزوير وأمور أخرى وإن كانت تحتوي بعض عناصر الحقيقة إلّا أنها لا تنقل بشكل

(64) «القديس» مكاريوس أو الأنبا مقار الكبير أو الأنبا مكاريوس الكبير (حوالى سنة 300–390م) من شبشير من أعمال منوف المصرية. هو مؤسس الرهبنة في برية الاسقيط، ويُطلَق عليه «القديس» الأنبا مقار الكبير، تمييزًا له عن «القديس» مقاريوس الصغير الإسكندري الذي كان مُعاصِرًا له.

صحيح. فتصبح الأمور الصحيحة متى امتزجت بالاختراعات والتبركات كلها تزوير بحيث إنه وكما تقول الأمثال حتى الملح يفقد طعمه... أما بالنسبة إلى مرقس فأنه كتب خلال إقامة بطرس في روما ترجمة كتب لأعمال الرب من دون أن يفصح برغم ذلك عن كل شيء ومن دون أن يصرّح بالتالي عن الأمور السرية منها فهو اختار من بينها تلك التي رأى أنها الأكثر فائدة لتعميم وتعميق الإيمان لدى أولئك الذين يتم تبشيرهم. ولكن بعد موت بطرس كشهيد ذهب مرقس إلى الإسكندرية حاملًا معه مدوناته ومدونات بطرس التي نقل عنها في كتابه كل الأشياء المناسبة لتقدم المعرفة اللدنية. وهكذا فإنه ألّف في الحقيقة إنجيلًا أكثر روحانية لخدمة أولئك الأطهار الكاملين. ومع ذلك فإنه لم يفضح الأمور التي لا ينبغي كشفها كما أنه لم يكتب شروحات وتفسيرات الرب إلّا أنه أضاف للقصص المكتوبة والمحكية بعض القصص الجديدة كما أضاف أيضًا بعض الأقوال التي كان وحده يعرف أن تأويلها وبحسب معلم أسرار الدين Mystagogue سيقود بالسامعين إلى أعمق حرم مقدس للحقيقة المخبأة خلف سبع حجابات. وهكذا فإنه بإختصار قد رتب الأمور من دون إفراط ولا تفريط، أي بشكل لا يترك محلًا للغفلة أو الحذر ولا للحسد أو الريبة. وحين مات فإنه ترك مؤلفه لكنيسة الإسكندرية حيث لا يزال محفوظًا بحرص شديد ويقرأونه فقط أمام أولئك الذين يتم تهيئتهم لدخول الأسرار الكبيرة. ولكن، وبما أن الشياطين كانت وما تزال تخطط لتدمير البشرية فإن كربوكراتوس وقد تلقى أوامره منها واستخدم أساليب الغدر والخديعة قد تمكن من الاستحواذ على عقل شيخ من شيوخ كنيسة الإسكندرية وأخذ منه نسخة من هذا الإنجيل السري وقام بتفسيره على هوى جحوده وهوى عقيدته الشهوانية. لا بل وأكثر من ذلك فإنه دنسّ حين مزج الكلمات الطاهرة المقدسة مع تلك الأكاذيب الشنيعة الفاضحة ومن هذا المزيج خرجت تعاليم مذهب الكربوكراتيين.

ولذلك فإنه وكما سبق أن قلت لا ينبغي التهاون مع هؤلاء ولا بأي شكل من الأشكال وحتى حين يقدمون تزويراتهم إلى العلن فإنه لا ينبغي أبدًا الاعتراف لهم بأن هذا الإنجيل السري هو من عمل مرقس حتى ولو أنكرنا ذلك تحت القسم. ذلك أن الحكمة الإلهية قد أخبرتنا على لسان سليمان «حدثّوا المغفلين الحمقى على قدر عقولهم» أي أن نور الحقيقة ينبغي أن يحجب عن أولئك الذين عميت بصائرهم. وأيضًا فإن الحكمة الالهية تقول: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى فَيَزْدَادُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ»، وأيضًا دعوا المغفل يمشي في الظلمة: ولكننا نحن أبناء النور وقد أضاء بصيرتنا انبلاج الفجر الساطع من روح الرب في العُلى وحيث يكون روح الرب تكون الحرية، وكل الأشياء الطاهرة والنقية هي للأطهار الأنقياء.

(يلي ذلك المقطع الذي سبق ترجمته عن المسيح والفتى الذي أحبه وكيف أن الكربوكراتيين حرموه).

أصاب المخطوط مورتون سميث بالحيرة والقلق وخاف من كشفه حتى لا يتهم بالتزوير وأمعن التفكير والبحث والتدقيق... الخط بلا شك يعود للقرن الثامن عشر فمن كان في الأديرة اليونانية يعرف في ذلك الزمن شيئًا عن الكربوكراتيين ؟ واتخذ مورتون سميث عدة قرارات:

1– أولًا استشارة خبراء في الخطوط

2– ثم معرفة تاريخ النص لأنه طبعًا منسوخ عن مخطوط أقدم

3– ثم التدقيق في النص نفسه لمعرفة صحة نسبته إلى إكليمنضس

4– ثم هناك الكلام عن الإنجيل السري لمرقس فأين هو هذا الإنجيل وهل هو بين الأناجيل المخفية التي رفضتها الكنيسة؟

* استشار أساتذة كبار في اليونان لمعرفة تاريخ المخطوط من خلال

الخط الذي كتب فيه فأفتوا جميعهم بأنه من القرن الثامن عشر(يذكر في كتابه أسماء هؤلاء الاساتذة كما يذكر أساتذته في أميركا الذين استشارهم والذين دعموه خصوصًا أولئك الذين أشاروا عليه بأن أسلوب الرسالة هو فعلًا أسلوب إكليمنضس المعروف بحبه للأسرار) (65).

وقد درس لمدة سنتين كتابات إكليمنضس لمقارنة أسلوب الرسالة به كما أنه عكف على تدبيج مقالة نقدية تعليقًا على الرسالة ومشيرًا إلى النقاط المثيرة للشك والحذر. وبعد ذلك أرسل مقالته إلى أربعة عشر باحثًا معروفًا في الحقل بمن لهم شهرة في معرفة إكليمنضس أو في الدراسات اليونانية القديمة وطلب تعليقاتهم وآراءهم وتصحيحاتهم إن وجدت...

موقفه هو:

1 – أن أسلوب الرسالة هو من إكليمنضس بلا شك

2 – كلماتها هي الكلمات التي استخدمها إكليمنضس عادة وبطريقته

3 – الجمل وأسلوب الاستشهاد أو الارجاع إلى مصدر وبداية الحديث هي له.

3 – مبنى القواعد هو نفسه مبناه

4 – نهايات الجمل المسجعة هي أيضًا له. وتلك التي لم تكن تعجبه لا تظهر في الرسالة.

كما درس المضمون: إكليمنضس عنده نفس الموقف من الكتابات المقدسة وهو يذكر في رسائله الأخرى نفس الكتب ونفس المصادر ونفس التفسيرات ويستخدم قراءته للكتاب بنفس الطريقة ونفس الرأي

---

(65) Morton Smith: *the Secret Gospel*. Op.cit., p.22-23.

حول المسيحية وحول المسيح باعتباره معلمًا لأسرار دينية (مظهر القداسة Hierophant)، وحول تطور المؤمن من الأسرار الدنيا إلى العليا الكبرى بواسطة التعليم العرفاني Gnosis، ونفس العداء للكربوكراتيين.

إذن توصل مورتون سميث إلى قناعة بأن الرسالة حقيقية وهي لإكليمنضس فعلًا ما يفتح صفحة خطيرة في دراسة المسيحية.

معظم الأربعة عشر باحثًا الذين أرسل لهم مقالته أكدوا له تأييدهم لموقفه بأنها من كتابة إكليمنضس وذلك باستثناء اثنين (البروفسور مونك Munck وڤولكر Volker وهما عارضا نسبة الرسالة إلى إكليمنضس لأسباب محض تقنية (الحدس والغريزة بحسب قول مونك مثلًا). العلماء الباقون هم:

E. Bickerman/ W.M. Calder/ H. Chadwick/ B. Einarson/ L. Früchtel/ R. Gran/t M. Hadas/ W. Jager/ G. Lampe/ C. Mondeser/t M. Richard/ A. Wifstrand/

وبعد ذلك:

J. Reurman/ C. Richardson/ R. Schippers/

وقبل ذلك أساتذته الكبار:

Henry Cadbury/ Erwin Goodenought/

في اليونان الدكاترة من المؤسسات القومية اليونانية

Angelou/ Dimaras/ Kounourcts/ Manousakas/ V. Scouvaras

إذن بعد كل هذه الدراسات والاتصالات قرر إعلان اكتشافه وكان له ذلك في المؤتمر السنوي لجمعية الدراسات البيبلية آخر عام 1960[66]

---

(66) ظهر عرض لخطابه في المؤتمر في النيويورك تايمز بقلم سانكا كنوكس Sanka Knox في 30 و31 كانون الأول/ ديسمبر 1960)
https://www.nytimes.com/1960/12/30/archives/a-new-gospel-ascribed-to-mark-copy-of-greek-letter-says-saint-kept.html

المؤتمر خصص جلسة مسائية لسماع تقرير مورتون سميث وتقرير آخر أعده البروفسور بيرسون باركر Pierson Parker خصص للحديث عن موضوع الإنجيل المذكور في الرسالة وذلك بناء على طلب مورتون سميث لأن باركر مشهور بدراساته المقارنة حول الأناجيل وخصوصًا حول الصلة بين متى ومرقس. وقد أفتى باركر في دراسته بأن أسلوب الرسالة هو لإكليمنضس ولكن حديثه عن الإنجيل الذي يذكره إكليمنضس هو أنه من أسلوب مرقس ولكنه يشبه أناجيل أخرى أيضًا ولذلك فإنه قد يكون من عمل مسيحي كان في الإسكندرية قبل زمن إكليمنضس... المؤكد أن كنيسة إكليمنضس كانت تملك هذا الإنجيل كما أنه كان أيضًا بحوزة الكربوكراتيين ولو أن إكليمنضس يقول بأن النص الذي لديهم يختلف أو هو محرّف عن النص الموجود لدى الكنيسة (الرسالة تذكر بعض نقاط الاختلاف). إذن وجود هذا الإنجيل السري هو الموضوع الأساسي، فإذا كان إكليمنضس والكربوكراتيون على معرفة به فلا بد أن تاريخه هو أنه كتب قبل عام 120 أو بالأصح حوالى العام 100 (الأناجيل الحالية كتبت ما بين عام 75 و100). وبحسب رسالة إكليمنضس فإن مرقس كتب إنجيله المعروف في روما خلال الأيام الأخيرة من حياة بطرس هناك. ثم إنه بعد موت بطرس جاء مرقس إلى الإسكندرية حاملًا إنجيله وكذلك ملاحظات وكتابات بطرس ومن هذه أضاف إلى إنجيله الأصلي مواد جديدة من ضمنها قصص وحكايات وأقوال للسيد المسيح تساعد المؤمن الجديد على دخول عالم الأسرار الكبرى. إذن بحسب إكليمنضس هذا الإنجيل السري كان يحتوي الإنجيل الأصلي لمرقس زائد مواد أخرى. أما الموجود عند الكربوكراتيين فهو يضيف أيضًا قصصًا وحكايات وأقاويل يسميها إكليمنضس بالتزوير مما يدل على عدم حبه لها، ولكنه لا يؤكد لنا إن كانت فعلًا مزوّرة وكيف؟

البروفيسور Schippers ثم تلميذه البروفيسور Baarda كانا الأكثر اهتمامًا ودراسة للموضوع. وفي عام 1962– 1963 أصبح الموضوع يدرس في جامعة كولومبيا قسم الدراسات الإنجيلية (العهد الجديد) حيث شارك أعضاء هذا القسم في تقديم تصحيحات كثيرة أهمها أعمال Richardson أستاذ تاريخ الكنيسة في كلية اللاهوت Union Theology Seminar في الشارع المقابل لجامعة كولومبيا[67].

5- مخطوط ماسادا المسروق

وتسمى لفيفة يسوع Jesus Scroll مكتشفه وناشره هو دونوڤان جويس أعيد نشره عند أنغوس وروبرتسون في عام 1973 و1975[68].

أساس القصة هو الحفريات الأثرية لقلعة ماسادا التي قاتل فيها آخر اليهود المتطرفين (الغيورين zealots) بعد سقوط وتدمير القدس عام 70م وقد احتلها الرومان في ربيع 73 بعد حصار دام سنتين؛ الحفريات جرت بين عامي 1963–1965 بقيادة الأركيولوجي الإسرائيلي ييغال يادين وقد عثر فيها على قطع من 14 لفيفة وهي تعتبر اليوم أشهر المكتشفات اليهودية وأهمها بعد لفائف البحر الميت وهي تتضمن مقاطع من العهد القديم ومن الأناجيل المخفية ومن كتابات أخرى شبيهة بكتابات قمران. وقد ذكر جويس أنه سافر إلى «إسرائيل» في ديسمبر 1964 لجمع مواد لكتاب كان يعمل عليه وأنه لهذا الغرض حاول الوصول إلى موقع حفريات ماسادا إلاّ أنه منع من ذلك؛ وأن يادين وزوجته عاملاه بحقارة

---

(67) P. Benoit/ H.J.Cadbury/ W.M.Calder III/ G. Kilpatrick/. Koester/ C. Moule/ P. Parker/ J. Reumann/ K. Stendahl.

(68) دونوڤان ماكسويل جويس Donovan Maxwell Joyce (1910–1980) منتج إذاعي أسترالي وكاتب اشتهر خصوصًا بأنه مؤلف الكتاب الواسع الانتشار عالميًا لفائف يسوع The Jesus Scroll. Angus & Robertson. 1973.

كما أن عملاء الموساد لاحقوه وفتشوا غرفته وحمامه في الفندق. وقد اضطر للمغادرة وفي المطار (تل أبيب) التقى البروفسور ماكس غروسيه Grosset الذي يقول عنه جويس إنه اسم مزّور) وإن هذا الاستاذ كشف لجويس أنه استطاع دخول موقع ماسادا وإنه استطاع سرقة لفيفة جيدة الحفظ قال إنه وجدها في جرّة فخارية في الموقع وقال جويس إن الاستاذ عرض عليه خمسة الآف دولار لتمرير اللفيفة خارج إسرائيل. وقال أيضًا إن الاستاذ جعله يرى اللفيفة في حمام المطار وإن هذه اللفيفة طولها 10– إلى 12 قدم وإنه أخبره بمضمونها الذي ترجمه عن النص الآرامي وقال إن المخطوط كتب في الليلة التي سبقت سقوط ماسادا (15 نيسان 73م) وإن كاتبه هو يشوع من جنساريت Gennsareth[69] وأن عمره كان 80 سنة وإنه ابن شخص اسمه يعقوب و آخر سلالة المكابيين وأنه شاهد ابنه يصلب على أيدي الرومان وأنه كان ينظر إلى آخر أيامه مع اقتراب لحظة سقوط القلعة بيد الرومان. وقد نفى يادين رواية غروسيه هذه (قصة يادين منشورة في كتاب جويس) وقال إنه لم يعثر على لفائف كاملة في ماسادا وإنما على قطع متناثرة. وبالتالي فلا توجد لفيفة طولها 12 قدم والرجل (غروسيه) سارق و ينتحل اسمًا غير اسمه وهو يعرض شهادته حول محتوى اللفيفة في حمام في مطار... ولكل هذه الأسباب يختم يادين بأن القصة مفبركة. غير أن جويس يسأل: فلتخيل أن رواية غروسيه صحيحة وأن يشوع شبيه يسوع الناصري وأنه من سلالة المكابيين وعاش 80 سنة ومات في حصار ماسادا».

6- كتاب المورمون

من البدع أو الشيع الأميركية الحديثة شيعة الموروموں وكتابها

(69) جنيساريت: على الشريط الساحلي الضيق إلى الغرب من بحيرة طبريا وهي الاسم الشائع في الأناجيل لبحر الجليل (انظر إنجيل مرقس 6: 53)

لصاحبه جوزيف سميث. واسم الكنيسة المورمونية الرسمي: كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة

The church of Jesus Christ Of Latter Day saints[70]

* الكتاب يشبه في طباعته وأقسامه الكتاب المقدس: حجمه هو الثلث منه فقط ولكن طباعته وإخراجه نسخة عن العهد القديم: عامودين – كتب أو أسفار– سور وآيات... ولكن أسماء الكتب مختلفة تمامًا عن كتب العهد القديم (كتاب نِفي الأول والثاني Nephi – كتاب جاكوب – كتاب أينوس – جاروم – أومني – كلمات مورمون – كتاب موزيا – كتاب ألما – كتاب هيلامان – نِفي الثالث والرابع – كتاب مورمون – أستير – كتاب موروني).

* القصة: ولد جوزيف سميث (1805–1844) لعائلة فقيرة كانت تقيم في بالميرا نيويورك ولم يتلق الكثير من العلم، وفي سن الرابعة عشرة قال جوزيف إنه جاءه الوحي لأول مرة ولكنه لم يعرف بوجود كتاب مورمون إلّا في عام 1823 إذ جاءه ملاك إلى غرفته قال إن اسمه موروني وأخبره بوجود كتاب مخبأ مكتوب على لوحات ذهبية يروي قصة أول من سكن القارة الأميركية... وفي هذا الكتاب أن يسوع المسيح زار أميركا بعد قيامته وأسس كنيسة هناك... وأن الألواح مكتوبة بلغة «مصرية معدلة أو مصلحة Reformed»؛ ولكن معها يوجد صفيحة فيها الأوريم والثوميم Urim & Thumim وهما الحجران المقدسان عند الحاخام الأكبر الإسرائيلي، وأنه بمساعدتهما سيتمكن جوزيف من إنجاز ترجمة الألواح. وبإرشاد من الملاك المذكور توجه جوزيف إلى

(70) William A. Linn: *The story of the Mormons*. New York. 1902
I.Woodbridge Riley: *The Founder of Mormonism, A pscychological Study of Joseph Smith Jr*. New York 1902.
Frawn M. Brodic: *No man Knows my history*. New York. Alfred Knopf 1946
History of joseph Smith the Prophet by Himself. Salt Lake City 1902

تلة اسمها كوموراه Comorah قرب مانشستر، نيويورك، حيث قال إنه وجد هناك الألواح مخبأة في صندوق حجري. وقبل السماح له بأخذها أُمر بأن يدخل في مرحلة اختبار استمرت حتى 22 أيلول/ سبتمبر 1872 حين أعطاه الملاك تلك الألواح مع الأمر له بالحفاظ عليها وترجمتها. وحين أنهى جوزيف سميث الترجمة عاد الملاك وأخذ الألواح ومنذ ذلك اليوم لم ير أحد تلك الألواح. ولكن المورمون يعتقدون أنها مدفونة في مكان ما في كوموراه. ولم يُسمح لجوزيف سوى بترجمة ثلثي ما في الألواح وبقي الثلث مجهولًا حتى اليوم. أول طبعة من الكتاب نُشرت عام 1830 وهو يبدأ من قصة بناء برج بابل وحتى بداية القرن الخامس الميلادي. ولكن قصة إبحار جارد وعائلته على متن 8 سفن بعد تبلبل الألسنة في بابل لا ترد إلّا في كتاب أستير (قرب نهاية المجموعة). فيما عدا ذلك فإن تسلسل الاحداث يبدأ من مغادرة ليهي Lehi وعائلته أورشليم حوالى عام 600 ق. م. باتجاه أميركا، ليصبح أولاده الثلاثة نفي ولامان وليموئيل Lemuel أجداد الشعبين اللذين يصفهما الكتاب كما يلي: أحفاد نفي الجيدون والمطيعون للشرعية، وأحفاد لامان وليموئيل الأشرار.

في كتاب نفي الثالث والرابع قصة مجيء عيسى إلى أميركا حيث أقام عند قوم نفي وأسس بينهم كنيسته التي عاشت حوالى بضع مئات السنين قبل أن ينجح اللامانيون في تدمير قوم نفي نهائيًا... غير أن تراث هؤلاء حفظه وأنقذه النبي مورمون وكتبه على الألواح المعدنية وابنه موروني دفنها في كوموراه عام 421 ميلادية. وهذا الابن تحول بعد ذلك إلى ملاك ظهر على جوزيف سميث ودله على مكان الألواح ثم أعطاها له فيما بعد ليأخذها منه لاحقًا.

❋ غير المورمون من مسيحيي أميركا يضحكون لهذه الترهات. والباحثون يوردون الملاحظات التالية:

1- المعروف أن أول من سكن أميركا جاء برًا عبر مضيق بيرنغ.

2- يقول الكتاب إن الجارديين (أبناء جارد) قابلوا في أميركا فيلة، وأغنام وخنازير وغيرها من حيوانات تحمل أسماء غريبة مثل الكوموم والكرلوم Cureloms,Cumoms.

3- وأن نفي حين نزل البر وجد الغابات مليئة أبقارًا وحميرًا، وخيولًا وثيران.

4- يتحدث الكتاب عن أسلحة من حديد في حين أن أميركا لم تعرف الحديد قبل وصول كولومبوس.

5- في الكتاب هجوم عنيف على الكنيسة الكاثوليكية ويسميها «عاهرة بابل»، وهي كانت قوة كبيرة أيام سميث بسبب المهاجرين الأيرلنديين. ويرى البعض أن عددًا من الطقوس السرية للمورمون مستوحى من الماسون (لاحظ التشابه في الاسم أيضًا). وقال مارك توين عن كتاب المورمون إنه «كلوروفورم مطبوع» (اشارة إلى الضيق في قراءته) فالعبارات رتيبة مملة منقولة عن العهد القديم في الشكل والأسلوب ولا يوجد فيه أي مسحة ذكاء أو فن أو أدب أو إثارة وتشويق... أي في أكثر أساليب العهد القديم جفافًا وجمودًا. واللغة تكرار ونقل للغة ترجمة العهد القديم وفق الملك جايمس (وهي الإنكليزية القديمة المعتمدة) لا بل أن مقاطع كثيرة مأخوذة منها بالكامل؛ إلاّ أن الكتاب هو تقليد ضعيف وسخيف في هذا المجال (ترد عبارة «وحدث أن» حوالى 2000 مرة)

* يزعم الكتاب أنه ترجمة ولكن عن لغة غير معروفة من أحد اسمها المصرية المعدلة أو الجديدة (أو المصلحة)، ويقول سميث إن مورمون اسم مصري معناه باللغة المصرية «أكثر طيبة أو أفضل أو أحسن More good وبحسب الرواية المورمونية (صاحبها أحد مساعدي جوزيف

سميث الأوائل مارتن هاريس Harris فإنه ذهب هو إلى نيويورك واطلع البروفسور تشارلز أنطون Anthon من جامعة كولومبيا على بعض مقاطع الكتاب المصرية وكان أنطون هذا لا يعرف المصرية القديمة حتى... وبعد عودته قال هاريس إن أنطون اعترف بأن الكتابة مصرية ولكنه مزق اعترافه هذا حين سمع بأن الكتاب أوحى به ملاك. ولكن انطون كتب رسالة إلى الصحف مؤرخة في 17 شباط/ فبراير 1834 ينفي فيها الرواية ويقول إن في الكتاب كل أنواع الرموز ولكن ولا واحد منها مصري.

* في زمنه اتهم البعض جوزيف سميث بأنه استوحى كتابه من رواية غير منشورة كان كتبها سولومون سبولدينغ[71] وأن مساعد جوزيف سميث سيدني ريغدون[72] كان حلقة الوصل بين الاثنين؛ ولكن جرى التخلي عن هذا الاحتمال الذي يقبله وليام ألكسندر لين[73] وترفضه

(71) كان سولومون (سليمان) سبولدينغ (1761–1816) Solomon Spalding مؤلفًا لنصين مرتبطين بالمسألة: النص الأول مخطوط غير مكتمل وعنوانه «حكاية المخطوط»، ورواية تاريخية غير مكتملة عن الحضارة الضائعة لبناة الجبال في شمال أميركا عنوانها «المخطوط وقد وجد». وبعد وفاة سبولدينغ ادعى عدد من الناس أن عمله استخدم كمصدر لكتاب مورمون المعتبر النص المقدس لدى كنيسة قديسي اليوم الأخير.

(72) سيدني ريغدون Sidney Rigdon (1793–1876) كان أحد قادة كنيسة المورمون في أيامها الأولى. وبحسب رواية منقولة عن أخيه الأكبر وتعود للعام 1875 فإن سيدني عانى في طفولته من آثار حادث أدى إلى تلف في الدماغ. وقد ادعى أخوه دائمًا أن سيدني كان «نوعًا ما مختل العقل من جراء الحادث». ولم يكن يظهر أنه فقد قواه العقلية إلا أنه يبدو أن التوازن في سلوكه الفكري والذهني تأثر كثيرًا. فكان نشيط العقل والذهن إلا أنه يصاب فجأة بصرع يجعله يركض إلى الغابات ليلتمس رؤى فيها حلول لكل المسائل. كان ريغدون ينتمي إلى الكنيسة المعمدانية قبل «اهتدائه» إلى كتاب مورمون وكنيسة جوزيف سميث التي انتمى إليها في عام 1830.

(73) وليام ألكسندر لين William Alexander Linn (1846–1917) صحافي ومؤرخ أميركي كان عضوًا في جمعية الجغرافيا الوطنية، وجمعية التاريخ في نيوجرسي وغيرها. وهو مؤلف كتاب «حكاية المورمون».
The Story of the Mormons New York Macmillan (1902)

فاون ماكي برودي[74] وإسحق رايلي[75] حيث أثبت رايلي بأن ريغدون لم يكن مساعدًا لسميث في وقت انجاز الكتاب.

* كما راجت نظرية أن يكون سميث أخذ وحيه من القصص والحكايات المروية عن الهنود الحمر في تلك الأيام. حيث من المعروف أن العديد من الأميركيين كان يظن أن الهنود الحمر هم أحفاد أسباط إسرائيل العشرة الضائعة. وقد نشر القسيس المحترم إيثان سميث[76] كتابًا بهذ المعنى في ڤيرمونت عام 1823. وكانت هذه الفكرة موجودة

---

(74) فاون ماكي برودي Fawn McKay Brodie (1915–1981) كاتبة سير وواحدة من أوائل النساء في تدريس التاريخ كأستاذة في جامعة كاليفورنيا. وقد اشتهرت بكتابها عن سيرة حياة توماس جفرسون Thomas Jefferson: An Intimate History (1974) وهو كتاب أشبه بالسيرة النفسية، وكذلك كتابها عن سيرة حياة جوزيف سميث مؤسس المورمونية. هي ابنة عائلة مورمونية من ولاية يوتاه ولكنها تركت الكنيسة خلال دراساتها العليا في جامعة شيكاغو.
Fawn Brodie. *No Man Knows My History: The Life of Joseph Smith, the Mormon Prophet*, 1945. New York: Alfred A. Knopf, 1971, 2nd ed.

(75) إسحق رايلي Isaac Woodbridge Riley (1869–1933) عالم وأستاذ أميركي اشتغل في الفلسفة والدين وعلم النفس حيث يظهر هذا التعدد في الاختصاصات في كتبه التي تناولت التطور التاريخي لحركة اجتماعية أو كيان محدد (مثل كنيسة ما) حيث درس بالخصوص تأثير الطباع الشخصية النفسية للمؤسسين. وأشهر دراساته تلك التي تناولت كنيسة المورمون وكنيسة العلمويين Christian Science.
The Founder of Mormonism (1902) [with an introduction and preface by George Trumbull Ladd]

(76) إيثان سميث Ethan Smith (1762–1849) رجل دين أميركي من كنيسة الأبرشانيين (الأبرشانيون: Congregationalists طائفة من فرقة البروتستانت المسيحية. يعتقدون أن لجميع المسيحيين مدخلًا مباشرًا إلى الله من طريق المسيح. وأنهم، بناء على ذلك، متساوون. وهم – وبخلاف الفرق المسيحية الأخرى يرفضون التحكم الخارجي من الأساقفة والمجالس ويقررون أنه يتعين على كل طائفة أن تتولى شؤونها بنفسها ويشمل ذلك اختيار الكهنة.). له كتاب شهير عنوانه «نظر العبرانيين» View of the Hebrews (1823) يعتبر فيه أن السكان الأصليين من أهالي الولايات المتحدة ينحدرون من الأسباط العشرة الضائعة لبني إسرائيل. وقد رأت فاون برودي أن هذا الكتاب أثر كثيرًا في رؤية جوزيف سميث في كتاب المورمون.
Fawn Brodie. *No Man Knows My History:* 46-47.

عند الغزاة الإسبان كما كانت عند البريطانيين في منتصف القرن السابع عشر.

* وهناك احتمال آخر عبّر عنه باحث سويدي بأن سميث أخذ عناصر من المعتقدات الدينية لقبيلة الديلاوار من الهنود الحمر إذ هي تشبه كثيرًا ما جاء في كتابه... إلا أنه لا توجد إثباتات تشير إلى حصول اتصال مباشر بين سميث والهنود الحمر في منطقته[77].

وكانت قصة زيارة المسيح لأميركا شائعة في تلك الأيام حتى أن كتابًا صدر بهذا المعنى للكاتبة لوسيل تايلر هنسن L. (Lucile) Taylor Hansen (1897–1976)[78]. وهناك مرويات شعبية عند الهنود الحمر ورسوم ونقوش على الخشب (محفورة) تتعلق بأبطالهم تشبه أو تنقل عن سيرة عيسى ولعلهم أخذوها من الغزاة البيض.

قصة جوزيف سميث

يقول سميث إنه نفذّ الترجمة المزعومة للوحات الذهبية من خلال النظر في أحجار شفافة (مثل قارئة البخت في البلورة الزجاجية). وقال إنه خلال الترجمة تلقى الوحي عدة مرات مباشرة من الله وقد استمر ذلك طوال حياته. ومعظم هذا الوحي مجموع في كتاب المورمون الأهم (العقيدة والعهود Doctrine and Covenants). كما أن قادتهم يزعمون حتى اليوم تلقي الوحي... وزعم سميث أنه خلال الترجمة تلقى وحيًا بمقطع من العهد الجديد نقله إلى مساعده أوليڤر كاودري[79] وقال إنه مخطوط

---

(77) Ake V. Ström. Red Indian Elements in early Mormonism. In: *Temenos* (1969) no.5, p.120-168

(78) L. (Lucile) Taylor Hansen. *He walked the Americas*. London, Neville Spearman 1963

(79) أوليڤر كاودري (1806–1850) Oliver H. P. Cowdery هو من أوائل المشاركين =

على ورق برشمان parchment كتبه «القديس» يوحنا وخبأه بنفسه ولكنه كشف اليوم لسميث الذي لا يحتاج إلى المخطوط الأصلي.

أول سكرتير له كان زوجته بنفسها Emma ولم يكن مسموحًا لها بحسب كلامها رؤية الألواح إلاّ أنها قالت إنها كانت تراها باستمرار على طاولة وهي ملفوفة بقطعة قماش. وإنها مرة لمستها حين كانت تنظف الغبار. وكان جوزيف يقول إنه استخدم أحجار أوريم وثوميم لقراءة الصفحات الـ 116 الأولى (وقيل إن هذه ضاعت لاحقًا) ثم استخدم حجرًا صغيرًا أسود لقراءة الباقي... وحل بعد ذلك مارتن هاريس Harris محل إيما وكان هذا تابعًا متحمسًا لسميث دفع ثمن طباعة كتاب المورمون... وهنا قسمت الغرفة بواسطة شرشف حيث إن سميث كان يجلس في طرف يقرأ ويترجم عبر أحجاره وفي الطرف الثاني كان يجلس هاريس يكتب ما يمليه عليه سميث من ترجمة... وكان ممنوعًا بشدة على هاريس أن يحاول رؤية الألواح حين كان سميث يعمل ثم حل محل سميث أوليڤر كاودري وعمل وفق نفس الشروط. وقد زارهما دايڤيد وايتمر Whitmer(80) أثناء عملهما هذا وأخبر لاحقًا أن سميث كان

= المهمين إلى جانب جوزيف سميث في المرحلة التأسيسية لكنيسة المورمون في سنوات 1829-1836 وأول المعمدين في الكنيسة وثالث ثلاثة من الشهود على الألواح الذهبية لكتاب مورمون ومن أوائل رسل الكنيسة الجديدة وثاني كبار شيوخ الكنيسة. في العام 1838 انشق كاودري وطردته الكنيسة من صفوفها وقد تحول إلى الكنيسة الميثودية ثم عاد إلى كنيسة المورمون في عام 1848.

Gunn, Stanley R. *Oliver Cowdery, Second Elder and Scribe*. Bookcraft: Salt Lake City, 1962.

Legg, Phillip R., *Oliver Cowdery: The Elusive Second Elder of the Restoration*, Herald House: Independence, Missouri, 1989.

(80) دايفد وايتمر (1805-1888) من أوائل المنتسبين إلى كنيسة المورمون وثالث ثلاثة من الشهود على الألواح الذهبية وأكثرهم شهرة وأحد الستة الأوائل من قادة الكنيسة بعد تنظيمها على يد سميث عام 1830 في منزل والد وايتمر. عند وفاة سميث عام 1844 ادعى عدد من قادة الكنيسة خلافته من ضمنهم بريغام يونغ وسيدني ريغدون وجايمس سترانغ ودايفد =

يضع الحجر في داخل قبعته التي كان يمسكها بقوة إلى وجهه حتى يمنع دخول الضوء اليها... وهكذا وفي الظلام كانت الكتابة تتراءى أمامه واضحة كما لو أنها كانت قطعة من البرشمان[81]. المهم أن سميث زعم أن الألواح هي أساس إعادة اكتشاف تلك التقاليد القديمة التي تركها بنو اسرائيل خلفهم في العالم الجديد. ومن هنا أهمية تلك القطعة من إنجيل يوحنا (جزء من الفصل الاخير) حيث دخلت في كتاب (العقيدة والمواثيق) وأصبحت هي الفصل السابع؛ ذلك أنها مثل كتاب المورمون مخطوطة كانت مخبئة تحت الأرض ولم يكشفها أحد وهي في نفس الوقت أوحيت إلى سميث بطريقة ما فوق طبيعية... بالنسبة للمورمون فإن هذه الألواح هي حجر زاوية عقيدتهم وهم دائمًا يرفقون طبعة كتابهم بشهادتين من طرف الذين ادعوا أنهم رأوا الألواح: الشهادة الأولى هي من مساعدي سميث الثلاثة كاودري، وايتمر، وهاريس، والشهادة الثانية هي من ثمانية أعضاء من عائلات وايتمر وسميث[82]. وبحسب شهادات هاريس وكاودري ووايتمر فإن «ملاكًا جاء من السماء وحمل أمام عيوننا الألواح لنراها ونرى ما خط فيها من نقش»... وأكد جوزيف سميث هذه الرواية حيث إن الحادثة جرت في غابة كانوا قد انسحبوا إليها للصلاة

= وايتمر الذي التف حوله الكثيرون من أتباع ريغدون فأنشأوا كنيسة باسمه في أوهايو إلا أنها سرعان ما انحلت. وفي الأخير انتخبت الكنيسة بريغام يونغ خلفًا لسميث وعاد وايتمر إلى إعادة إحياء كنيسته الخاصة في عام 1876.

Lyndon W. Cook. (ed). David Whitmer Interviews, A Restoration Witness. Orem, Utah: Grandin Book. 1991

Inez Smith Davis. The Story of the Church (10th ed.). Independence, Missouri: Herald House.1981., p. 75.

(81) Brodie, *No Man Knows My History*., p.37- 42
Linn, *The Story of the Mormons*., p.53-60

(82) تقول فاون برودي (ص 79) إن الشاهد الوحيد الذي لم يحمل اسم وايتمر أو سميث (حيرام بايج Page) كان متزوجًا من عائلة وايتمر.

تمهيدًا لحمل عبء الشهادة عن الألواح[83]... الشهادة الثانية تقول «عرض سميث أمامنا الألواح ونحن رأيناها بأم العين وعرفنا بيقين أن الألواح التي يتكلم عنها موجودة عنده»[84]... المؤكد أن الشهود الثمانية كانوا مقتنعين بشدة بوجود الألواح إلى حد توقيع تلك الشهادة المعروفة. وحتى حين تنازع المورمون بعد وفاة سميث فإنه لم يطرح أحد قضية وجود الألواح للنقاش أو البحث؛ حتى أن الشهود الثلاثة الرئيسيين تركوا الجماعة إلا أنهم لم يغيّروا شهادتهم حول الألواح رغم المحاولات الكثيرة التي جرت لإقناعهم بالشهادة بأن الألواح من اختراع جوزيف سميث. لا بل أن هاريس صرخ وهو على فراش الموت «الكتاب الكتاب»[85]... المعروف أن سميث كان منقبًا مشهورًا عن الذهب في زمن كان فيه البحث عن ثروات مدفونة مجهولة الشغل الشاغل للناس[86]. وهناك سجل من محكمة باين بريدج Bainbridge في منطقة شنانغون Chenangon County من ولاية نيويورك بتاريخ 20 مارس 1826 اتهم فيه جوزيف سميث بأنه محتال وقد دافع عن نفسه بأنه كان يبحث عن ثروات وعن ذهب مدفون تحت الأرض وأنه كان يستخدم حجرًا خاصًا في بحثه هذا. كما أنه استخدم نفس الحجر للبحث عن أغراض مفقودة وثروات مدفونة. وأكد عدة شهود هذا الأمر فصرح أحد الشهود واسمه هوراس ستوويل Horace Stowel أنه شاهد جوزيف سميث ينظر في حجر داخل قبعته لمعرفة مكان دفن كمية من الدولارات. وصرّح آخر هو آراد ستوويل Arad Stowel أن سميث أظهر له براعته حين

---

(83) Linn, *The Story of the Mormons. ibidem*

(84) idem

(85) لين 81–85 رواية ردة هاريس وكاودري وتركهما الجماعة وكذلك عدم نكران وجود الألواح

(86) لين ص 15–22 وبرودي ص 19–21 يتحدثان عن هذه المرحلة من حياة سميث

أدار ظهره لكتاب مفتوح موضوع فوق قطعة قماش بيضاء وأنه قرأ من الكتاب بواسطة النظر في حجر أبيض شفاف أمام شمعة تحترق...

بعد إنجاز كتاب المورمون انكب جوزيف سميث على مراجعة التوراة والإنجيل على قاعدة وحيه الجديد. إلا أنه لم يتم هذا العمل وبعد وفاته في عام 1844 انتقل الكتاب غير المنجز إلى زوجته إيما ثم دخل في حوزة فرع من المورمون اسمهم (الكنيسة المعاد تنظيمها) Reorganized Church التي ما تزال تحتفظ ببعض أهم وثائق الحركة. ولم يطبع الكتاب المقدس الجديد إلّا عام 1867 إلا أنه لم يوافق عليه من كنيسة المورمون الرئيسية الكبرى في يوتاه Utah. ولم يعرف هذا الكتاب خارج إطار الكنيسة المنشقّة حتى أن رايلي ولين وبرودي لا يذكرونه أبدًا... وخلاصة أمره أنه يدخل تعديلات على بعض مقاطع التوراة لإعلان النبؤة بسميث وكتابه مثل الإصحاح 50 في سفر التكوين حيث يصبح المقطع «واسمه سيكون جوزيف سميث وسيحمله بعد أبيه» أو في الإصحاح 29 من إشعياء، حيث نبؤة بكتاب مورمون...إلخ. وفي مرحلة من حياته غيّر جوزيف سميث دوره من مجرد كونه مكتشف الألواح إلى نبي. ثم عاد إلى دور المكتشف وذلك في عام 1835 حين كان وبعض أتباعه الخلص يؤسسون مركزًا في كيرتلاند أوهايو Kirtland، حين زار المدينة بائع أغراض عتيقة وغريبة متجول ومعه 4 مومياءات مصرية وورقتي بردي وطلب من سميث مساعدته في ترجمة أوراق البردي حيث إن سميث عرف واشتهر كمترجم لكتاب المورمون من المصرية... ولا ننسى أنه في ذلك الزمن لم يكن يوجد أحد في أميركا يعرف الهيروغليفية. والمهم أن سميث اشترى الأوراق وأعلن بعد فترة أن إحداها كتبها النبي إبراهيم وأن الثانية تتحدث عن يوسف في مصر. ولم يسمع أحد لاحقًا عن هذه الورقة الثانية أما الأولى (كتاب ابرهيم) فقد ترجمها سميث بحسب زعمه لتصبح كتابًا من ضمن كتب عقائد

المورمون[87]. وهذا الكتاب اسمه «الحجر الثمين The pearl of great وهو يضم إضافة إلى كتاب ابراهيم كتاب موسى الذي زعم سميث أنه تلقاه كوحي مباشر (الكتاب طبع بعد موت جوزيف سميث في ليڤيربول 1851). وقد أثبت المختصون باللغة والحضارة المصرية لاحقًا أن ترجمات سميث المزعومة للبردي هي فانتازيا ليس إلّا. كما أثيرت قضية شرعية أو حقيقة وجود هذه الأوراق.. وقد حصلت حادثة غريبة في عام 1966 حين أعلن البروفسور عزيز عطية أنه أعاد اكتشاف أوراق البردي هذه في متحف نيويورك Metropolitan Museum وقد سلمها لاحقًا إلى إلدون تانر Eldon tanner رأس كنيسة المورمون يومذاك؛ وتبع ذلك الاكتشاف نقاش حامي الوطيس داخل المورمون حول كيفية التوفيق بين ترجمات سميث الغريبة وبين آراء المتمصرين وترجماتهم.

أخيرًا يزعم كريستر ستاندال[88] أن كتاب المورمون قد يكون جزءًا من الترجوم اليهودي والتوراتي الضائع[89].

7- إنجيل السلام

وعنوانه بحسب الطبعة الأولى التي ظهرت في عام1937: إنجيل السلام ليسوع المسيح[90] بقلم تلميذه يوحنا: نصوص آرامية وسلافونية

(87) حول كتاب إبراهيم، أنظر: لين ص 139–141، وبرودي 170–173

(88) كريستر ستاندال (1921–2008) Krister Stendahl لاهوتي سويدي وعالم في كتب العهد الجديد وهو أسقف كنيسة السويد لمدينة ستوكهولم كما عمل أستاذًا مبرزًا في مدرسة هارفرد للإلهيات.

(89) Truman G. Madsen., ed. *Reflection on Mormonism, Judeo-Christian Parallels*., Provo, Utah: Religious Study Center, Brigham Young University 1978

(90) *The Gospel of Peace of Jesus Christ by the disciple Jhon.* Aramaic and old Slavonic texts compared and edited by Edmond Szekely and Purcell Weaver. Ashingdon, Rochford, Essex: C.W Daniel Company limited and leatherhead. Surrey: Bureau of Cosmotherapy, Laurence Weaver house, 1937.

جمعها وحررها وقارنها إدموند بوردو سيكلي Edmond Bordeaux Szekely وبورسيل ويفر Purcell Weaver. ولا يزال يطبع من قبل نفس دار النشر وتحت نفس العنوان؛ والشركة الآن موجودة في لندن. أما الطبعة الأميركية فتحمل عنوان إنجيل السلام الآسيني[91]، الجزء الأول صدر عام 1978 ومحتواه هو نفسه الموجود في الطبعة الإنكليزية؛ وله عنوان فرعي هو:

The Third Century Aramaic manuscript and old Slavonic texts; compared, edited and translated by Edmond Bordeaux Szekley.

(المخطوط الآرامي من القرن الثالث والنصوص السلافونية القديمة قارنها وحررها وترجمها إدموند بوردو سيكلي). ثم صدر المجلدان 2 و3 (1977–1978) ولهما عنوان فرعي، الأول: الكتب المجهولة لطائفة الآسينيين The unknown Books of the Essens والثاني:اللفائف الضائعة لأخوية الآسينيين

Lost Scrolls of the Essenes Brotherhood

وهما من ترجمة سيكلي من العبرية والآرامية. وهذان المجلدان يتطابقان مع الجزء الثاني من الطبعة الإنكليزية الذي صدر بعنوان إنجيل الآسينيين، في مجلد واحد ومن نفس الناشر.

وقد وصف سيكلي طفولته في كتاب له بعنوان «اكتشاف إنجيل السلام الآسيني»[92].

وبحسب روايات سيكلي فإن هناك مخطوطين كاملين لهذا الإنجيل: الأول باللغة السلافونية القديمة موجود لدى المكتبة الوطنية

(91) *The Essene Gospel of Peace*. International Biogenic Society. Cartago, Costa Rica.

(92) *The Discovery of the Essene Gospel of Peace*. San diego: Academy Books 1977.

في ڤينيا؛ والثاني بالآرامية موجود في خزانة الأرشيفات السرية للفاتيكان (وهي تحتوي على كمية كبيرة من المخطوطات بحسب سيكلي). كما أن هناك مقاطع عبرية موجودة في مخطوط لدى دير بندكتي في مونت كاسينو وسط إيطاليا Monte Cassino. ومن الصعب العثور على عناوين هذه المخطوطات في كتالوغات المكتبات المذكورة. وإدموند سيكلي هو دكتور طبيب مختص بالغذاء الصحي أمضى آخر أيام حياته في سان دييغو (كاليفورنيا) حيث كان رئيسًا لمعهد بيوجينيك. ويبدو أن أعماله كانت مزدهرة. وإلى جانب إنجيل السلام فقد نشر سيكلي حوالى 60 كتابًا حول الغذاء الصحي. وأول مرة ظهر فيها الإنجيل في بريطانيا عام 1937 حمل عبارة أنه إنجيل التلميذ يوحنا. وقد استمر الناشر الإنكليزي في طباعة الكتاب تحت نفس العنوان حتى اليوم وفي مقدمة تلك الطبعة (1937) قال سيكلي إنها مقاطع من المخطوطات وإن النشر سيستمر لاحقًا إلاّ أنه لم ينشر شيئًا بعد ذلك حتى عام 1974 حين ظهر مجلدان جديدان هما إنجيل الآسينيين في الطبعة الإنكليزية، في حين أن المجلدات الثلاثة في الطبعة الأميركية حملت عنوان إنجيل السلام الآسيني.

ادعى سيكلي أنه بليوغرافي (دراسة الكتابات والنقوش القديمة) وعالم بفقه اللغة، واختصاصي في الغذاء الصحي. وقال إنه ابن رجل ترانسلفاني من ذوي المعتقدات اليونيتارية (التوحيدية Unitarian)، ومن أم فرنسية كاثوليكية. وقال إن جده كان الشاعر الهنغاري الكبير ألكسندر سيكلي، أسقف مدينة كلوج Cluj في الكنيسة التوحيدية[93]، ومن أجداده

(93) مدينة كلوج نابوكا تقع شمال-غرب رومانيا وهي عاصمة محافظ كلوج في إقليم ترانسيلفانيا وتعتبر من أهم العواصم التاريخية لهذا الإقليم. تعتبر مركزًا اقتصاديًا وثقافيًا مهمًا، بالإضافة إلى كونها عقدة مواصلات مهمة في رومانيا.

الكنيسة التوحيدية في ترانسيلفانيا هي كنيسة مسيحية تؤمن بالإله لواحد ومقرها في =

أيضًا الرحالة والفيلسوف الشهيد ألكسندر شوما القوروسي Csoma de Kôrôs[94]. كما قال إنه درس في مدرسة كاثوليكية يديرها سلك الرهبان البياريست Piarist order[95]، وإنه بمساعدة الرئيس المونسينيور مونديك ذهب إلى روما لمواصلة الدراسة على يد المونسنيور إنجيلو ماركاتي Angelo Marcati[96] الذي كان في ذلك الوقت حافظ الأرشيفات السرية

= مدينة كلوج نابوكا في ترانسيلفانيا (في رومانيا الحالية)، تأسست في عام 1568 في إمارة ترانسيلفانيا، حيث تمتعت بتأييد الأغلبية المجرية، وهي حاليًا واحدة من 18 طائفة دينية حاصلة على اعتراف رسمي من قبل الدولة الرومانية. تمثل ترانسلفانيا والموحدين المجريين الفرع الوحيد من مذهب التوحيدية التي لم تتبنى النظام الأبرشاني، وبقيت شبه أسقفية. في حين أن الكنيسة الإيرلندية غير المتحدة مع الكنيسة المشيخية، وهي هيئة متميزة ترتبط ارتباطًا وثيقًا مع مذهب التوحيد، لديها بنية مشيخية. تدار الكنيسة التوحيدية في ترانسيلفانيا من قبل أسقف واثنين من أمناء عامين، أغلب أتباع الكنيسة من الأقلية العرقية المجرية في رومانيا وتستخدم اللغة المجرية في الليتورجيا والتعليم الديني.

(94) ألكسندر شوما القوروسي Alexander Csoma de Kőrös (من قوروس في ترانسيلفانيا وهي اليوم كيوروس Chiuruş في رومانيا) واسمه بالولادة ساندور شوما القوروسي Sándor Csoma de Kőrös (1784–1842) عالم لغوي هنغاري ومستشرق له أول قاموس وكتاب قواعد إنكليزي تيبيتي. ويعتبر مؤسس العلم الخاص بحضارة التيبيت وآدابها وقيل عنه إنه كان يقرأ 17 لغة.

(95) سلك «الرهبان الفقراء لوالدة الرب لمدارس الأتقياء»، The Order of Poor Clerics Regular of the Mother of God of the Pious Schools وباللاتينية Ordo Clericorum Regularium pauperum Matris Dei Scholarum Piarum, Sch. P. or S. P، وتسمى أيضًا «سلك الرهبان الفقراء لوالدة الرب»، وتسمى اختصارًا يرهبنة البياريست. هي أقدم رهبنة كاثوليكية تعليمية، تأسست في عام 1617 على يد «القديس» جوزيف كالاسانكتيوس Saint Joseph Calasanctius لتعليم الأطفال والشبان الفقراء تعليمًا حرًا وقد اتبعت العديد من المدارس الكاثوليكية طريقتهم وكذلك الكثير من المدارس الرسمية الحكومية الناشئة في بعض أجزاء أوروبا وحققت نجاحات كبيرة. بعض الأشخاص المشهورين في القرون الأخيرة كانوا من تلاميذ البياريست أمثال: البابا بيوس التاسع، غويا، شوبرت، غريغور مندل، وفيكتور هوغو.

(96) أنجيلو ماركاتي: حافظ أرشيفات الفاتيكان السرية خلال الأعوام: (1925–1955). والأرشيفات السرية هذه هي الأرشيفات المركزية في مدينة الفاتيكان Archivum Secretum Apostolicum Vaticanum وتتضمن كل القرارات والمراسيم الصادرة عن البابوات =

للفاتيكان. وهناك اكتشف سيكلي المخطوط الآرامي في ما بين عامي 1923 و 1924. وادعى أنه خلال زيارة له إلى مونت كاسينو اكتشف المقاطع العبرية المطابقة للنص الآرامي[97]. ولا يوجد أي وصف للمخطوط الآرامي أو العبري في كتب سيكلي. ويقول سيكلي إنه قدّم تقريرًا عن اكتشافاته هذه إلى جامعة باريس في عام 1925 ولكن هذا التقرير ضاع ولم يذكر سيكلي اسم أستاذه المشرف على أطروحته. وقال إنه ترك جانبًا أمر هذه المخطوطات لأن صديقه ألدوس هاكلسي Aldous Huxley قال له إنها صعبة القراءة وغريبة. ولكن سيكلي لا يعطي أية معلومات حول المخوطة السلافونية التي قال إنها موجودة في المكتبة الوطنية بڤينيا، ولا يذكر حتى تاريخ رحلته إلى ڤينيا. غير أن مترجمه إلى الألمانية Werner Zimmerman (الذي ترجم أيضًا إنجيل النباتيين) يقول إن سيكلي وجد أولًا المخطوط السلاڤوني ثم الآرامي. ولكن سيكلي يقول إنه ذهب إلى باريس وليبزيغ لشراء قواميس عبرية وآرامية وهو في طريقه إلى روما ولا يتحدث عن أي توقف في ڤينيا كما لا يذكر أبدًا أي شيء عن مخطوط ڤينيا. وفي كاتالوغ أعمال سيكلي تعداد للغات التي يتقنها ولا يوجد ذكر للغة السلافونية. وفي المجلدين اللاحقين (وهما يحملان عنوان إنجيل السلام) لا يوجد ذكر للنصوص السلافونية القديمة وإنما ذكرت الترجمة عن أصل عبراني وآرامي...

أما قصة المخطوط العبري في مونت كاسينو فهي ترد في رواية

= والمجامع. وهي ملك للبابا الذي يكون على الكرسي إذ هو سيد الكرسي والمدينة وتنتقل ملكيتها إلى خلفه بالوفاة أو الاستقالة. كما تتضمن الأرشيفات وثائق الفاتيكان الرسمية ودفاتر حسابات الباباوات وغيرها من الوثائق الكنسية المتراكمة عبر القرون. في عهد البابا بولس الخامس في القرن السابع عشر جرى فصل هذه الأرشيفات عن مكتبة الفاتيكان حيث كان الباحثون يتوفرون على دراسة البعض منها، وظلت الأرشيفات مغلقة بوجه الباحثين حتى العام 1881 حين فتح الباب إليها البابا ليو الثالث عشر.

(97) كتابه اكتشاف إنجيل السلام الآسيني، مصدر سابق، ص 45–55

سيكلي لاكتشافه ولكنها لا ترد في طبعات الإنجيل نفسه. غير أن سيكلي طبع نصًا عبريًا زاعمًا أنه مقاطع المخطوط في مونت كاسينو. ولا يوجد لهذا النص طبعة أميركية وإنما في الطبعة الإنكليزية للمجلدين الآخرين (إنجيل الآسينيين) هناك 15 صفحة لنص عبري (غير منطوق أوملفوظ) من دون أي ترجمة له أو تعليق عليه. وبحسب سيكلي فإنه وجد هذا النص عام 1924 فلماذا لم يستخدمه في الطبعة الأول عام 1937، لا بل أنه لم يذكره حتى؟ وقد سأل بيسكوف Beskow عالم عبري ضليع هو السيد بولوندن Bolunden (M.A,Lund). فقال له إن قناعته أن النص متأخر وفيه عبارات من عبرانية توراتية ولكن لغته هي عبرية صحيحة تعود لمرحلة ما بعد توراتية شبيهة باللغة الموجودة في المشنا.

والمعروف أن دير مونت كاسينو دمرّه القصف خلال الحرب العالمية الثانية ولا يمكن أن يكون قد نجا هكذا مخطوط من الدمار...

في المقدمة الأصلية للطبعة الأولى في عام 1937 يقول إدموند سيكلي ومترجمه وناشره بورسيل ويفر Purcell Weaver[98] بإن «كلمات

(98) التقى بورسيل ويفر بإدموند سيكلي في تاهيتي في العام 1934 وادعى أنه ساعده على تحسن صحته ثم ذهب إلى حد ترجمة معظم كتبه بداية مع كتاب «الكوزموس، الإنسان والمجتمع» (1936) والسيد ويفر مذكور في الكتالوغ العام للمتحف البريطاني British Museum General Catalogue أنه عالم لغويات وألسنية وكان يدرّس اللاتينية في جامعة سانتا باربارا في كاليفورنيا (عام 1938) وهذه قائمة بكتبه المترجمة إلى الإنكليزية.

Cosmos, Man and Society: A Paneubiotic Synthesis
Medicine Tomorrow: Introduction to Cosmotherapy with Guide to Treatment
Sexual Harmony and the New Eugenics
The Therapeutics of Fasting
Medicine and Dialectics
The Future of Medicine
Sleep and the Will
The Gospel of Peace of Jesus Christ by the Disciple John
The Teaching of Buddha
The Living Jesus
= Yoga in the Twentieth Century and The Meaning of Christmas

المسيح قد نسيت وإنها لم تجمع قبل عدة أجيال من سماعها وإنها فهمت على غير حقيقتها ونقلت بشكل خاطئ وكتبت مئات المرات وأعيد تحويرها مئات المرات إلاّ أنها عاشت واستمرت حوالى ألفي سنة. إنها مسؤولية عظيمة أن يعلن أن العهد الجديد الذي هو أساس كل كنيسة مسيحية هو محرّف ومزّور... لكن لا يوجد ديانة أعلى مقامًا من الحقيقة نفسها»[99].

ختامًا: اكتشفت مخطوطات البحر الميت في عام 1947 ومعها بدأ الحديث عن الآسينيين؛ ومن هنا تغير عنوان الإنجيل ما بين المجلد الأول (1937) والمجلدات 2 و3 في سبعينيات القرن العشرين حيث اختفى اسم يوحنا وحل محله اسم الآسينيين.

8- الإنجيل المائي Aquarian Gospel

هذا الإنجيل ثمين بأمور عدة أولها أسلوبه التوراتي المخصوص مع تقسيماته التقليدية إلى سوَر وآيات. وهو لا يكتفي بجعل عيسى يزور الهند بل هو يرسمه في شكل غورو هندي حقيقي كما حين يقوم بتعليم عقيدة برهمان آجاينين Brahman Ajainin حول التناسخ. ولا يكتفي بزياراته إلى الهند بل يجعله يصل إلى اليونان ومصر. في هذا الإنجيل يزور عيسى مدينة ليه Leh عاصمة لاداخ Ladakh وواصل سيره إلى لاهور (التي لم تُعرف في التاريخ قبل القرن السابع ميلادي). الطبعة الأولى من هذا الكتاب ظهرت في لوس أنجلس عام 1911 وهناك طبعة في عام 1972

=
Zoroaster, the Master of Life
Man, Art and World-Conception
Sermon on the Mount: An Essene Interpretation
Genesis: An Essene Interpretation
Cottage Economy

(99) ص 5 من المقدمة المذكورة لطبعة 1937 الأولى من كتاب إنجيل السلام ليسوع المسيح، مصدر سابق.

The Aquarian Gospel of Jesus Christ, by Levi H. Dowling, Paper back edition by De Vorss Company, Marina del Rey, California 1972

الطبعة الإنكليزية: L.N Fouler and son; 24th reprint 1977

* صاحب الكتاب هو ليڤي هـ. داولنغ (1844–1911) (Levi H. Dowling) الذي كان والده مبشرًا لطائفة أتباع المسيح (Disciples of Christ). وليڤي نفسه بدأ من سن الـ 16 مهنة التبشير أيضًا وأصبح في عمر 18 راعيًا لأبرشية صغيرة كما خدم قسيسًا في الجيش خلال الحرب الأهلية وكان ناشطًا مشهورًا في نشر أدبيات مدارس الأحد؛ ثم تحول لاحقًا إلى مهنة الطب وقيل إنه تخرج من معهدين وإنه مارس الطب لعدة سنوات. وقال هو إنه حضّر نفسه لمدة أربعين سنة بالصلاة والتأمل إلى أن أصبح جاهزًا لتلقي الرسالة وحين بدأ الوحي ينزل عليه انسحب من مهنة الطب وأمضى وقته في كتابة ما كان يوحي إليه وهو هنا كتاب الإنجيل المائي الذي نشر في عام 1911 أي عام وفاته[100]. ويقول ليڤي إنه أقام اتصالًا مع السجل الأكاشي المحفوظ Akashic Records (وهو ذاكرة كونية غالبًا ما تذكر في الأدبيات الثيوصوفية والغنوصية)؛ ومن خلال هذا الاتصال تلقي معرفة عالية بالأحداث التوراتية وأصبح قادرًا على نقل هذه المعرفة في إنجيل جديد. وقال انه كان يتلقى الوحي في ساعات الصباح الأولى (بين الساعة الثانية والساعة السادسة) ويكتبها مباشرة (كما كان يفعل جوزيف سميث صاحب المورمون). وقد شرح هذا الامر شعريًا في كتاب له اسمه (غروب الأزمنة The Cusp of the Ages)، وفيه إن Visel إلهة الحكمة أرسلته إلى خزائن السجلات المحفوظة لكي يقرأ ويكتب... وهكذا فإنه اعتبر نفسه رسولًا في العصر الجديد (مثل

(100) المعلومات موجودة في مقدمة طبعة 1972 الأميركية وفي كتاب غودسبيد، مصدر سابق، ص 15

سميث المورموني) واستخدم نبؤات التوراة لذلك (في سفر التكوين الإصحاح السابع). وفسر ليڤي ذلك بأنه دعوة لرسالة جديدة بعصر جديد في تاريخ البشرية، هو العصر المائي، وهو استخدم قراءة فلكية «لمباردة الاعتدالين»[101] precession رأى فيها أن موقع الاعتدال الربيعي قد تراجع في جدول البروج zodiac. وفي عصر عيسى فإن ذلك التراجع حصل من علامة برج الحوت Pices إلى علامة برج الحمل Aries. أما في عصرنا أي بعد ألفي سنة فإنه دخل علامة Aquaruis (برج الدلو) وبالنسبة للكثير من الفلكيين فإن ذلك يعني بوابة عصر جديد وديانة جديدة.

مع انه لم يزعم كما غيره أنه وجد مخطوطة في مكان ما، بل قال إن إنجيله هو وحي تلقاه، فإنه قسمه بحسب التقليد التوراتي إلى 22 جزءًا و182 فصلًا أو سورة والسور إلى آيات. وقد استخدمته العديد من الحركات الدينية ككتاب مقدس. وقيل إن الكنيسة الروحانية Spiritualist في أميركا تستخدمه؛ كما قيل إن الكنيسة المندثرة المسماة بالكنيسة الكاثوليكية القديمة[102] استخدمته في قداديسها. وهذا الإنجيل، إلى

(101) المبادرة أو المداورة أو البدارية هي حركة دائرية متغيرة حول محور يسمى محور المبادرة. في الفيزياء، هناك نوعان من المبادرة سواء كانت متعلقة أو غير متعلقة بعزم الدوران. وتلعب مبادرة الكواكب دورًا مهمًا في المراقبة الفلكية، فعلى سبيل المثال تغير موقع نجمة القطب في السماء هو أحد نتائج مبادرة كوكب الأرض حيث يميل محور دوران الأرض حول نفسها نحو 23 عن مستوى دورانها حول الشمس.

(102) الكنيسة الكاثوليكية القديمة جماعة مسيحية أسسها كاثوليك ذوي أصول جيرمانية فصلوا أنفسهم عن الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بعد أن رفضوا مقررات المجمع الفاتيكاني الأول عام 1870، خصوصًا بسبب إقرار المجمع لعقيدة العصمة البابوية. دونت عقائد الكنيسة في إعلان أوترخت عام 1889، رفضت فيها الشركة الإيمانية مع البابا وأنكرت عدة عقائد وممارسات رومانية كاثوليكية، وسمحت لقساوستها بالزواج وقررت بأن سر الاعتراف هو خياري وليس إجباري للمؤمن. ولكنها حافظت على التقليد والطقس الروماني مع السماح باستعمال اللغات العامية في الصلاة. انتشرت الكاثوليكية القديمة من ألمانيا إلى المناطق المجاورة في سويسرا والنمسا ومن ثم إلى دول وأمم أخرى، فوصلت إلى الولايات =

جانب كتاب المورمون، وإنجيل السلام، هو الأكثر انتشارًا من الكتابات التوراتية الحديثة في عصرنا هذا.

في هذا الإنجيل يتلقى عيسى التعاليم الابتدائية وأسرار الدخول أو التنسيب (الإسرار والمساررة) Initiation في هليوبوليس. وهو يوصف كمسافر دائم باحث عن الحكمة يتصل بالعديد من المعلمين ويدخل في أسرارهم. والفكرة الرئيسية هي إدخاله في أسرار شرقية ومصرية وهي تنتمي إلى نفس المعتقدات الماسونية حيث التركيز على تلقي الطقوس لشعائر معينة كعلامة دخول إلى سر العضوية.

8- إنجيل النباتيين[103]

الطبعة الأولى ظهرت عام 1901 في برايتون/ البريطانية Brighton وكذلك الثالثة (1903) ثم أعيد نشر النص من قبل E. F.Udny بعنوان:

The Original Christianity in the Gospel of the Holy Twelve (London: Edson ltd 1924)[104]

= المتحدة عام 1885، وهناك أسست عام 1897 كنيسة أميركا الوطنية البولونية الكاثوليكية، التي تعتبر إحدى أولى مجموعات الكاثوليكية القديمة في البلاد. وفي عام 1968 أبصرت النور أحدث كنائس هذه الحركة وهي كنيسة المسيح الكاثوليكية. وقد بلغ عدد أعضاء الكنائس الكاثوليكية القديمة المختلفة في الولايات المتحدة سنة 1990 قرابة الخمسمئة ألف شخص. وفي أوروبا يقدر عدد أتباعها اليوم بأربعين ألف عضو.

(103) The gospel of the Holy Twelve: Known also as the Gospel of the Perfect life. Translated from the Aramaic and edited by a disciple of the Master, and with former editions compared and revised, issued by The Order of Atonement and United Templar's Society Paris, Jerusalem, Madras.1901. 181 pp.
John M. Ilheany. *Familiar Strangers: The Church and the Vegetarian Movement in Britain (1809-2009)*. Ascendant Press, 2010
http://www.spiritual-minds.com/religion/Gnosticts/gospel%20of%20the%20holy%20twelveL.pdf

(104) E. F. Udny. Introduction to Gospel of The Holy 12, 1901.
http://reluctant-messenger.com/essene/gospel_intro.htm

وهناك طبعة نشرها جون واتكنز John M. Watkins في لندن (1957) مع مقدمة بقلم رولاند هنتلاند Roland Hentland وهو قريب آنا كنغسفورد Anna Kingsford (1846–1888) وهذه كانت زوجة أسقف إنكليزي درست الطب في باريس يرافقها إدوارد مايتلاند Maitland في حين ظل زوجها في كنيسته. وقد اشتهر الثنائي بحيث أصبح شائعًا الكلام عن كنغسفورد ومايتلاند Kingsford and Maitland. وقد صرحت آنا بأنها تحمل طاقات نبوية خارقة وهي أخذت تصدر تنبوءات هي مزيج من المسيحية ومن المعتقدات اليونانية القديمة. ثم أسسا معًا جمعية هرمسية سحرية، على قاعدة أيديولوجية ثيوصوفية. ماتت آنا في عز شبابها ونشر مايتلاند أعمالها وهي سبقت مدام بلافاتسكي التي أصبحت أكثر شهرة في كتاباتها وأعمالها السحرية الثيوصوفية[105].

وقد زعم هنتلاند انه حصل على إذن نشر كتابه من S. H. Hart صاحب المخطوطة وهو نفسه ناشر سيرة حياة آنا كنغسفورد لاحقًا. وآخر طبعة من هذا الإنجيل نشرت عام 1972 صادرة عن The Christian Gospel Trust, Henley Bridge House, Ashburnham Battle, Sussex، كما صدرت له عدة ترجمات في ألمانيا والدول السكندينافية حيث لاقى نجاحًا كبيرًا وسط الشباب وجمعيات الغذاء الصحي. وبحسب كل هذه الطبعات فإن الأصل مخطوط آرامي قديم سابق على الأناجيل المعروفة وأنه كان محفوظًا في دير في التيبت ثم وقع في أيدي قسيس من إنكلترا

(105) هيلينا بتروفنا بلافاتسكي ولدت باسم هيلينا فون هان (1831–1891) وكان والدها، حاكمًا من الطبقات النبيلة، أما من ناحية الأم فقد كانت حفيدة الأميرة هيلين دواجروكي التي كان أجدادها يرتبطون بروابط وثيقة بالعائلة الحاكمة. هي أشهر من عمم ونشر الروحانية الثيوصوفية. كانت أيضًا كاتبة ورحالة عالمية، سافرت حول العالم بين 1848 و1875 ثلاث مرات. وفي 1875 أسست مع الكولونيل أولكرت الجمعية الثيوصوفية. أحد أهداف الجمعية المعلنة تأسيس نواة لأخوية إنسانية عالمية، من دون تمييز في العرق أو الجنس أو الدين أو اللون.

هو المحترم أوسلي J. R.Ouseley الذي قام بنشره في مطلع القرن. وفي الترجمة السويدية والألمانية يقول الناشر بأن أوسلي عثر على المخطوط في التيبت عام 1881. أما الترجمة الإنكليزية الأخيرة (1972) فتقول إن كاتب الإنجيل هو يوحنا خلال سجنه في روما وأنه أعطاه ورقة ورقة إلى تلميذٍ له، ثم إن هذا التلميذ أخذ الأوراق إلى دير في التيبت حيث عثر عليه في عام 1870 راهب فرنسيسكاني اسمه بلاسيدوس Placidus الذي ترجم أقسامًا منه إلى اللاتينية. وحين عاد إلى روما قرأه أمام جمع من الكرادلة الذين خافوا من انتشاره فقاموا بإخفائه في أرشيفات الفاتيكان.

وهذا الإنجيل يتضمن تعاليم المسيح حول حب الحيوانات والعناية بها وحول الامتناع عن أكل اللحوم. ومعظم الكتاب حديث عن جولات عيسى ولقاءاته مع الكثير من الناس من مختلف الأنواع ومع الحيوانات وخطبه إلى تلاميذه. ونرى فيه عيسى يتحدث لغة الطيور والحيوانات ويدجّن أسدًا ينام تحت قدميه.

ويسوع سافر إلى آشور والهند وفارس وكلدان (كما في الإنجيل المائي =Aquarian) وكما في الرسالة الآسينية فإن عيسى يملك قدرات شفاء باستخدام النبات والشجر والزهر... وكما في إنجيل السلام (لاحقًا) فإن الله عنده مزدوج أب - أم وهو يستخدم عبارة (أبا- أما Abba-Amma) القاباليستيكية التي استخدمتها أيضًا مدام بالاڤاتسكي في مسردها الثيوصوفي[106] (وهو مسرد يشرح الكلمات الصعبة). وفي هذه الأناجيل فإن مريم المجدلية هي شريكة عيسى. وسبب شعبية هذه الأناجيل واضح (في سبعينات القرن العشرين): الدعوة للحب والسلام وللنباتية. وفيه يدعو عيسى إلى حمية تقوم على الأعشاب والفاكهة.

(106) Encyclopedic Theosophical Glossary. Theosophical University Press, publishing and distributing quality theosophical literature since 1886: PO Box C, Pasadena, CA 91109-7107 USA

وفي هذا الإنجيل خليط من مقتطفات من الأناجيل الأربعة ومن أعمال «الرسل» وخاصة بولس(رسالة الكورنثيين1) كما فيه بعض مما في الأناجيل المخفية التي انتشرت في مطلع عهد الكنيسة وبخاصة الإنجيل الضائع المسمى بإنجيل المصريين والذي يرد ذكره في أناجيل سرية أخرى مثل رسالة إكليمنضس الثانية Second Epistle وأعمال بطرس، وأعمال فيليب، وإنجيل توماس...

صاحب هذا الإنجيل هو القس الأنغليكاني المحترم جدعون ياسبر ريتشارد أوسلي Gideon Jasper Richard Ouseley (1835–1906) ولد في لشبونة للسير رالف أوسلي وأحضر إلى إيرلندا عام 1842 عقب وفاة والده. تخرج من كلية الثالوث الأقدس في دبلن 1858 وسيم كاهنًا في عام 1860 على يد أسقف داون وكونور Down and Connor وعام 1861 أصبح كاهن County Down, Warrenpoint. حوالى عام 1870 ترك الكنيسة الأنغليكانية وتحول إلى الكاثوليكية حيث أصبح كاهنًا في كنيسة Catholic Apostolic (Irvingite) Church. وخلال تلك الفترة كتب حوالى عشرة كتب عن الحياة النباتية وعن الأمور الخفية والسحرية كما أنه أسس عدة جمعيات ثيوصوفية ونباتية. في عام 1882 كان يعيش في لندن ثم انتقل إلى برايتون Brighton وظل فيها حتى وفاته. بين 1872 و 1882 لا يُعرف عنه شيء. (وهنا تقول الروايات أنه ترك الكنيسة الكاثوليكية الرسولية التي لم توافق على آرائه وتوجهاته وأصبح مرتبطًا بقوة بحركة آنا كنغسفورد وإدوارد مايتلاند. وفي سيرة حياة آنا يرد ذكر أوسلي ككاهن عميق الالتزام بالأمور الصوفية وأحد المعجبين الكبار بكتاب آنا وماتيلاند وعنوانه الطريق الكامل The Perfect Way. ويبدو أن تأثير هذين الشخصين كان كبيرًا جدًا عليه. والمعروف أنه كان من بين المعجبين والمصدقين بآنا كل من اللايدي وايلد وولديها أوسكار ووليام. وهناك في المتحف البريطاني كمية كبيرة من كتابات أوسلي تحت اسم Ouseley الكامل. British Musem General Catalogue

في رسالة له بتاريخ 14 أبريل 1897 يقول أوسلي إنه تلقى رسالة روحية في ظروف بالغة الخصوصية والصدقية من الصوفي السويدي إيمانويل سويدنبرغ Swedenborg(107) تقول بأن إدوارد مايتلاند الذي كان توفي قبل أسبوعين «هو الآن في عالم الغيب الخفي» (انظر مقدمة هارت Hart لسيرة حياة آنا كنغسفورد، الطبعة الثالثة لمايتلاند) كما أن هارت هو الذي امتلك نسخة أوسلي من الإنجيل (المخطوط الأصلي كما قال) وهذا يبرز لنا العلاقة المتشابكة بين كنغسفورد ومايتلاند – أوسلي وهارت. وفي مقدمة الطبعة الأولى «لإنجيل الاثني عشر المقدسين» يقول أوسلي إنه تلقى النص بواسطة الاتصال الروحي مع سويدنبرغ وكنغسفورد ومايتلاند، والراهب الفرنسي بلاسيدوس (نسخة من هذا الإنجيل موجودة في مكتبة برايتون العمومية (Public Library-Brighton). يبدو أن كتاب المورمون وكتاب نوتوڤيتش (1894) وكتاب مدام بلافاتسكي (العقيدة السرية 1888) هي التي أوحت لأوسلي فكرة كتابه أو (إنجيل الـ 12 المقدسين) وقد قامت آني بيسانت Anni Besant رئيسة حركة Adyar الثيوصوفية، بعد وفاة مدام بلافاتسكي، بانتقاد مزاعم أوسلي في مقالة لها بعنوان (كتاب غريب) في المجلة الثيوصوفية وقالت إن كتابه لا علاقة له بنص آرامي مزعوم بل هو تجميع لروايات من مصادر عدة.

---

(107) إيمانول سويدنبرغ Emanuel Swedenborg عالم وفيلسوف سويدي وصوفي وثيولوجي مسيحي له تاريخ حافل كعالم ومخترع ولد في 1688 ومات في 1772. دخلت حياته في طور روحي في عمر 56 حيث حدثت له رؤى وأحلام وصلت به إلى استيقاظ روحي ادعى فيه أن الرب عينه لكتابة تعليم سماوي لإصلاح المسيحية، وأن الرب فتح عينيه مما سمح له بزيارة السماء والنار والتكلم مع الملائكة والشياطين والأرواح. في السنوات 28 الباقية من عمره كتب وطبع 18 عملًا ثيولوجيًا أشهرها السماء والنار في 1758 وعدة أعمال ثيولوجية لم تطبع. في آخر عمره تشكلت عدة مجموعات قراءة في إنكلترا والسويد لدراسة الحقيقة التي رآها البعض في كتاباته وتأثر عدة كتاب به.

الباب السابع

المسيح في الهند، نظريات وفرضيات

1- قصة «القديس» عيسى: أو الحياة السرية للمسيح

في عام 1887 زار المراسل الحربي الروسي نيقولاس نوتوڤيتش الهند ووصل إلى التيبت حيث دخل دير حميس Hemis وبحسب روايته فإنه دخل الدير للعلاج من كسر في رجله وهناك تحاور مع رئيس اللاما (أو الدالاي لاما) الذي أخبره بوجود كتاب عندهم اسمه «حياة «القديس» عيسى أفضل الرجال». وقد طلب نيقولاس من اللاما أن يقرأ له من الكتاب بواسطة مترجم. وبحسب نيقولاس فإن اللاما أخبره أن النسخة التيباتانية هي ترجمة عن لغة بالي Paly وبحسب نقولا أيضًا فإنه قام هو بنفسه بترتيب الفصول والمقاطع وفقًا لضرورات الرواية. وقد نشر هذا العميل الروسي ترجمته بالفرنسية عام 1894. وبحسب غودسبيد GoodSpeed فإن هنري أومونت Omont من المكتبة الوطنية الفرنسية أخبره بأن 8 طبعات نشرت ذلك العام بالفرنسية وأيضًا بحسب غودسبيد فإن فريدريك أشلي أخبره بأن 3 طبعات نشرت في واشنطن في أيار ذلك العام أولها ترجمة ماريون كراوفورد ونشر ماكميلان (4 أيار). وكراوفورد هذا كان مشهورًا بتخصصه باللغة السنسكريتية وأنه أمضى فترة طفولته في الهند... كما ظهرت تباعًا ترجمات في بريطانيا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا. وفي عام 1926 أعيد طبع الكتاب في نيويورك.

يتألف الكتاب بحسب نشر نوتوڤيتش من 244 مقطعًا صغيرًا في 14 فصلًا. وهو يبدأ بتاريخ بني إسرائيل في مصر وتحرير موسى لهم من الأسر ثم تركهم للدين واستعبادهم من قبل الرومان. يلي ذلك رواية عن التجسد (ولادة المسيح من عذراء). ثم رواية عن قيام عيسى وهو

في سن 13 سنة برحلة مع قافلة تجار إلى الهند (السند) لدراسة شرائع بوذا العظيم. وقد استقبله الجاينيون إلاّ أنه تركهم ليمضي 6 سنوات بين البراهمة في جوغورنوت، بناريس، وغيرها، دارسًا الفيدا ومعلمًا لجميع الطبقات من دون استثناء ولذلك عارضه البراهمة فجادلهم وانتقدهم وشهّر بهم وبكتبهم المقدسة خصوصًا إدانته للتميز بين الطبقات وللأصنام في معتقداتهم. فقرروا قتله وهرب إلى البوذيين حيث أمضى 6 سنوات بينهم دارسًا البالي ومتعمقًا في كتبهم الدينية. ثم غادرهم ليعيش بين الوثنيين ليعلمهم الأخلاق وزار بعدها فارس حيث بشّر وعلّم بين الزرادشتيين وحين بلغ 29 من عمره عاد عيسى إلى بلاده ليبدأ تبشيره[1].

ابتدأ نقد هذا الإنجيل سريعًا من خلال البروفسور ماكس موللر Max Müller من جامعة أوكسفورد وهو كان أكبر علماء الهنديات في الغرب وناشر أكبر مجموعة نصوص من الشرق باسم «الكتب المقدسة من الشرق» Sacred Books of the East. نشر موللر أول نقد له في مقالة له بعنوان «الإقامة المزعومة للمسيح في الهند»[2] أورد فيها مجموعة كبيرة من الانتقادات نوجزها فيما يلي:

موجز انتقادات موللر:

1. إن دير حميس معروف جدًا لكل الزوار الغربيين على العكس من زعم نوتوڤيتش بأنه سري.

(1) Nicolas Notovitch: *La vie inconnu de Jesus -Christ*, ed. Paul OllenDorf, Paris 1894
The unknow life of J.C., transl. J.H. Connelly and L. Landsberg. New York: G.W. Dillingham 1894
The unknow life of J.C., Tr. Alexina Loranger (Chicago, New York: Rand Mc Nally and Co. 1894) tr. Violet Crispe. London Hutchinson1895

(2) Max Muller, «The Alleged Sojourn of Christ in India,» *The Nineteenth Century*, 36 (July-December 1894) pp. 515-522

2. لو أن النص حقيقي ويعود للقرن الأول الميلادي بحسب نوتوڤيتش لكان ورد ذكره في الفهارس الكبيرة للأدب التيبتي والمعروف باسم كنجور وطنجور. والكنجور يحتوي خصوصًا على الأدب البوذي. فلو أن النص موجود لكان ذكر في الطنجور.

3. بحسب النص ايضًا فإن تجارًا يهود من فلسطين حملوا أخبار عيسى إلى الهند بعد وفاته وهناك وبحسب وصفهم له تعرّف عليه اليهود على أنه عيسى الشاب الذي عاش بينهم لفترة. وهذا غير معقول أو صعب التحقيق إذ إنه يعني أنه من بين جموع الهنود (الملايين) وجد اليهود الاشخاص المحددين الذين عرفوا عيسى وأن هؤلاء فهموا أن اليهود يتكلمون عن نفس الشخص الذي عرفوه.

4. أن المبشرين والمسؤولين البريطانيين قد سُئلوا عن نوتوڤيتش فنفوا معرفتهم بوجود رحالة روسي بل إن سيدة بريطانية زارت الدير نفسه وسألت عن نوتوڤيتش، فقيل لها إن لا أحد يعرفه وإن الدير لم يستقبل أحدًا مكسور الرجل للعلاج ناهيك عن وجود كتاب عندهم باسم حياة عيسى القديس.

* بعد ذلك بسنتين نشرت نفس المجلة[3] مقالاً بقلم البروفسور ج. أرشيبالد دوغلاس من آكرا J. Archibald Douglas قال فيه إنه استفاد من عطلة ثلاثة أشهر سنحت له في الجامعة ليعيد رسم رحلة نوتوڤيتش المزعومة في سهل السند فلم يجد أثرًا للفهود والنمور المزعومة كما أنه (دوغلاس) ذهب إلى «ليه» و«حميس» وأجرى مقابلة مع رئيس الدير بحضور مترجم هو مدير بريد «ليه» المتقاعد. وقد قرأ دوغلاس كتاب نوتوڤيتش على رئيس الدير الذي أبدى دهشته وتعجبه لما سمع خصوصًا وأنه رئيس الدير منذ 15 سنة ولم يحصل أن حضر أوروبي

(3) The Nineteenth Century, 39 (January-June 1896) pp. 667-677

مكسور الرجل إلى ديره ناهيك عن وجود كتاب سري أو مخطوط بوذي عن حياة عيسى (وهو الضليع بالأدب البوذي كما أنه لاما منذ 42 سنة) كما أنه كلاما وبوذي لا يعرف شيئًا عن أديان مصر القديمة والأشوريين وبني اسرائيل... وقد كتب دوغلاس الشهادة ووقعها رئيس الدير والمترجم وختمت بأختام رسمية للدير ورئيسه وللمترجم...

- قبل ذلك كان نوتوڤيتش قد صرح في مقدمة طبعة كتابه لعام 1895 بأنه لا وجود لمخطوط وإنما هو قام بجمع حكايات وقصص من كتب مختلفة كانت في الدير.

- كتاب نوتوڤيتش ظهر في مرحلة كان فيها اهتمام غربي كبير بالهند خاصة في بريطانيا حيث توجت الملكة فكتوريا إمبراطورة على الهند عام 1877. وكان موللر وصحبه يترجمون التراث الديني الهندي إلى الإنكليزية. وظهرت مراسلات مدام بلافاتسكي المزعومة مع مهاتمات الهند.

- كما ظهرت في ذلك الوقت عدة نظريات حول الأصول البوذية للمسيحية أهمها كتب أرثر ليلي[4]

وكان البروفسور الألماني Rudoff Seydel من ليبزيغ قد نشر نفس الآراء في ألمانيا في نفس الفترة.

أما مدام بلافاتسكي Helena Blavatsky فقيل إنها صاحبة فكرة وجود مخطوط تيبيتي مخبأ. فكتابها الأخير الكبير العقيدة السرية (The Secret Doctrine: 1888) يتضمن مقاطع من كتاب اسمه كتاب ديزان (The Book of

(4) Arthur Lillie
Buddhism in Christendom, Jesus the Essene. London: Kegan Paul and co. 1887
The Influence of Buddhism on Primitive Christianity. London: Somenschin and co. 1893
India in Primitive Christianity.London: Kegan Paul And co. 1909

Dyzan) قالت عنه إنه أقدم مخطوط في العالم يحتفظ به المهاتمات في سهل سري في مكان ما من الهملايا.

ولكن غيرشوم شولم يقول في كتابه عن الاتجاهات الكبرى في التصوف اليهودي[5] إن بلافاتسكي قد تكون أخذت هذه المقاطع المذكورة في كتابها من كتاب آخر هو القابالي القروسطي المنشور المعروف باسم Sifre-di-Tseniutha ولعلها أخذت علمًا به من كتاب Christian Knorr von Rosenroth المسمى تعرية القابالاه Kabbala Denudata (1677–1684) حيث إن فيه ترجمة لاتينية للنص العبري. ويذكر شولم أن بلافاتسكي قد ذكرت هذا المنشور في كتاب قديم لها اسمه Isis Unveiled وأسمت الكتاب Siphra Dzeniuta ولعلها من كلمة Dzeniuth انتقلت إلى ديزان Dyzan.

– طائفة الأحمدية نشرت رواية حياة عيسى في الهند وموته ودفنه في كشمير وهو بقلم الميرزا غلام أحمد نفسه[6]، نشر للمرة الأولى بالأوردو عام 1899 (بعنوان مسيح هندوستان مين). وهناك كتاب للميرزا أحمد هذا بالعربية عنوانه الهدى (1902). وقد عقد الأحمدية مؤتمرًا في لندن في حزيران 1978 حول الموضوع نشرت أعماله في كتاب «Truth About the Crucifixion» (مسجد لندن 1978) وقد تبنى فابر قيصر المسألة وعممها في الغرب[7].

هناك رواية شائعة في السويد والنروج (حيث للأحمدية قوة) بأن

---

(5) Gershom Scholem: *Major Trends in Jewich mysticism*. New York: Schoken paperback ed. 1961, p. 398

(6) *Jesus in India*. Rabwah, W. Pakistan: The Ahmadiyya Muslim Foreing Missions Department n.d preface 1962

(7) J.D. Shams: *Where did Jesus die?* 7th edition. London: Shams Brpthers 1978
Mohammad Yasin: *Rauzabal and other Mysteries*. Kashmi- Srinagar: kesar Publications 1972
Aziz Kashmiri: *Christ in Kashmir*. Srinagar: Roshmi Publications 1973

المخطوط الأصلي قد سرقه دكتور مسلم اسمه أحمد شاه بناء على تعليمات «الكنيسة البريطانية في الهند»[8].

2- هل عاش المسيح في الهند؟ عن المسيح الهندي القاضياني

«المسيح في الهند» هو في الأصل عنوان كتاب صدر بالإنكليزية مترجمًا عن أصله الصادر باللغة الأوردية في العام 1899 بقلم ميرزا غلام أحمد مؤسس الحركة الأحمدية (المعروفة أيضًا بالقاضيانية). وقد نشرت الجماعة الأحمدية هذا الكتاب بالعربية بترجمة لا تخلو من بعض التصرف ومن بعض التغيير... وهي على كل حال ترجمة نادرة التداول في بلادنا بسبب الموقف الإسلامي الرسمي من الجماعة وأفكارها، خصوصًا لجهة حراجة مضمون الكتاب المناقض لما يؤمن به المسلمون (والمسيحيون) حول عيسى المسيح؛ هذا ناهيك عن الدعاوى المنسوبة إلى الميرزا نفسه بأنه المهدي والمسيح وبأنه نبي مرسل!.

فالقاضيانية الأحمدية (أو القاديانية كما يسمونها، والأصح ما ذهبنا إليه والسبب أن الاسم مشتق من (القاضي) وهي كانت وظيفة الجد الأول المؤسس للأسرة والبلدة التي حملت الاسم) هي حركة دينية- اجتماعية- مهدوية (مسيحانية خلاصية) برزت في البنجاب الهندي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للميلاد في خضم موجة الحركات والتيارات التي عصفت بالهند في تلك الفترة بعد سقوط آخر الممالك الإسلامية الهندية ثم انهيار آخر الثورات الإسلامية هناك. وقد حملت الأحمدية- القاضيانية خصوصية بنجابية لا يجوز تجاهلها عند محاولتنا تفسير الحركة وفهم مبرراتها ودعاواها. وبحسب سبنسر لافان (أحد

(8) مقابلة مع ميرزا ناصر أحمد الخليفة الثالث للأحمدية المجلة السويدية Sökaren 1978:8

أهم وأبرز دارسي الأحمدية) فإن تعاليم الأحمدية الغريبة عن تعاليم الإسلام لم تكن بغريبة في سياق الثقافة الهندية البنجابية من جهة، وطبيعة التيارات الدينية في المجتمع البنجابي عند ظهورها من جهة أخرى[9]؛ حيث إنه سبقها ظهور وتطور حركات الآريا ساماج والبراهمو ساماج بين الهندوس، كما سبقتها دعوات أهل الحديث والبريلوية والديوبندية وحركة السير سيد أحمد خان بين المسلمين، وكذلك حركة «خالصة» وحركة «غدار» بين السيخ... وهذه كلها حركات كان لها أثر انشقاقي اجتماعيًا وتجزيئي أيديولوجيًا ضمن جماعاتها الأكبر. ولا تشذ الأحمدية عن النمط المهدوي- المسيحاني- الخلاصي والغنوصي الذي نجده أيضًا في البابية والبهائية[10] في بلاد فارس، كما في شيعة

---

(9) سبنسر لافان: الحركة الأحمدية: نظرة تاريخية ومستقبلية – بالإنكليزية – نيودلهي –1974

Spencer Lavan; *The Ahmadiyah Movement: A History and Perspective*, Manohar Book Service, New Delhi, 1974.

(10) البهائية أسسها حسين علي النوري المعروف باسم بهاء الله في إيران في القرن التاسع عشر. ويربط البهائيون بداية تاريخهم بوقت إعلان الدعوة البابية في مدينة شيراز إيران سنة 1844. كانت البابية قد تأسست على يد علي بن محمد رضا الشيرازي الذي أعلن أنه الباب «لمن يظهره الله» وأنه هو المهدي المنتظر. وكان قد سبق ذلك فترة قصيرة نمت فيها حركات كانت تترقب مجيء «الموعود» (المهدي المنتظر) الذي بشرت به الكتب السماوية وأحاديث الأنبياء. وكانت المدرسة الشيخية التي أسسها أحمد بن زين الدين الأحسائي إحدى تلك المدارس الفكرية التي أكدت على وشك قدوم الموعود المنتظر، وجدير بالذكر أن أول من آمن بالباب وهو الملا حسين بشروئي قد درس عند أحمد الأحسائي ثم عند كاظم الرشتي اللذين يعدان من أبرز رموز الشيخية. وقد آمن بالباب بعد ايمان الملا حسين بشروئي أشخاص آخرون بلغ عددهم 17 شخصًا، من ضمنهم امرأة واحدة تعرف بالطاهرة أو قرة العين. ومنح هؤلاء الثمانية عشر شخصًا لقب حروف الحي. ومن ضمن الذين أيدوا دعوة الباب وكان لهم تأثير بالغ في تطورها شاب من النبلاء يدعى ميرزا حسين علي النوري الذي عرف فيما بعد باسم بهاء الله، وهو مؤسس الديانة البهائية. ونتيجة لذلك فإن هناك ارتباطًا تاريخيًا بين البهائية والبابية وبينهما وبين الشيخية التي هي حركة صوفية شيعية...وبعد أن شاع أمر البابية قامت السلطات الإيرانية بسجن وملاحقة وتعذيب البابيين حتى القبض على «الباب» سنة 1847م وإيداعه السجن. وكانت إيران محكومة انذاك من قبل أسرة القاجار التركمانية. وازداد عدد أتباع الباب برغم =

المورمون في أميركا، وفي كل ما يشبهها من حركات برزت قبل سنوات

= حبسه وذلك نتيجة لجهود أتباعه وقياداتهم. وفي نهاية المطاف أُعدم «الباب» سنة 1850م رميًا بالرصاص أمام العامة برغم وساطة بعض الدول الغربية للصفح عنه ومن ضمنها روسيا وبريطانيا. واستمرت الحكومة الإيرانية آنذاك بعملية القمع ضد البابيين وقياداتهم ومن ضمنهم بهاء الله، حيث حبست بهاء الله وبعد ذلك نفته وأتباعه إلى العراق. وأقام بهاء الله في العراق عدة سنوات قام خلالها بتدبير شؤون البابيين ولم شملهم. ولكن بتحريض من الحكومة الإيرانية، نفت الحكومة العثمانية بهاء الله إلى إستانبول، ثم إلى أدرنة، وبعد ذلك إلى فلسطين لإبعاده عن الأراضي الإيرانية وقطع علاقته بأتباعه. وتشير المصادر البهائية أن بهاء الله أعلن دعوته للعديد من أتباعه في «حديقة الرضوان» في بغداد قبل نفيه منها في سنة 1868م إلى مدينة عكا في فلسطين ليسجن في قلعتها هناك... ولقد سمح لبهاء الله في آخر سنوات حياته بالعيش في أحد المنازل خارج حدود السجن نتيجة لاعلان التعبئة العامة في فرق الجيش التركي وحاجتهم لتكنات الجيش التي كان يقيم فيها المساجين. وخصص لبهاء الله وأسرته من قبل الحكومة منزلًا في الحي الغربي من المدينة. وكان أهالي المنطقة في ذلك الحين يشّكون بالمنفيين ويكنّون لهم العداء حتى أنهم كانوا يطاردون أولادهم ويسبونهم ويرمونهم بالحجارة إذا هم تجاسروا وظهروا في الشوارع. وقد حرص عباس أفندي، الابن الأرشد لبهاء الله، على القيام بأعمال بر وإحسان لاجتذاب قلوب الناس إلى جماعتهم.. وبالفعل صار عباس أفندي صديقًا للحكام الأتراك في فلسطين مثل أحمد توفيق بك ومصطفى ضياء باشا الذي سمح للبابيين بالتجول خارج أسوار المدينة وبمقابلة الاخرين ومن بينهم بعض المستشرقين مثل ا.ج. براون الأستاذ بجامعة كمبردج الذي التقى ببهاء الله عدة مرات ودوّن أحداث هذه اللقاءات في كتبه ومقالاته العديدة. وقد قام عباس أفندي بعد ذلك بشراء مسكن في ضواحي مدينة عكا حيث عاش بهاء الله إلى أن توفي في سنة 1892م وصار مرقده مزارًا لأتباعه. وبقي ابنه عباس سجينًا هناك إلى سنة 1908م. وبرغم إطلاق سراحه بعد ثورة تركيا الفتاة وسقوط السلطان العثماني إلا أنه لم يترك المنطقة وعاش في مدينة حيفا في فلسطين إلى حين وفاته في سنة 1921م. وبالإضافة إلى علاقة عباس أفندي بالعديد من أعيان فلسطين من المسلمين والمسيحيين والدروز وغيرهم، توطدت علاقات الصداقة والاحترام المتبادل بين عباس أفندي «عبد البهاء» والعديد من مفكري وأدباء العصر في ذلك الحين ومن ضمنهم جبران خليل جبران، شكيب أرسلان، أمين الريحاني، والشيخ محمد عبده. وبعد وفاة عبد البهاء وبحسب وصيته قام حفيده شوقي أفندي بولاية شؤون الدين البهائي ونشر تعاليمه وأسس المركز الإداري للبهائيين في مدينة حيفا قرب المرقد الأخير للباب وعبد البهاء على سفح جبل الكرمل. توفي شوقي أفندي عام 1957م في مدينة لندن ودفن هناك. ومن مبادئ البهائية التأكيد على الوحدة الروحية بين البشر. واليوم يوجد حوالي خمسة إلى سبعة ملايين معتنق للبهائية، يتوزعون في معظم دول العالم بنسب متفاوتة.

فقط من دعوة ميرزا غلام أحمد القاضياني وفي الفترة نفسها التي شهدت انتشار الثيوصوفيا في الغرب.

وفكرة أن المسيح عاش ولم يمت على الصليب وجدت منذ القرن التاسع عشر وقد ضاعفت من قيمتها الروايات الشعبية الحديثة (مثل رواية وفيلم شفرة دافنشي وغيرها). وبحسب هذه المعتقدات فإن عيسى المسيح أمضى آخر أيام حياته في كشمير بالهند حيث دفن في سريناغار[11]... رسميًا القبر الموجود في سريناغار هو قبر يوذآساف (أو بوذآساف) وهو ولي مسلم من القرون الوسطى ولكن الكثير من الناس يعتقد أنه قبر عيسى. وكان نيقولاس نوتوڤيتش قد رسم خارطة سياحة المسيح (بعد قيامته من الصلب) من فلسطين إلى تركيا وفارس وأوروبا الغربية وصولًا إلى الهند التي وصلها مع السيدة مريم ونزل بالقرب من كشمير حيث ماتت ودفنت. وبحسب هذه النظريات فإن عيسى، وبعد سنوات طويلة من التعليم بين السكان الهنود الذين أحبوه واحترموه وقدسوه نبيًا ومصلحًا وقديسًا، مات ودفن في قبر بكشمير. وبحسب هذه النظرية أيضًا يقع القبر في محلة خان يار بمدينة سريناغار. وأن المسيح أخذ خلال سياحته الهندية اسم يوذ آساف الذي يقول بعض الباحثين أن ترجمته هي «يسوع الموحد/ أو الجامع».

وحين نقرأ كتاب الميرزا غلام أحمد نلاحظ تبنيه الكثير مما أورده نوتوڤيتش ولكن من دون أن يذكر المصدر.

(11) مدينة سريناغار، عدد سكانها حوالى المليون نسمة هي العاصمة الصيفية لإقليم كشمير في أقصى شمال الهند. تقع المدينة في وادي كشمير على ضفاف نهر جيلوم. تعد أكبر مدينة هندية غالبية سكانها من غير الهندوس. حيث يشكل المسلمون 96٪ من السكان، وتبلغ نسبة الهندوس 2.75٪، والبقية من السيخ والبوذية والجاينية.

في العام 1880م نشر السير سيد أحمد خان الهندي[12] تفسيره

(12) العلامة السيد أحمد خان بن محمد متقي خان: شخصية هندية تركت أثرًا كبيرًا في شبه القارة الهندية، وكانت صاحبة أفكار جريئة وغير تقليدية آنذاك تسببت في اتهامها بالكفر من جانب بعض علماء المسلمين، هاجمه الأفغاني أحد أعلام الفكر الإسلامي، في حين أيده أغا خان زعيم الطائفة الإسماعيلية وأثنى عليه السيد محمد رشيد رضا في مجلته المنار باعتباره مُصلح الهند الأول الذي يشبه الإمام محمد عبده في مصر. ولد السيد أحمد خان في دلهي 17 أكتوبر 1817م، ونشأ في أسرة أرستقراطية كان لها اتصال وثيق بالملوك المغول الذين حكموا شبه القارة الهندية قبل الاحتلال البريطاني، يقال إنه من أسرة تنتمي إلى سلالة الرسول، ومن هنا جاء لقب السيد. تعلم في البداية أن يقرأ القرآن الكريم على يد معلم خاص في منزله، ثم أكمل دورة في اللغة الفارسية والعربية والأوردية، ودرس العلوم الشرعية والكونية، ودرس الرياضيات، وفي وقت لاحق اهتم بالطب وقام بدراسة بعض الكتب المعروفة وقتها، ثم لم يستكمل دراسته في سن الثامنة عشر أو التاسعة عشر، فانتهى تعليمه الرسمي إلا أنه تابع دراسته بشكل خاص، وبدأ يهتم بالتجمعات الأدبية والأنشطة الثقافية للمدينة.

وبسبب وفاة والده، اضطر السيد أحمد خان في سن مبكرة عندما بلغ 21 عامًا إلى البحث عن مهنة، فاضطر إلى أن يقطع دراسته ليعمل مع أخيه في تحرير جريدة صيد الأخبار - الصادرة بالغة الأوردية والتي تعد أولى الجرائد الناطقة بلسان حال المسلمين، ودرس في نفس الوقت في كلية تابعة لشركة الهند الشرقية تؤهل فيها موظفيها، وتخرج فعمل كاتبًا ثم رقي إلى منصب كاتب الإنشاء، ثم تنقل في عدة وظائف في السلك القضائي، حتى تقاعد عام 1876، وأمضى بقية حياته في كلية Aligarh College and the Muslims of South Asia. أصدر أول كتاب له في سنة 1847 م، حول آثار دلهي بعنوان (آثار الصناديد). له عدة مؤلفات منها: نظرات في الإنجيل، وكتاب في سيرة الرسول، كما كتب عدة أجزاء في تفسير القرآن الكريم. كان صاحب أول مركز تعليمي إسلامي فريد من نوعه في الهند حيث أسس جامعة عليكرة بالهند، وأنشأها على غرار المحافل العلمية الدولية، وقد شملت الدراسة فيها عدة مجالات كالآداب والعلوم والهندسة والطب، ثم ألحق بها كلية النساء، ولكن لقيت هذه الجامعة معارضة شديدة من الأوساط الدينية المحافظة، خاصة أنها كانت تقبل الطلبة من السنة والشيعة. أصبح الزعيم الإسلامي الهندي الأول بسبب كتاباته ومشاريعه وبحكم موقعه لدى المحتل البريطاني الذي عينه في سنة 1878 عضوًا في مجلس نائب الملك التشريعي، الذي كان بمثابة برلمان هندي، كما أسس في نفس السنة الجمعية المحمدية لعموم الهند، وفي سنة 1883 أسس الجمعية المحمدية لإعانة موظفي الدولة، بهدف إعانة المسلمين للالتحاق بسلك الخدمة المدنية الهندية. منحته الحكومة البريطانية سنة 1888 لقب «سير»، لذلك جاء اسمه في الهند، «سير أحمد»، وفي عام 1889 منحته جامعة أدنبره الدكتوراة الفخرية تقديرًا لجهوده التعليمية. توفي يوم 27 مارس 1898 م. انظر: =

للقرآن الكريم والذي أكد فيه موت المسيح عليه السلام من خلال الآيات القرآنية، كما استدل بالآيات القرآنية والشواهد التاريخية والإنجيلية لإثبات نظرية إغماء المسيح عليه السلام على الصليب ونجاته ثم وفاته بعدها وفاة طبيعية.

ويبدو أن الميرزا غلام أحمد اطلع على تفسير سيد أحمد خان وعلى أدلته من القرآن والتاريخ على أن المسيح (ع) قد علق على الصليب لكنه أغمي عليه فقط ثم مات بعد تلك الحادثة ميتة طبيعية. لكن مع ذلك لم يقبل الميرزا وقتها ذلك التفسير وتلك الأدلة وظل ينشر في كتابه (براهين أحمدية 1880–1884)[13] عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام وارتفاعه إلى السماء وبأنه حي في السماء بجسده الدنيوي. وفي عام 1891م أعلن الميرزا بأن الله قد أوحى إليه بعقيدة وفاة المسيح (ع) وأعطاه الأدلة من القرآن على ذلك. وقد كانت تلك الأدلة مطابقة بشكل كبير للأدلة التي نشرها سيد أحمد خان في تفسيره.

لكن في كتابه (إزالة أوهام) المنشور سنة 1891م كتب الميرزا غلام أحمد ما يلي:

«عند النظر إلى القرآن الكريم نجده يعلن بيدين مبسوطتين هذه الحقيقة – أن عيسى عليه السلام فقد الوعي على الصليب ثم مات لاحقًا – فيجب عليكم قبول هذه الحقيقة. لكن للأسف فمع أن العلماء رأوا هذه الحقيقة إلا أنهم لم يقبلوها»[14]... وقد تحدث غلام أحمد عن عقيدته السابقة بخصوص المسيح فقال: «في براهين أحمدية قمت

= أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث. مكتبة النهضة المصرية؛ القاهرة؛ 1947م.

(13) اعتمدنا في كل مصادرنا من كتب غلام أحمد على منشورات الطائفة الأحمدية على موقعها الرسمي http://www.islamahmadiyya.net/index.asp?ver=2.1

(14) غلام أحمد: إزالة أوهام. موقع الجماعة الإسلامية الأحمدية. الكتاب، ص 509.

مخطئًا بتفسير التوفي بأنه إيفاء الجزاء الكامل، وقد استغل القساوسة هذا الأمر ضدي في بعض الأحيان. لكن ليس لهؤلاء ما يبرر كلامهم فأنا أعترف بأني كنت مخطئًا في ذلك التفسير. الوحي الرباني كان واضحًا لكنني مثل غيري من البشر أتعرض للخطأ وللنسيان، لكنني على يقين بأن الله لا يمكن أن يتركني تحت تأثير خطأ أبدًا»[15].

إطلاع الميرزا على تفسير سيد أحمد خان حول نظرية الإغماء

في كتاب (حياة أحمد)[16] الذي نشرته الجماعة الأحمدية شعبة ربوة يقول الكاتب: «في تفسيره للقرآن الكريم كتب سير سيد (أحمد خان) تماشيًا مع نهجه العقلاني أن المسيح ليس حيًا في السماء بجسده. وقد نشر كتابه هذا في سنة 1880. وقد قرأ حضرة أحمد (ميرزا غلام أحمد) ذلك التفسير لكنه لم يبال كثيرًا به ولم يلتقط الفتات من وراء سير سيد (أحمد خان) كما يتخيل المعجبون بالسير سيد لجهلهم. بالعكس فإن أحمد (ميرزا غلام أحمد) أكد في كتابه براهين أحمدية المنشور عام 1884 العقيدة التقليدية بأن المسيح حي في السماء وبأنه سيأتي مرة ثانية إلى الدنيا[17]. ولم يكن (ميرزا غلام أحمد) يخاف من العقلانية التي انحنى لها سابقًا السير سيد (أحمد خان) باستسلام. لكن في العام 1891 وعندما أخبر الله أحمد (ميرزا غلام أحمد) بأن المسيح قد مات، عندها فقط غيَّر عقيدته بهذا الصدد. ولم يكن ليتزحزح عن عقيدته التقليدية لولا أن الله أمره بذلك بوضوح»[18]...

(15) غلام أحمد: أيام الصلح. موقع الجماعة الإسلامية الأحمدية. الكتاب، ص 14.

(16) عبد الرحيم دارد: «حياة أحمد، مؤسس الحركة الأحمدية»، بالانكليزية، طبعة باكستان، بالية، 1948.

(17) غلام أحمد: براهين أحمدية. موقع الجماعة الإسلامية الأحمدية. الكتاب، صفحة 361 و499 في الهامش رقم 3

(18) حياة أحمد، مرجع سابق. ص 40، الهامش رقم 2.

تفسير القرآن - سيد أحمد خان[19]

في تفسيره للآية ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة آل عمران:55) يقول سيد أحمد خان: «لا يموت الإنسان من جراء تعليقه على الصليب لأن يديه فقط – وأحيانًا يديه ورجليه – تتعرض للجرح. لكن سبب الموت يكون عادة بإبقاء الشخص معلقًا على الصليب لمدة أربعة أو خمسة أيام، وبسبب الثقوب التي في يديه ورجليه وبسبب الجوع والعطش والحر تحت أشعة الشمس فإنه عادة ما يموت بعد عدة أيام»[20].

ويضيف سيد أحمد خان في تفسيره:»عند انتهاء يوم عيد الفصح كان السبت اليهودي على وشك البدء، وبحسب الديانة اليهودية فإنه يجب دفن جثة الشخص المصلوب قبل نهاية اليوم، أي قبل بداية يوم السبت، لذلك طلب اليهود أن تكسر أرجل حضرة عيسى (ع) حتى يموت بسرعة، لكن رجليه لم تكسر و ظن الناس بأنه مات خلال ذلك الوقت القصي... وعندما ظن الناس مخطئين أن عيسى (ع) مات على الصليب قام يوسف الذي من الرامة بالطلب من الحاكم – بيلاطس – أن يتم دفنه، وقد استغرب الحاكم موته بهذه السرعة»[21].

---

(19) *Tafsir-ul-Qura'n*
Vol. I Aligarh, 1880,
Vol. II Aligarh, 1882, Agra, 1903.
Vol. III Aligarh, 1885
Vol. IV Aligarh, 1888
Vol. V Aligarh, 1892.
Vol. VI Aligarh, 1895
Vol. VII Agra, 1904.

(20) سيد أحمد خان: التفسير، الجزء 2 ص 424

(21) سيد أحمد خان: المصدر نفسه، ص 425

ثم يقول سيد أحمد خان في تفسيره: «عند إلقاء نظرة تاريخية على هذه الحادثة – الصلب – فإنه يصبح بديهيًا أن عيسى عليه السلام لم يمت على الصليب لكنه فقد وعيه فظن الناس بأنه قد مات. وقد أنزله الناس بعد ثلاث أو أربع ساعات وبهذا فمن المؤكد بأنه كان حيًا وقتها. وفي الليل أخرج من القبر وظل مختفيًا بحماية حوارييه، وقد رآه الحواريون والتقوا به، وبعد ذلك لبث عمرًا قبل أن يموت ميتة طبيعية»[22].

في كتاب صادر بالإنكليزية عن المولوي شيراغ علي (1844–1895) (وهو من رفاق سير سيد أحمد خان) ويقع في 220 صفحة تقريبًا[23]، نقرأ تفسير سير سيد أحمد خان لتعليق المسيح على الصليب ونجاته وموته فيما بعد ميتة طبيعية، وكل هذا بنفس طريقة سرد الجماعة الأحمدية (القاضيانية) ونفس الأدلة. كذلك يوجد في الكتاب تفسير قصة سليمان والجن والطير، والناسخ والمنسوخ وغيرها من المواضيع.

ومما قيل في الصفحة 78–79 من الكتاب حول النسخ في القرآن: «نفى السير سيد أحمد خان للنسخ بأنواعه، وقوله إن النسخ المذكور بالقرآن هو نسخ الشرائع السابقة». وفي الصفحة 81–82 قيل حول الجن: «هم البدو والبشر غير المتحضرين مثل قوم العماليق المذكورين في التوراة. قوم العماليق الذين سكنوا أرض كنعان وتميَّزوا ببنيتهم الجسدية الضخمة والقوية أُطلقت عليهم تسمية الجن.» وفي الصفحة 83 قيل حول قصة النبي سليمان عن النمل: «النمل قبيلة تحمل هذا الاسم، لا تلك الحشرة المعروفة».

(22) سيد أحمد خان: المصدر نفسه، ص 426–427

(23) Moulví Cherágh Ali: *The Proposed political legal and social reforms in The Ottoman Empire and Other Mohammadan States*., printed in English by Education Society's Press, Bombay, Byculla. 1883
Wahidur Rahman, A.N.M. *The Religious Thought of Mouvli Chiragh Ali*. Institute of Islamic Studies, McGill University.

وأن الطير في آية (عُلِّمنا منطق الطير) لا تعني العصفور، بل جندي. وأن الهدهد كان اسم رجل أو قبيلة عاشت في اليمن وفي الآية 20 من سورة النمل: الهدهد هو قائد جيوش سليمان. وأن العفريت في الآية 39 من سورة النمل هو رجل من فرقة الجن.

وكذلك فإن كشف بلقيس عن ساقيها يعني أنها كانت خائفة من العبور على أرضية الصرح الممرد من قوارير.

كما انتقد شراغ علي الإمام فخر الدين الرازي لتأييده القصة الخرافية لنقل عرش بلقيس من اليمن إلى بلاد الشام.

وفي الصفحة 84-86 قيل حول حادثة صلب المسيح عليه السلام: «جرى تعليق المسيح على الصليب لـ 3-4 ساعات، ولكنه لم يمت، بعدها تم وضعه في القبر، ثم أخرجه أصحابُه من القبر وأخذوه إلى مكان آمن وقالوا لليهود أنه صعد إلى السماء، وعاش المسيح آمنًا ثم مات فيما بعد ميتة طبيعية. مجرد التعليق على الصليب لبضع ساعات لا يميت أحدًا، بل بحسب تاريخ الرومان الموت يحدث بعد 4-5 أيام. أُنزل المسيح عن الصليب سريعًا لأن اليهود لا يُبقون أحدًا معلقا على الصليب يوم السبت؛ كما أن خروج الدم والماء من جسده عندما طعنه جندي روماني يؤكد أنه كان لا يزال حيًا. كما أن الملك تفاجأ جدًا بموت المسيح السريع وهذا يؤكد أن مدة تعليقه لم تكن كافية لموته. وضع جسد المسيح في القبر سريعًا وكان أصحابه يزورونه وبعد 3 أيام أخرجوه. عبارة (ما صلبوه) لا تنفي تعليقه بل تنفي الموت على الصليب، كما أن اليهود لم يقتلوه بأي طريقة بل رفعه الله بالمكانة والمنزلة. شُبِّه لهم تعني أنهم ظنوه مات لأنه كان في حالة إغماء، وقصة الشبيه باطلة لأن عبارة شُبِّه لهم ستصبح خاطئة ويجب أن يكون مكانها شُبِّه به، كذلك لا يمكن أن تعود عبارة شُبِّه لهم على الشبيه لأنه غير مذكور في الآية. وأخيرًا: فعل

التَّوفِّي في الآيات الخاصة بالمسيح لا يعني إلا أنه مات ميتة طبيعية».
(انتهى)[24].

3- فرضية الاستبدال وفرضية التؤام الشبيه

تقول النظرية إن شهود قيامة المسيح رأوا في الحقيقة شخصًا آخر، هو تؤامه أو شبيه له، قام بتجسيد شخص المسيح بعد وفاته، أو أنه مات بدلًا عنه على الصليب. يتبنى هذا التفسير عدد من الفرق الغنوصية التي انتشرت بين القرنين الأول والثالث للميلاد، وبعض المندائيين والكثير من المسيحيين اليابانيين اليوم.

بالنسبة للمسيحية الأولى نجد في نص غنوصي، لعله كتب في أواخر القرن الثالث، هو «كتاب توما المنافس»[25] ينقل عن عيسى قوله خلال حديث له مع توما الرسول: «لقد سبق القول إنك أخي التؤام وصاحبي الحقيقي»[26].أضف إلى ذلك أن النص الغنوصي من القرن الثالث المسمى «أعمال توما» (وهو غير إنجيل توما) يحتوي فصلًا يظهر فيه المسيح بعد قيامته «على شكل توما الرسول»، ويخلط أحد الملوك بينه وبين توما[27]. لكن هذه النصوص الغنوصية القديمة لا تتحدث بوضوح عن أي استبدال في حالة صلب وموت المسيح ثم قيامته. ولكن نصًا غنوصيًا آخر يتحدث عن إحلال سمعان الساحر محل عيسى على

(24) See also, Moulví Cherágh Ali*: A Critical Exposition of the Popular «Jihad»*. Calcutta, 1885

(25) Book of Thomas the Contender; see: John D. Turner, *The Anchor Bible Dictionary*, volume 6, p. 529.

(26) John D. Turner, *The Nag Hammadi Library: The Book of Thomas the Contender*. The Gnostic Society Library. Coptic Gnostic Library Project.

(27) Bart D. Erhman, *Lost Scriptures: Books that Did Not Make It into the New Testament*, Oxford University Press, p. 122

الصليب[28] وأن هذا الاستبدال كان ممكنًا «لأنني أنا المسيح كنت أغير مظهري من شكل إلى آخر»[29]. وهذا ما نجده على كل حال في وصف إنجيل برنابا لاستبدال عيسى على الصليب وصعوده حيًا إلى السماء محفوفًا بفرقة من الملائكة وحلول يوضاس أو يهوذا الإسخريوطي محله[30].

من جهة أخرى يروي الكاتب والروائي الكندي بول وليام روبرتس في كتاب له في سير رحلاته أن بعض المندائيين يرون أن توما «الرسول» كان الشقيق التؤام لعيسى وأنه هو الذي صلب محله[31].

والحال أن اسم توما (ومعناه بالعبرية والسريانية الآرامية: التؤام)، هو الاسم الآخر ليهوذا (وهو غير يهوذا الإسخريوطي) الذي يرد اسمه في بعض الأناجيل على أنه «أخو عيسى» ما يعني أنه كان الأخ التؤام.

وفي اليابان طائفة من المسيحيين تعيش في قرية اسمها شينغو في محافظة آوموري وتسميها «بيت المسيح» لأنها تدعي أنها المثوى

---

(28) Second Treatise of the Great Seth المقالة الثانية لشيث العظيم هو نص غنوصي أبوكريفي محفوظ في المدونة رقم 7 من مدونات نجع حمادي ويعود للقرن الثالث أيضًا وكاتب النص مجهول ولا يوجد في النص أي ذكر لشيث الذي يحمل العنوان اسمه ولعله الابن الثالث لآدم وحواء بحسب التراث التوراتي والذي تنتسب إليه بعض الفرق الغنوصية. ومن النص يبدو أن الكاتب ينتمي إلى فرقة غنوصية تؤمن بأن المسيح لم يصلب وإنما سمعان هو الذي صلب خطأ إذ شبه للرومان واليهود أنه عيسى الذي كان يقف قرب مكان الصلب «ضاحكًا ساخرًا من جهلهم».

Bart D. Erhman, *Lost Scriptures: Books that Did Not Make It into the New Testament*, p. 82

(29) Roger Bullard, and Joseph Gibbons. The Nag Hammadi Library: The Second Treatise of the Great *Seth*. The Gnostic Society Library. Coptic Gnostic Library Project.

(30) Luigi Cirillo et Michel Frémaux. *Evangile de Barnabé*. p. 176.

(31) Paul William Roberts. *Journey of the Magi: In Search of the Birth of Jesus*. Stoddart Publishing; First edition. 1995

الأخير ليسوع. وبحسب التراث الشعبي المحلي لم يمت يسوع على الصليب في فلسطين بل مات أخوه إيسوكيري بدله بينما هرب يسوع عبر سيبيريا وألاسكا حتى وصل إلى شينغو في اليابان حيث أصبح فلاحًا في القرية وتزوج وخلف عائلة ودفن في «قبر يسوع» الموجود في القرية. وقد قام بعض المستثمرين بإقامة محلات لبيع هدايا تذكارية عن يسوع إلى السياح. وفي قبر آخر في القرية هناك أخو يسوع وشعر للعذراء مريم. بدأت هذه الدعاوى 1933 عندما اكتشفت أوراق قديمة تتكلم عن موت يسوع في اليابان وأنها تشهد له. وقد صادرت السلطات اليابانية هذه الأوراق ولم يشاهدها أحد بعد ذلك.

وفي الأخير فإن كثيرين من المفسرين في تفسيرهم لآية «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ» في سورة النساء، يقولون إن معناها أن رجلًا آخر يشبهه صلب محله. وبحسب تفسير ابن عباس فإن هذا الرجل هو جندي روماني اسمه تاطيانوس: «ألقي شبه عيسى على تاطيانوس فقتلوه بدل عيسى»[32].

4- فرضية الإغماء

تقول هذه الفرضية إن عيسى لم يمت على الصليب بل أغمي عليه أو غاب عن الوعي («swooned») وبالتالي فقد أنعش لاحقًا في قبره الذي خصصه له يوسف الرامي. وهذه الفرضية ظهرت قبل أكثر من قرنين ولا تزال تثير الكثير من الجدالات والسجالات إلى يومنا هذا.

من أوائل أصحاب الفرضية الألماني كارل فريدريش باهردت (سبق

(32) أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشافعي (قام بجمعه. وهو صاحب القاموس المحيط. توفي سنة 817هـ): «تفسير ابن عباس أو تنوير المقباس من تفسير ابن عباس». دار الكتب العلمية. بيروت 2008 ص 111

الحديث عنه) الذي اقترحها في عام 1780 قائلًا إن عيسى قام بتمثيل عملية موته مستخدمًا أدوية زوده بها لوقا الطبيب الصيدلاني ليظهر وكأنه المسيح الروحي ويجعل إسرائيل تترك فكرة وجود مسيح سياسي. وبحسب باهردت فإن عيسى كان متواطئًا مع زميله في طائفة الآسينيين يوسف الرامي لكي يقوم بدفنه في قبر مخصص لعائلته ثم يخرجه منه لاحقًا. ويبدو أن طائفة الآسينيين بحسب باهردت تظهر في العديد من فرضيات «الإغماء» كونها تميزت باستخدام الأعشاب والأدوية الشافية لأمراض كثيرة عصفت بالمجتمع العبراني في تلك الأيام[33].

حوالى العام 1800 اقترح كارل فنتوريني (سبق الحديث عنه) أن مجموعة من المناصرين لعيسى يلبسون المسوح البيضاء وكانوا مع عيسى ينتمون إلى «جماعة سرية» لم يكونوا يتوقعون نجاته من الموت على الصليب إلا أنهم سمعوا زمجرة من داخل القبر حيث كان عيسى

---

(33) عن هذا الموضوع نضيف هنا بعض المقالات الصادرة في مجلات طبية علمية متخصصة:

D. A. Ball. «The Crucifixion and Death of a Man Called Jesus». *Journal of the Mississippi State Medical Association*. 1989 Mar;30(3):77-83.

D. A. Ball. «The crucifixion revisited» *Journal of the Mississippi State Medical Association*. 2008 Mar;49(3):67-73.

Matthew W Maslen and Piers D Mitchell. «Medical theories on the cause of death in crucifixion». *Journal of the Royal Society of Medicine*. 2006 Apr; 99 (4): 185–188.

Stuart Bergsma.»Did Jesus Die of a Broken Heart?». *The Calvin Forum*, 1948. 14:165

Christos Papaloucas. Anatomical, Physiological and Historical Aspects of the Crucifixion and Death of Jesus. *Cathollic medcial Quarterly*, 54 (3) 2004

R. Bucklin. «The Legal and Medical Aspects of the Trial and Death of Christ». Medicine, Science and the Law. *Journal of the British Academy for Forensic Sciences*. 1970. 10:14-26

C.T. Davis. «The Crucifixion of Jesus: The Passion of Christ from a Medical Point of View». *Journal: Arizona medicine*. 22:183-187, 1965.

William D. Edwards, MD; Wesley J. Gabel, MDiv; Floyd E. Hosmer, MS, AMI «On the Physical Death of Jesus Christ.». *General medical journal JAMA*. March 21, 1986-Vol 255, No. 11.

C. Johnson.»Medical and Cardiological Aspects of the Passion and Crucifixion of Jesus, the Christ», *Boletín de la Asociación Médica de Puerto Rico*. 70 (3): 97-102, 1978.

غائبًا عن الوعي في جو بارد رطب فقاموا بإخافة الحراس ليهربوا وأخرجوه من القبر.

وقال لاهوتي عقلاني آخر هو هينريخ إيبرهارد باولوس في كتابات كثيرة له منذ العام 1802 إن عيسى وقع في حالة كوما موقتة أفاق بعدها وهو في القبر وأن تلاميذه آمنوا بأن الله أحياه. أما فريدريك دانيال شليرماخر فقد تبنى في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين بعض ما في فرضية باولوس. وهذه الفرضيات أحياها الميرزا غلام أحمد القاضياني فيما بعد في كتابه «المسيح في الهند». وقد انتشرت هذه الفرضيات في القرن العشرين في كتابات كثيرة[34].

هذا ناهيك عن معارضة الكثيرين لهذه الفرضية وقولهم بأن عيسى مات حقًا على الصليب[35]. أبرز المعارضين كان من داخل الجمعية الطبية الأميركية وذلك في مقال صدر في مجلتها[36].

ولكن الإثبات الطبي يقول إنه من المستبعد أن يموت على الصليب شخص بكامل صحته في ظرف 4 أو 6 ساعات بحسب ما ورد في إنجيل مرقس عن وقت وفاة عيسى. وقال البعض إن الوقت المتوسط للبقاء

---

(34) نذكر هنا بعضها للاستزادة:

Ernest Brougham Docker. *If Jesus Did Not Die on the Cross*. Robert Scott Roxburghe House.1920

Robert Graves and Joshua Podro. *Jesus in Rome*. Cassell; 1st edition. 1957

Hugh J. Schonfield. *The Passover Plot*. New York Bantam 1965

Donovan Joyce. *The Jesus Scroll*. Melbourne: Ferret Books, 1972

J.D.M. Derret. *The Anastasis: The Resurrection of Jesus as an Historical Event*. P. Drinkwater 1982

Holger Kersten. *Jesus lived in India. His Unknown Life Before and After the Crucifixion*. Element Books 1994

David Mirsch. *The Open Tomb: Why and How Jesus Faked His Death and Resurrection*. Booklocker.com, Inc. 2011

(35) Lee Strobel. *The Case for Christ: A Journalist's Personal Investigation of the Evidence for Jesus*. Grand Rapids, MI: Zondervan. 1998., pp. 200–201.

(36) William D. Edwards, M.D., William; Gabel, Mdiv, Wesley; Hosmer, M.S., Floyd. «On the Physical Death of Jesus Christ», op. cit.

على قيد الحياة بعد الصلب يتراوح بين يومين وأربعة أيام. ويظهر هذا من تعجب بيلاطس من سرعة وفاة المسيح: «وَكَانَتِ السَّاعَةُ الثَّالِثَةُ فَصَلَبُوهُ... وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ السَّادِسَةُ، كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وفِي السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلًا: «إِلُوِي، إِلُوِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ فَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْحَاضِرِينَ لَمَّا سَمِعُوا: «هُوَذَا يُنَادِي إِيلِيَّا». فَرَكَضَ وَاحِدٌ وَمَلأَ إِسْفِنْجَةً خَلًا وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ قَائِلًا: «اتْرُكُوا. لِنَرَ هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا لِيُنْزِلَهُ!» فَصَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ»...جَاءَ يُوسُفُ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ، مُشِيرٌ شَرِيفٌ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مُنْتَظِرًا مَلَكُوتَ اللهِ، فَتَجَاسَرَ وَدَخَلَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَتَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ أَنَّهُ مَاتَ كَذَا سَرِيعًا. فَدَعَا قَائِدَ الْمِئَةِ وَسَأَلَهُ: «هَلْ لَهُ زَمَانٌ قَدْ مَاتَ؟» وَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ الْمِئَةِ، وَهَبَ الْجَسَدَ لِيُوسُفَ»[37].

وقد ادعى يوستوس ليبسيوس[38] منذ القرن السادس عشر أن ضحايا الصلب يمكن أن يظلوا أحياء على الصليب حتى تسعة أيام[39].

والحال أنه لا يوجد أي شاهد عيان على مصير جسد عيسى بعد الصلب باستثناء القول إن الجسد سحب إلى بيت بيلاطس الذي سلمه إلى يوسف الرامي ليدفنه هو وزميله نيقوديموس حيث كفناه ونقلاه إلى غرفة دفن[40].

(37) إنجيل مرقس: 15: 25-45

(38) ليبسيوس العادل Iustus Lipsius: 1547-1606 فيلسوف من بلاد هولندا الإسبانية وهي اليوم في بلجيكا. كان أستاذًا في جامعات يينا وليدن ولوفان ويعتبر هو من أحيا مذهب الرواقيين في السياق المسيحي

(39) David Terasaka, M.D., *Medical Aspects of the Crucifixion of Jesus Christ* http://www.blueletterbible.org/commentaries/comm_viewcfm?AuthorID=3&contentID=3129&commInfo=8&topic=Crucifixion

(40) Michael Baigent. *The Jesus Papers: Exposing the Greatest Cover-Up in History.* Harper. San Francisco. 2006

وهذا بالضبط هو الوصف الذي تقدمه الأناجيل: فيذكر لوقا (23: 53) ومرقس (15: 46) أن المسيح وضع في قبر جديد غير بعيد. ويقول متى (27: 6) إن صاحب القبر كان الثري اليهودي يوسف الرامي. ويضيف يوحنا (19: 41-42) أن القبر كان يحيط به بستان ما يعني أنه كان ملكية خاصة ليوسف الرامي. كما يؤكد يوحنا على أن المسيح أخذ بسرعة ليوضع في هذا القبر ثم يضيف شيئًا غريبًا حيث يقول إن يوسف الرامي وزميله نيقوديموس زارا القبر خلال الليل حاملين معهما كمية كبيرة من المر والعود[41]. وقد أشار مرقس (16: 1) ولوقا (23: 56) إلى هذه المسألة تلميحًا حين ذكرا أن امرأتين هما مريم المجدلية ومريم أم يعقوب حملتا معهما إلى القبر بعض العطور والمراهم بعد انتهاء يوم السبت. وفي حين رأى الكثيرون في هذه الأعشاب مجرد عطور إلا أن التفسير الآخر الممكن فعلًا هو أن تكون تلك العطور ذات فوائد طبية عظيمة. فالمر معروف بأنه يوقف نزيف الدم من الجروح. كما لا يعرف أي استخدام لهذه العطور في التحنيط. فالتقاليد الدينية اليهودية كما ترد في الشريعة الموسوية تحرَم التحنيط ويدفن اليهود موتاهم في أسرع وقت ممكن[42]. وبالتالي فإن وصف الأناجيل كيفية التعامل مع جسد عيسى بعد الموت يتوافق مع ما نعرفه عن التقاليد اليهودية في الدفن. ولكن نقل الجثمان من قبل السلطات المحلية إلى حيازة شخص ثري من أتباع عيسى وقيام هذا الشخص بإجراءات دفن سريعة تقدم دعمًا لفرضية الإغماء على الصليب وإخفاء عيسى عن أعين الناس في غرفة خاصة لقبر محلي يملكه شخص (هو يوسف الرامي) الغرض منها أن يشفى عيسى من آلامه وعذابه على الصليب.

(41) وَجَاءَ أَيْضًا نِيقُودِيمُوسُ، الَّذِي أَتَى أَوَّلًا إِلَى يَسُوعَ لَيْلًا، وَهُوَ حَامِلٌ مَزِيجَ مُرّ وَعُودٍ نَحْوَ مِئَةِ مَنًا (يوحنا، 19: 39)

(42) Lisa Alcalay Klug. *Jewish Funeral Customs: Saying Goodbye to a Loved One*. The Jewish Federations of North America 2010

5- فرضية التخيلات الرؤيوية Vision hypothesis

وهي عبارة استخدمت لتغطي مجموعة من النظريات التي تساءلت عن حقيقة القيامة من الموت فقالت إن رؤية المسيح الحي وهو يقوم من الموت ويصعد إلى السماء هي مجرد تخيلات رؤيوية. طبعًا لا توافق الكنيسة على هذه الافتراضات ولكن بعض منتسبيها ينشرون هذه الدعوى أمثال غيرد لودمان Gerd Lüdemann[43] من سمينار يسوع[44].

---

(43) Gerd Lüdemann. *The Historical Jesus in Recent Research.* ed. James D. G. Dunn, Scot McKnight. 2005., p. 418

(44) ندوة يسوع (Jesus Seminar) حلقة دراسية من 200 فرد تقريبًا تشمل «باحثين بدرجات جامعية عالية في الدراسات الكتابية أو الدين أو مواضيع مرتبطة [بالإضافة إلى] كتاب معروفين مختصين في مجال الدين». أسسها سنة 1985 روبرت فنك Robert Funk وجون دومينيك كروسان John Dominic Crossan تحت رعاية مؤسسة وستار [Westar Institute]. وهذه المجموعة إحدى أنشط المجموعات في النقد الكتابي. تستعمل المجموعة أساليب خلافية لتحديد ما قاله أو فعله أو لم يقله أو يفعله يسوع كشخصية تاريخية. وتقوم بالنشر العام لأبحاث حول يسوع التاريخي. يسمح للعامة بحضور اجتماعات المجموعة نصف السنوية، وقد أنتجت الحلقة ترجمة للعهد الجديد بالإضافة إلى إنجيل توما للاستعمال كمصادر نصية. وطبعت نتائج أبحاثها في ثلاثة تقارير هي الأناجيل الخمسة (1993) The Five Gospels أعمال يسوع The Acts of Jesus (1998) إنجيل يسوع (1999) The Gospel of Jesus. وتجري المجموعة سلسلة محاضرات وورشات عمل في مدن أميركية مختلفة.

بحسب أبحاث الحلقة الدراسية فإن يسوع حكيم يهودي هيليني كثير السفر لم يمت كبديل عن الخاطئين ولم يقم من الأموات لكنه بشر بإنجيل اجتماعي باستعمال الأمثال والحكم. وكعدو للأيقونات فإنه خرق عدة تقاليد اجتماعية وعقائد يهودية في تعاليمه وتصرفاته، وكثيرًا ما فعل ذلك بقلب الأفكار المقبولة وتشويش توقعات سامعيه. وبشر بحكم إمبراطوري سماوي (ترجم تقليديًا بمملكة الله أو ملكوت السماء).

تتعامل المجموعة مع الأناجيل كقطع أثرية تاريخية لا تمثل فقط أقوال وأفعال يسوع الحقيقية بل اختراعات وتطويرات المجتمع المسيحي المبكر ومؤلفي الأناجيل. وقد وضعت عبأ الإثبات على من يقول بثبوت النص وتاريخيته. ولم تلزم المجموعة نفسها بالأناجيل القانونية بل أكدت أن إنجيل توما يحوي موادًا أكثر ثقة من إنجيل يوحنا. وبتحليل المجموعة للأناجيل على أنها إنتاجات بشرية قابلة للخطأ باستعمال الطريقة النقدية التاريخية، فإن افتراضها أن يسوع لم يؤمن برؤية عالمية أبوكاليبسية (نشورية) هي محل جدل. فبدلًا من إيحاء =

كان دايفد فريدريش شتراوس David Friedrich Strauss[45] أول من أطلق هذه الفرضية (1835) من خلال مدرسة توبنغن التي رفضت ما كتب عن العهد الجديد. ثم طور أرنست رينان Ernest Renan هذه الفرضية في كتابه حياة يسوع (1863) ولحق به ألبرت ريفاي Albert Réville في عام 1897[46]. سميت هذه الفرضيات لاحقًا «فرضيات الرؤية النفسية الذتية». وقد اقترح هانس غراس Hans Grass (1964) فرضية الرؤية الموضوعية والتي تقول إن روح يسوع هو الذي قام من بين الأموات في حين أن جسده بقي بين الأموات. ولكن فرضية غراس لم تعمر طويلًا عند الباحثين الجديين[47]. وقد هدم ألفرد إدرشايم Alfred Edersheim (1959) نظرية غراس وكتب كثيرون أن شهود عيان أخبروا أن عيسى أكل طعامًا مع تلاميذه وأظهر لهم جروحه[48]. وأخيرًا فإن الباحث اليهودي بنحاس لابيده[49] رفض نظريات الهلوسة وبعد أن فحص مختلف الادعاءات في هذا الشأن كتب يقول: «إن كانت مجموعة

= إسكاتولوجيا أبوكاليبسية ودعوة تلاميذه للاستعداد لنهاية العالم فإن زملاء الحلقة يجادلون بأن الأحاديث الصحيحة ليسوع بشرت بإسكاتولوجيا حكيمة تشجع على إصلاح العالم.

(45) Gregory W. Dawes. *The Historical Jesus Question.* Westminster John Knox Press; Edition Unstated edition 2001., p.334 [Note] 168

(46) Rush Rhees. *The Life of Jesus of Nazareth.* Cosimo Classics 2005
Alfred Edersheim. *The Life and Times of Jesus the Messiah*. Grand Rapids, MI: Christian Classics Ethereal Library 1959 Volume 1

(47) Gerd Lüdemann. *The Historical Jesus in Recent Research (Sources for Biblical and Theological Study*., Eisenbrauns; 1 edition. 2005., p. 418
Gerd Lüdemann. *The Resurrection of Jesus*, trans. John Bowden. Minneapolis: Fortress Press, 1994
Alf Ozen and Gerd Lüdemann, *What Really Happened to Jesus? A Historical Approach to the Resurrection'*, trans. John Bowden. Louisville, Kent.: Westminster/John Knox Press, 1995

(48) Alfred Edersheim. *The Life and Times of Jesus the Messiah*. Volume 1
Hank Hanegraaff. *The Third Day.* W Pub. Group in Nashville, TN. 2003., p. 49

(49) Pinchas Lapide, *The Resurrection of Jesus: A Jewish Perspective*, Wipf & Stock Pub. 2002., p.126.

التلاميذ المهزومين واليائسين يمكنها أن تصبح بين ليلة وضحاها حركة إيمانية منتصرة، بناء فقط على إيحاء ذاتي أو إقناع وتصديق ذاتي- من غير تجربة إيمانية حقيقية- فسيكون ذلك بالتالي معجزة أكبر من القيامة نفسها».

6- فرضية الجثمان المسروق

وهي فرضية وجدت منذ بدايات المسيحية الأولى ونراها ترد في إنجيل متى الذي يطرحها من باب دحضها والقول بأنها فرية اختلقها حاخامات اليهود. تقول الفرضية إن جثمان المسيح سرق من القبر الذي وجد فارغًا ليس لأن المسيح قام من الموت بل لأن التلاميذ (أو أشخاص مجهولين) خبأوا الجسد في مكان آخر[50]. وهذه الفرضية كما النقاشات والسجالات المعارضة لها تنطلق من تصديق ما جاء في الأناجيل عن اكتشاف القبر فارغًا. «وَبَيْنَمَا كَانَتِ الْمَرْأَتَانِ ذَاهِبَتَيْنِ، إِذَا بَعْضُ الْحُرَّاسِ قَدْ ذَهَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ وَأَخْبَرُوا رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ بِكُلِّ مَا جَرَى. فَاجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخُ وَتَشَاوَرُوا فِي الأَمْرِ. ثُمَّ رَشَوْا الْجُنُودَ بِمَالٍ كَثِيرٍ، وَقَالُوا لَهُمْ: «قُولُوا: إِنَّ تَلاَمِيذَهُ جَاءُوا لَيْلاً وَسَرَقُوهُ وَنَحْنُ نَائِمُونَ! فَإِذَا

(50) Richard C. Carrier. «The Plausibility of Theft». In Price, Robert M.; Lowder, Jeffrey Jay. *The Empty Tomb: Jesus Beyond the Grave*. Amherst. New York: Prometheus Books. 2005., p. 349.

David A. deSilva. *The Jewish Teachers of Jesus, James, and Jude: What Earliest Christianity Learned from the Apocrypha and Pseudepigrapha.* Oxford University Press; 1 edition. 2012

مرقس 15: 40-41

وَكَانَتْ أَيْضًا نِسَاءٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ، بَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ، وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ الصَّغِيرِ وَيُوسِي، وَسَالُومَةُ، اللَّوَاتِي أَيْضًا تَبِعْنَهُ وَخَدَمْنَهُ حِينَ كَانَ فِي الْجَلِيلِ. وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ اللَّوَاتِي صَعِدْنَ مَعَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ.

يوحنا 19: 25 وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ، أُمُّهُ، وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كِلُوبَا، وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ.

بَلَغَ الْخَبَرُ الْحَاكِمَ، فَإِنَّنَا نُدَافِعُ عَنْكُمْ، فتكُونُونَ فِي مَأْمَنٍ مِنْ أَيِّ سُوءٍ». فَأَخذَ الْجُنُودُ الْمَالَ، وَعمِلُوا كَمَا لَقَّنُوهُمْ. وَقَدِ انْتَشَرَتْ هَذِهِ الإِشَاعَةُ بَيْنَ الْيَهُودِ إِلَى الْيَوْمِ.»[51].

ثم فلنقرأ ماذا يقول إنجيل مرقس الذي هو أقدم الأناجيل عن هذه الحكاية[52]:

جَاءَ يُوسُفُ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ، مُشِيرٌ شَرِيفٌ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مُنْتَظِرًا مَلَكُوتَ اللهِ، فَتَجَاسَرَ وَدَخَلَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَتَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ أَنَّهُ مَاتَ كَذَا سَرِيعًا. فَدَعَا قَائِدَ الْمِئَةِ وَسَأَلَهُ: «هَلْ لَهُ زَمَانٌ قَدْ مَاتَ؟» وَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ الْمِئَةِ، وَهَبَ الْجَسَدَ لِيُوسُفَ. فَاشْتَرَى كَتَّانًا، فَأَنْزَلَهُ وَكَفَّنَهُ بِالْكَتَّانِ، وَوَضَعَهُ فِي قَبْرٍ كَانَ مَنْحُوتًا فِي صَخْرَةٍ، وَدَحْرَجَ حَجَرًا عَلَى بَابِ الْقَبْرِ. وَكَانَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يُوسِي تَنْظُرَانِ أَيْنَ وُضِعَ.

وَبَعْدَمَا مَضَى السَّبْتُ، اشْتَرَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ َسَالُومَةُ، حَنُوطًا لِيَأْتِينَ وَيَدْهَنَّهُ.وَبَاكِرًا جِدًّا فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ إِذْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ.

وَكُنَّ يَقُلْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ: «مَنْ يُدَحْرِجُ لَنَا الْحَجَرَ عَنْ بَابِ الْقَبْرِ؟» فَتطَلَّعْنَ وَرَأَيْنَ أَنَّ الْحَجَرَ قَدْ دُحْرِجَ! لأَنَّهُ كَانَ عَظِيمًا جِدًّا. وَلَمَّا دَخَلْنَ الْقَبْرَ رَأَيْنَ شَابًّا جَالِسًا عَنِ الْيَمِينِ لاَبِسًا حُلَّةً بَيْضَاءَ، فَانْدَهَشْنَ. فَقَالَ لَهُنَّ: «لاَ تَنْدَهِشْنَ! أَنْتُنَّ تَطْلُبْنَ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ الْمَصْلُوبَ. قَدْ قَامَ! لَيْسَ هُوَ ههُنَا. هُوَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي وَضَعُوهُ فِيهِ. لكِنِ اذْهَبْنَ وَقُلْنَ لِتَلاَمِيذِهِ

(51) إنجيل متى، 28: 11–15

(52) إنجيل مرقس 15: 40–47 ؛ 16: 1–8

وَلِبُطْرُسَ: إِنَّهُ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ كَمَا قَالَ لَكُمْ». فَخَرَجْنَ سَرِيعًا وَهَرَبْنَ مِنَ الْقَبْرِ، لأَنَّ الرِّعْدَةَ وَالْحَيْرَةَ أَخَذَتَاهُنَّ. وَلَمْ يَقُلْنَ لأَحَدٍ شَيْئًا لأَنَّهُنَّ كُنَّ خَائِفَاتٍ.

وبحسب إنجيل يوحنا فقد ساعد نيقوديموس صديقه يوسف الرامي في دفن يسوع وقال إن المسيح دفن في بستان بالقرب من موضع الصلب وكان قبرًا جديدًا لم يدفن فيه أحد من قبل(53):

ثُمَّ إِنَّ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ، وَهُوَ تِلْمِيذُ يَسُوعَ، وَلكِنْ خُفْيَةً لِسَبَبِ الْخَوْفِ مِنَ الْيَهُودِ، سَأَلَ بِيلاَطُسَ أَنْ يَأْخُذَ جَسَدَ يَسُوعَ، فَأَذِنَ بِيلاَطُسُ. فَجَاءَ وَأَخَذَ جَسَدَ يَسُوعَ. وَجَاءَ أَيْضًا نِيقُودِيمُوسُ، الَّذِي أَتَى أَوَّلًا إِلَى يَسُوعَ لَيْلًا، وَهُوَ حَامِلٌ مَزِيجَ مُرّ وَعُودٍ نَحْوَ مِئَةِ مَنًا. فَأَخَذَا جَسَدَ يَسُوعَ، وَلَفَّاهُ بِأَكْفَانٍ مَعَ الأَطْيَابِ، كَمَا لِلْيَهُودِ عَادَةٌ أَنْ يُكَفِّنُوا. وَكَانَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي صُلِبَ فِيهِ بُسْتَانٌ، وَفِي الْبُسْتَانِ قَبْرٌ جَدِيدٌ لَمْ يُوضَعْ فِيهِ أَحَدٌ قَطُّ. فَهُنَاكَ وَضَعَا يَسُوعَ لِسَبَبِ اسْتِعْدَادِ الْيَهُودِ، لأَنَّ الْقَبْرَ كَانَ قَرِيبًا.

وبحسب يوحنا أيضًا فإن تلميذين من التلاميذ جاءا إلى القبر للتأكد من ادعاء مريم المجدلية أنها شاهدته فارغًا. هذا الأمر لا يذكره مرقس ولا لوقا أو متى، وهو يشير إلى أن التلاميذ لم يصدقوا إلا بعد رؤيتهم المسيح حيًا(54):

وَفِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ إِلَى الْقَبْرِ بَاكِرًا، وَالظَّلاَمُ بَاق. فَنَظَرَتِ الْحَجَرَ مَرْفُوعًا عَنِ الْقَبْرِ. فَرَكَضَتْ وَجَاءَتْ إِلَى سِمْعَانَ بُطْرُسَ وَإِلَى التِّلْمِيذِ الآخَرِ الَّذِي كَانَ يَسُوعُ يُحِبُّهُ، وَقَالَتْ لَهُمَا: «أَخَذُوا

(53) إنجيل يوحنا 19: 38-42

(54) يوحنا 20: 1 – 9

السَّيِّدَ مِنَ الْقَبْرِ، وَلَسْنَا نَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ!». فَخَرَجَ بُطْرُسُ وَالتِّلْمِيذُ الآخَرُ وَأَتَيَا إِلَى الْقَبْرِ. وَكَانَ الاثْنَانِ يَرْكُضَانِ مَعًا. فَسَبَقَ التِّلْمِيذُ الآخَرُ بُطْرُسَ وَجَاءَ أَوَّلًا إِلَى الْقَبْرِ، وَانْحَنَى فَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، وَلكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ.ثُمَّ جَاءَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ يَتْبَعُهُ، وَدَخَلَ الْقَبْرَ وَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، وَالْمِنْدِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِ لَيْسَ مَوْضُوعًا مَعَ الأَكْفَانِ، بَلْ مَلْفُوفًا فِي مَوْضِعٍ وَحْدَهُ. فَحِينَئِذٍ دَخَلَ أَيْضًا التِّلْمِيذُ الآخَرُ الَّذِي جَاءَ أَوَّلًا إِلَى الْقَبْرِ، وَرَأَى فَآمَنَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَعْدُ يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ: أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ مِنَ الأَمْوَاتِ.

وقد بنت فرضية الجسد المسروق على هذه المقاطع من الأناجيل لتقول إن بعض التلاميذ هم الذين سرقوه[55].

ثم نقرأ في التلمود (توليدوث يشوع Toledoth Yeshu) رواية أخرى معادية للمسيحية بالطبع، تقول إن التلاميذ كانوا قد تآمروا على سرقة جثمان عيسى لكنهم حين وصلوا القبر وجدوه فارغًا فظنوا أنه قام من بين الأموات... ثم إن الجسد بيع لاحقًا إلى قادة اليهود مقابل ثلاثين من الفضة وهؤلاء أعلنوا ثبوت وفاة عيسى... ثم إن جسده سحل في شوارع القدس[56]. وفي رواية أخرى محفوظة عن سجال يعود للقرن الثاني ميلادي بين مسيحي ويهودي، يقول يوستنيانوس الشهيد لليهودي تريفو في حواره معه[57] «وقد ادعيتم ونشرتم أن تلاميذ المسيح سرقوه

---

(55) Richard C. Carrier. «The Plausibility of Theft»., pp. 349- 352
William Lane Craig. «The Empty Tomb of Jesus». In Geivett, R. Douglas; Habermas, Gary. *In Defense of Miracles: A Comprehensive Case for God's Action in History*. Downers Grove, IL: InterVarsity Press Academic. 1997., p. 259.

(56) Gary R. Habermas, *The Historical Jesus: Ancient Evidence for the Life of Christ*. Thomas Nelson, Inc., 2008., p. 205

(57) حوار مع تريفو اليهودي (142 فصلًا) عبارة عن مناظرة مع يهودي معتدل طالب للمعرفة، التقى به يوستنيانوس في مدينة أفسس. وقد استغرقت هذه المناظرة يومين. ويوستنيانوس هو الذي جمع الدياطيشرون. =

في الليل من القبر حيث كان مسجى بعد أخذه عن الصليب، وأنهم الآن يخدعون الناس بالقول إنه قام من بين الأموات وصعد إلى السماء».

ولكن روايات أخرى تتحدث عن دور لسارقي القبور، وهي ظاهرة انتشرت في فلسطين القرن الأول للميلاد وتحدثت عنها الكثير من القرارات والمراسيم مثل مرسوم لقيصر وآخر لسبتيموس ساويروس يعود للقرن الثاني[58]. كما راجت روايات أخرى (خصوصًا رواية المؤرخ تشارلز فريمان Charles Freeman)[59] عن أن قادة اليهود من السنهدرين وعلى رأسهم قيافا سرقوا الجسد منعًا لحدوث فتنة في القدس على يد أتباعه، إذ ظنوا أن إفراغ القبر يمنع تحوله إلى مزار مقدس. ويقول فريمان إن ما ذكره إنجيل متى وإنجيل مرقس عن وجود أكثر من فتى (أو ملاك) بلباس أبيض عند باب القبر ليقولوا لحملة الطيب من النساء اذهبن وابحثن عن يسوع في الجليل ما هم إلا كهنة من المعبد في القدس، لأن وصف هؤلاء الملائكة الوارد في الأناجيل يطابق صفة كهنة المعبد (اللباس الأبيض) وأن هؤلاء كانوا بتشجيعهم للتلاميذ بالعودة إلى الجليل يريدون أن يغادروا القدس منعًا للاضطرابات والفتنة.

وادعى بارت إهرمان Bart Ehrman، وهو كاتب ناقد للنصوص، أن ما حصل من سرقة الجسد لم يكن بفعل مؤامرة ما، فلعل عائلة عيسى أرادت دفنه في مدافن العائلة[60].

= Justin Martyr. Dialogue with Trypho, Chapter CVIII. http://www.ccel.org/ccel/schaff/anf01.viii.iv.cviii.html

(58) Carrier. «The Plausibility of Theft», p. 365.

(59) Charles Freeman. *A New History of Early Christianity*.Yale University Press, 2009 pp. 31-33

(60) *Is there historical evidence for the resurrection of Jesus?* A debate between William Lane Craig and Bart D. Ehrman. https://www.youtube.com/watch?v=vRTUrvTTRAQ

وثمة رواية لعلها غريبة نوعًا ما، ذكرها ترتليان[61] تقول إن من بين الاحتمالات أن يكون البستاني هو من سرق الجثة حفاظًا على المزروعات من أن تفسدها كثرة الزائرين للقبر. ومع أن ما ذكره ترتليان قد يكون بهدف السخرية من مزاعم سرقة الجثمان إلا أننا نجد ما يماثله في إنجيل يوحنا كما في الدياطيشرون.

نقرأ في إنجيل يوحنا[62]:

فَنَظَرَتْ مَلاَكَيْنِ بِثِيَابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ وَاحِدًا عِنْدَ الرَّأْسِ وَالآخَرَ عِنْدَ الرِّجْلَيْنِ، حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ مَوْضُوعًا. فَقَالاَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟» قَالَتْ لَهُمَا: «إِنَّهُمْ أَخَذُوا سَيِّدِي، وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ!». وَلَمَّا قَالَتْ هذَا الْتَفَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ، فَنَظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفًا، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ. قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ، لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟» فَظَنَّتْ تِلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ، فَقَالَتْ لَهُ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ، وَأَنَا آخُذُهُ». قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا مَرْيَمُ» فَالْتَفَتَتْ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي!» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ.

وفي الدياطيشرون الذي جمعه تاطيانوس نقرأ أيضًا أن مريم بعد أن افترضت أن يكون الواقف أمامها هو البستاني سألته ماذا فعل بالجثمان ما يعني ظنها أن يكون عنده دافع لنقل الجثمان[63]. وقد رأينا سابقًا كيف أن التلمود (توليدوث يشوع) يقول إن بستانيًا اسمه يهوذا نقل الجثة أولًا ثم باعها لكهان اليهود. ومع أن هذا النص يعكس سجالًا بين اليهود

---

(61) Tertullian. *De Spectaculis*, Chapter 30.
http://www.newadvent.org/fathers/0303.htm

(62) إنجيل يوحنا، 20: 12-16

(63) Tatian (c. 160–175). *Diatessaron* (in Syriac). Roberts-Donaldson translation. Section LIII.
http://www.earlychristianwritings.com/text/diatessaron.html

والمسيحيين إلا أنه يشير في الوقت عينه إلى أن الناس في ذلك الزمن وجدت فرضية سرقة البستاني للجثة معقولة برغم عدم وجود دافع معروف لنا حتى اليوم(64).

وهناك رواية مهمة أخرى تتعلق بوجود حراس من اليهود على القبر. وقد وردت بداية في إنجيل متى(65):

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي، أَيْ بَعْدَ الإِعْدَادِ لِلسَّبْتِ، تَقَدَّمَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ مَعًا إِلَى بِيلاَطُسَ، وَقَالُوا: «يَاسَيِّدُ. تَذَكَّرْنَا أن ذَلِكَ الْمُضَلِّلَ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ. فَأَصْدِرْ أَمْرًا بِحِرَاسَةِ الْقَبْرِ بِإِحْكَامٍ إِلَى الْيَوْمِ الثَّالِثِ، لِئَلاَّ يَأْتِيَ تَلاَمِيذُهُ وَيَسْرِقُوهُ، وَيَقُولُوا لِلشَّعْبِ: إِنَّهُ قَامَ مِنْ بَيْنِ الأَمْوَاتِ، فَيَكُونَ التَّضْلِيلُ الأَخِيرُ أَسْوَأَ مِنَ الأَوَّلِ». فَأَجَابَهُمْ بِيلاَطُسُ: «عِنْدَكُمْ حُرَّاسٌ! فَاذْهَبُوا وَاحْرُسُوهُ كَمَا تَرَوْنَ». فَذَهَبُوا وَأَحْكَمُوا إِغْلاَقَ الْقَبْرِ، وَخَتَمُوا الْحَجَرَ، وَأَقَامُوا حُرَّاسًا.

ولا يظهر من هذه الرواية إن كان الحراس من الرومان أم من الحرس الخاص بالمعبد اليهودي. ولكن التقليد المسيحي ادعى على العموم أنهم كانوا من الرومان ولذلك اعتبر الكثيرون أنه من المستحيل قيام سارقي القبور بالدخول إلى قبر يحرسه جنود رومان. ولا يذكر متى عدد الحراس ولو أن الروايات المسيحية القديمة تقول إنهم اثنان ولعلهم كانوا أكثر من اثنين فبالتالي لا إمكانية لقيام سارقين بدخول القبر وسرقة الجثة حتى أن أنتوني هورفاث يزعم أنه كان هناك حراس من المعبد إضافة إلى الرومان(66).

---

(64) Carrier. «The Plausibility of Theft», p. 351

(65) إنجيل متى، 27: 65 – 66

(66) Anthony Horvath. *How many guards at Jesus' tomb*?. Apgroup., 2013
= William Lane Craig. «The Guard at the Tomb». *New Testament Studies*. 30 (2). April 1984

في أنجيل لوقا وإنجيل يوحنا أن الأكفان المستخدمة للف جسم عيسى كانت موضوعة جانبًا في القبر[67].

وَانْحَنَى فَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، وَلكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ. ثُمَّ جَاءَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ يَتْبَعُهُ، وَدَخَلَ الْقَبْرَ وَنَظَرَ الأَكْفَانَ مَوْضُوعَةً، وَالْمِنْدِيلَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِهِ لَيْسَ مَوْضُوعًا مَعَ الأَكْفَانِ، بَلْ مَلْفُوفًا فِي مَوْضِعٍ وَحْدَهُ.

وبحسب المدافعين المسيحيين فإن سارقي القبور كانوا سيأخذون معهم بالتأكيد الأكفان وكل ما هو موجود في القبر، خصوصًا أن يوسف الرامي كان من أثرياء اليهود[68]. ووجود الأكفان كما ذكرت الأناجيل دليلهم على دحض نظرية سرقة القبر.

7- القبر في فلسطين والقبر المفقود

في 4 آذار/ مارس 2007 بثت القناة الكندية المسماة ديسكوفري وقناة فيزيون Discovery Channel and Vision TV فيلمًا وثائقيًا بعنوان «القبر المفقود ليسوع» The Lost Tomb of Jesus يتحدث عن اكتشاف القبر المسمى باسم «قبر تلفيوت» (بالعبرية: מערת תלפיות) في العام 1980 في مستوطنة شرق تلفيوت الإسرائيلية على بعد خمسة كيلومترات من القدس القديمة. كان في القبر عشرة صناديق لعظام موتى على ستة منها نقوشات أحدها فسر بأنه «يشوع بَر يوسف» أي يسوع بن يوسف (مع اختلاف حول ذلك). أدار الفيلم وأخرجه سيمحا جاكوبوفيتشي Simcha Jacobovici وأنتجه فليكس غولوبيف وريك إستير بيانستوك Felix

=

Helmut Koster. *Ancient Christian Gospels*; Trinity Press, 1992., p. 237.
https://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/shows/religion/symposium/historical.html

(67) انظر يوحنا 20: 5-7

(68) Warren W. Wiersbe. *The Wiersbe Bible Commentary: The Complete New Testament.* David C Cook; New edition 2007
Carrier. «The Plausibility of Theft», p. 353.

James بينما عمل جايمس كامرون Golubev and Ric Esther Bienstock Cameron كمدير إنتاج تنفيذي. وخرج الفيلم في الفترة نفسها (شباط/ فبراير 2007) التي صدر فيها كتاب يتناول الموضوع نفسه بعنوان «قبر عائلة يسوع» The Jesus Family Tomb شارك في كتابته جاكوبوفيتشي وشارل بلليغرينو Charles R. Pellegrino وأثار الفيلم كما الكتاب موجة سجالات لاهوتية وأركيولوجية لم تتوقف حتى اليوم.

راجت نظريات كثيرة حول الجثمان المفقود من القبر حاولت أن تفسر الأمر بأنه نتيجة زلزال أو حدث طبيعي كبير وليس بقيامة الجسد من الموت أو بالسرقة أو الإغماء أو غيرها من الفرضيات. وحده إنجيل متى يذكر وقوع زلزال في يوم القيامة[69]: وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ.

وقد رافق الزلزال ظلام رهيب وانفجار للصخر ونبش للقبور[70]: وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، القبور تفتَّحت، وقام كثير من أجساد «القديسين» الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدّسة، وظهروا لكثيرين.

وبالتالي فسر البعض فراغ القبر بهذا الزلزال وانشقاق الصخر ووقوع جثمان عيسى في هوة فتحها الزلزال ثم انغلاق الهوة على ما فيها[71]. وبالنسبة للبعض يمكن تأويل ما ورد في الأناجيل حول تلك

(69) إنجيل متى 28: 2

(70) إنجيل متى، 27: 51-55

(71) Dale C. Allison. *Resurrecting Jesus: The Earliest Christian Tradition and its Interpreters*. Journal for the Study of the Pseudepigrapha Supplement. T&T Clark; 1 edition. 2005., p.204

اللحظة تأويلًا يعطي مصداقية لفرضية الزلزال ووقوع جثة عيسى في جب غميق:

إنجيل متى 12: 40 لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلاَثَةَ أَيَّام وَثَلاَثَ لَيَال، هكَذَا يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي قَلْب الأَرْضِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ وَثَلاَثَ لَيَال.

ولا يذكر لوقا ومرقس أي شيء عن الزلزال. أما عند يوحنا وفي رسائل بولس فنجدهما يستخدمان استعارة مجازية عن حبة القمح التي تقع داخل بطن الأرض كناية عن موت عيسى ثم قيامته.

في إنجيل يوحنا 12: 24 اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ.

ويقول بولس في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، الإصحاح 15: 36–38:

يا غبي الذي تزرعه لا يحيا إن لم يمت والذي تزرعه لست تزرع الجسم الذي سوف يصير بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقي ولكن الله يعطيها جسمًا كما أراد و لكل واحد من البزور جسمه.

وكان لهذه الفرضية أنصار كبار في العصر الحديث. ففي القرن الثامن عشر تبنى العالم الروحاني والعقلاني الألماني الراديكالي جون إدلمان (1746) فرضية أن يكون الزلزال المذكور في الأناجيل قد دفن الجثة في باطن الأرض ما جعل من المستحيل إيجادها[72]. وفي مطلع

(72) Joh. Chr. Edelmann. Abgenöthigtes, jedoch Andern nicht wieder aufgenöthigtes Glaubens-Bekenntniß. (Abandoned, but not another renounced faith confession) (1746), p.196, translation of the German text.

القرن العشرين وصف الروحاني الصوفي النمساوي شتاينر في مقال له «رؤياه الواعية» لزلزال أخفى جثمان المسيح[73]. وفي عام 1925 أظهر اللاهوتي الألماني سيبرغ اهتمامًا وربما تبنيًا لفرضية الجثمان المفقود[74].

وكان أوريجينوس فسر زلزال متى بأنه حدث تاريخي وإنما محلي محدود بأرض اليهودية (الضفة الغربية في فلسطين). وقد أكدت الدراسات العلمية وقوع زلزال بقوة 6.3 درجة في السنوات ما بين 26 و36 أي زمن حياة عيسى بحسب الكنيسة[75].

8- قبر المسيح في كشمير

بحسب هولغر كرستن[76] فإنه لا يمكن دحض نظرية ذهاب المسيح إلى الهند. ذلك أن المعلومات والوثائق المتوفرة حول حياة المسيح تقتصر على ما ورد في الأناجيل وكتابات اللاهوتيين المسيحيين الرسميين ولم يكن هدفها بالتالي دعم وجهات نظر أو روايات غير رسمية عن حياة المسيح. ويرى كرستن أيضًا أن المسيح اطلع على التعاليم البوذية في مصر قبل بدء دعوته في فلسطين إذ «إن عائلته هربت إلى مصر بعد مولده خلاصًا من اضطهاد هيرودوس. واليوم صار الباحثون يعترفون بوجود مدارس بوذية في الإسكندرية قبل العصر المسيحي». ومن خلال إعادة رسمه رحلات المسيح يقول كرستن إنه

---

(73) Rudolph Steiner. *The Fifth Gospel: From the Akashic Record*. Rudolf Steiner Press; 3rd edition, 1985. (The original german print: Das Fünfte Evangelium, 1913)

(74) R. Seeberg, Christliche Dogmatik. see Dale C. Allison, «*Studies in Matthew: Interpretation Past and Present*». Baker Academic. 2005., p. 89

(75) Jefferson Williams, Markus Schwab and A. Brauer. An early first-century earthquake in the Dead Sea. *International Geology Review*. July 2012., pp. 1–10

(76) Holger Kersten: *Jésus a vécu en Inde*. Garancière (France) 1987

اكتشف أيضًا أن الكثير من تعاليمه شطبت من الأناجيل الحديثة. كما أن مبادئ مثل الكارما والقيامة بعد الموت كانت معروفة يومها وبشر بها المسيح ومصدرها الهند. والمهم في كتاب كرستن تأكيده على حياة وموت المسيح في كشمير وأنه عرف باسم يوذآساف وعيسى.

ولعل ميرزا غلام أحمد القاضياني في كتابه عن المسيح في الهند كان أول من أشار إلى هذا القبر وحدد موقعه في سريناغار الكشميرية.

ماذا عن القبر في سريناغار؟

على الرغم من الوضع العسكري المتوتر في منطقة سريناغار في كشمير فإن المكان تحول إلى موقع جذب للسياح والحجاج لزيارة ما قيل إنه قبر «'القديس' عيسى» أي يسوع المسيح. ويعتقد الكثيرون أنه مقام ولي مسلم اسمه يوذ آساف ولكنه قبر المسيح بالنسبة لعدد من الفرق المسيحية الجديدة ولمسلمين بدعيين وللكثيرين من أنصار مقولات فيلم «شيفرة دافنشي» وكتاب «الدم المقدس والكأس المقدسة»...

عندما كان عباس محمود العقاد يتحدث عن نهاية حياة المسيح على الأرض كتب يقول: «ومن الأخبار التاريخية خبر لا يصح إغفاله في هذا الصدد لأنه محل نظر كبير، وهو خبر الضريح الذي يوجد في طريق خان يار بعاصمة كشمير ويسمونه ضريح النبي أو ضريح عيسى، وروى تاريخ الأعظمي الذي دون قبل مائتي سنة، أن الضريح لنبي اسمه «عوس آصاف» ويتناقل أهل كشمير عن آبائهم أنه قدم إلى هذه البلاد قبل ألفي سنة، وينقل المولوي محمد علي في ترجمته للقرآن الكريم عن كتاب عربي يُسمى «إكمال الدين» محفوظ من ألف سنة، أن اسم «عوس آصاف» مذكور فيه وأنه قال عنه: رحالة ساح في بلاد كثيرة. وأن كتاب «برلام ويوشافاط» في ص111 يذكر عوس آصاف أنه صاحب بشرى. وأنهم يحفظون مثلًا من أمثاله في تعليمه يشبه مثل السيد المسيح عن

الزارع والبذور. وقد أورد المولوي محمد علي هذا التعليق في تفسير الآية الكريمة «وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين» وأورد تعليقًا يقرب منه في تفسير قوله تعالى «إني متوفيك ورافعك إليّ» وغيرها من الآيات التي تناولت حياة عيسى بن مريم»[77].

كما كتب الشيخ عبد الوهاب النجار: «يوجد رأي في في مسألة المسيح جاء به غلام أحمد القادياني، وهو من بلدة قاديان في الهند. قال: إن المسيح أنجاه الله من كيد اليهود فذهب إلى بلاد الهند واستقر في بلدة كشمير في شمال الهند بسفح جبال همالايا، وأقام هناك إلى أن وفاه أجله ودُفن في تلك البلاد بقرب بلدة سرنجار وله قبر معروف. هذا الرجل أدعى أنه المسيح الموعود بمجيئه. ولكن كيف يكون هو المسيح، وهو معروف بأنه غلام أحمد القادياني، معروف النسب ومعروف الأسرة؟ فذهب إلى تأويل الأمر، على أن المسيح مات ولا يمكن أن يأتي، ولما كانت الأحاديث دالة على أنه سيأتي في آخر الزمان. قال: أنا المسيح بمعنى أني آت بهديه وتعاليمه من بث السلام والرحمة والتعاطف والمحبة... وفي رأيي أن دعواه مجيء المسيح إلى الهند أمر يحتاج إلى بحث واف وتحقيق دقيق، ولا يمكن تصديقه إلا بظهور الأمر ظهورًا بينًا وثبوته ثبوتًا قاطعًا لكل شبهة، ولو ثبت ذلك ما أفاده شيئًا، لأننا إذا تمشينا مع الأحاديث وجدنا فيها علامات منها أنه يقتل الدجال.. وهذا لم يحصل من ذلك الرجل»[78].

(77) عباس محمود العقاد: «حياة المسيح في التاريخ وكشوف العصر الحديث». دار نهضة مصر للطباعة والنشر. القاهرة 1953. ص 191-192،

ونجد النص نفسه وحرفيًا عند عباس محمود العقاد: «عبقرية المسيح». سلسلة العبقريات. كتاب اليوم. القاهرة 1953. ص215

(78) الشيخ عبد الوهاب النجار: «قصص الأنبياء». دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط3. لات. ص 427

ويرى د. محمد إبراهيم الفيومي: «أن بوداساف هو بوذا واضع الديانة البوذية، وقد ظهر بأرض الهند وكان هنديًا.. وأن دعوته أخذت منابعها من التراث الهندي الحافل بألوان من الوثنية والشرك والزندقة»[79].

وقد ثار لغط كبير حول الصلة بين بوذآساف هذا وبوذا. فقال عباس محمود العقاد: «إن كتاب (برلام ويوشافاط) يذكر أنه صاحب بشرى»[80]. وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية «أنه الصورة المسيحية لقصة بوذا»[81] وجاء أيضًا أن «حكاية برلام ويوشافاط هي نسخة من سيرة بوذا التي كان لها انتشار عظيم في أوروبا العصور الوسطى. ذلك أن البوذا- الذي يظهر في الحكاية- هو قديس مسيحي»[82]. وحكاية «برلام ويوشافاط» تحدثنا عن هداية الأمير الهندي يوشافاط على يد الراهب المسيحي برلام. ويذهب فليكس لايبرخت Felix Liebrecht إلى أن هذه القصة رواية نصرانية لفترة من حياة بوذا[83]. وقد عمل على دراسة هذه الحكاية عدد كبير من المستشرقين. أشهرهم دانيال جماريه Gimaret، المستشرق الفرنسي[84]. ترجم جماريه وحقق كتاب «بلوهر وبوذآساف» بالاعتمادعلى نسخة إسماعيلية[85] وقد كتب في مقدمته للكتاب أنه منذ

---

(79) د. محمد إبراهيم الفيومي: الفكر الديني الجاهلي. دار المعارف. ط 3 سنة 1982م. ص 148، 149، 167، 168.

(80) العقاد: حياة المسيح. ص191-192.

(81) «Barlaam and Josaphat: «a Christian adaptation of tales about the Buddha». The New Encylopoedia Britannica. vol. 22. 15 ed., p. 473.

(82) المرجع السابق المجلد 15. ص 276.

(83) دائرة المعارف الإسلامية. نقلها إلى العربية: أحمد الشنتاوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت. لات. الجزء الثامن. ص 8.

(84) مجلة المسرة. عدد 586. حزيران/ يونيو 1973. ص 543.

نجيب العقيقي: المستشرقون. ط 4. دار المعارف 1965. جـ 1. ص 378

كما أن لجماريه أيضًا كتاب بعنوان «بوذا والبوذية في التقاليد الإسلامية»

(85) Daniel Gimaret. *Le Livre de Bilawhar et Budasf selon la version arabe* =

أن أشار الفرنسي إدوارد لابولاي Edouard Laboulaye (1811-1883) والألماني فليكس لايبرخت Felix Liebrecht (1812-1890) إلى أوجه الشبه بين الحكاية العجيبة التي تنسب تقليديًا إلى يوحنا الدمشقي والحكايات البوذية، حصل تقدم في تحديد معالم تلك الرواية. والحال أن عالم السنسكريتية اليهودي ثيودور بنفاي Theodor Benfey (1809-1881) كان قد أشار في العام 1853 إلى أن قصة وردت في برلام ويوشافاط موجودة في البانكارتانترا Pancatantra الهندية. أما لابولاي فقد كتب في العام 1859 عن التشابه الكبير بين حياة البوذا وحياة يوشافاط، في حين كتب لايبرخت في العام 1860 عن الشبه مع قصة حياة البوذا المنقولة في كتاب Lalitauistara. ثم تحدث جماريه عن الكتاب المنشور في تفليس Tiflis عام 1957 والذي ينقل روايتين غريغوريتين واحدة طويلة وواحدة قصيرة، وقد ترجمهما إلى الإنكليزية السيد لانغ[86] (صدرت أولًا في لندن 1957 و1965) ليخلص أنه منذ الوقت انتشرت رواية بالعربية والفارسية، خصوصًا في الأوساط الشيعية وبالأخص عند الإسماعيلية، وهي التي ترجمها جماريه عن طبعة في بومباي صدرت عام 1306 للهجرة (1888-1889م، قابلها وقارنها مع مخطوطات أخرى وسمحت له بالتأكيد أن النسخة الإسماعيلية لا ترجع إلى أبعد من القرن العاشر طالما أن ابن بابويه القمي استخدمها (ت: 991م) وهي

= *ismaélienne*. Introd. et trad, française. Centre de Recherches d›Histoire et de Philologie de la IVe section de l›Ecole pratique des Hautes Etudes, IV. (Hautes études islamiques et orientales d'histoire comparée, 3) Genève-Paris, Libr. Droz, 1971, 215 p.

كتاب بلوهر وبوذاسف في المواعظ والامثال الحكمية على ذمة الحاج الشيخ نورالدين ابن جيواخان (تاجر الكتب ومالک المطبع الحيدري والصفدي)، بمبئى 1306 (بومباي 1888-1889)

(86) David Marshall Lang, trans., *The Balavariani (Barlaam and Josaphat): A Tale from the Christian East*; translated from the Old Georgian, Berkeley: Univ. of California Press, 1966.

نسخة لم تترجم بعد بكاملها إلى العربية ولكنها انتشرت بقوة بفضل ترجمة محمد باقر المجلسي (ت: 1699) لها إلى الفارسية. كما أن ترجمة المجلسي تضمنت أيضًا نسخة عربية لنص بهلوي كانت صيغته العربية المسماة آداب بزرجمهر لا ترجع إلى أبعد من العام 750م. ورأى جماريه أن هذه النسخة الإسماعيلية فائقة الأهمية لدراسة كيف تحولت الحكاية البوذية إلى نص إسلامي رائع ثم إلى نص مسيحي صار فيما بعد جزءًا من «تاريخ شهداء المسيحية» حيث تجعل الكنيستان الكاثوليكية والأرثوذكسية يوم 27 نوفمبر عيدًا للقديسين برلام ويوشافاط، من دون أن يكون هناك أي دليل على وجودهما التاريخي.

9- قصة برلام ويوشافاط في التقليد المسيحي

برلام Barlaam ويوشافاط Joasaphat هما شهيدان مسيحيان أسطوريان، ربما استندت قصتهما في نهاية المطاف على حياة بوذا؛ حيث تروي الأسطورة كيف أن الملك الهندي أبنر Abenner قام باضطهاد الكنيسة المسيحية في مملكته. وعندما تنبأ المنجمون أن ابنه يوشافاط سيصبح في يوم من الأيام مسيحيًا، قام الملك بسجن الأمير الشاب، حيث التقى بالناسك «القديس» برلام وتحول إلى المسيحية. بعد الكثير من الفتن قبل والد الأمير الشاب المسيحية، ونقل عرشه لابنه، وذهب إلى الصحراء ليصبح ناسكًا. ثم تنازل يوشافاط في وقت لاحق عن الحكم وذهب في عزلة مع أستاذه القديم برلام.

اعتبر ولفرد كانتويل سميث أن القصة تستمد أصولها من حكاية سنسكريتية من القرن الرابع للبوذية المهايانية bouddhisme Mahayana، انتقلت من ثم إلى المانوية ووجدت لها محلًا في التراث الإسلامي من خلال كتاب بلوهر وبوذآساف، وهي قصة كانت منتشرة في بغداد في القرن الثامن. وظهرت القصة في آداب الجماعات المسيحية في الشرق

الأوسط قبل أن تظهر في الإصدارات الأوروبية. أخذت الأسطورة شعبية في الأدب البيزنطي حيث ترجمت من اللغة اللاتينية إلى اللغة اليونانية في مدينة القسطنطينية في 1048[87].

يقول كارل بروكمان: «ومن المكتب المترجمة عن الفارسية أيضًا: قصة الوزراء السبعة، وكتاب بلوهر ويوآساف Barlaam and yoasaf وهو حكاية بوذية تُرجمت للمانويين في السند فأعجبوا بها وعكفوا على قراءتها، وإلى هذه الترجمة ترجع صياغتها الحالية... وهناك نص آخر من قصة بلوهر وبوداساف كتبه عماد الدين بن بابويه القمي (من فقهاء الشيعة)[88]. وهناك نص آخر أيضًا ذكره كتاب: نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب كما أن له ترجمة فارسية كتبها آقا محمد باقر المجلسي»[89].

ويرى د. مراد كامل: «أن هذه القصة من القصص السرياني في القرن الخامس الميلادي، وأنها من أشهر القصص الروحية في العصور الوسطى وقد أصبحت بفضل اتجاهها الأدبي والأخلاقي من الكتب الدولية الشعبية، وضع أصلها بالسريانية، وضعه بعض المبشرين من

---

(87) George Ratcliffe Woodward; Harold Mattingly: *John Damascene, Barlaam and Ioasaph*. London, W. Heinemann; New York, The Macmillan Co., 1914

E. A. Wallis Budge. *Baralam And Yewasef: The Ethiopic Version of a Christianized Recension of the Legend of the Buddha and the Bodhisattva* (1923). London. Kegan Paul.2004; Literary Licensing, LLC. 2013

Jean Marcel. *Barlaam et Josaphat ou Le Bouddha christianisé*, Lanctôt éditeur, coll. PCL/Petite collection Lanctôt. Outremont, 2006

(88) كتاب «(إكمال) أو (كمال) الدين و(اتمام) أو (تمام) النعمة في إثبات الغيبة وكشف الحيرة» وهو من تأليف أبو جعفر محمد بن على بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي – أشهر مؤلفي المائة الرابعة للهجرة قدم من خراسان إلى بغداد سنة 966م وتوفي بالري سنة 991م.

(89) كارل بروكمان: «تاريخ الأدب العربي». تعريب د. عبد الحليم النجار. ط4 دار المعارف. القاهرة 1977. جـ3. ص 103–104

السريان النساطرة الذين رحلوا إلى الهند، والراجح أن مادة القصة تعتمد على أصل بوذي... والذي نرجحه أنها نقلت من السريانية إلى اليونانية، وأن الذي وضعها بالسريانية صقلها بالطابع المسيحي لكي توائم ذوق الشعب الذي كتبت له. فلما ترجمت إلى اليونانية صقلت بالطابع اليوناني أيضًا، وعن اليونانية وصلت إلى العالم الغربي، ثم نقلت إلى الأرمينية والعربية والحبشية القديمة. ويُعزى النص اليوناني إلى يوحنا الدمشقي، وهناك من يرى أنه يرجع إلى راهب فلسطيني اسمه يوحنا وأن المؤلف عاش في أواخر القرن العاشر[90].

المستشرق جماريه يرى أن القصة ظهرت قبل القرن التاسع الميلادي. بينما يقول المستشرق هوروفتز j. Horovtz «لعل قصة برلام اليونانية قد كتبت في فلسطين بدير 'القديس سابا' في النصف الأول من القرن السابع الميلادي»[91].

وهناك من يرى أيضًا أن أصل النص الذي ترجم إلى اليونانية عربي إسلامي منقول عن ترجمة بهلوية لقصة بوذية، وأن أول ترجمة عربية كانت في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي، وكلها احتمالات ضعيفة إذ إن أقدم نص سرياني لهذه القصة يرجع إلى القرن الخامس.

كما توجد رواية أو حكاية يهودية صدرت في القرن الثالث عشر بعنوان «سفر بن ها-ملك وها-نظير»، أي كتاب الأمير/ الملك والراهب، أو الناسك المتعبد أو الدرويش الصوفي»[92]. وهذا الكتاب

(90) مراد كامل وآخرون: «تاريخ الأدب السرياني». دار الثقافة للطباعة والنشر. القاهرة. ط 2 سنة 1979. ص172-177.

(91) دائرة المعارف الإسلامية. الجزء الثامن. ص 100 و101، ومجلة المسرة ص543.

(92) *Sefer ben ha-melekh we-ha-nazir or Book of the Prince and the Ascetic. Le Livre du roi et de l'ermite* =

هو الكتاب الأول غير المسيحي المؤلف على الأرض الأوروبية، ونص الكتاب موجود في عشرات المخطوطات العبرية المحفوظة في «المكتبة الوطنية الإسرائيلية» ما يدل على شعبيته وانتشاره[93].

= (J. Sadan, «Le mort qui confessa ses méfaits au vivant: Fables enchâssées entre l'arabe et l'hébreu dans Barlaam et Josaphat», *D'Orient en Occident: les recueils de fables enchâssées avant les Mille et une nuits de Galland (Barlaam et Josaphat, Disciplina clericalis, Calila et Dimna, Roman des Sept Sages),* ed. M. Uhlig and Y. Foehr-Janssens, Turnhout, Brepols, 2014, p. 231-258)

The Prince and the hermit (S. L. Albert, «The Hebrew Barlaam and Joasaph: An experiment in Jewish adab?», ed. F. Bauden, A. Chraïbi, A. Ghersetti, *Répertoire narratif arabe médiéval, transmission et ouverture. Actes du Colloque international* (Liège, 15-17 septembre 2005), Geneva, Droz, 2008, p. 273-285)

Constanza Cordoni, « The Book of the Prince and the Ascetic and the transmission of wisdom », *Cahiers de recherches médiévales et humanistes*, 29 | 2015, 43-69.

For an overview on the Sefer ben ha-melekh in particular see art. «Ben Ha-Melekh Ve-Ha- Nazir», Encyclopaedia Judaica. ed. M. Berenbaum and F. Skolnik, 2nd ed. Vol. 3. Detroit, Macmillan Reference USA, 2007, p. 351

G. Tamani, «La tradizione ebraica della leggenda di Barlaam e Iosafat», Il viaggio dei testi. III Coloquio Internazionale Medioevo Romanzo e Orientale Venezia, 10-13 ottobre 1996, ed. A. Pioletti, Soveria Mannelli (Catanzaro), Rubettino, 1999, p. 393-400;

A. Schippers, «The Hebrew Maqama», Chapter 8 of J. Hämeen-Anttila, Maqama. A History of a Genre, Wiesbaden, Harrassowitz, 2002, p. 302-327.

انظر عنه في كتاب جماريه

D. Gimaret, *Le Livre de Bilawhar et Būdāsf selon la version arabe ismaélienne*, Geneva, Droz, 1971, p. 47

(93) The online catalogue of the National Library of Israel:
Sefer ben-ha-melekh: Amsterdam, M. H. Gans Samml., 25 (1590), Budapest, Magyar tudomanyos akademia, Kaufmann 528 (1358), Cambridge, Univ. Libr., Add. 507,2 (ifteenth-sixteenth cent.), Cambridge, Trinity College, R 8 23 (sixteenth cent.), Cincinatti, Hebrew Union College, 308 (sixteenth cent.), Firenze, Bibl. Medicea Laurent., Plut. I.19 (ifteenth-sixteenth cent.), Hamburg, Staats- und Universitätsbibl., Levy 108 (eighteenth-nineteenth cent.), Jerusalem, The Israel Museum, 21.51.180 (fourteenth cent.), Jerusalem, Ha-Rav Sassoon, Ha-Pisga, Sassoon Samml., 695, (seventeenth cent.), Jerusalem, Schocken Institute for Jewish Research, 5386 (nineteenth cent.), London, Brit. Libr., Or. 1485 (fourteenth-ifteenth cent.), London, Monteiori Library, 277 (seventeenth-eighteenth cent.), Moskow, Staatsbibl., Guinzburg 273 (1465), Moskow, Staatsbibl., Guinzburg 166 (1433), Moskow, Staatsbibl., Guinzburg 338 (ifteenth cent.), New York, Jew. Theol. Sem., 1509 (1727), New York, Jew. Theol. Sem., 1499 (s.a), New York, Manfred and Anne Lehmann Foundation, D 134 (Fragment) (seventeenth cent.), Nürnberg, Stadtbibl., Cent. S. App. 35 (s. a.), Oxford, Bodl. Libr., Hunt 225 (14th – 15th cent.), Paris, Bibl. Nat., Hebr. 775 (fourteenth-ifteenth cent.), Paris, Bibl. Nat., Hebr. =

وملخص القصة أنه كان بأرض الهند ملك كبير يحب الدنيا ويعمل جاهدًا لها، ويكره الزهد ويحرق الزاهدين، فلما كان ذات يوم سأل عن رجل من خاصته، فقيل له إنه زهد في الدنيا، فعظم عليه، أرسل في طلبه. فلما مثل بين يديه، أنكر عليه الملك إهلاكه لنفسه ومفارقته لأهله، فأجابه الناسك بأن الدنيا إلى فناء، فحياتها موت وغناها فقر، وفرحها حزن، وشبعها جوع، وصحتها سقم، وقوتها ضعف، وعزها ذل، ولذتها ألم، وأنها الصاحب المؤذي، والطريق المهلك، والمركب الخشن، تجمع لصاحبها الأغاني والمضحكين والمادحين، ثم تجمع عليه النوائح والباكين والنادبين، واستمر الناسك على ذلك يصف الدنيا وأهلها في حديث طويل، وما انتهى منه حتى سأل الملك هل يريد أن يصف له الآخرة، فلم يكن جواب الملك إلا أن جازاه بالشقاء والحرمان، وطرده من مملكته. ويدور الفلك ويرزق الملك بغلام بعد يأس، فيجمع المنجمين والعلماء فيبلغونه أن هذا المولود سيبلغ مرتبة لم يبلغها ملك من ملوك الأرض، وأنه سيكون إمامًا في النسك. فيشيع الحزن والبؤس في نفس الملك من أجل ذلك، ولكنه يطرق حينًا ثم يأمر فإذا مدينة قد أخليت ممن فيها، وإذا بين يديه جماعة ممن نبغوا في التربية، وإذا هو يلقي إليهم بأنه سيعهد إليهم بولي العهد ويوصيهم بألّا يذكر أحدهم شيئًا عن الموت أو الآخرة، أو الدين والزهد، ولا أن يسمحوا لبصره أن

1283 (1423), Parma, Bibl. Palat., Parm. 2486 (1319), Parma, Bibl. Palat., Parm. 3025 = (fourteenth cent.), Parma, Bibl. Palat., Parm. 2461 (fourteenth-ifteenth cent.), Parma, Bibl. Palat., Parm. 2297 (fourteenth cent.), Rochester, Abraham Karp [56] (fragment) (s. a.), Rom, Bibl. Casanatense, 3126 (fourteenth cent.), St. Petersburg, Russ. Nationalbibl., Evr. II.A.544 (fragment) (ifteenth cent.), Tel Aviv, Shaar-Zion Library at Beit Ariela, 1(1739). Numerous are also the Sefer's early prints which comprise Constantinople 1518, Mantua 1557, Wandsbek 1727, Frankfurt an der Oder 1766, 1791, Ofenbach und Fürth 1783, Zhovkva 1795, Livorno 1831, Zhytomyr 1850, 1873 u. 1877, Lviv 1870, Warsaw 1870, 1884, 1889, 1894, 1902, 1922, (after) 1925, Jerusalem 1907. See: Calders, El Príncepi el monjo, p. 59-60 and Tamani, «La tradizione ebraica», p. 396-397.

The online catalogue Israel Union List lists 20 editions for the nineteenth and twentieth centuries.

يقع على شئ مادي تستفاد منه هذه المعاني. وينظر الملك فإذا للنساك منزلة في قلوب الناس، ولكنه لا يطمئن لذلك، ويأمر بنفيهم من بلاده، ويتوعدهم بالقتل، فأخذوا في الهرب والتخفي. وكبر ابن الملك ونبت نباتًا حسنًا، ونشأ عالمًا فاضلًا، ولكنه نظر فإذا أمره إلى جماعة وهم يحاصرونه في ذلك البلد وهو لا يفهم لذلك معنى، فمال إلى واحد كان يأنس إليه من هذه الجماعة وما زال به حتى استوضحه جلية الأمر. فكاشف أباه بأنه يرى في مقامه هذا ضيقًا وسوء حال. ويتعلل الأب بأنه إنما يريد أن يبعد عنه الأذى حتى لا يرى ولا يسمع إلا ما يسره. ولكنه رأى أن حبسه لن يزيده إلا إغراء، فأمر المربين أن يخرجوا به إلى ظاهر المدينة وأن يجنبوه النظر إلى ما يسوء. ولكنه سرعان ما يرى الشيخوخة ويعلم أنها بداية طريق الموت. ثم يسأل عن طول الطريق التي تنتهي بالمرء إلى هذه الخاتمة، فيعلم أنه مهما طال فلن يجاوز المائة عام. ثم يتدبر الأمر فيرى الأيام تمر سراعًا، وأن الأجل غير طويل، وأن الأمر لغير ما نشتغل به. فانصرفت نفسه عن الدنيا، ثم سأل فعلم أن هناك جماعة هم النساك يختلف شأنهم عن عامة الناس، يرفضون الدنيا ويطلبون الآخرة، ولكنه يعلم أن الناس يعادونهم وأن الملك أباه قد نفاهم وأحرقهم بالنار.

تقول القصة إن أمر ابن الملك قد اشتهر حتى بلغ ناسكًا اسمه برلام، فسار حتى بلغ المدينة التي يقيم فيها وخلع لباس الناسك ولبس ثياب التجار واحتال حتى وصل لابن الملك، وما زال به يشبه له الناسك بتابوت النار المملوء بالذهب ظاهره غث وباطنه ثمين، ويشبه له المتزينين من الأشراف بتابوت الذهب المملوء بالجيفة القذرة النتنة، ثم ما زال به يضرب له الأمثال عن الدنيا وغرور أهلها بها وما هم عليه، وعن صاحب الدنيا المغرور فيها بما لا ينفعه، ويصف له الحكمة. وابن الملك منصت يستزيده ويتمنى لو يسمع أبوه شيئًا من هذا الكلام. وهو مع هذا مشفق عليه متوجع له. ثم أخذ الناسك يوضح له الفرق بين

النساك وعبادة الأصنام ولم يزل برلام يتردد على ابن الملك أربعة أشهر وهو يغذيه بلبان الحكمة ويدني نفسه إلى الزهد في الدنيا. وفي يوم زعم برلام أن له عيدًا يريد أن يحضره مع أصحابه. فقال له ابن الملك: أنا أخرج معك. فقال له برلام: إن خروجك معي فيه تحريض للملك عليّ وعلى أصحابي، وإن بقاءك عند الملك يكفّه عن أهل الدين، وفي ذلك عبادة لك. وخرج برلام بعد أن تعاهدا على أن يرجع لابن الملك قبل أن يحل الحلول»[94].

وبمقارنة هذه القصة بقصة اهتداء بوذا[95] نرى الشبه الكبير للغاية ما جعل الكثيرين من الباحثين يحاول فهم الصلة بين عرب الجاهلية والهند القديمة ليجد جذور القصة. فقد ارتبطت الهند مع البلاد العربية بعلاقات قوية على مر العصور، «وكانت السفن الهندية تتردد من ساحلها الغربي إلى مواني الخليج العربي منذ أقدم العصور. وفي هذا العصر أصبح ميناء باريغازا Barygaza على الساحل الغربي الهندي همزة الوصل بين الهند والخليج العربي. وكان هذا الميناء على مقربة من بومباي، ولذلك كان يربط بينه وبين وسط الهند وشمالها طرق برية آمنة ممتدة»[96]. وقد كان في شبه الجزيرة العربية أصنام منها «أساف» وهو صنم من أصنام مكة، يذكر

---

(94) مراد كامل وآخرون: تاريخ الأدب السرياني. ص 172–177

(95) لمعرفة قصة اهتداء بوذا ارجع إلى:

حبيب سعيد: أديان العالم. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية. القاهرة. لات. ص92–95،

أحمد شلبي: أديان الهند الكبرى. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة 2000. ص 141–145،

كارل ياسبرز: فلاسفة إنسانيون. ترجمة د. عادل العوا. عويدات للنشر والطباعة. بيروت. 1988. ص 58–62،

محمد إسماعيل الندوي: «الهند القديمة حضارتها ودياناتها». دار الشعب. القاهرة 1969. ص 145–146

(96) محمد إسماعيل الندوي: «الهند القديمة حضارتها ودياناتها». ص209.

في الغالب مقرونًا بـ «نائلة». وتقول الروايات إن رجلًا وامرأة من جُرهم كان يعرفان بهذين الأسمين فجرا في الكعبة، فمسخا حجرين ووضعا على الصفا والمروة عبرة للناس، فعبدتهما قريش فيما بعد بإرشاد عمر بن لحي»[97]. فهل من المحتمل أن تكون كلمة «أساف» مقرونة بالصنم قد وصلت إلى الهند عن طريق العلاقات التجارية والاتصال الحضاري بين الهند وبلاد العرب، ويصبح بوذآساف أي صنم بوذا؟[98].

المشهور أنه قبل الميلاد انقسمت البوذية إلى بوذية الشمال وبوذية الجنوب، إلى ماهايانا Mahayama (العجلة الكبرى)، وهينايانا Hinayana (العجلة الصغرى) وفي المهايانية تغير الدور الذي يعزوه الإنسان لنفسه كإنسان... فجميع الناس وجميع الكائنات الحية، تملك أن تصبح الدرجات الأولى لبوذا قادم، أي لما تسميه «بوذيساتفا» Bodhisattva وهو لن يدخل النيرفانا لسبب واحد وهو أنه يريد أن يتجسد من جديد كبوذا حتى يجلب الخلاص للآخرين، وفي إمكان كل أمرئ أن يبلغ هذا الهدف، يمده خلال الطريق عون الذين أصبحوا من قبل بوذيساتفا[99].

إن البوذيساتفا الذين يتعرضون لتهلكة العالم إلى أن تخلص جميع الكائنات يتميزون بالبطولة والرحمة، ولم يعد البوذي المؤمن يتطلع إلى المثل الأعلى للناسك المعتزل، بل إلى المثل الأعلى (للبوذيساتفا)

(97) دائرة المعارف الإسلامية. جـ3. ص28. دار الشعب.

(98) القس الدكتور فريز صموئيل: قبر المسيح في كشمير http://alkalema.net/kabr/c9.htm

(99) معرب السنسكريتية बोधिसत्त्व «المستنير»، يقال بوذاسف بالذال. هو اللقب الذي يطلق في البوذية على أي شخص يشعر برغبة كبيرة لتحقيق البوذوية لصالح جميع الكائنات.
«Bodhisattva». Collins English Dictionary.
David Drewes. *Mahāyāna Sūtras and Opening of the Bodhisattva Path*, Paper presented at the XVIII the IABS Congress, Toronto 2017.
A.L. Basham,. The evolution of the concept of the bodhisattva. In: Leslie S Kawamura, *The Bodhisattva doctrine in Buddhism*. Published for the Canadian Corporation for Studies in Religion by Wilfred Laurier University Press, 1981., p.19

الرؤوف بالجميع. الأول كان يعتنق مذهب مستويات التأمل، والثاني يتعلق بتعليم مراتب الوجود حتى مستوى البوذيساتفا الذي تقبله جماعة بوذا كواحد منهم»[100].

فلِمَ لا يكون القبر في كشمير قبر واحد من هؤلاء «البوذيساتفايين»، وتحرفت الكلمة مع الزمن من بوذيساتفا إلى بوذاساف وقد خلده الناس على مر العصور، وربما كان في وقت من الأوقات مزارًا هامًا ومكانًا مقدسًا لدى أتباعه[101].

10- التصوف الإسلامي وقصة بوذا

نجد في قصص المتصوفة المسلمين شبهًا كبيرًا بقصة بوذا على حد رأي المستشرق غولدزيهر الذي يقول إن قصة تصوف إبراهيم بن أدهم البلخي[102] صيغت على نمط قصة بوذا[103]. والحال أن بلخ اشتهرت بانتشار الأديرة البوذية فيها كما بنشاط الدعوة البوذية في زمن ما قبل الإسلام في خراسان وشرق بلاد فارس[104]. ويقول حامد عبد القادر: «ليس ببعيد أن التصوف الإسلامي قد تأثر إلى حد ما بالبوذية، فقد ترعرع التصوف الإسلامي في شرق إيران حيث كانت البوذية قد فشت قبل الفتح الإسلامي بنحو ألف عام... ولا ريب أن سيرة بوذا وحياته الخاصة قد راقت في أعين كثير من الناس، وأن فريقًا من الملوك

(100) كارل ياسبرس. فلاسفة إنسانيون. ص 107.

(101) القس الدكتور فريز صموئيل: قبر المسيح في كشمير. مرجع سابق

(102) إبراهيم بن إدهم بن منصور بن يزيد بن جابر. زاهد مشهور من كورة بلخ. تاريخ وفاته بين سنتي 776 و783م.

(103) دائرة المعارف الاسلامية مجلد1. طبعة دار الشعب القاهرة. ص 153

(104) دي لاسي أوليري: الفكر العربي ومركزه في التاريخ. نقله إلى العربية وعلق عليه إسماعيل البيطار. ط.1، دار الكتاب اللبناني 1980. ص 163.

والأمراء قد سلكوا مسلكه[105]. وينقل حامد عبد القادر القصة التالية عن إبراهيم البلخي: «... ويروى التاريخ عن إبراهيم بن أدهم بن منصور البلخي، أنه كان إبراهيم من أبناء الملوك، يرفل في حلل النعيم، ويستمتع بقدر غير يسير من الجاه والسلطان. روي أنه بينما كان جالسًا على باب قصره يومًا ما، وقد اصطف خدمه وحشمه على مقربة منه، وإذا بدرويش يصل من عرض الطريق ويريد أن يدخل القصر، فقال له الحشم إلى أين تذهب أيها الشيخ؟ فقال الشيخ: أريد أن أدخل هذه الاستراحة. فقالوا له: هذا قصر سلطان بلخ، وليس استراحة. فقال الشيخ: لا إنه استراحة. وسمع السلطان هذا فاستدعى الدرويش، ولما مثل بين يديه قال له: أيها الدرويش، هذه داري فكيف تقول إنها استراحة؟ فأجاب الدرويش: يا إبراهيم أتأذن لي أن أسألك بعض الأسئلة؟ ملك من كانت هذه الدار في أول الأمر؟ فقال السلطان: كانت ملك جدي. فقال الشيخ: وملك من صارت لما توفى جدك؟ فأجاب السلطان: ملك أبي، فقال الدرويش: وإلى من آلت بعد أن توفى والدك؟ فأجاب السلطان: آلت إليّ. فقال الدرويش: وإلى من تؤول بعد أن تتوفى؟ فقال السلطان: تؤول إلى ابني، وحينئذ قال الدرويش: يا إبراهيم، إن المكان الذي يدخله واحد ويخرج منه هو استراحة، لا دار إقامة، فتأثر إبراهيم بذلك. وخرج ابن أدهم يومًا للصيد فأثار ثعلبًا أو أرنبًا، وبينما كان يجدّ في طلب فريسته إذا به يسمع هاتفًا يقول له: يا إبراهيم ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت؟ ثم هتف به أيضًا فسمعه كأنه يخاطبه من قربوس سرجه ويقول: يا إبراهيم والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت. فنزل إبراهيم عن فرسه، وصادف راعيًا لأبيه يلبس جبة صوف فأخذها ولبسها، وأعطى الراعي فرسه وكل ما كان معه، ثم أنه دخل البادية ثم رحل إلى مكة فدخلها... ثم انتقل إلى

(105) حامد عبد القادر: بوذا الأكبر. مكتبة نهضة مصر 1957. ص 157–158. وانظر أيضًا: محمد غلاب «التصوف المقارن». مكتبة نهضة مصر. لات.، ص 54–55.

الشام ومات بها... من هنا نرى أن غولدزيهر على حق حين يقول: «إن قصة إبراهيم بن أدهم تشبه قصة بوذا نفسه، فكلاهما كان أميرًا تخلى عن إمارته، ثم سلك مسلك التبتل والتعبد». فهل كان إبراهيم على علم بقصة بوذا لأنه بلخي، وبلخ عاصمة بختر (باكترا القديمة) القريبة جدًا من مسقط رأس بوذا»[106].

«وتذكر رواية أخرى أنه وهو أمير في بلخ كان نائمًا في غرفته ذات ليلة، وكان الحارس نائمًا فوق سطح هذه الغرفة فسمع ضجيجًا ووقع أقدام فوق السقف، فسأل عن مصدر هذه الجلبة، فأطلت كائنات من نوافذ الغرفة وأجابته قائلة: إننا نبحث عن إبل. فسأل إبراهيم قائلًا: وهل يبحث عن إبل فوق السقف؟ فأجابته الأشباح قائلة: وأنت كيف تحاول الاتصال بالله وأنت جالس فوق العرش. فأثرت هذه العبارات في نفس الأمير تأثرًا دفعه إلى مغادرة قصره وهجران ثروته. ومنذ ذلك العهد انقطع عن العالم وتفرغ للعبادة والتأمل في مصنوعات الله حتى هذه من أجلاء الصوفية... هذه هي الصورة التي قدمتها إلينا الأساطير عن إبراهيم بن أدهم... تلك الأساطير التي تشبه أساطير بوذا، بل لعلها مأخوذة منها»[107].

---

(106) بوذا الأكبر. ص156-157.

(107) التصوف المقارن. ص55

الخاتمة

1- هرمس والفلسفة الإشراقية

يذهب محمد غلاب إلى أنّ: «الإشراق في العالم الحسّي هو اللؤلؤ الأخّاذ، وسطوع الأضواء الأولى، لأشعّة الشّمس عند طلوعها من الشّرق، ويرمز به في العالم العقلي إلى لحظة ظهور المعرفة، أو ظهور الأنوار العقليّة وإشعاعها في النّفوس، التي عرفت كيف تتخلّص من الحوّاس. إذن ليست الإشارة هنا إلى معنى جغرافي، بل المراد هو المعنى الرّمزي؛ لأنّ المعرفة المقصودة بهذا الاصطلاح مؤسّسة على الإضاءة الباطنيّة، أو الـكشف والرؤية الصوفيّة أو المشاهدة[1].

نفهم من معنى الإشراق إذن أنه المعرفة الحقّ بحسب فلسفة الإشراقيين أو المشرقيين، وتحصل هذه المعرفة عن طريق النور الذي يمنحه العقل الهادي إلى طريق المعرفة الحقّ، وهذا العقل يمثله الحكماء الأصفياء المطهّرون المقدّسون لأنّهم يتحرّرون من المادّة، وتصعد نفوسهم النّاجية إلى السّماء، في حين تندمج أجسامهم مع جسم كوكب من الـكواكب، وتبقى النّفوس الأخرى تعيش في غربة؛ لأنّها حبيسة

(1) محمد غلاب: التنسك الإسلامي، منشؤه، وتطوره، ومذاهبه ورجاله، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، د.ت، ص 112

المادّة أي الجسد، ولا يمكن أن تتخلّص من هذه الغربة إلاّ إذا تخلّصت من ربقة المادّة، والتحقت بالعالم العلوي. يذهب أغلب المهتمّين بهذا الفكر الإشراقي إلى أنّ أصوله ترجع إلى الفلسفة الهرمسيّة، وهي في أصلها فلسفة تقوم على ردّ الفعل ضدّ العقلانيّة الأرسطيّة، ولها امتداد على ما يذكر محمّد غلاّب[2] عن السّهروردي المقتول (ت 587/ 1191م) في كتابه «حكمة الإشراق»، إذ «وُجدت في فارس القديمة طائفة أخرى غير طائفة المجوس، كانت تتلقى الهداية من الله، الذي كان يرشد حكماءها الأجلاء، وكان مذهب النور الذي تدين به قد شهد به هرمس وفيثاغورس وأفلاطون، ثمّ بعثه السّهروردي من جديد متبعًا لتأصيل هذه الفلسفة الآية 35 من سورة النور»:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأمثال لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

وتتأسس الفلسفة الإشراقيّة على رؤيا هرمس[3] وهو يخاطب

(2) التنسك الاسلامي، المرجع السابق، ص 114

(3) يقول هرمس: «انكشف أمامي كل شيء في لمح البصر، فرأيت مشهدًا لا حدود له، لقد تحوّل كل شيء نورًا ناصعًا بهيجًا أخذ بلبي بمجرّد أن أبصرته، وبعد ذلك بقليل ظهرت ظلمة داكنة مرعبة متّجهة ناحية الأسفل، منعقدة ملتوية، فبدت لي كأنها أفعى. ثمّ تحوّلت هذه الظلمة إلى ضرب من الطبيعة الرطبة، تهتزّ اهتزازًا يدقّ عن الوصف، وترسل غموضه على تشبيهه بصوت بخارًا كما ترسل النار الدخان، محدثة صوتًا كالأنين لا يوصف، ثمّ انبعث منها صراخ، حملني النار، هذا بينما انبجست من النور كلمة مقدّسة أحاطت بالطبيعة واحتضنتها، فانطلقت خارج الطبيعة الرطبة، نار صافية اتّجهت صوب الأعالي، لقد كانت خفيفة خفيفة حيّة وفي نفس الوقت ملتهبة، ثمّ بعد ظهور هذا النفس الناري انطلق الهواء، لخفّته مفارقا الأرض والماء متّجها إلى أعلى، حتّى أدرك النار، وبدأ كأنه معلّق عليها...، ثمّ إنّ بوامندريس خاطبني =

بوامندريس، العقل الكلي المهيمن، الذي يحتلّ مرتبة الإله المتعالي. وفحوى هذه الرؤيا أنّ هرمس عرف مصدر وجود الإنسان الخيّر، وهو الإنسان السماوي ابن الله الذي حقق خلوده في عالم النور والإشراق، في حين بقى مصير الإنسان المشدود إلى جسمه رهين الموت، إذ ذاك حقّ لهذا الجسم أن يرجع إلى الطبيعة، أي إلى الظلمة الأولى. لقد تجلّت فلسفة الإشراق في أدبِّيّات الإسماعيلية من خلال نظرية (الإمامة والنبوّة والولاية) عندهم، إذ يذهب الداعي إبراهيم الحامدي (ت 557/ 1162) في كتابه (كنز الولد) إلى أنّ أدوار النبوّة السّبعة من آدم إلى القائم المنتظر، يربطهم نور ساطع، هو العمود الذي يصل الإمام بخالقه، يقول: «هو نور ساطع متصل بالنفوس الخيّرة...، هو العمود الذي يذكرون أنّه بين الإمام وبين باريه، عمود من نور، مجرى الوحي على ممر الدهور، وطرفه الثاني بأيدي عبيده، هو الحبل المذكور أن طرفه بيد الله وطرفه الثاني بأيدي عبيده، يدرك به ما في العالم العلوي وما في العالم السفلي»[4].

وبعد، فإنّ أصول هذه الفلسفة المشرقيّة كانت في الحقيقة على يد ابن سينا (427هـ/ 1037م)، وبخاصّة في كتابه: (منطق المشرقيين)، الذي شكّل رؤية خاصّة في موضوع النّفس والمعاد. فبعد أن قسّم الوجود إلى

= قائلا: ها عرفت ما يعنيه هذا المشهد؟ قلت: سأعرف ذلك منك، قال: أمّا النوّر فهو أنا العقل، إلاهك الموجود قبل ظهور الطبيعة الرطبة خارج الظلمة، أماّ الكلمة النورانيّة الصادرة من العقل فهي ابن الإله».

André-Jean Festugière *La Révélation d'Hermès Trismégiste*, Paris, Les Belles Lettres, 1944-1954 (4 volumes)

vol. I: *L'astrologie et les sciences occultes* (1944), xiv-424 p. ;

vol. II: *Le dieu cosmique* (1949), xvii-610 p. ;

vol. III: *Les doctrines de l'âme* (1953), xiv-314 p. ;

vol. IV: *Le dieu inconnu et la gnose* (1954), xi-319 p.

Vol. 2, p.153

(4) إبراهيم الحامدي: كنز الولد، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، 1979، ص 173

عشرة عقول، كلّ تال منها أدون من الأول[5]، رأى أنّ النفس هي جوهر روحاني، يستعدّ للرجوع إلى ربه متى اكتسب المعارف التي تجعله ملَكًا من ملائكته، ولا يتسنّى لها ذلك إلاّ متى انسلخت عن الأبدان. يقول ابن سينا: «وهذا هو رأي الحكماء الإلهيين والعلماء الربانيين، ووافقهم في ذلك جماعة من أرباب الرياضة وأصحاب المكاشفة، فإنهم شاهدوا جواهر أنفسهم عند انسلاخها عن أبدانهم واتصالها بالأنوار الإلهيّة»[6].

وهكذا يربط ابن سينا سعادةَ الإنسان باتصال النّفس بالعقل الفعال، الذي تفيض منه قوّة كقوّة الشمس إلى البصر، ولا يتسنّى ذلك إلاّ إذا استخدم الإنسان البدن آلة تنقله من العقول التي هي بالقوّة إلى العقل العاقل بالفعل. يقول: «والذي عليه المشرقيون أنّ الاستكمال التامّ بالعلم، إنّما يكون بالاتصال بالفعل بالعقل الفعّال، ونحن إذا حصلنا الملكة، ولم يكن عائق كان لنا أن نتّصل به متى شئنا، فإن العقل الفعّال ليس مِّمّا يغيب ويحضر، بل هو حاضر بنفسه، وإنّما نغيب نحن عنه بالإقبال على الأمور الأخرى، فمتى شئنا حضرناه»[7].

(5) أبو علي ابن سينا: النجاة مختصر الشفاء في الحكمة المنطقيّة والطبيعيّة والالهيّة، مراجعة ماجد فخري، بيروت، دار الآفاق، 1985م، ص 334، «الوجود إذا ابتدأ من عند الأوّل لم يزل كلّ تال منه أدون مرتبة من الأوّل، ولا يزال ينحطّ درجات: فأوّل ذلك درجة الملائكة الروحانيّة المجرّدة التي تسمّى عقولًا، ثمّ مراتب الملائكة الروحانيّة التي تسمّى نفوسًا وهي الملائكة العمليّة، ثمّ مراتب الأجرام السماوية، وبعضها أشرف من بعض إلى أن تبلغ آخرها، ثمّ من بعدها يبتدئ وجود المادّة القابلة للصور الكائنة الفاسدة، فتلبس أوّل شيء صور العناصر، ثمّ تتدرج يسيرًا يسيرًا فيكون أوّل الوجود فيها أخسّ وأرذل مرتبة من الذي يتلوه، فيكون أخسّ ما فيه المادّة، ثمّ العناصر، ثمّ المركبات الجمادية، ثمّ الناميات وبعدها الحيوانات، وأفضلها الإنسان، وأفضل الناس من استكملت نفسه عقلًا بالفعل، ومحصلًا للأخلاق التي تكون بها فضائل عملية، وأفضل هؤلاء هو المستعدّ لمرتبة النبوّة».

(6) أبو علي ابن سينا: رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د. ت.، ص 30–31

(7) ابن سينا: تعليقات على حواشي كتاب النفس: لأرسطو، مكتبة النهضة المصرية، 1945، القاهرة، ص 95

2- العرفان والحكمة وصلتها بالجماعات المسيحية الغنوصية الأولى(8)

واعلمي يا نفس أنَّ الإنسان لم يُخلَق لمعنًى من المعاني إلاَّ للعلم والعمل به. هرمس

شروط الكشف... التعريف بما يمكن التعريف به من المبادئ العامة لـ«مسلك الحكمة والتوحيد» – وهو الاسم الحقيقي للدرزية – والاحتراز ما أمكن فيما يجب أن يبقى سرًّا مكتنزًا لا تتداوله أيدي عامة الناس ممَّن لا تتفتح أفهامُهم وأذواقُهم لمعناه، ولا تتوفر فيهم شروطُ الأهلية الروحية والاستحقاق الخُلُقي، ولا يرغبون، في جدِّية وإخلاص، بالانخراط في مسلك هذا العرفان: و«لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا ما اكْتَسَبَتْ» [البقرة 286]. وهل تدرَك صورةُ المعاني في

(8) في منتصف ستينيات القرن العشرين، صدر في البرازيل كتابٌ للسفير الدبلوماسي الدرزي عبد الله منصور النجار (1898–1976) بعنوان «مذهب الدروز والتوحيد» (دار المعارف بمصر، القاهرة 1965)، حاول فيه المؤلِّف أن يبسط فيه مذهب التوحيد الدرزي، تاريخيًّا وعقائديًّا، مورِدًا فيه، للمرة الأولى، مقتطفات من رسائل الحكمة التوحيدية التي لم يكن الاطلاع عليها مباحًا لغير الدروز «المستلمين دينهم». اعترض «شيخ عقل» الطائفة الدرزية آنذاك على «بعض» ما جاء في كتاب النجار ممَّا عدَّه مخالفًا للمذهب ليطالب بسحب الكتاب من التداول، وقامت السلطات اللبنانية بمنع الكتاب ومصادرته في تموز/ يوليو 1965. ثم قام الدكتور سامي نسيب مكارم، بالاتفاق مع المرجعية الدرزية، بنشر دراسة بعنوان «أضواء على مسلك التوحيد» (الدرزية)، بتقديم كمال جنبلاط، دار صادر، بيروت 1966.). كانت مقدمة كمال جنبلاط الطويلة والمفصلة والوافية «محاولة في تفهُّم مصادر وأصول الحكمة والعرفان» وهي نص مهم للغاية للتعرف إلى النظرة الثيوصوفية، الكامنة في الحكمة القديمة والداعية إلى وحدة الجوهر الروحي للإنسانية كافة. وقد ترجم جنبلاط النصوص العائدة إلى الغورو الهندي شري أتمانندا وقام موقع معابر بتنقيحها وعنه نقلناها: راجع: شري آتمانندا، «محاضرة في اللاثنوية»، معابر، تموز 2005، باب «منقولات روحية».

وقد ارتأينا نقل القسم الأكبر من هذه المقدمة لأهميتها في فهم العرفان والحكمة لدى الطوائف وصلتها بالجماعات المسيحية الغنوصية الأولى.

مرآة النفس إلا على قدر ما تكون لها بواطنُ العقول محددة ومستعلية، ومشاعرها مرهفة، وصفائح القلوب متطهِّرة، صافية، نيِّرة؟

مناسبة التأليف... التعرف الأصيل الداخلي، بنظرة أبناء التوحيد أنفسهم، إلى معتقدهم وتوحيدهم. والمسالك الروحانية، كالعقائد في الأديان والمذاهب، هي وجهة نظر شخصية، فردية داخلية subjective، أكثر منها وضعية في المعنى الغرضي للكلمة. وللراغب في التأليف فائدة ومصلحة في أن ينظر إلى المعتقد ويعتبر المسلك من منطلق وجهة نظر معتنقيه. والأصوب طبعًا أن يكون هو ذاته مؤمنًا موحِّدًا لكي يصحَّ له هذا التزاوج والتناغم، في الفهم والإدراك، بين العقل والقلب، بين العاطفة وخيال التصور، بين حدس الذهن وتوق الإرادة. وفوق ذلك، فإنه يكون لمثل هذه المشاركة في التأليف والمبادلة المثمرة في الرأي بين المؤمن الموحِّد والمؤرخ، المؤلِّف والمتعبِّد، وتداخُل هذه المواجهات وتجاوُب بعضها بعضًا، في سعي التقصِّي والتدقيق واستجلاء الغامض، ما يلقي ضوءًا سليمًا واقعيًّا، أي حقيقيًّا، على مفاهيم المعتقد.

فريضة الوعظ وحدودها... ونعتقد، مخلصين في ذلك، أن في هذا التوجُّه والسعي واجبًا يترتب على المشايخ والمسؤولين الروحيين ونفر من المثقفين الذين تتوفر فيهم الأمانة الروحية ويستطيعون الولوج في مثل هذه الأبحاث المفيدة الشيقة الدقيقة، وأن عليهم أن يعكفوا على هذه المشاركة في التأليف والعمل وأن يوحِّدوا جهودهم في التبيان والاستطلاع إذا أردنا أن نتجنب أو نتفادى قيام عزلة فكرية وفاصل معنوي بين هؤلاء المسؤولين الروحيين وبين رعيل من المثقفين بالعلم العصري المادي، وإذا شئنا فعلاً أن نقوم بما نلتزم به، دينًا ودنيا، من فروض الوعظ والإرشاد والتنوير التي يحتِّمها واجبُ الضمير ومتطلباتُ المعتقد ذاته. وكيف يتسنى لمن لا يعرف شيئًا عن مبادئ دينه العامة أن يسترشد به، وأن ينطبع بقالبه، وأن يتشخَّص في صورته، وأن ينتسب

روحيًّا – وحتى اجتماعيًّا – إليه، دون أن يتجاوز أحدٌ، في كلِّ حال، حدَّ ما لا يحق كشفُه إلا للمتعبدين الصدِّيقين والصالحين المحترزين، أي للمريدين: «وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ» [الذاريات 56]، أي على حدِّ تعبير أحد كبار الصوفيين: «إلاَّ ليعرفونِ». على أن هذه المعرفة، كما سبق وأشرنا، نوعان: معرفة عقلية أو عبادة صورية، وذوق عرفاني؛ أو كما كان يقول الشبلي: «المحب إذا لم يتكلم هلك، والعارف إذا تكلم هلك.» أو قوله، رضي الله عنه: «مَن طَلَبَه به تعالى صحَّ توحيدُه، ومَن طَلَبَه بنفسه لم يصح له توحيد»، على أنه وقف في مقام الدين. أما الطلبة الأولى فهي منه إليه، لا تستنفر إليها سوى الخاصَّة المختارة والصفوة المتقربة، كما روى ابن حضرويه – رضي الله عنه – عن أبي يزيد البسطامي: «ما كلَّمتُ أحدًا من الناس إلا دعوته إلى الله ثم كلَّمتُه، إلا أبا يزيد: فإنِّي متى أردت أن أكلِّمه دعوتُه من الله ثم كلَّمتُه.» أو كما وَرَدَ في توحيد الأوپنشاد الهندية:

كلاَّ إن هذا الآتمَن [أي الذات الجوهرية] لا يُكتنَه بالعقيدة، ولا بتقديم الأضاحي، ولا بتعاليم كثيرة. لا يكتنهه إلا الذي هو اختاره: فالآتمَن هو الذي يكشف له طبيعتَه الخاصَّة [فقرة 3 من 2 – III] بنعمة المعرفة [فقرة 8 من 1 – III، أوپنشاد مُنداكا].

أو كما جرى على لسان الصوفيين وفي عرفهم[9]:

من سارَرُوهُ فأبْدى كلَّما سترُوا ... ولم يُراعِ اتِّصالاً كانَ غشَّاشَا

مَن لم يَصُنْ سرَّ مولاهُ وسيِّده ... لم يأمنوهُ على الأسرار ما عاشَا

وعاقَبوهُ على ما كانَ من زَلَل ... وأبدَلوهُ مكانَ الأُنْسِ إيحاشَا

(9) تُنسَب هذه الأبيات إلى أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج، من قصيدة الأهوال أمانات عند أهلها من ديوان الحلاج

ولابن عربي في المعنى ذاته:

فافهم فَدَيتكَ سِرَّ اللهِ فيك ولا   تُظهِرْه فَهوَ عَنِ الأغيـار مكنـونُ
وغِـرْ عليه وصُنْهُ ما حَيِيتَ بـه   فالسِّـرُّ مَيْتٌ بقَلبِ الحُرِّ مدفـونُ

أو كما عبَّر عن ذلك الحسين بن منصور الحلاج - قدَّس الله سرَّه - في صلاته الشهيرة قبيل استشهاده:

وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلي تعصُّبًا لدينك وتقرُّبًا إليك - فاغفر لهم. فإنك لو كشفتَ لهم ما كشفتَ لي لما فعلوا ما فعلوا، ولو سترتَ عني ما سترتَ عنهم لما ابتليتُ بما ابتليت. فلك الحمد فيما تفعل، ولك الحمد فيما تريد.

السريَّة في المسلك... وهذه السرية كانت نهج حكماء الهند ومصر القديمة والصين وإيران واليونان وسواهم من الأقوام، ولا تزال ميزة مَن لا يزالون تعمُر حياتُهم وأرواحُهم بمسلك الحكمة القديم المتصل المتجدد أبد الدهر. والسبب الجوهري لمثل هذه السرية ليس هو «التقية» بمعنى الخشية، بل الصفة الملازمة لهذا العرفان ذاته الذي هو محض اختبار، ولا يتحقق إلا في سرِّ البصيرة العقلية والخاطر. ولا يرتقي إلى مثل هذا المقام علمُ العقل والمادة والغرض، بل ذوقُ عرفان هذا المقام، كمن يسير وينجذب إليه في آنٍ واحد، أو يجذبه هو إليه من فنائه إلى بقائه، ومن عقله المتبدل إلى يقظته التي لا تبدأ ولا تتبدل ولا تزول[10]:

أنتَ بينَ الشِّغافِ والقلبِ تجري   مثل جَريِ الدُّموعِ من أجْفاني
وتُحِـلُّ الضَّـمـيـرَ جوفَ فُؤادي   كحُلولِ الأرواحِ في الأبْـدانِ

***

(10) الأبيات التالية منسوبة أيضًا إلى الحسين بن منصور الحلاج

يا موضعَ النَّاظرِ من ناظِـــــري ويـا مكانَ السّـرِّ من خَاطِـــري

***

مَواجيد حـقٍّ أوجدَ الحَقُّ كلَّهـــا وإنْ عجزَتْ عنها فُهومُ الأكابِرِ

وما الوَجـدُ إلاَّ خطوةٌ ثم نظـــرَةٌ تنشِّي لهيبًا بين تلكَ السَّـــرائِرِ

إذا سكَنَ الحقُّ السَّريرةَ ضُوعِفَت ثلاثَةُ أحْوالٍ لأهـلِ البَصـــائِرِ

فحالٌ يبيدُ السِّـرَّ عن كُنْهِ وَصْفـهِ ويحضرُهُ للوَجْد في حالِ حائِــرِ

وحالٌ به زمَّت ذرَى السِّرِّ فانثنَتْ إلى مَنظرٍ أفنـاهُ عن كلِّ ناظِـــرِ

ولا نجد للتفريق والتمييز بين المواجهتين، السفلية والعليا، الدنيا والمتدلِّية، في توجُّه العامة ومسلك الخاصة أفضل من قولهم[11]:

وأيُّ الأرضِ تخلو منكَ حتى تَعالَوْا يَطلبُونَكَ في السَّـماء

تَراهـم يَنظـرُون إليـكَ جَهـرًا وَهُم لا يُبصرُونَ مِنَ العَمـاء

والفارق أيضًا، إذا استطعنا الإشارة والدلالة، هو أن هذا «التوحيد المحض» [الأدفيتا فيدنتا]، أو مسلك الأحدية، «ليس مذهبًا دينيًّا»، على حدِّ تعبير الحكيم شري آتماننداا الفيدنتي – ونستعيره لأن هذه الشروح أوضح من سواها – وهو:

الفيدنتا ليس مذهبًا على الإطلاق. الفيدنتا يعني غاية المعرفة. هو الحق وحده الدالُّ على الحق. وهو لا ينازع أيَّ دين، بل يقول فقط لجميع المتديِّنين: «يا صاحبي العزيز، على قدر ما ذهبتَ إليه أنت على صواب. لكنْ رجاءً ارتقِ أكثر.» الفيدنتا لا يختص بأيِّ دين بعينه، بل يستعلي عن الأديان جميعًا، وهو في الواقع غاية جميع الأديان.

---

(11) البيتان للحلاج

إن الفيدنتا وحده، الذي يدوم بوصفه الخلفية، هو الذي يهب الحياةَ للأديان طرًّا.[12]

المسلكان الرئيسيان للعرفان والتوحيد: ولا يفوتنا أن نوضح أن مسلك الحكمة والتوحيد المحض، في الأوَّلين وفي الآخرين على حدٍّ سواء، هو على نهجين في الاقتراب من الكشف والسعي إلى نيل الحقيقة الأخيرة وفق تحديد مذاهب الحكمة القديمة:

– النهج أو الطريق «الكوني» Cosmogonic Way، أي التعرف إلى الذات الجوهرية من خلال تحليل الكون ومفهوم الخالق والخليقة، ارتفاعًا من الكثيف إلى اللطيف، ومن المفهوم الفكري لروح الكون، الذي نسمِّيه المولى أو الله، إلى الجوهر الفريد الساطع في كلِّية مجده: برهمَن أو الحق.

– النهج أو الطريق «المباشر» الذي يقصد التعرف إلى الحق – تنزَّه وتعالى عن كلِّ تنزيه واعتلاء – من خلال الإنسان ذاته ومن معراج الروح الإنسانية التي يسكنها الحق تعالى أو الآتمَن العظيم، كما يسكن هذا العالم بأسره، إذا جاز لنا القول، وينيرها كما ينير كلَّ ذرة من ذراته. «اعرف نفسك»، على حدِّ ما كان منقوشًا على مدخل هيكل دلفي Delphi الشهير في يونان الحكماء الأقدمين وفي حقيقة ما يعبِّر عنه الشاعرُ في قوله:

دواؤكَ منكَ وما تَشعُـر وداؤكَ فيــكَ وَمــا تُبصــرُ
وتَزعمُ أنك جِرْمٌ صَـغيرٌ وفيكَ انطَـوَى العالمُ الأكبرُ

(12) «Vedantam is not a system at all. Vedantam means the end of knowledge. It is Truth alone pointing to Truth. It has no quarrel with any religion. It only says to all religionists: «Dear friend, so far as you have gone, it is all right. But please come higher still.» Vedantam does not belong to any particular religion, but transcends all and is in fact the fulfillment of all religions. It is Vedantam alone, remaining as the background, which gives life to all religions.» (Spiritual Discourses, p. 105)

أو قول الآية القرآنية الكريمة: «وَفي أَنْفُسِكُم أفَلا تُبْصِرُونَ» [الذاريات 21]؛ والآية: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ» [ق 16]؛ و»مَن عرف نفسه فقد عرف ربَّه» (حديث)؛ و»إن للربوبية سرًّا، هو أنت، يخاطبه كل عين، لو ظَهَرَ لبطلت الربوبية» (سهل التُّستري).

وهاتان المواجهتان للحقيقة الأخيرة أو للوجود الحقيقي تعمر بهما وتتَّسم مسالكُ جميع أرباب العرفان والحكمة منذ أقدم العصور. فتارة يكون النهج «الكوني» هو السائد عند فريق من العارفين، وأخرى يكون النهج «المباشر» هو الذي يتَّبعه ويوحي به أربابُ المعرفة الأخيرة. وكلتا المواجهتين واحدة في الوصول إلى الغاية والتحقق بالجوهر المبدع الأصيل. وأحيانًا يكون الأسلوبان والنهجان مختلطين ومتمازجين، كما هو واقع بعض طُرُق العرفان والحكمة في الصوفية الإسلامية ذاتها وفي التوحيد الدرزي. و»العقل الأرفع» vidhya vritti، أو «العقل الكلِّي»، أو «المطاع»، على حدِّ تسمية الغزالي - رضي الله عنه -، هو الناظر والمنظور من خلاله في آنٍ واحد وفي كلِّ حال، البصيرة والمجهر. فالذي يريد معرفة حقيقة الماء يستطيع ذلك وفق قول شري آتماننداا:

النفوس الفردية، كالأمواج في البحر، تنوجد، ترتفع، ثم تسقط، يقارع بعضُها بعضًا ثم تفنى.

تولد الأمواج وتحيا وتموت في البحر ذاته، وتولد النفوس الفردية وتحيا وتموت في المولى[13].

(13) «Jivas, like waves in the sea, come into being, rise and fall, fight against each other and die.
«Waves have their birth, life and death in the sea itself, jivas in the Lord.»

يمكن بلوغ الماء مباشرة من خلال الموجة باتباع الدرب المباشر. فإذا اعتمدنا الطريق عِبْرَ البحر نكون في حاجة إلى زمن أطول بكثير(14).

هذا ما يجب دائمًا أن نتنبَّه إليه عندما نقرأ أقوال الحكماء والعارفين، لكي نستطيع الفهم والتمييز ولا نتعثر في إدراك اختلاف المسالك.

الثنائية المعتدلة: وتجب الإضافة أن بعض التوجهات تتوقف أحيانًا عند الإطلالة الأولى أو الثانية من الطريق، فلا تعبُر تمامًا واكتمالاً من الثنائية والازدواجية الظاهرة والباطنة إلى الأحدية الصرف. ويسمون ذلك «الثنوية المعتدلة» Semi-dualism.

سبب السرِّية: ومن القواعد الألفية المكرَّسة في مسالك الحكمة والعرفان أن يحافظ المؤتمَنون على السرية لسبب جوهري توضحه الكتبُ المقدسة:

تهيب الكتب المقدسة بالمجاهدين الروحانيين «ألا ينطقوا بالحقيقة المجرَّدة لأشخاص يغلب عليهم الفكر» لأن الحقيقة تتأذَّى من جراء ذلك. أمثال أولئك المستمعين يؤوِّلونها بحسب النسبية الموضوعية المعتادة التي لا يعيشون إلا فيها. إنهم يجدون أن من المتعذر مصالحة الحقيقة على هذا النحو. إذ ذاك يبدؤون في الهزء من الحقيقة نفسها، وهذا بالطبع يقودهم إلى التهلكة. لذا عليك أن تحاول تجنُّب مثل هذه الكارثة مهما كلَّف الأمر(15).

(14) Water can be reached straightaway from the wave by following the direct path. If the way through the sea is taken, much more time is needed.» (Atma Darshan, p. 8)

(15) Spiritual sadhakas are strictly enjoined by the Sastras «not to speak the naked truth to purely minded persons.» Truth suffers thereby. Such listeners interpret it in the customary objective Relativity in which alone they live. They find it impossible to reconcile the truth this way. So they begin to ridicule truth itself. This naturally drives them to perdition. You must try to avoid such a catastrophe at all cost.» (Spiritual Discourses, p. 102)

الإصلاح الحقيقي وشروط الولاية الروحيَّة: وهؤلاء الذين يبتغون الإصلاح صنفان، وكلاهما مشغوف بكلمتي التنظيم والتجديد:

الأول يحاول تنظيم جماعة العقَّال والنسَّاك والتقاة والموحدين على مثال ما استوحى من النظام الكنسي الإكليركي – وهو أمر غير مرغوب فيه، ويناقض سنَّة السلف الصالح. إنما يجب أن يُترَك للعقَّال أمرُ تقرير عاداتهم وطقوسهم وسيمهم وسُننهم الألفية وما يرتضونه من تطوير في ذلك يقتضيه تبدل أحوال الزمان وشيوع المعرفة العلمية.

وكل إصلاح حقيقي في هذا الباب يكون بالعودة إلى نظام السلف الصالح والمشايخ السابقين – و«لا إكراه في الدين» [البقرة 256]. والتنظيم الطقسي إلزام لا مبرِّر له في حدِّ ذاته. إنما المؤمنون هم جماعة من «الفقراء»، في المفهوم المعنوي أو المجازي للكلمة: أي أنهم تجرَّدوا ما استطاعوا من الرغبة في فائض الدنيا وبهرجة حلالها، وترفَّعوا عن انجذاب الجاه والمال والمجد الخارجي وشهوة الحواس، إلا فيما أجازتْه الطريقةُ لهم وأذِنَ به أدبُ السلوك. فهم على شاكلة المتصوفين المسلمين المتقدمين: فيجب أن تكون لهم الحرية في اتِّباع أفضل السبل وخير المسالك إلى ما يتطلعون إليه من التحقق بالمعرفة الروحية، والتمرُّس بالفضيلة، والتجمُّل بالتقوى – وهي اتِّقاء في جميع الأحوال، وهي «التقية» الحقيقية.

وقد تتنوع مسالك اليوم في تفرعاتها وفق حاجة العصر وتبدُّل الظروف الاجتماعية والأزمنة؛ ولكلٍّ منها درجات ومقامات والتزامات. فلا يجوز أن يُفرَض على الموحدين، ضمن هذا الإطار الشامل للتوحيد، سَمْتٌ واحد وتقليد واحد وهذا التنظيم الطقسي الذي هو أبعد ما يكون عن حقيقة المعتقَد وروحه وتقليده وتوجيهه.

بل إن على الرئاسة الروحية فريضة الإرشاد والوعظ والتوجيه

واسترشاد الأفضل من مقام الأوَّلين الصالحين ومثالهم. ويجب أن تبقى الولاية الروحية الحقيقية للمجلِّين والمتفوِّقين على أقرانهم من المشايخ والعقَّال والمؤمنين والسبَّاقين في مجالي الحكمة والفضيلة. إنما المعتقد الدرزي أو التوحيدي، فوق كلِّ شيء، هو مسلك للتحقق بالعرفان والولاية الروحية والحكمة الزاهرة. أما «الزعامة الروحية»، في المعنى المعروف الشائع، فإنها لا تنطبق على المفهوم التوحيدي الدرزي الأصيل. بل إن الزعامة الروحية الحقيقية هي نقيض الزعامة الوجاهية في القصد الزمني العادي المنطوي على فكرة الرئاسة والمؤسَّس على السلطة والجاه.

هذه الزعامة الروحية الأصيلة هي اشتقاق معنوي وامتداد تاريخي تقليدي لفكرة الإمامة، أي الرشد والحكمة وسلطة التوجيه والتقويم لمن تكون له، من ذاته ومن تحقُّقه وعرفانه، مكنةُ التوجيه وحقُّه واستحقاقه. وهي نوعان: ولاية تنظيم ورعاية للمصالح الشرعية والروحية الظاهرة للجماعة – ولاية القسط فيما بينهم بالعدل؛ وولاية استرشاد بالمثل الأفضل، واهتداء بالولاء الأرفع، واستئناس بالعرفان الأعلى وبالتوجُّه الأصفى. والأفضل والأصح والأنسب طبعًا، والأقرب إلى تمثيل فكرة «الإمامة»، هو قيام الولايتين ووجودهما وتوحُّدهما في الشخص ذاته. فهكذا كان واقع المشايخ السابقين: فالهداية ولاية في حدِّ ذاتها، تفرض نفسَها ولا تُستبعَد ولا تُنكَر.

ويجب أن يبقى أبناء التوحيد محافظين على هذا التكريس والتهيؤ التقليدي والاجتباء الإنساني لفكرة الولاية. لأنه، في النهاية وفي الحقيقة، لا ولاية على الموحدين ولا على الأنام كافةً إلا للعقل الأرفع – صلوات المهيمن عليه: «إنَّها لنفوس اطمأنَّت بسلام نار قدسيَّتها العليا، بجمال كمال إنسانيتها».

العقل الأدنى والعقل الأرفع: أما «العقل» الذي نعني فليس هو العقل في المعنى العادي للكلمة، أي هذه الوظيفة التي تمكِّن من القياس والمقارنة والتمييز والمحاكمة فيما بين أغراض الحواس ومعقولات الفكر، وللاتصال بشؤون هذه الدنيا والتعاطي بأحوالها، والتمكُّن من معالجة ظروف العيش على تنوُّعها. إنما العقل المقصود هو العقل الأرفع: هذا الفيض اللطيف والصورة البسيطة النورانية المتجلِّية في كلِّ حين، وهذه الأداة الإشراقية الرفيعة Supreme Organon، على حدِّ تعبير بعض الحكماء الأصيلين، التي ترجع أحكامُها، وتعود في تقييم موازينها واستنتاج تمييزها وتحليل تجريدها وفصلها ووصلها وقطعها، إلى الحقيقة السرمدية ذاتها، الكامنة في عين نفوسنا واختباراتها، وتتنزَّل منها.

فالعقل العادي يتوجَّه إلى الخارج، ويسترشد في منطقه باختبارات أغراض الحواس وما تعكسه من معقولات عن الدنيا، في إدراكها وفي مرآة الفكر والتذكُّر. وهذه الأشياء والأغراض هي في دورة التبدل والتحول الدائم؛ ولولا هذا التبدل والتغير لما كانت في الظاهر. أي أن هذا العقل العادي يستهدي بنور الدنيا واختباراتها.

أما العقل الأرفع فيستهدي ويستوعب بالحقائق الثابتة وبالاستطلاعات الأزلية المشرفة والاختبارات والتأمُّلات المتجلِّية من الجوهر الكامن في غلاف العقل الظاهر، أي عقلنا الأدنى العادي، ككمون النار في حجره:

هذا، الشاهد على كلِّ شيء، هذا، نور ذاته،
في غلاف العقل، على الدوام يسطع[16].

---

(16) شري شنكاراتشاريا، في وهج التوحيد، ترجمة بيازيد (كمال جنبلاط)، الدار التقدمية، بيروت 2011، ص 4.

وهذا العقل الأرفع هو في صلة واتصال دائم بهذا الجوهر الفرد الفريد، لأنه مدُّه وامتداده، وفيضه ونوره فينا، لا ينفصل عنه ولا يجانبه ولا يستتر في مكاشفته لحظة؛ بينما العقل العادي يتناول في اختباراته العَرَض والظاهر، هذا الذي من طبيعته وإبداعه أن يتبدل ويتحول ويفنى في كلِّ آن.

العقل الأرفع والولاية: ولا تكون ولايةٌ ولا تقوم هدايةٌ ولا تستوي إمامةٌ روحية أو زمنية إلا بالاسترشاد بفيض هذا النور الأول وتنزُّلاته في بيوت قلوبنا وفي معارج هذه النفس الشريفة التي أبدعها من نوره، كقبس منبعث من الشعلة الجوهرية السرمدية، لا تنفصل عنها، وإلا ضلَّت وامَّحقتْ ولحقها العدم.

عيوب الإصلاح السطحي: وصنف آخر من المصلحين – وبعضهم من المثقفين بثقافة العصر العادية السالكة – يحوِّمون من الخارج على الأمانة المستودعة التي خلَّفتْها الأجيال بين أيدي أولي التوحيد والمؤتمَنين عليه، ويدورون حول سدرة المنتهى المستغلقة عليهم، ويرتئون أو يحاولون – باسم هذه الثقافة العصرية العامة السالكة – أن يعالجوا الموضوع، وهم خارجون عن حلقة إدراك التوحيد وبعيدون عن مسلكه وجاهلون (أو متجاهلون) لمضمونه في كلِّ حال.

وهذا الفريق يستوحي ما يبتغيه ويرتئيه من تطوير وإصلاح من بعض مفاهيم المجتمع الحديث وأنظمته ومؤسَّساته الدينية والزمنية. وهؤلاء لا يتنبهون إلى أن هذا المجتمع وأربابه ونخبته الواعية أخذوا، أكثر فأكثر، يحاولون التخلص من مغريات هذا النظام ومفاسده الانحلالية وآفاته وأضراره في عيش الإنسان وفي صحته وفي طباعه وخُلُقه وتوجيهاته، وحتى في سلالته، وهم يستغيثون مما جرَّتْه هذه الحضارة المادية، المتضمِّنة اختلاط القيم، وفوضى الحرية الفردية، والابتعاد عن الأرض وعن الطبيعة، وانهيار مؤسَّسات المجتمع الطبيعية، من بلايا عبَّر

عنها كتابُ العالم المعروف الدكتور ألكسيس كاريل [الإنسان، ذلك المجهول] بشكل خاص، ولا أبلغ ولا أوقع من قوله:

لأن الإنسان عاجز اليوم أن يتَّبع هذه الحضارة في الطريق الذي تتوغل فيه، لأنه ينحط فيها. وإذ بَهَرَه جمالُ علوم المادة الجامدة، لم يفهم أن جسمه ووعيه يمتثلان لقوانين أكثر غموضًا من قوانين عالم الأفلاك، وإن لم تكن لا تقل عنها حتمية، وأنه لا يستطيع أن يخالفها من غير أن يعرِّض نفسه للخطر. [...]

فانتباه البشر يجب أن يتحول من الآلات ومن العالم المادي إلى جسم الإنسان وروحه، إلى السيرورات الفسيولوجية والروحية التي لولاها لما وُجِدَتْ الآلات ولما وُجِدَ كونُ نيوتن وأينشتاين[17].

تنظيم أهل العرفان في الأوَّلين: ثم إن للموحِّدين، على يد بعض الخلفاء الفاطميين وقبلهم في الأدوار السابقة من تنزُّلات الحكمة عبر التاريخ، تنظيمًا خاصًّا بهم مستمدًّا من سُنَن وقواعد وأنظمة ومعرفة بالروح الإنسانية، أثارت جميعها دهش المؤرخين وإعجاب أساتذة التنظيم وقادة الجماعة وأولي الرأي البصير الحكيم. وللتمثيل لا أكثر، نعود بالقارئ إلى التنظيم الذي أبدعه فيثاغوراس – عليه السلام – في مؤسَّسته الشهيرة، وتنظيم جماعة «الأسينيين» Esséniens قبل الناصري بقليل، وشرعة الانتظام في الدعوة الفاطمية.

---

(17) « Parce que l'homme est aujourd'hui incapable de suivre la civilisation dans la voie où elle s'est engagée. Parce qu'il y dégénère. Fasciné par la beauté des sciences de la matière inerte, il n'a pas compris que son corps et sa conscience suivent des lois plus obscures, mais aussi inexorables, que celles du monde sidéral. Et qu'il ne peut pas les enfreindre sans danger. […]

« L'attention de l'humanité doit se porter des machines et du monde physique sur le corps et l'esprit de l'homme. Sur les processus physiologiques et spirituels sans lesquels les machines et l'univers de Newton, d'Einstein n'existeraient pas. » (L'homme, cet inconnu, pp. VI-VII)

ارتباط مسالك العرفان: وفي رأينا أنه لا يمكن النظر إلى مسلك التوحيد منفصلاً ومستقلاً عن مسالك الحكمة والعرفان المتقدمة في أدوار التاريخ المعروف والمجهول، التي عمرت بها حياة المؤمنين الأولين الموحدين في مصر الفرعونية القديمة، وفي الهند وإيران وبلاد التيبت وما وراء الواحات، وفي بابل وآشور، وفي اليونان وفي جزر البحر الأبيض المتوسط وعلى انفراج شواطئه، ثم بعد ذلك في الإسلام، مرورًا بالنصرانية الأولى وما قبلها فيما تكشَّفت عنه مغاورُ البحر الميت في فلسطين، وبالمذاهب العرفانية Gnosticism التي انتشرت في كل صقع من أصقاع العالم القديم.

فالحكمة لا تنفصل، في أيِّ زمان أو مكان، عن الاستطلاع الأخير للعقل ونزعته الجوهرية إلى معرفة مصدر انبثاقه وأصل ينبوعه ومعين إبداعه. ولا ينفصل هذا المسلك التوحيدي (أي الدرزي) بشكل خاص عن التصوف العرفاني الإسلامي والتحقُّق الحنيف الأصيل الذي استقى هو ذاته مما سبقه في اختبار أرباب الحكمة والعرفان الأقدمين. ففي درس هذه المصادر واستطلاع كشفها يكمن سرُّ اجتناب الخطأ في تكوين فكرة صحيحة عن المعتقد التوحيدي الدرزي.

نهج العقل والقلب هو التوحيد: ومطلب التوحيد هذا هو في منطق نهج العقل البشري وتقصِّيه وسيره واستطلاعه. فالشعور (أي القلب) يطلب التوحيد والوحدة، ولا تطيب له السعادةُ إلا إذا غمرتْه غبطةٌ واحدة، متصلة، عميقة، دائمة، لا تتبدل ولا تتغير.

والعقل يطلب أيضًا التوحيد والوحدة: وحدة التفسير ووحدة عقل جميع مظاهر الكون، ولا يرتاح من قلقه الأزلي واستكشافه الأبدي إلا إذا حلَّتْ فيه وحدةُ التفكير وانسجام الأسباب في فعلها الأول وكانت له نظرةٌ واحدة منسجمة إلى الكون.

والحب ذاته – حب العاشق والمتصوف والشاعر والفنان والقائد الاجتماعي والرائد السياسي – أليس هو طلب الوحدة والتوحُّد مع الآخر، مع الآخرين؟ كأن التذكُّر الذي في نفوسنا لوحدة مصدرنا وانبثاقنا ولوحدة جوهر أرواحنا – وكيف نستطيع أن نفهم بعضنا بعضًا في النطق والفكر والتصور لولا هذه الوحدة الكيانية الأولى؟ –، كأن هذا التذكُّر والادِّكار يهيج فينا وَجْد العودة من جديد إلى الواحد الأحد، إلى عين هذه الوحدة ذاتها، حيث يشعُّ الوعي والسلام والوجود الحقيقي.

غاية العلم هو التوحيد: والعمل البشري يطلب هو ذاته الوحدة والتوحيد وينفر بطبيعته من جوِّ التبدل والتغير، ويسعى إلى تحقيق تصور ومثال من السعادة والوجود الإنسانيين لا يتبدلان ولا يزولان.

وهؤلاء العلماء المعتكفون في مختبراتهم، والمتأمِّلون مدى الحياة في التفتيش عن حقيقة الأشياء التي تتهرَّب دائمًا وأبدًا أمامهم في غلاف تفكُّك المادة الأخير إلى أجزائها وجزئياتها الطاقيَّة النهائية، يتوغَّلون بمسابر مجاهرهم ومراصدهم البلورية والإلكترونية في مجاهل الكون الهائل المنتشر في مدًى لحيِّز المكان «لا نهاية له، ولكنه محدود»، على حدِّ تعبير أينشتاين – وهم عشاق المعرفة ومتصوِّفو قبسها الأخير – هؤلاء العلماء لا يتوقفون عند تفسير كيفية صدور العناصر والمركَّبات وخروج بعضها من بعض، بل يتقصون، بشغف المدنف وبصيرة الملهوف الجَلود، المعادلةَ الأخيرة الوحيدة التي تفسَّر بها جميع طاقات الوجود، من مادية وحياتية ونفسية، موضوعية وذاتية (أي فردية) في آنٍ واحد. إنهم يطلبون الوحدة والتوحيد – وكيف لا يكون ذلك، ونهج العقل ومنطلَقه هو إلى الوحدة والتوحد دائمًا وأبدًا: يسعى إلى تفسير المركَّب بالبسيط، والكثيف باللطيف، وهكذا إلى ما لا نهاية، إلى أن يتصل بالبسيط واللطيف الأوحد الذي به تُفسَّر جميعُ الظواهر والأشياء وتعلَّل.

وبدهي القول إن هذه المعادلة الأخيرة للوجود الظاهر، التي تشوَّق أينشتاين إلى اكتشافها وتحديدها قبل وفاته بقليل، لا تعود، في هذا المستوى الأخير، معادلةً على الإطلاق، لأن هذه الطاقات التي تنبثق وتتنزَّل وتتجلَّى وتتفرع من هذا المرتكز الورائي الخلفي الأخير، ومن عين أصالة الوجود – ولا «عدم» في الوجود – تضيع وتضمحل وتندثر وتذوب كما في ينبوعها ومصدرها وعينها ونقطة بروزها وكينونتها. إذ ذاك، يتوحد الشاهد والمُشاهَد، والناظر والمنظور إليه، في الحقيقة النهائية والاختبار الأخير الذي تنتهي إليه جميع المعادلات.

اكتمال العلم بالعرفان وتوافُقهما: وبعد، فيعتبون على الموحدين ويأخذون عليهم إنْ هم لم ينجذبوا، خارجًا ونزولاً وانحرافًا وعماهة، إلى هذه الأشباح الظاهرة في الكون الحسِّي السحري المحيط بهم، وإنْ هم أرجعوا بصيرتَهم إلى الباطن الخفي، وتطلَّعوا، في داخلهم وفي داخل الأشياء، إلى حيث هبطت من نقطة الإبداع جميعُ هذه المبدَعات المتسلسلة المتجلِّية في سمط عقد النجوم وأكاليل المجرات والسُّدُم وفي العوالم المجهرية المشعة، الدائرة في أفلاك الخلايا والذرات، وفي نور سماوات نفوسهم.

فسبحان مَن جعل العارفين، في الحقلين، والمنطلَقين، والسفحَين، وفي الباطن والظاهر، يتلاقون ليصدحوا على «مآذن أفئدة قلوبهم» بنداء الوحدة النابع الهادر من صميم هذا الوجود وثناياه بذلك النغم الأزلي الذي بعث فيهم العشق والتوق في الحالتين، والذي به وُجِدَ وكان العالمُ الظاهر والباطن على السواء – وهل ينفصل أحدهما عن الآخر إلا في منطق المحال؟ وسبحان مَن أوحى إلى النوريِّ – رضي الله عنه – قوله العجيب: «إن الله لطَّف ذاته فسمَّاها حقًّا، وكثَّف ذاته فسمَّاها خلقًا» – تعالى إبداعه عن كلِّ وصف وتشبيه.

***

الذهنية المعاصرة لمبادئ الحكمة والعرفان: إن مسالك التوحيد والحكمة والعرفان هذه - ولا عرفان بلا توحيد، ولا توحيد بلا عرفان - تبرز أهمِّيتُها البالغة من جديد في العصر الماثل القائم، من جرَّاء تناقُض الأديان وازدواجية الشرائع وتطلُّب العقل الذي يريد أن يتجرَّد عن التقليد والتبعية والالتزام، للتعرف إلى حقيقةٍ ماورائية الأشياء، فيما يعانيه الإنسان المعاصر المتمدِّن من عذاب العقل، وآلام النفس، وفراغ القلب، وتشتُّت الفكر، وشقاوة الطموح، وضلالات النظريات الفلسفية والاجتماعية، على اختلافها. فإذا بهذا العرفان أو التوحيد الأصيل يبرز في مواجهة الواقع، كالمفتاح الذهبي السرِّي الوحيد لتعدِّي محدوديَّات العلم ونظرته الأخيرة، ولحلِّ المشكلات المادية والنفسية والأدبية والروحية والحضارية التي يتخبط فيها الإنسانُ المعاصر، المتمدِّن في خارجه، لكنْ غير المتحضِّر في داخله وباطنه.

وهذا الأمر هو الذي فطن إليه كبار العلماء، من فيزيائيين وبيولوجيين ونفسيِّين وأطباء ومربِّين وموجِّهين، فأخذوا، أكثر فأكثر، يعودون ببصيرتهم ليستكشفوا ويتحقَّقوا ما كانوا، في سعيهم وشغفهم وإلحاحهم المثابر، يطلبون، فيروا، وسط الدهش والإعجاب وتسبيح العقل العفوي المنطلق، أن ما توصَّل إليه أبناءُ العرفان والحكمة، في كلِّ شريعة ودين، يفوق كلَّ تصوُّر وكلَّ اكتناز ثروة وكلَّ إرث حضارة أو مكنون علم أو استيعاب اختبار ونهج اختراع.

ورأوا، ثانيًا، أن هذه الحقيقة، التي أدركها وشاهَدَها العارفون، في معراج توحيدهم وشهودهم واستئناسهم وفي مجاليها، هي يقين لا يُداخِلُه شك ولا ريب ولا ظلمة شبهة.

وتيقَّنوا، ثالثًا، أن هذه الحقيقة المستجلية هي ذاتها لا تتباين في مواصفاتها وجوهرها عند الحكماء والعارفين والمتحقِّقين في جميع الأدوار والعصور والمذاهب والمسالك والأديان، لا يختلف أحد

العارفين مع الآخر في شأنها، ولو اختلف معراجُه، وبَعُدَ عنه في الظاهر مرتقاه، أو تنوَّع مرصدُه ومجهره. فسبحان العين الأولية التي تبصر بها جميع العيون. فهو «المبصر للإبصار في الأبصار» - وحقًّا كان ذلك عليه برهانًا ودلالةً، ومنه يقينًا، وإليه سبيلاً ومسلكًا.

وكان الحكيم الهندي شري آتماننددا - تقدَّستْ حقيقته - يقول:

«استيقظ، قُمْ، ولا تتوقف حتى بلوغ الهدف» - هذا هو نداء نفير الفيدنتا.

جميع الأديان تلبِّي أذواق البشر وتُضاعِف - جهلاً - الاختلافاتِ فيما بينهم. لكن الفيدنتا وحده يلبِّي الحقيقة التي لا تتغير ويوفِّق بين جميع الاختلافات دون استثناء.

فعلى حدِّ القول الرشيد: في حين لا يتفق دينان أو صوفيان أو يوگانيان أو عالِمان أو فيلسوفان، لم يحصل قط أن اختلف حكيمان في شأن الحقيقة المطلقة. (المحاضرات الروحانية، ص 410)[18].

وهذا برهان آخر على حقِّية هذا الاختبار وحقيقته. (انتهى نص كمال جنبلاط).

---

(18) «Awake, arise, and stop not, till the goal is reached» is the trumpet call of Vedanta.
«All religions serve human tastes and ignorantly multiply differences. But Vedantam alone serves the changeless Truth and reconciles all differences without exception.
«The wise saying goes: When no two religions, mystics, yogins, scientists or philosophers agree, no two sages have ever disagreed about the ultimate Truth.» (Spiritual Discourses, p. 410)

المحتويات